

د. صابر محمد دياب
د. احسان الدين ساعدي
الطابع: مريم سعيد

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسة الإسلامية
قسم الدراسات العليا والحضارية



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٩٧٣



الحياة العلمية في العراق في العصر الساجي

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة والنظم الإسلامية

إشراف

الأستاذ الدكتور حسام الدين السامري
١٠٠٢٩٩٢

إعداد

مريم سعيد مريم سعيد

١٤٠٥ / ١٤٠٤ هـ

١٩٨٥ / ١٩٨٤ م



يسمى اللجنة العامة

اعضاء اللجنة العامة

د. عبد الله محمد حسن
د. محمد محمد حسن
د. محمد محمد حسن

٩٧



مکتوبات الرسالہ

محتويات الرسالة

الصفحة	الموضوع
أ ، ب ، ج	المحتويات .
٢	كلمة شكر وتقدير .
٤	المقدمة .
١٢	دراسة تحليلية لأهم مصادر البحث .
٤٢	التمهيد : ملامح الحياة العلمية في العراق خلال العصر السلجوقي .
٧٢	<u>الباب الأول : أثر التطورات والأوضاع العامة في الحياة العلمية</u> <u>خلال فترة البحث :</u>
٧٨	الفصل الأول : - الأوضاع السياسية .
٩١	- الأوضاع الاقتصادية .
١٠٢	- الأوضاع الاجتماعية .
١١٦	الفصل الثاني : - الأوضاع الدينية والفرق والمذاهب .
١٤٣	- أثر الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية على الناحية العلمية .
١٥١	<u>الباب الثاني : مظاهر النشاط العلمي في العراق في العصر</u> <u>السلجوقي :</u>
١٥٩	الفصل الأول : مظاهر الاهتمام بالحركة العلمية :
١٥٩	- اهتمام الخلفاء ووزرائهم بالحركة العلمية .
١٦٢	- عناية السلاطين والوزراء السلاجقة بالحركة العلمية .
١٧١	- حركة التأليف ودر الكتب في العراق في هذا العصر .
١٧٩	- خزائن الكتب في العراق في العصر السلجوقي .
١٩٥	- مراكز العلم في العراق في هذا العصر .
٢٠٦	الفصل الثاني : الحركة التعليمية ومراكز التعليم ووسائله :
٢٠٦	- أولاً : التعليم العام .
٢٣٥	- ثانياً : الرحلة في طلب العلم .
٢٤١	الاجازات العلمية .
٢٤٦	- ثالثاً : التعليم النظامي ومدارس العراق في العصر السلجوقي .

٣٠٤	الباب الثالث : <u>دراسة للإنتاج العلمي والأدبي في العراق خلال</u> <u>العصر السلجوقي :</u>
٣١٠	الفصل الأول : الدراسات الشرعية .
٣٥٦	الفصل الثاني : علوم اللغة والنحو والأدب .
٤٢١	الفصل الثالث : العلوم الانسانية .
٤٨٠	الفصل الرابع : العلوم البحتة .
٥١٠	الخاتمة .
٥١٩	الملاحق :
٥٢٠	- الملحق الأول : منشور الفتوة الذي صدر على عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي وأرسله مع سراويل الفتوة الى ملوك الأطراف بطريق الوكالة الشريفة .
٥٢٣	- الملحق الثاني : كتاب نظام الملك الوزير السلجوقي الى ابن جبير فخرالدولة وزير الخليفة المقتدى بأمر الله . وهي بشأن تجديد الفتنة بين الشافعية والحنابلة ببغداد .
٥٢٥	- الملحق الثالث : كتاب نظام الملك الى ابن أبي اسحاق الشيرازي بشأن الفتنة السابقة الذكر بين شافعية وحنابلة ببغداد .
٥٢٦	- الملحق الرابع : كتاب حجة الاسلام الغزالي الى ضياء الملك أحمد ابن نظام الملك متولى المدرسة النظامية ببغداد ، يعتذرفيه عن عدم استطاعته العودة للتدريس بنظامية بغداد ، وذلك في سنة ٥٠٤ هـ .
٥٣٠	- الملحق الخامس : أسماء ما أمكن الحصول عليه من أساتذة الفقه وأصوله بالمدرسة النظامية ببغداد خلال العصر السلجوقي .

٥٣٢	- الملحق السادس : أسماء ما أمكن الحصول عليه من أساتذة الحديث والتفسير والوعظ بالمدسة النظامية ببغداد خلال العصر السلجوقي .
٥٣٤	- الملحق السابع : أسماء ما أمكن العثور عليه من أساتذة اللغة والنحو والأدب في المدسة النظامية ببغداد خلال العصر السلجوقي .
٥٣٥	- الملحق الثامن : أسماء ما أمكن العثور عليه من معلمي المدسة النظامية ببغداد إبان العصر السلجوقي .
٥٣٧	قائمة مصادر ومراجع البحث .

سِرِّ وَقَدِرُ

شكر وتقدير

الحمد لله المعين على كل خير ، أشكره سبحانه وتعالى على عونه وتوفيقه السدي يسر أمرنا ووفقنا لاتمام هذا العمل ، فله جزيل الشكر وخالص الشناء . ثم نشكر من ساعدنا في اخراج هذا البحث من أولي الفضل ، وعلى رأسهم أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور حسام الدين السامرائي رجل الدين والعلم . فلقد قضيت معه ما لا يقل عن سبع سنوات منذ بداية السنة المنهجية وأثناء إشرافه على رسالتي الماجستير والدكتوراة فما عرفت الا شعلة من النشاط ، ومثالا للمثابرة والجهد والاجتهاد ، وعنوانا للدقة والأمانة والاخلاص . حيث تابع هذا العمل لحظوة بلحظة وأحاطه بإرشادات وتنبيهات . جزاء الله خير الجزاء ، وأمد في عمره ، وأدام عليه صحته ، ونفع به وعلمه .

كما وأقدم جزيل الشكر لجامعة أم القرى ممثلة في معالي مديرها الدكتور راشد بن راجح الشريف ، ولعمادة كلية الشريعة ، ممثلة في عمدائها الكرام الدكتور محمد بن سعد الرشيد - الدكتور طيان الحازمي - الدكتور علي الحكسي - الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد . . أشكرهم جميعا على تيسيرهم أمور الطلاب وخدمة العلم . كما وأقدم جزيل الشكر لجميع العاملين بمركز البحث العلمي وأحياء التراث الاسلامي وما يقومون به من خدمات جليلة لطلاب العلم .

أشكر كل من ساهم في اخراج هذا العمل ، أساتذة وزملاء ، جزاهم الله خيرا . . وأمدنا جميعا بعونه وتوفيقه .

المقدمة

المقدمة :

الحمد لله الواسع العليم ، الذى امتدح العلماء فى كتابه الكريم بقوله : " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات " (١) ، والقائل : " شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط " (٢) .

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبينا الكريم القائل فى حق العلماء : " من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة " (٣) ، وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم لرضى الله عنه ، وان العالم ليستغفر له من فى السماوات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى جوف الماء ، وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وان العلماء ورثة الأنبياء " (٤) .

وصلى الله على أصحابه الكرام الذين اهتموا بهديه ، وسلوكوا سنته .. وبعد

فان حب المعرفة ، وسعولة الوصول الى الحقيقة ، يجب أن يبقى الهدف الأخير لأى باحث ، انه ليس من السهولة بمكان ، كما يتصور البعض ، البحث فى مجال النشاط العلمى لأية أمة من الأمم ، لاسيما اذا كان ميدان الدراسة هو الحضارة الاسلامية ، ذلك أن التعرض للبحث فى ميدان الحياة العلمى والفكرية فى الاسلام يتطلب من الباحث جهدا كبيرا ، ومحتا مضمنا فى بطون أمهات المصادر المختلفة التخصصات للحصول على المعلومات المناسبة المختلفة المتباينة الاتجاهات .

(١) سورة المجادلة ، آية (١١) .

(٢) سورة آل عمران ، آية (١٨) .

(٣) ذكره البخارى فى صحيحه فى ترجمة " باب العلم قبل القول والعمل " ج ١ / ص ١٦ .

(٤) ابن حجر : فتح البارى ج ١ / ص ٨٣ .

ان قضية البحث في التراث الاسلامي ، لاسيما ذلك التراث العلمي والفكري ، تواجه الكثير من المتاعب والصعوبات بسبب التناقض الواضح في معلومات المصادر التي سيطر على أغلبها أهواء شخصية ، وظروف سياسية ودينية ، تجعل الباحث في حيرة تامة ، وفي موقف يجد فيه من الصعوبة بمكان القدرة على الكتابة بصورة موضوعية ، لتظهر الدراسة في صورة صادقة وجلية وواضحة ، لاسيما في الفترات المتأخرة للدولة العباسية ، والتي ماج العراق أيامها بعناصر عرقية مختلفة ، من عرب وفرس وأتراك وغيرهم ، وعصبية دينية طائفية ومذهبية ، من مسلمين ويهود ونصارى ، سنة وشيعة ، وحنابلة وشافعية وحنفية ، كل هذه الفئات كان يعوج بها المشرق الاسلامي بعامة ، والعراق بخاصة ، مركز الخلافة العباسية .

لقد أدى تفاعل هذه العناصر العرقية والدينية والمذهبية بعضها مع بعض الى التأثير في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية ، الأمر الذي أثر بدوره على تكوين الاتجاه العلمي والفكري والثقافي ، وتحدد مساره في العراق فترة البحث .

لقد أصبحت الخلافة العباسية والخليفة العباسي منذ عصر امراء الأمراء ، وحتى نهاية العصر السلجوقي ، في موقف لا يحسد عليه ، فلقد تسلم السلطة السياسية خلالها الأمراء المتغلبون من ترك وفرس ، وأصبح الخليفة العباسي سلوب السلطة والارادة .

كما أن سياسة الادارة المالية غير الموفقة بمساعدة الأوضاع الاقتصادية المتردية في هذه الفترة أدت الى تحول واضطراب اقتصادي لم يكن في صالح عامة الناس ، هذا التحول الاقتصادي كان له أثره الفعال في خلخلة البناء الاجتماعي ، وتركز الأموال في يد أقلية محدودة من المجتمع ، هذا بالإضافة الى تدخل

السياسة والمصالح الشخصية المختلفة في الأمور الدينية ، والتجاء الكبراء الى الفقهاء يسألونهم الحلول فيما يعرض لهم من مشاكل سياسية ودينية ، كل ذلك أدى الى فقدان الوازع الديني لدى الكثير من عامة الناس .

كما أن الجدل الديني بين الفقهاء أصحاب المثل والمذاهب المختلفة ، ذلك الجدل المبني على التعصب الديني الأعى الذى يخدم مصالح أخرى ، والتأييد لشيوخ الطوائف والمذاهب كان له أسوأ الآثار . فلقد أدى تحول السلطة السياسية في العراق من حوزة البويهيين الى قبضة السلاجقة ، الى تغيرات طائفية دينية جذرية ، من المذهب الشيعي البويهي الى المذهب السني السلجوقي ، وطبعاً أن يؤثر ذلك على اتجاه النشاط العلمي والثقافي والفكرى ، فالشيعة تنهوا المذهب العقلي في تعاملهم مع العلوم العقلية والنقلية ، وفي تعاملهم مع طبقات المجتمع ، ولعل أوضح مثال لذلك فرقة الباطنية الاسماعيلية الشيعية وارثة حكم البويهيين والتي فطنت الى خطورة الموقف المتمثل في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في العراق والمشرق الاسلامي ، بحيث كیفوا مذهبهم ودعوتهم على نحو يتيح لهم استقطاب الفئات العامة في المجتمع الاسلامي في العراق والمشرق الاسلامي ، وأفادوا من التيار العقلاني في نسج وتطبيع عقائدهم المذهبية واتجاهاتهم الاقتصادية والاجتماعية ، بعد مناداتهم وتبنيهم لمطلب العدالة للطبقة الفقيرة في المجتمع الاسلامي ، تلك العدالة التي لم ولن تجد الى نظامهم سبيلاً . كانت دعوتهم تلك بمثابة جرس انذار بخطر بدأ يستشري في جسم الدولة الاسلامية ، ما حدا بالوزير نظام الملوك السلجوقي الى الرد عليهم بنفس سلاحهم الفكري ، فأسس عشرات المدارس ، وأقام الربط ، وشيد المكتبات ، وشجع العلماء وقربهم ، وحذا الأمراء والوزراء حذوه في ذلك حتى أصبح العراق في هذا العصر يروج بحركة ثقافية وفكرية شاملة ، شغلت الجميع ، على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم ودياناتهم ،

حتى أصبحت مدارس وجوامع ومعاهد ومراكز العلم والتعليم المختلفة في العراق تغص بطلاب العلم وعشاق المعرفة من العراق ، ومن الوافدين اليه من الأقطار الاسلامية .

ان أهمية تراثنا العلمي والفكري ، وضرورة المحافظة عليه ، والحاجة الملحة الى احيائه والتعريف به وابعازه ، يعد الحافز العام الى طرق هذا الميدان في الدراسات الحضارية الاسلامية ، كما أن الوعي بالتراث الفكري والثقافي وابعاز النظام التعليمي والاهتمام به ، وانشاء المدارس ومراكز العلم المختلفة والاهتمام بالعلماء والعلوم هو الأساس الذي تبنى عليه حضارات الأمم .

والأمة الاسلامية أسهمت بحظ وافرفي هذا الميدان ، الذي لم يجد من العناية والاهتمام ما يليق به من أبنائها اليوم ، على الرغم من أهميته القصوى ، التي لا تقبل ، بل ربما تزيد على أهمية دراسة أي جانب من جوانب الحضارة الاسلامية .

ولقد كان من أهم الحوافز التي دفعتني الى اختيار هذا الموضوع هو الرغبة في دراسة وإزاحة الغموض فيما انقطع من دراسة هذا الجانب الهام من جوانب الحضارة الاسلامية لمركز الخلافة العباسية في هذا العصر من تاريخ أمتنا المجيد ، والذي لم يجد الاهتمام المطلوب من جمهور الباحثين والدارسين بسبب اللبس والغموض وعدم توفر المعلومات الأكيدة لتاريخ وأوضاع هذه الفترة المختلفة ، هذا بالإضافة الى ما يراه الكثير من الباحثين من أن فترة العصر السلجوقي فترة جمود وانحدار واضمحلال للعلوم والآداب .

ان ما أشرنا اليه آنفا يعد من أهم العقبات التي واجهها البحث ، فلقد كان للتناقض الواضح في بعض القضايا والأحداث ، والغموض الشديد في بعضها الآخر ما جعل التواصل والاتساق بينهما أمرا غاية في الصعوبة والتعقيد ، ثم

ان طبيعة البحث تنطوي على مجال كبير للأسباب والاطناب ، مبنى على مسببات تربط أجزاء بعضها ببعض ، تتناول الأوضاع المختلفة ، وعلاقتها بالثقافة والفكر ، والجانب التربوي والتعليمي والعلمي لهذا العصر .

وموضوع هذا البحث يدور حول " الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي " وتحديد سارها من خلال تأثيرها وتأثرها بالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية ، ونتيجة العلاقة بينهما ، التي تركت آثارا واضحة في مجرى الحياة العلمية ، والمتثلة في ظهور العشرات من فطاحل العلماء في الدراسات الشرعية ، واللغوية والنحوية ، والدراسات الانسانية والعلمية الصرفة ، ونشاطهم العلمي المتمثل فيما خلفوه من تراث علمي كبير يزين دور الكتب العالمية ، فاق كل ما كتب بأى لسان آخر . ولقد انتظم هذا البحث في ثلاثة أبواب ومقدمة عن ملامح النشاط العلمي والفكرى في العراق في العصر البويهى .

واختص الباب الأول بمتابعة أثر تطور الأوضاع المختلفة على الحياة العلمية ، وهذا الباب ينقسم الى فصلين .

كان الحديث في الفصل الأول عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العراق خلال فترة البحث .

أما الفصل الثاني فقد أفرد لدراسة الأوضاع الدينية والتعرض للغسوق والمذاهب الدينية المختلفة ، وما كان بينها من صراع وتناحر وأحقاد .

واختتم هذا الفصل بمحاولة توضيح آثار تطور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية على الحياة العلمية والفكرية خلال فترة البحث .

أما الباب الثاني فقد اختص بالبحث عن مظاهر النشاط العلمي في العراق خلال العصر السلجوقي . وينقسم الى فصلين .

تناول البحث في الفصل الأول مدى عناية الخلفاء ووزرائهم والسلاطين ووزرائهم والكبراء واهتمامهم بالحركة العلمية ، بالإضافة الى الحديث عن حركة التأليف ودور الكتب والمراكز العلمية المنتشرة في العراق خلال هذا العصر .

أما الفصل الثاني فقد أفرد لبحث الحركة التعليمية ومراكز التعليم ووسائله ، وهو ينقسم الى ثلاثة مباحث ، استعرض المبحث الأول التعليم العام في الكتاتيب والمساجد والمجالس العلمية المختلفة ، والأرططة . أما الثاني فقد اختص بالحديث عن الاجازات العلمية والرحلة في طلب العلم كوسيلتين من وسائل التعليم . أما المبحث الثالث فقد ركز على التعليم النظامي ومدارس العراق خلال فترة البحث .

أما الباب الثالث فيتضمن دراسة شاملة للإنتاج العلمي والأدبي في العراق خلال فترة البحث ، وتيسيرا للبحث فقد جرى تقسيم هذا الباب الى أربعة فصول .

اختص الفصل الأول باستعراض شامل للدراسات الشرعية من قرآن ، وحديث ، وفقه وأصول .

أما الفصل الثاني فقد أفرد لدراسة علوم اللغة العربية والدراسات الأدبية ، في حين اهتم الفصل الثالث بدراسة العلوم الانسانية ، من تاريخ وجغرافيا وفلسفة ودراسات تربوية .

أما الفصل الرابع فقد خصص لاستعراض نتائج علماء العصر في العلوم البحتة والتطبيقية .

واختتم البحث بدراسة موجزة عن أهم النتائج التي توصل اليها الباحث .

ولقد حاول الباحث تحرى واتباع الأسلوب العلمي فى مناقشة النصوص وإيراد مختلف وجهات النظر ، ومحاولة نقدها للوصول الى نتائج أفضل . مع اهتمام واسع بدراسة الظروف والأوضاع المختلفة التى كانت تحيط بالحياة العامة وما يشوبها من غموض ولبس فى كثير من المعلومات والأحداث . والتى كان لها الأثر الواضح فى تسيير نخط الحياة العلمية والثقافية فى هذا العصر .

لقد بذلت ما أستطيع بذله من خلال ما توفر لى من مصادر فى دراسة هذا الموضوع ، ولم أذكر وسعا فى البحث والتدقيق والتتقيب .

واننى لا أدعى الكمال ، فهو لله وحده ، كما أننى واثق أنه قد فاتنى الكثير ، ومعتزف بأنه " فوق كل ذى علم عليم " كما يقول الله تبارك وتعالى . وما أنسا الا طالب علم ، أسأل المولى عز وجل أن يكون هذا البحث قد قدم صورة متوازنة ومتناسبة لإبراز ميدان سهم من ميادين الحضارة الاسلامية كما أسأله تعالى أن يأخذ بيدي انه نعم المولى ونعم النصير . والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الباحث

دراسة تحليلية
الأهم مبادئ البحث

دراسة تحليلية لأهم مصادر البحث :

لابد ، والحديث هنا عن النتاج الفكري والعقلي والعلمي في العراق في هذا العصر من تاريخ أمتنا المجيد ، من الإشارة الى ما عناه الباحث من عنيت وجهد في جمع المعلومات من مظانها المختلفة ، سواء أكانت خطية أم مطبوعة ، في كتب التاريخ العام أو المحلي ، وكتب التراجم والسير وطبقات الرجال والوفيات في مجالاتها وتخصصاتها المختلفة لعلماء الشريعة ، ورجال اللغة والأدب ، أو تراجم المؤرخين والجغرافيين رجال التربية والفلسفة وطم الكلام والدراسات الانسانية ، والعلوم البحتة. كل هذا أدى الى تنوع مصادر البحث وتعدد هياكلها وهياكل امكانية الافادة منها جميعا ، مما يجعل من الصعوبة بمكان أمر تناولها جميعا بالتفصيل . انما نحاول هنا الإشارة الى أهمها ما يمكن أن نعدّه المعين الرئيسي الذي اعتمد عليه البحث في بنائه بدرجة كبيرة ، لاسيما تلك المصادر المعاصرة لفترة البحث ، والتي أفادت في دراسة التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي والديني ، والتي قدمت معلومات مفصلة عن المبرزين في ميادين العلم والسياسة . وعلى كل حال فان الدراسة التحليلية لهذه الأحوال قد سارت وفق تسلسل سني الوفيات لمؤلفها .

أما في تقرير مدى أهمية المصدر في بناء البحث فان ذلك يعود الى مدى الاستفادة منه في بناء هيكل البحث، سواء أكان ذلك كما ، أم كيفا ، وذلك ما سيرد في ثنايا الدراسة . اضافة الى أن بعض المصادر كانت أساسية، لاغنى للبحث عنها ، حيث انها زودت البحث بمعلومات نادرة أفادت في جوانب معينة منه . ومع أنه قد أمكن الوصول الى عدد من المصادر الخطية ، والافادة منها ، فان ذلك كان في نطاق محدود ، كما أنها لم تكن أساسية في بناء هيكل البحث .

ومع ذلك فإنها كانت نماذج للإنتاج العلمي المتمثل في الكتب والصحف المتخصصة لعلماء العصر في ميادين العلوم المختلفة ، كالطب ، والجغرافيا ، وعلم الهيئة والفلك .

وهكذا فقد أمكن الاعتماد عليها والإفادة منها في تحليل وتقويم نشاط العلماء في هذا العصر .

ومن هذه المصادر الخطية ما يلي :

كتاب تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام^(١) لمؤلفه محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، شمس الدين أبي عبد الله (المتوفى عام ٧٤٨هـ / ١٣٤٨ م) والذهبي حافظ مؤرخ علامة محقق ، مولده ووفاته بدشقي ، رحل الى القاهرة ، وطاف كثيرا من البلدان ، وتصانيفه تقارب المائة .

ويقع كتابه هذا في ستة وثلاثين مجلدا ، سار فيه المؤلف على ترتيب السنوات وجمع فيه بين الحوادث والوفيات . وقد استعرض فيه وقائع وأحداث التاريخ الاسلامي حتى سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م . وتختص الأجزاء من الحادي عشر الى الرابع عشر منه بتاريخ أحداث العراق ، ووفيات أعيانه وعلمائه خلال العصر السلجوقي . ولقد أمد هذا الكتاب البحث بمعلومات جيدة عن حياة العلماء وآثارهم وأنشطتهم العلمية ، وقد جرت الافادة منه بشكل رئيسي في الباب الثالث من البحث .

(١) مصور بمركز البحث العلمي واهياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة الأجزاء ١١ برقم ٥٩٣ ، ١٢ برقم ٥٩٤ ، ١٣ برقم ٥٩٦ ، ١٤ برقم ٥٩٧ . عن مخطوط مكتبة أحمد الثالث بتركيا برقم ٢٩١٧ .

أما كتاب انسان العيون في مشاهير سادس القرون ^(١) لمؤلف مجهول من رجال القرن السادس الهجري ، فهو من المصادر المخطوطة ، واختص بتقديم معلومات واسعة عند تقديمه تراجم مشاهير علماء القرن السادس الهجري ، وهو ما يدخل ضمن النطاق الزماني للبحث . ولقد أفاد البحث منه فيما أورد من تفصيلات عن عدد كبير من علماء العراق خلال القرن السادس الهجري ، كان الكثير منهم في طليعة النسيان . كما زود البحث بالكثير من التفصيلات المفيدة عن حياتهم وآثارهم العلمية .

ولابد من الإشارة هنا الى أن البحث قد استخدم هذا المصدر بتحفظ شديد
فاقتصر على المعلومات التي وردت فيه توثيقا لمصادر أخرى ، أما المعلومات الستة
انفرد بها فقد تعامل معها بحذر تتطليه طبيعة كون المؤلف مجهولا ، وقد
أشير الى ذلك في الهوامش باستمرار .

وقد استفاد البحث كما أسلفنا من عدد كبير من المخطوطات التي تعكس مستوى النشاط العلمي في العراق لعلماء بارعين في ميادين الطب والصيدلة والفلك والجغرافيا .

منها كتاب تقويم الأبدان في تدبير الانسان ^(٢) وكتاب منهاج البيان فيما يستعمله الانسان ^(٣) وهما ليحيى بن عيسى بن جزلة الطبيب (المتوفى عام ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م) الذى كان من مشاهير أطباء عصره ، فهو باحث عالم ، تلقى علومه الطبية

(١) مقرر مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة
برقم ١٣١٠، عن مقرر مكتبة (الدراسات العليا) برقم ٢٤٨ بكلية الآداب - جامعة
مكة.

[illegible]

(۲) ۱۲۸ ط.ب.

الحصول على تصور واضح لمستوى النشاط العلمي خلال فترة البحث ، ذلك أن الاطلاع على مصنفات هؤلاء العلماء قد ساعد في التعرف على مدى ما وصلت اليه الحركة العلمية والنشاط الفكري في هذا العصر .

... ..

ولقد كان جل اعتماد البحث على المصادر المطبوعة ، وأغلبها في تراجم الرجال والطبقات ، وكتب الوفيات ، والتواريخ العامة وكتب الأدب ، وما ينبغى أن أكرر الإشارة اليه هنا أن ترتيب استعراض المصادر في الصفحات التالية لا يعكس مدى أهميتها في البحث ، بل ان الباحث رأى أن من الضروري أن يراعى تسلسل سبب الوفيات .

وعلى كل حال فان أهم المصادر المطبوعة التي قام عليها الهيكل العام للبحث هي ما يلي :

كتاب الامتناع والموانسة^(١) ورسالة المداقة والمديق^(٢) وكتاب مثالب الوزيرين وثلاثتها من تأليف أبي حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدى (المتوفى عام ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م) فيلسوف ، متصوف ، معتزلي ، نعته ياقوت بشيخ الصوفية وفيلسوف الأدباء ، صاحب ابن العميد ، والصاحب بن عباد ، وله مصنفات أخرى حسان .

ولقد عاصر التوحيدى أيام التبويهيين حيث نشطت الحركة العلمية والثقافية في بغداد على عهدهم . ومصنفاته الثلاثة هذه أفاد منها البحث معلومات أساسية

(١) طبع بعناية أحمد أمين ، وأحمد الزين ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .
(٢) طبع ، شرح على متولي صلاح ، نشر مكتبة الآداب ومطبعتها بالجمايز . القاهرة .
(٣) طبع ، بتحقيق ابراهيم الكيلاني ، دمشق ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .

عن الحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العراق على عهد البويهيين، بالإضافة الى ما قدمته من نواذر عن الحركة العلمية والتمثلة في مجالس العلم المختلفة، والتي كانت تعقد في منازل الأمراء والوزراء البويهيين، مما كان له الأثر الكبير في إعطاء تصور واضح عن مقدمة البحث ومدخله المتمثل في إعطاء صورة موجزة عن الحياة العلمية في العراق، خلال الفترة التي سبقت الاطار الزمني للبحث.

ومن المصادر المهمة التي اعتمد عليها البحث في دراسة الحالة المالية والإدارية في العراق خلال العصر السلجوقي، كتاب تجارب الأمم وتعاقب البهيم (١)، لأحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه (المتوفى عام ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م) الذي اشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق، ثم أولع بالتاريخ والأدب. وكتب لعضد الدولة بن بويه، ثم اختص ببهاء الدولة البويهية، وعظم شأنه عنده، وصنف عددا كبيرا من المصنفات في الآداب والعلوم والفنون. وكتابه تجارب الأمم هذا هو من كتب التاريخ الاسلامي العامة، انتهى به الى السنة التي مات فيها عضد الدولة البويهية، وهي سنة ٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م.

والكتاب يعكس اهتمام المؤلف بالشئون المالية والإدارية، كما يعكس اهتمامه بالأحوال السياسية والاقتصادية في الدولة العباسية. وقد دعم المؤلف كتابه بالوثائق الرسمية، ونقل الكثير من الأرقام والمعلومات من مصادرها الأصلية، كما أنه اهتم بدراسة الأسباب والمسببات ومتابعتها، إضافة الى أسلوبه البارز في التحليل في كتابته، وبحكم معاصرة المؤلف للبويهيين ووفاته قبيل وصول السلاجقة الى بغداد اختص كتابه هذا بتقديم معلومات مفصلة عن أوضاع العراق خلال العصر البويهية. وقد هيا الكتاب للبحث فرصة الافادة من معلومات أساسية في وصف الحالة السياسية

والاقتصادية والادارية في العراق بعامة ، وفي بغداد بخاصة ، على عهد البويهيين .
بالاضافة الى ما قدمه الكتاب من معلومات تحليلية عن أسباب تردى الحالة الاقتصادية ،
وما نجم عن اعتماد نظام الاقطاع من نتائج كان لها أثرها البارز في تطوير إيرادات بيت
المال . وبجانب ذلك فان الكتاب يعطي صورة رائعة عن صراع المياسيين —
البويهيين حول السلطة . وعلى الجملته فالكتاب من أهم المصادر في تغطية الفترة
الزمنية التالية لما توقف الطبري عن الكتابة فيه ، مع ملاحظة أن المؤلف كان في بداية
كتابه يتابع المعلومات التي أوردها الطبري الى حد بعيد ، مما يوحي بالنقل
المباشر منه .

أما فيما يتصل بالفترة بين سنتي (٢٩٥هـ / ٩٠٧م الى ٣٤٠هـ / ٩٥١م) ،
فقد اعتمد ابن مسكويه على مصادر أخرى . ولعل أهم وأبرز ما في كتابه هو أن
تأريخه للأحداث بعد سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م يعتمد على روايات شهود عيان ،
لا سيما على روايات صاحبيه أبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد ، وأبي محمد
السهمي ، وهما من الشخصيات البارزة والمؤثرة في الأحداث ، فقد كانت لهما
مكانتهما واطلاعهما الواسع واتصالاتهما الدقيقة .

ولقد ذيل على كتاب تجارب الأمم لابن مسكويه هذا الوزير محمد بن الحسين
بن عبد الله بن ابراهيم ظهير الدين أبو شجاع الروذراوري (المتوفى عام ٤٨٨هـ /
١٠٩٥م) وزير الخليفة المقتدى . فلقد كان أبو شجاع من الوزراء العلماء ، قسراً
الأدب والفقه ، وصنف كتاب الذيل على كتاب تجارب الأمم لابن مسكويه ضمنه تاريخ
الفترة بين سنتي (٣٦٩هـ / ٩٧٩م الى ٣٨٩هـ / ٩٩٨م) متبعاً في ذلك منهج
مسكويه في كتابته .

وقد هياً ذلك للبحث فرصة طيبة في التعرف على طبيعة التطورات التي جرت
في العراق خلال المراحل المبكرة من وصول السلاجقة اليه .

كما استفاد البحث من كتاب رسوم دار الخلافة^(١) لأبي الحسن هلال بن المحسن الصابي* (المتوفى عام ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) وهو كاتب ، مؤرخ من أهل بغداد ، تعلم الأدب ، وولي ديوان الانشاء في بغداد زمنا ، وصنف التصانيف الحسنة عن الأمراء والوزراء والأعيان والتواريخ . ولقد أفاد البحث من كتابه رسوم دار الخلافة ان يقدم معلومات مهمة عن تطور رسوم دار الخلافة على عهد البويهيين كما يقدم صورة للظروف السياسية ، ومعاملة أمراء بني بويه للخلفاء العباسيين ومشاركتهم لهم في اختصاصاتهم الدينية والدنيوية .

ومن الكتب التي أفادت البحث كثيرا كتاب تاريخ بغداد مدينة السلام^(٢) للحافظ أحمد بن علي بن الخطيب البغدادي (المتوفى عام ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م) ، وهو أحد الحفاظ المؤرخين المشهورين في هذا العصر ، رحل في طلب الحديث وآلم بالأدب ، وصنف ما يزيد على خمسين مصنفا ، أغلبها في علوم الحديث ، ويعد كتابه تاريخ بغداد من أهم المصادر التاريخية التي أسهمت في بناء الهيكل الأساسي للبحث . وقد شمل كتابه هذا التاريخ العلمي والثقافي لمدينة بغداد وما جاورها كما أنه يعد واحدا من أشهر كتب التراجم لرجال الحديث ، ان أصبح مثالا يحتذى في التأليف ، ولم يقتصر ذلك على الكتب التي أرخت لمدينة بغداد فقط ، بل سار على نهجه المؤلفون في كتابتهم لتواريخ كثيرة صنفتم في القرون اللاحقة ، وقد سبقت الإشارة الى أن الخطيب قد أفرد كتابه هذا ليترجم لعلماء الحديث ، ولمن اشتهر منهم بتخصص آخر الى جانب الحديث ، أعنى العلماء الذين عاشوا في بغداد وما حولها ، منذ تأسيسها الى زمانه ، ولمن زارها من العلماء وعرف بالرواية

(١) طبع بتحقيق ميخائيل عواد ، مطبعة العاني ، بغداد سنة ١٣٨٣ هـ / سنة

١٩٦٤ م

(٢) طبعه ونشره دار الكتاب العربي ، بيروت .

عن علمائها ، ورواتها . وهكذا فالكتاب تاريخ محلي لمدينة بغداد ، وقد ضمن المؤلف كتابه هذا مقدمة تعد أحسن ما قدم من وصف طبوغرافي لمدينة السلام . فضلا عن المعلومات المهمة التي يذكرها المؤلف في ثنايا تراجمه ، عن جوانب متعددة من تاريخ المدينة ، مثل المساجد والقصور ، ومنازل العلماء ، وأماكن اجتماعاتهم ، مما قدم مادة غنية ومهمة في رسم هيكل البحث وتزويده بمعلومات غاية في الأهمية تخللت أغلب فصوله . كما أن الكتاب قد أفاد البحث في تقديم معلومات مفصلة عن عدد كبير من عالما وواعظا بغداد في هذا العصر .

وقد خدم كتاب الخطيب البحث بما قدمه من معلومات عن الحياة الثقافية والعلماء والحركة التعليمية في بغداد ، فقد أعطي تفاصيل عن مجالس العلم والسمع ، وعن الأماكن التي كانت تعقد فيها المجالس العلمية ، فضلا عن مجالس المذاكرة والمناظرة وحلقات الأدب .

واضافة الى ذلك فان البحث أفاد من المعلومات الواسعة التي قدمها الخطيب في ثنايا تراجمه التي أفرد لها للمحدثين الذين تعرض لذكرهم ، وعن مواد الدروس وأوقاتها ، والتدريس وآدابه ، كما تعرض لذكر المعلمين وأساليهم وأجورهم .

وعلى الجلة فقد اعتمد البحث ، لاسيما في البابين الثاني والثالث ، على هذا الكتاب كثيرا ، ذلك أنه قدم الكثير من النماذج الموثقة عن الحياة الثقافية والدينية والتربية والعلمية في العراق خلال فترة البحث .

ومن المصادر المهمة التي أفاد منها البحث كثيرا مؤلفات حجة الاسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي (المتوفى عام ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) ، والغزالي غنى عن التعريف ، ولقد كان لمصنفاته التي أمكن الاستفادة منها أهمية بالغة بحكم معاصرتها

لفترة من البحث ، ولا سيما عند معالجة الجانب التربوي ونظام التعليم الاسلامي .

ومن هذه الكتب كتاب احياء علوم الدين ^(١) أبعد كتبه أثرا ، وأسيرها ذكرا ، وأبقاها على وجه الدهر . تناول الغزالي فيه العبادات ، والعادات ، والمهلكات والمنجيات ، مقسما كل واحد من هذه الأرباع الى عشرة كتب .

لقد أفاد البحث في جوانب متعددة منه من هذا السفر ، منها ما يخص التربية والتعليم ، ومنها ما يخص الفلسفة وعلم الكلام والنواحي الاقتصادية . ولعل باب العلم من الجزء الأول كان من أهم ما أفاد منه البحث من كتاب احياء علوم الدين وخاصة عند الكلام عن التربية والتعليم .

وبجانب كتاب احياء علوم الدين أفاد البحث كثيرا من كتب الغزالي الأخرى كالرسالة اللدنية ^(٢) عن العلم وشرفه ، وأصناف العلوم وفروعها وطرق تحصيل العلوم ، ورسالة أيها الولد ^(٣) رسالة تربوية تعليمية من تأليف أستاذ ماهر عالم بطبيعة علمه ، وهي رسالة الى أحد تلامذته ، يسدى اليه فيها نصائح عن أنواع العلوم وما ينبغي تعلمه منها ، وقد اشتملت هذه الرسالة على كثير من النوادر التربوية في معاملة المتعلمين .

هذه الكتب الثلاثة تعد من أهم مصادر البحث فيما يخص تربية الناشئة ومعالجتهم وتعليمهم ، وما يخص نظام التعليم والكتاتيب في هذا العصر ، وكذلك

(١) طبع عدة طبعات ، والمعتمدة طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .
(٢) ، (٣) طبعت ضمن مجموعة " القصور العوالي " من رسائل الامام الغزالي ج ١ ، الطبعة الثانية ، مكتبة الجندى ، القاهرة ١٣٩٠ هـ ، وقد طبعت رسالة " أيها الولد " وحدها طبعة خاصة محققة ، في مطبعة المعارف في بغداد ١٩٥٠ م ، أشرف عليها وحققها الأستاذ فؤاد الدين الكليدار ، كما نشر بعد ذلك رسالة " بداية المجتهد ونهاية المقتصد " محققة في عام ١٩٥٢ م ببغداد أيضا .

عن المؤدبين ، والمعلمين ، والتلامذة ، آدابهم وشروطهم ، مما أفاد البحث منه في البابين الثاني والثالث الى حد بعيد .

ومن كتب الغزالي التي أفاد منها البحث أيضا في جوانب أخرى منه كتاب المنقذ من الضلال ⁽¹⁾ وهو قصة حياة فكرية ، وتجربة صوفية روحية ، وسيرة ذاتية لحياة الإمام الغزالي ، في صراعه مع الفلسفة والمذاهب والفرق المختلفة ومحاولته للوصول إلى الحقيقة .

وبجانب هذه المؤلفات المهمة أفاد البحث من كتابين آخرين من كتب الاسام
الغزالي وهما كتاب الجامع للعوام عن علم الكلام ^(٢) وكتاب الاقتصاد في الاعتقاد ^(٣)
حيث ناقش المؤلف موضوع علم الكلام ، وبينان مذهب أهل السلف ، وأن من خالفهم
يهتدع . كما أوضح فيهما أهمية علم الكلام ، ومتى يجب تعلمه .

أما كتاباه تهافت الفلاسفة ^(٤) و معييار العلم في فن المنطق ^(٥) فيعدان من أعظم ما ألف في الفلسفة والمنطق في القرون الإسلامية الوسطى ، ولقد كان غرض الامام الغزالي من تأليفه هذه الكتب هو حفظ الدين ، والذود عن حـوزة الاسلام ، وذلك عن طريق كشف حقيقة الفلسفة التي استشرت في عصره ، وبيان عقم مذهبها ، وبطلانها ، وقصورها في الوصول الى معرفة الحق .

(١) طبع بتعليق محمد جابر ، نشر مكتبة الجندى ، القاهرة .

(٢) ضمن مجموعة القصور الموالي، ج ٢، الطبعة الثانية، مكتبة الجندي، القاهرة
١٣٩٠هـ/٢٠٧٠م.

(٣) طبع بتقديم عادل العوّا، دار الأمانة، الطبعة الأولى - بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

(٤) طبع بتحقيق سليمان دنيا - دار المعارف - القاهرة ١٩٦١ م.

(٥) طبع بتحقيق سليمان دنيا - الطبعة الثانية - دار المعارف - القاهرة ١٣٧٩ هـ /

أما كتابه فضائح الباطنية^(١) فقد صنفه لبيان بطلان عقائد المذاهب الباطنية، وانحراف عقيدتهم، وكذبهم وتزييفهم، حيث أفاد البحث منه كثيراً فيما يخص مناقشة موضوع الاسماعيلية في هذا العصر.

وفي الحق أنه كان لكتب الغزالي هذه أهمية أساسية في تشكيل معلومات البحث، فقد أفادت كثيراً في دراسة موضوعات سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية وكلامية وعقائدية، وتكمن أهمية كتب الغزالي هذه في كونه من العلماء الأفاضل ذوي النظرات الصائبة، والنقل الدقيق من معاصري فترة البحث، بل هو شاهد عيان عدل، حيث نشأ في أحضان الدولة السلجوقية، ثم اختير مدرسا للنظامية في بغداد حاضرة الخلافة العباسية. ولا جدال في أنه كان لمصنفات حجة الاسلام الغزالي أثر كبير، ودور بارز ومشرق في افادة البحث في الكثير من فصوله بدون استثناء، وفي مناقشة الكثير من المواضيع التي اختص بها في مباحثه ومؤلفاته.

ومن رواد الكتاب والمؤرخين ورجال الأدب الذين كان لمصنفاتهم صدى واضح في هذا البحث، أبو عبد الله محمد بن محمد عبد الدين الأصفهاني (المتوفى عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) وهو من بيت فضل وسؤدد وكتابة في هذا العصر. ولد في أصفهان، وانتقل الى بغداد وانتظم في سلك طلبة المدرسة النظامية، ثم ولي عدة مناصب، منها نظر البصرة ثم واسط، وكسب حظوة تامة لدى الزنكيين، ولدى صلاح الدين، ودرّس بالشام، وتولى ديوان الانشاء على أيام نور الدين زنكي. وله مصنفات حسان في التاريخ والأدب والكتابة. أهمها ما يهنا هنا، أعنى كتابه

(١) طبع بتحقيق عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت.

المشهور خريدة القصر وجريدة العصر (١) ان يلوح العماد في هذا الكتاب الضخم لطائفة من شعراء وأدباء القرنين الخامس والسادس في ديار الاسلام الممتدة من أواسط بلاد الحشرف الى أقصى بلاد الأندلس . فلقد أتم بتراجمهم وأخبارهم ، وعرض نماذج من أشعارهم ، ولم يترك منهم الا النادر الخامل ، حيث واصل العماد بهذا الكتاب سلسلة الكتب التي ألفها العلماء قبله في الشعراء والمحدثين ، وسلكوا فيها طريقة خاصة ، تجمع بين التاريخ والخبر ، ولولا كتاب الخريدة هذا وكتاب زينة الدهر للحضري وكتاب شاح الدمية للبيهقي لأبهم على الناس عصر كامل من تاريخ الشعر العربي .

ولقد أفاد البحث من هذا الكتاب فيما يخص الباب الثالث ، لاسيما الفصل الثاني منه . هذا بالإضافة الى أن معظم فصول البحث قد أفادت منه بما حفظ لنا المؤلف من تراجم أدباء وشعراء وطماء العصر ، حيث أورد ذكرا لعدد كبير من مشاهير العلماء وأعيان العصر ، مما ساعد في توضيح تطور الحركة العلمية ابان القرنين الخامس والسادس الهجريين ، حيث عمت سائر مدن العراق نهضة علمية شاملة اتصلت شملتها بأضواء النهضة العلمية التي بدأت في القرن الرابع . وفي الحق أن كتاب خريدة القصر هذا خير دليل على ما تمتع به العراق في فترة البحث من نهضة علمية في ميدان دراسات الأدب واللغة .

ولقد أفاد البحث من عدد من المصنفات لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (المتوفى عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) علامة العصر في التاريخ والسير والحديث . حيث صنف أكثر من ثلاثمائة مصنف في مختلف العلوم والفنون . ويعد كتابه المنتظم فسي

(١) القسم العراقي منه نشرته وزارة الاعلام العراقية ، بطبعة المجمع العلمي العراقي بتحقيق محمد بهجة الأثرى ١٩٥٥م - ١٩٦٤م . كما نشر قسم بلاد الشام بتحقيق شكرى فيصل ، بالمطبعة الهاشمية - دمشق ١٩٥٩م .

تاريخ الملوك والأمم^(١) من المصادر الأساسية التي قدمت معلومات قيمة للبحث ، وهو تاريخ اسلامي عام ، سار فيه ابن الجوزي على أساس المنين ، ذلك أنه يذكر أخبار كل سنة ، وما كان بها من أحداث ، ثم يعقب ذلك بذكر وفيات أعيان وعلماء تلك السنة منذ بداية الاسلام حتى نهاية سنة ٥٧٤ هـ .

وكان للمعلومات التي قدمها كتابه هذا أهمية خاصة في بناء هيكل البحث ، لاسيما فيما يخص الباب الأول ، والباب الثالث ، حيث قدم معلومات مهمة عن تفصيلات الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والعلمية في العراق خلال فترة البحث ، مما هباً الفرصة لتوفر معلومات جيدة لدراسة هذه الجوانب . وبالإضافة الى ذلك فإن الجوزي قدم في كتابه هذا معلومات انفرادية يذكرها عن نوازل علمية متصلة بأنشطة بعض علماء العصر ومناظراتهم ومعايراتهم ، وكيف كانت تعقد مجالسهم ، إضافة الى تفصيلات عن انتاجهم العلمي ، كما خدم البحث في توفير معلومات أساسية أثناء تعرضه في ثنايا كتابه الى ذكر عشرات المدارس والأربطة والزوايا ، أساتذتها ومنشئها ، وما قدمه من خدمات علمية رائدة خلال فترة البحث .

وبجانب كتاب المنتظم لابن الجوزي ، فقد أفاد البحث كثيراً من مؤلفات أخرى للمؤلف ، مثل : كتاب صيد الخاطر^(٢) وكتاب تلبيس ابليس^(٣) وكتاب القصاص والمذكرين^(٤) فقد عالجت هذه الكتب الثلاثة موضوعات مهمة متعلقة بالأوضاع الاجتماعية والدينية والعلمية ، كما تضمنت الكثير مما كان يشاهده المؤلف في أيامه من أمور غريبة ، ومخالفة للسنة ، جبلت عليها طبائع الكثير من العلماء والصوفية والشطار والعيارين ، إضافة

(١) نشرت دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م منه الأجزاء من السادس الى العاشر .

(٢) نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

(٣) نشر دار الكتب العلمية ببيروت .

(٤) نشر بتحقيق د . محمد لطفي الصباغ ، المكتب الاسلامي - دمشق ، وبيروت .

الى معلومات شخصية عن الفرق المنحرفة ، حيث أفاد منها البحث فيما يتصل بالباب الثاني ، لاسيما ماله صلة بالتعليم والعلوم والعلماء ، والمدارس والأربطة ، والفرق الدينية ، والكتب والمكتبات ، وفنونها وأسواقها ، وحلقات المذكرين والوعاظ والقصاص ويدعهم ، ومجالس العلم المختلفة ، بالإضافة الى ما أورده من معلومات عن المجتمع في عصره : عاداتهم وأعرافهم وتقاليدهم ، وعن الفرق الدينية المنحرفة : أهوائها ومفاسدها ، وأثرها على العلوم المختلفة والتعليم .

(١) كما وأفاد البحث من كتاب راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية لمؤلفه محمد بن علي بن سليمان بن محمد بن أحمد الراوندى (المتوفى عام ٦٠٣هـ / ١٢٠٦م) الذى ينتسب الى أسرة من أهل العلم في بلدة راوند من أعمال مدينة كاشان ، حيث كان أغلب أفرادها من العلماء الأساتذة . وقد تلقى تعليمه فسى صفوه على يد خاله تاج الدين أحمد بن محمد بن علي الراوندى ، وارتحل معه الى معظم مدن العراق حيث أتقن الخط وفنونه ، وأحسن التجليد والتذهيب ، ودرس الشريعة والفقه ، ونال حظوة تامة لدى سلاطين السلاجقة ، حتى أصبح من أشهر مؤرخيهم بتأليفه هذا الكتاب ، الذى يعتبر مصدرا أساسيا لتاريخ السلاجقة العظام ، من وقت قيام دولتهم في بداية القرن الخامس الهجرى الى وقت زوالها سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٤م .

وقد ألحق به فصلا من عدة صفحات ذكر فيها أخبار مفصلة عن السنوات الخمس التالية لزوال الدولة السلجوقية بحيث يصل هذا التاريخ الى سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٩م . والأخبار التى رواها المؤلف في كتابه هذا ، ولاسيما ما يخص فترة حكم السلطانين ألب أرسلان وطرغلبك ، تعتبر أصيلة ومفصلة ومروية لأول مرة من شاهد

عيان . والكتاب على الجملة يقدم معلومات أصيلة أفادت في بناء هيكل البحث عن تاريخ السلاجقة في العراق ، ونوادير أخبارهم ، وعن وزيرهم المتوج نظام الملك ، وعلاقتهم بالخليفة العباسي ببغداد ، بالإضافة الى أن المؤلف قد أورد الكثير من المعلومات التي أسهمت في القاء الأضواء على الأحوال الاجتماعية والأدبية وأخبار سلاطين السلاجقة خلال فترة البحث .

وسا هو جدير بالذكر في هذا المجال ، أن ابن جبير ، محمد بن أحمد بن جبير الكنانى الأندلسي (المتوفى عام ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) الرحالة الأديب قد زار العراق في هذا العصر ، وضمن رحلته معلومات مفصلة ومطولة عن ذلك ، وعليه فقد جاء كتابه الموسوم بـ " رحلة ابن جبير " ^(١) ليقدّم إضافات جادة الى مصادر البحث المهمة ، حيث أمد البحث بمعلومات مهمة عن المدن العراقية خلال فترة البحث ، معالمها وآثارها ، ومبانيها وأزقتها ، وأهم مظاهرها المختلفة ، كما أنه أعطى صورة مفصلة عن واقع الحياة الاجتماعية والثقافية في بغداد وواسط والحلة وتكريت والموصل حين زارها سنة ٥٨٠ هـ ، وتعتبر المعلومات التي وردت في كتاب رحلة ابن جبير هذا من المعلومات الموثقة من شاهد عيان عدل عن عادات وطبائع وأخلاق الناس ، إضافة الى ما قدم من معلومات جغرافية مهمة في طبوغرافية مدينة بغداد وأهم معالمها ، وما بينه في كتابه ما كان يجري من نشاط العلماء في مجالس الوعظ والعلم ، وذكر لأهم المدارس ببغداد وتعداد سكان المدينة وأزقتها وأسواقها ، ما خدم البحث كثيرا في أكثر من موضع من تلك التي لها صلة بالأوضاع العلمية والاجتماعية .

وقد استفاد البحث كثيرا في عرضه لتراجم الأدباء من كتاب معجم الأدباء ^(٢)

أورشاد الأريب لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى عام ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م)

(١) نشر دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

(٢) الطبعة الأخيرة ، مطبعة دار المأمون ، القاهرة .

المؤرخ الأديب ، وهو من أئمة الجغرافيين ، ومن العلماء باللغة والأدب ، بدأ حياته نساخا حتى انه عاش من نسخ يده ، ورحل طلبا للعلم والتجارة ، وصنف تصانيف رائدة في فنها ، منها هذا الكتاب المتقدم الذكر ، ويقع في عشرين جزءا ، ذكر فيه من أخبار النحاة واللغويين والقراء وطما الأخبار والأنساب ، وكل من صنف في الأدب ، والمؤرخين والوراقين والكتاب المشهورين ، وأصحاب الرسائل المدونة ، والخطوط المنسوبة . حيث ذكر أخبارهم وشيئا من أشعارهم ، وتصانيفهم ، ويعتبر هذا الكتاب بحكم معاصرة مؤلفه لفترة البحث من أهم مصادر البحث في دراسة تراجم العلماء والأدباء وأعيان العصر ، حيث قدم تفصيلات عن حياتهم وأنشطتهم ونتاجهم العلمي ، بالإضافة الى ذكره لأحداث ونوادير أدبية وأخبار عن علماء العصر كانت معينة في سد نواقص التراجم لعدد كبير ممن ورد ذكرهم في الكثير من جوانب البحث ، لاسيما فيما يخص الباب الثالث وكذلك عند الكلام عن الكتب والمكتبات .

ومن أهم المصادر التي كانت عمودا أساسيا في بناء البحث كتاب الكامل في التاريخ ^(١) لمؤلفه عز الدين علي بن محمد الشيباني ابن الأثير الجزري (المتوفى عام ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) الذي يعتبر من أعظم مؤرخي العرب ، فقد شب في بيئة علمية ، حيث جلس الى العلماء والشيخوخ ، ودرس الحساب واللغة والفقه والحديث ورحل في طلب العلم الى بغداد والشام ، وعاش حياته منقطعا الى العلم والاستزادة والتأليف ، حتى استطاع بتأليفه كتاب الكامل أن يخلد اسمه بين كبار فطاحل المؤرخين . حيث تحرى الدقة ، وبحث عن الحقيقة فيما كتب ، مبتعدا عن الاسهاب وعن التكرار في الروايات ، شاملا لتاريخ العالم الاسلامي من بداية الاسلام حتى سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م منتهجا في ذلك طريقة الحوليات ، ذاكرا عدة حوادث آخر كل سنة ، ووفيات أعيان السياسة والعلم في تلك السنة . فكتابه هذا يعتبر دائرة

(١) طبعة دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

معارف عن التاريخ الاسلامي الى سنة ٦٢٨ هـ . ومن الواضح أن ابن الأثير قد اعتد في تغطيته لحوادث التاريخ السابقة لعصر الطبري على المعلومات التاريخية التي أوردها الامام محمد بن جرير الطبري اعتمادا دقيقا الى حد بعيد ، حيث لخصها وتابعها بشكل دقيق وأمين ، غير أنه أضاف اليها بعد ذلك الكثير من المعلومات الخاصة بالفترة التالية لتوقف الطبري عن الكتابة .

ولقد جاءت أهمية هذا الكتاب من جهة معاصرة مؤلفه لفترة البحث كمؤلف منصف وشاهد عيان دقيق في مروياته ، فقد انفرد بذكر معلومات قلما تجدها في مصدر آخر ، نلمس منها مدى تحري المؤلف الدقة ، اضافة الى حاسية المؤرخ الفسذ في نظراته . كما أن أخباره الموجزة لا تخلو من ذكر أحداث وتحليلات شيقة ودقيقة للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية للعراق خلال فترة البحث ، مما ساعد في حل بعض الاشكالات التي واجهها البحث في وقائع وأحداث تس تلك الأوضاع .

وكما سبق أن أسلفنا أن المؤلف كان يختم أحداث كل سنة بذكر عدة حوادث موجزة ، ووفيات أعلام العصر في السياسة والعلوم والآداب ، ما أفاد البحث بشكل خاص في متابعة التطورات العامة ، وفيما قدم من معلومات عن تراجم علماء العصر ، وما أسهبوا به في ميادين تخصصاتهم المختلفة . . ما جعل الكتاب مصدرا مهما للمعلومات أبواب البحث وفصوله المختلفة دون استثناء .

ولقد أفاد البحث من كتاب ذيل تاريخ مدينة السلام ببغداد^(١) لمؤلفه محمد بن سعيد بن يحيى بن علي الديلمي (المتوفى عام ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) وهو من ثقات المؤرخين في أواخر العصر السلجوقي في العراق ، تعلم وتأدب بواسطة ، وقرا القراءات المختلفة والنحو ، حتى أصبح عالما فاضلا ، ومؤرخا يشار اليه بالبنان ، في حفظ التواريخ والسير وأيام الناس .

(١) حققه بشار عواد معروف ، مطبعة دار السلام ، بغداد ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

ولقد اتبع ابن الديبشي في كتابه هذا منهج الخطيب البغدادي في الاقتصاد في الأخبار ، ويعد تاريخه هذا من المصادر الموثوقة المعتمدة لفترة البحث ، حيث سجل فيه تراجم المشاهير والمشهورات من أهل النصف الثاني من القرن السادس ، ممن كانت له صلة ببغداد من أهل الحديث وذوى العلم وأهل الأدب والشعر ، وبلغ المؤلف في المعلومات التي أوردها بكتابه هذا إلى سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م .

وقد اختصره الامام محمد بن أحمد الذهبي المتقدم الذكر (المتوفى عام ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) وسماه (المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الديبشي)^(١) .

ولقد اعتمد البحث على الكتابين فيما يخص الباب الثالث ، حيث أفاداه ففى تدقيق أسماء المشاهير والأعلام في بغداد خلال أواخر فترة البحث ، كما قدما الكثير من المعلومات ما كان معينا مهما للبحث في معرفة أخبار علماء العصر ، هذا بالإضافة الى ما قدماه من خلال تصوص تراجم العلماء من معلومات مفيدة ، أمكن اعتمادها في معرفة أنشطة العلماء وجهودهم العلمية وناظراتهم ، وأخبار الكتب والمكتبات في ذلك العصر .

واعتمد البحث على كتاب تاريخ دولة آل سلجوق^(٢) لمؤلفه الفتح بن علي بن محمد البنداري (المتوفى عام ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) الذي ترجم الشاهنامه ، وهو أديب علم بالعربية والفارسية ، له مصنفات تاريخية عديدة . وكتابه هذا اختصار لكتاب نصرة الفترة للعماد الأصفهاني الكاتب (المتوفى عام ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) حيث زوده بمعلومات اضافية تحكي تاريخ السلاجقة منذ بداية حالهم حتى (سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م) وأتى فيه بأخبار دولتهم وسلاطينهم ووزرائهم ، كتاريخ عام تابع فيه الكلام في الحوادث السياسية لسلاطين السلاجقة ووزرائهم وأخبارهم ، والحوادث التي جرت

(١) حققه مصطفى جواد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .

(٢) طبعة دار الاتفاق الجديدة ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٨م .

في عصورهم دون ارتباط بمنهج الكتابة التاريخية على طريقة الحوليات. وهو يعد من مصادر البحث المهمة، حيث أنه دعم الأخبار الواردة في كتاب الأصفهاني، وأضاف إليها إضافات جادة، أفادت في تتبع التطورات السياسية والاقتصادية والعلمية في العراق خلال فترة البحث.

ويعد كتاب مرآة الزمان في تاريخ الأعيان^(١) من مصادر البحث المهمة، وقد صنفه سبط ابن الجوزي يوسف بن قزاغلي بن عبد الله أبو المظفر شمس الدين (المتوفى عام ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) وهو مؤرخ من الكتاب الوعاظ، اعتنى بتربيته وتعليمه جده، ثم انتقل إلى دمشق واستوطنها، وألف عددا من المصنفات في علوم الشريعة والتاريخ.

وكتابه هذا الذي أمكن الاستفادة منه هو الجزء الثامن، والذي يسطر فيه تاريخ وحوادث نهاية القرن الخامس، والقرن السادس حيث تتبع الأحداث على طريقة الحوليات، مدعما دراسته التاريخية بوفيات تلك السنة من العلماء والأعيان والكبراء.

وتأتي أهمية كتاب مرآة الزمان من أن مؤلفه اعتمد في ذكر حوادث القرن الخامس الهجري ووفياته على كتب معاصرة للفترة، ومفقودة منها كتاب عيون التواريخ^(٢) الذي ألفه غرض النعمة محمد بن هلال الصابي* (المتوفى عام ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م) ولم يتمه والذي جعله ذيلًا على تاريخ الوزراء الذي ألفه والده هلال بن المحسن الصابسي* (المتوفى عام ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م).

ولقد تضمن كتاب مرآة الزمان هذا، فيما يخص العراق في هذا العصر، ذكر الكثير من تراجم العلماء وأنشطتهم العلمية، إضافة إلى ما قدمه من معلومات قيمة لها صلة بالأوضاع السياسية والاقتصادية، وبالحياة الفكرية والعلمية لهذا

(١) طبعة حيدرآباد الدكن ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٥ / ١٢٦، حاجي خليفة: كشف الظنون ج ٢ / ص ٢٠٤.

العصر ، في ترجمته للعلماء والمعلومات التي قدمها عن المدارس ، والأريطة والزوايا ، وحلقات العلم ، ومجالس المناظرات والمحاضرات ، والكتب والمكتبات ، مما أفساد البحث كثيرا في شتى فصوله ، لاسيما فيما يخص مباحث الباب الثالث ، حيث جرى التركيز على العلماء وأنشطتهم ونتاجهم العلمي في شتى ميادين العلوم والفنون والآداب .

(١) كما اعتمد البحث على كتاب الروضتين في أخبار الدولتين وكذلك الذيل عليه وكتاب الروضتين من تأليف شهاب الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل بسن ابراهيم المقدسي المعروف بأبي شامة (المتوفى عام ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م) الذي نشأ بدمشق ، وسافر طلبا للعلم ، وتولى التدريس بدمشق ، وصنف مصنفات حسنا .

وكتابه هذا هو تاريخ للدولتين النورية والصلاحية حتى نهاية سنة ٥٦٥ هـ / ١٢٦٦ م حيث قدم فيه المؤلف دراسة قيمة لقيام الدولتين النورية والصلاحية ، وعوامل قيامهما . وقد تضمن الكتاب معلومات مهمة عن أمرائهما ووزرائهما ، وما كان لهما من فضل في اثراء وتشجيع الحركة العلمية في الموصل وبلاد الجزيرة والذي يتثل في انشاء المدارس واستقطاب العلماء ورعايتهم وتشجيعهم . وبالإضافة الى هذا فقد أورد المؤلف تراجم مفصلة لعدد من علماء العصر الموزين ، مما أسهم في بناء الباب الثالث خصوصا عند استعراض أنشطة العلماء ونتاجهم .

وكان جل اعتماد البحث في ميادين دراسة الطب والصيدلة ، والرياضيات والفلك ، وتراجم وأخبار الحكماء والهندسين ، والأطباء والفلكيين والنجميين ومعرفة انتاجهم ونشاطهم العلمي ، على مجموعة متخصصة من المصادر التي أفسدت

(١) نشرت مطبعة وادي النيل ، القاهرة ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م ونشر نيله عزة العطار

(١)
للعلم التطبيقية والبحث ، منها كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم الخزرجي (المتوفى عام ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) وهو من أطباء العرب وأدبائهم المرموقين ، تلقى علومه الأولى في دمشق ثم رحل الى القاهرة والتحق بالمارستان الناصري الذي أنشأه الملك الناصر صلاح الدين ، وأخذ يعمل في تحصيل العلم ، فاشتهر بطبه وحسن مداواته ، وصنف هذا الكتاب في تراجم الأطباء والرياضيين ، مما لم يصنف مثله شمولاً واتساعاً ، حيث أورد عدداً من التراجم ينيف على أربعمائة ترجمة ، ابتداءً بترجمة كبار أطباء الفريق والرومان والهنود في العصور الفاهرة ، ثم تكلم عن الأطباء العرب والمسلمين ، وأطباء الشام ومصر والمغرب ، إذ أفرد لكل قطر تراجم أطبائه على حدة ، ولم يترك في ذلك شاردة ولا واردة .

أما الكتاب الثاني الذي اعتمد عليه في هذا الميدان كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء (٢) وهو كتاب جليل لا تقل قيمته عن قيمة كتاب عيون الأنباء في الشمول ، الا أنه مقتضب في أخباره . وعلى الرغم من صغر حجم الكتاب الا أن فائدته عظيمة فسي البحث . وقد صنفه الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى عام ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) الوزير المؤرخ الكاتب ، الذي تولى القضاء ثم الوزارة بحلب أيام الملك عبد العزيز سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م ، والذي اشتهر باستقامته وحبسه للعلم والكتب . وقد صنف مصنفات حسنا رائعة أهمها هذا الكتاب الذي يشتمل على تراجم لمشاهير الأطباء المعروفين حتى عصره ، فقد أورد معلومات قيمة جدا عن حياتهم واسهاماتهم الطبية ، وما اشتهروا به الى جانب الطب ، وذكر مقتطفات وأخبارا نادرة في أساليبهم في المعالجة وطرائف من أخبارهم .

(١) منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت تحقيق د . نزار رضا ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

(٢) نشر دار الآثار للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

كما أفاد البحث من كتاب تاريخ حكماء الاسلام^(١) لأبي الحسن علي بن زيـد البيهقي (المتوفى عام ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م) الباحث المرخ ، الذي اشتهر بعلوم الحكمة والرياضيات والفلك ، والذي صنف عشرات الكتب في مختلف الفنون . وكتابه هذا عبارة عن تراجم للحكماء والأطباء والرياضيين المشاهير في بلاد خوارزم وخراسان وفارس والعراق، ابتداءً من أوائل العصر العباسي وحتى قبيل وفاته سنة ٥٦٥ هـ ، وهي تراجم مختصرة جداً في الغالب ، ولا يذكر فيها سنة الوفاة ، غير أنه انفرد بذكر تراجم لم نجدها في كتابي ابن أبي أصيبعة والقفطي .

وتفاوت أهمية هذه الكتب بالنسبة للبحث ، من حيث الشمول للمترجم لهم ، وارتباطهم بالعراق في هذا العصر ، ومن حيث التوسع في اعطاء الأخبار عن حياتهم ، وفي ذكر مجالات أنشطتهم ومصنفاتهم ، وما اشتهروا به الى جانب الطب وفي اعطاء نوا در الأخبار العلمية عنهم .

على أن كتابي (عيون الأنباء) ، (اخبار العلماء) قد زودا البحث بمعلومات مستفيضة ومهمة ودقيقة عن علماء الطب والرياضيات والفلك في العراق خلال فترة البحث، وعن حياتهم العلمية وأساتذتهم ومصنفاتهم ، ونوا در أخبارهم الطبية ، وأسلوبهم في المعالجة . اضافة الى تبيان ما كان لهم من أثر كبير في توسيع الدراسات المتجددة ، وتنشيط الحركة الطبية في العراق .

كما أن هذه الكتب قد هيأت للبحث معلومات قيمة من خلال تراجم العلماء عن مستشفيات بغداد ، وطرق المعالجة وصناعة الأدوية والعقاقير ومراقبتها ، وإدارة المستشفيات ، وتدريب المعلوم الطبية النظرية والعملية بها ، وأخبار طلاب الطب مع أساتذتهم ، مع ايراد نوا در شيقة في المعالجة والتطبيب ، مما أفاد البحث كثيراً في الباب الثالث .

(١) نشر بتحقيق محمد كرد علي ، مطبعة الترقى ، دمشق ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م .

كما أسهمت هذه المصادر في ذكر تراجم علماء الرياضيات والفلك ، وما أسهموا به من نشاط فعال في هذا الميدان ، الأمر الذي أفاد في بناء هيكل دراسة العلوم البهتة في هذا العصر .

ومن المصادر التي جمعت بين التاريخ العام والاهتمام بسير الأعلام كتاب الجامع المختصر في التواريخ عنوان وعيون السير ^(١) لعللي بن أنجب بن عثمان المعروف بابن الساعي (المتوفى عام ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م) خازن المدرسة المستنصرية والسدي كان واحدا من كبار المؤرخين في عصره ، وما تبقى من الكتاب هو الجزء التاسع ، وهو يقتصر بقدر ما يتعلق الأمر بالبحث على معلومات خاصة بالفترة بين سنتي ٥٩٥ هـ / ٦٠٦ هـ وهي سنوات معدودة من تاريخ فترة البحث ، غير أنه مع ذلك يتميز بالمعاصرة واعطاء معلومات قيمة لتراجم عدد من الكبراء وعلماء العصر . هذا بالإضافة الى اعطائه بعض الأخبار عن المراكز العلمية في عصره كالمدارس وخزائن الكتب ، فضلا عن انفراده بذكر نوادر عن الحياة الاجتماعية ، مما أفاد البحث في اكمال النقص الحاصل في تاريخ هذه الفترة .

ومن أهم مصادر البحث في تراجم عامة العلماء وذكر أخبارهم ، وذكر نشاط الحركة العلمية والتعليمية والمدارس والأرطة ، وجهود العلماء ونشاطهم في اشراء الحركة العلمية كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ^(٢) للقاضي شمس الدين أحمد بن محمد بن ابراهيم ابن خلكان (المتوفى عام ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) وهو مؤرخ حجة وأديب ماهر ، ولد في أربل حاضرة اقليم الجبال ، وعاش حياته بين الشام ومصر ، تولى القضاء ، ودرس في مدارس الشام ، وصنف عددا من الكتب أشهرها وأهمها

(١) نشر الجزء التاسع منه بتحقيق مصطفى جواد ، بغداد ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .

(٢) حققه محمد محي الدين عبد الحميد - القاهرة ، ثم د . احسان عباس ، دار

صادر ، بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

وفيات الأعيان ، الذي يعد من أشهر كتب التراجم ، ومن أحسنها ضبطاً واحكاماً ، وأجدرها بالثقة ، فلقد قدم المؤلف فيه تراجم شاملة لمشاهير وأعلام المسلمين ، من الخلفاء والسلاطين ، والأمراء والوزراء ، والقضاة ورجال العلم والأدب ، وأصحاب الفنون ، ممن برزوا في ميادين الدراسات الشرعية ، واللغة والنحو ، والدراسات الانسانية ، ودراسات العلوم البحتة ، مما أفاد البحث كثيراً ، لاسيما في الباب الثالث منه ، اضافة الى بقية فصوله الأخرى ، اذ انه قدم معلومات مهمة ودقيقة من خلال تراجمه عن الأحوال والأوضاع المختلفة لنشاط العلماء في مجال العلوم والآداب وعن رواد العلماء في هذا العصر . وتزداد أهمية الكتاب بما يقدمه من تفصيلات تخص فترة البحث مستقاة من كتب مفقودة ، مثل كتاب زينة الدهر ، وذيل كتاب ابن الدبيشي .

ومن كتب التراجم العامة التي أفادت البحث في ميدان دراسة نشاط علماء العصر كتاب تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ^(١) لكمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن الفوطي الشيباني البغدادي (المتوفى عام ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) المؤرخ الفيلسوف الذي باشر خزانة الرصد في مراغه ، ثم عاد الى بغداد حيث عمل خازناً لكتب المدرسة المستنصرية ، وصنف مصنفات حسناً .

وكتاب الوافي بالوفيات ^(٢) لمؤلفه خليل بن أيك الصفدي (المتوفى عام ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) .

وكتاب فوات الوفيات والذيل عليه ^(٣) لمحمد بن شاكر الكتبي (المتوفى عام ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) .

-
- (١) نشر الجزء الرابع منه بتحقيق مصطفى جواد ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، مطبوعات مديرية أحياء التراث القديم ، بغداد .
(٢) نشر بتحقيق جماعة من الفضلاء في فيسبادن ، واستانبول ، ودمشق .
(٣) نشر بتحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

هذه المصادر أفاد منها البحث لاسيما في الباب الثالث منه ، حيث المعلومات الخاصة بتراجم العلماء والتي ورد في ثناياها معلومات قيمة لها علاقة مباشرة بالحياة العلمية والتعليمية ، إضافة الى إيرادها تراجم مفيدة عن علماء العصر وأنشطتهم العلمية .

(١) كما استفاد البحث من كتاب تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم للمقاضي عز الدين عبد العزيز بن محمد ابن جماعة (المتوفى عام ٧٣٣هـ / ١٢٣٢م) وهو وان كانت المعلومات المستفادة منه محدودة ، غير أنها في غاية الأهمية ، لارتباطها بنظام التعليم في الاسلام في الكتاتيب والمعاهد والمدارس ، ولأنها وضحت علاقة الأستاذ بتلامذته ، والشروط والآداب التي ينبغي أن يتحلى بها كل من الأستاذ وتلامذته ، وآداب الدروس ، وخصائص المدرسين والمعبدن ، وسكنى المسداس وشروطه ، وطرق التعليم . وأوقات حضور الدرس ، وما ينبغي للتلميذ احضاره من الأدوات المكتبة ، وكيفية التعامل مع الكتب . . . الخ ، مما أفاد كثيرا فيما يخص التعليم العام في هذا العصر .

ولقد اعتمد البحث على مجموعة كبيرة من المصادر المتخصصة لتراجم رجـال المذاهب ، نخص منها بالذكر ما كان أساسيا في بناء هيكل البحث ، مثل كتاب طبقات الشافعية الكبرى ^(٢) لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (المتوفى عام ٧٧١هـ / ١٣٦٩م) ، وكتاب الذيل على طبقات الحنابلة ^(٣) لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد البغدادي الدمشقي الحنبلي (المتوفى عام ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م) وكتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب ^(٤) للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي

(١) طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٢) نشر بتحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود الطناحي ، الطبعة الأولى ، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م .

(٣) طبع دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت .

(٤) منشورات دار المسيرة ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

(المتوفى عام ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) .

ان الفائدة المتحققة من هذه المصادر الثلاثة المتخصصة بتراجم رجال المذاهب في هذا البحث لم تكن محدودة ، حيث أمكن الاعتماد عليها في جميع فصول هذا البحث دون استثناء ، فلقد قدمت هذه الأسفار القيمة معلومات كثيرة ومتنوعة خلال استعراضها تراجم المشاهير والعلماء في مختلف التخصصات الشرعية واللغة والأدب ، والدراسات الانسانية ، والمعلوم البحتة ، حيث أمدت البحث ، لاسيما الباب الثالث منه ، بمعلومات قيمة عن الحركة العلمية ، ونشاط العلماء ومصنفاتهم ، ومسند ارس ومعاهد هذا العصر .

وبجانب هذه المصادر اعتمد البحث كثيرا على عدد كبير من المصادر والمراجع التي وفرت النصوص الأساسية ، التي أسهمت مجتمعة في بناء البحث بالشكل السدي ظهرفيه . وجميع هذه المصادر والمراجع جرى حصرها في الملحق الخاص بالمصادر والمراجع في آخر هذه الرسالة .

والله ولي التوفيق ، ومنه نستمد العون والقوة ، ونسأله تعالى أن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم . . . وهو حسبنا ونعم الوكيل ،

الباحث

النمى

ملاحم الحياه العامه في العراق
خلال العصر البويهى

دخول البويهيين بغداد ص ٤٣ ، سياستهم وعلاقتهم بخليفة بغداد ص ٤٤ ،
سياستهم الاقتصادية ص ٤٦ ، الحركة العلمية في العصر البويهي ص ٤٧ ، اهتمام
وزرائهم بتنشيط الحركة العلمية ص ٥٠ ، خزائن الكتب ص ٥٤ ، نشاط العلوم
والآداب في العصر البويهي ص ٥٥ ، العلوم الشرعية ص ٥٥ ، اللغة العربية
ص ٥٦ ، الأدب والشعر ص ٥٨ ، العلوم الانسانية ص ٦٠ ، الفلسفة
والمنطق ص ٦٢ ، العلوم البحتة ص ٦٤ .

التمهيد :

ملاح الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي :

أسرة بني بويه من الديلم^(١) ومن بلاد جيلان^(٢) التي تقع الى الجنوب الغربي من بحر قزوين ، وتنسب هذه الأسرة الى بويه بن فناخسرو الطقب بأبي شجاع^(٣) وقصد استطاع زعماء هذه الأسرة قبل تسلطهم على الخلافة العباسية ، ودخولهم بغداد ، تكوين امارة واسعة ، ضمت الأهواز^(٤) وكرمان^(٥) والري^(٦) وهمدان^(٧) وأصبهان^(٨).

- (١) الديلم : اسم ماء لبني عجم في أقاصي الدو ، والديلم متحصنون في جبال منيعة. ياقوت : معجم البلدان ج ٢ / ص ٥٤٤ ، الحميري : الروض المعطار / ص ٢٥٥ .
- (٢) جيلان : بالكسر ، اسم لبلاد كثيرة من وراء جبل طبرستان ، وقد نسب اليها عدد لا يحصى من أهل العلم في كل فن . ياقوت : معجم البلدان ج ٢ / ص ٢٠٠ .
- (٣) أنظر عنه : الاربلي : خلاصة الذهب المسبوك / ص ٢٤٥ ، دائرة المعارف الاسلامية ج ٤ / ص ٣٥٤ .
- (٤) الأهواز : مدينة متصلة بالجبل ، فتحها حرقوص بن زهير السعدي . ياقوت : معجم البلدان ج ١ / ص ٢٨٤ .
- (٥) كرمان : أرض كرمان متصلة بأرض فارس ، وهي شانون فرسخا في مثلها . ياقوت : ن.م.م ج ٤ / ص ٤٥٤ . الحميري : الروض المعطار / ص ٤٩١ .
- (٦) الري : كورة معروفة ، تنسب الى الجبل ، وليست منه ، بل هي أقرب الى خراسان ، فتحها نعيم بن مقرن . ياقوت : معجم البلدان ج ٣ / ص ١١٦ ، ابن حوقل : صورة الأرض / ص ٣٢١ .
- (٧) همدان : مدينة من عراق العجم من كور الجبل ، محدثة اسلامية ، كثيرة المياه والزروع والبساتين ، ياقوت : معجم البلدان ج ٥ / ص ٤١٠ .
- (٨) أصبهان : مدينة عظيمة من أعلام المدن ، وأصبهان اسم للقليم بأسره ، وهي من نواحي الجبل . ياقوت : ن.م.م ج ٨ / ص ٢٠٦ .

اتخذ الأمير أحمد بن بويه^(١) من الأهواز مقراً لإدارة أمارته ، وأخذ يمسنى نفسه بدخول بغداد ، حاضرة الخلافة العباسية والتحكم فيها وفي الخلافة. وقد تحققت له أمانه ، ذلك أن سوء الأوضاع المالية المستحكمة^(٢) ، التي كانت تواجه الخلافة العباسية ، قد دعت الخليفة المستكفي بالله إلى المسارعة إلى دعوته للقيدوم إليه في بغداد ، فسار إليها في (جمادى الأولى سنة ٣٣٤ هـ / ١٠ مارس سنة ٩٤٥ م) ودخلها دون مقاومة ، حيث قابله الخليفة المستكفي بالله ، واحتفى به بقدمه ، فبايعه أحمد ، وخلع الخليفة المستكفي بالله عليه ، وعقد له لواء إمرة الأمراء ، ولقبه بمعز الدولة ، ولقب أخاه علياً عماد الدولة^(٣) كما لقب أخاه الحسن ركن الدولة^(٤) وأمر أن تنقش ألقابهم وكأهم على الدينار والدراهم^(٥).

-
- (١) أحمد بن بويه بن فناخسرو من ملوك بني بويه ، توفي سنة ٣٥٦ هـ / سنة ٩٦٧ م. ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ١٤٢.
- (٢) أبو القاسم محمد الله بن علي ، مات ميتة سيئة بعد أن سمل وعصى وسجن سنة ٣٣٨ هـ / سنة ٩٤٩ م. ابن الطقطقي : الفخرى / ص ٢٨٧ ، الأربلي : خلاصة الذهب / ص ٢٥٥.
- (٣) علي بن بويه بن فناخسرو الديلي ، أبو الحسن ، عماد الدولة ، أول من ملك من بني بويه . كانت له بلاد فارس ، وعاصمته شيراز . توفي سنة ٣٣٨ هـ / سنة ٩٤٩ م . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٣٩٩ - ٤٠٠.
- (٤) الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلي ، ركن الدولة البويهى ، من كبار الملوك في الدولة البويهية ، كان صاحب أصبهان والرى وهمدان وجميع عراق العجم ، استوزر أبا الفضل بن العميد ، توفي سنة ٣٦٦ هـ / سنة ٩٧٦ م . ابن خلكان : ن.م.م ج ٢ / ص ١١٨.
- (٥) لمعلومات أوسع أنظر : مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ / ص ٨٥ ، ابن الجوزى : المنتظم ج ٦ / ص ٣٤٠ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ / ص ٣١٤.

وبدخول البويهيين بغداد بدأت مرحلة جديدة من مراحل الضعف السياسي ،
الذى عاشته الخلافة العباسية ، ذلك أن الخلافة أصبحت تسير وفق أهواء أمراء
متغلبين ، لا يؤمنون بشرعية حكم العباسيين ، ولا يضررون لهم أى احترام أو تقدير.

ففى أيام البويهيين تدهورت مكانة الخليفة العباسى ، وعاش فى ظل الأحداث ،
ذلك أن الخلافة العباسية خلافة أهل السنة والجماعة ، فى حين كان بنوبويه — من
أتباع المذهب الشيعى الزيدى ، وهم بطبيعة الحال لا يؤمنون باقامة أحد من غير
العلويين من الفرع الزيدى .^(١)

بل لقد اعتقدوا أن الخليفة العباسى مفتصب للسلطة ، ليس لهبيعة شرعية
وليس واجب الطاعة ، غير أنهم فضلوا أن يعقوه اسما ليحكموا من خلال حكمه ،
ويضمنوا طاعة جمهور الأمة ، الذين يعتقدون وجوب طاعته ، على أن يأتوا بامام
زيدى يلزمهم الطاعة ، فتكون مصائرهم مرهونة بأمره .

وهكذا وجد الخليفة أنه قد فقد سلطاته السياسية والادارية والمالية ، ولم يبق
له فى الحقيقة الا اشارات الخلافة ، والخطبة ، والصلاة ، وتعيين القضاة والخطباء
وأئمة المساجد وقوامها .^(٢)

(١) الزيدية : هم أتباع زيد بن على بن الحسين بن على كرم الله وجهه ، ساقوا
الامامة فى أولاد فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، ولم يجوزوا ثبوت الامامة
فى غيرهم ، الا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمى عالم زاهد شجاع سخي خرج
بالامامة اماما واجب الطاعة ، سواء أكان من أولاد الحسن أم من أولاد الحسين .
وقد تضمن الفقه الزيدى آراء المعتزلة ، ولذلك فقد جوزوا امامة المفضول مع
وجود الأفضل . ولمعلومات أوسع أنظر : الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ /
ص ٢٠٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٦ / ص ٣١٥ ، الدورى : دراسات فى العصور العباسية
المتأخرة / ص ٢٤٨ .

لقد شعر البويهيون بنفوذ الخليفة الديني في الأوساط الشعبية وبين الفقهاء على السواء ، وأدركوا مدى التفاف الناس حوله ، وتمسكهم به ، ولذلك نجدهم يمارسون " التقية " وهي من صلب عقيدتهم المنحرفة ، حيث انهم أظهروا الولاة والطاعة للخليفة ، والتنافس على طلب مرضاته ، وذلك لضمان طاعة الناس لهم ، وتأكيدهم شرعية حكمهم . أما في الواقع فقد جردوا الخليفة من أغلب اختصاصاته ، وتجردوا من كل احترام أو تقدير له .^(١)

كما كان للسياسة التي انتهجها البويهيون في العراق أسوأ الأثر على الأوضاع العامة ، إذ تسببوا في تدهور الأحوال ، فقد تحزبوا لطائفتهم وقدموا الشيممة العلوية في الوظائف والمصالح ، مما نجم عنه اشتعال الفتن الطائفية التي أدت إلى شيوع الفوضى والاضطراب ، إضافة إلى انتشار حالة الخوف وفقدان الأمن والاستقرار .

ولم يكتف البويهيون بالاستبداد بالسلطة دون الخلفاء ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك ، فقد شاركوهم في شاراتهم الوظيفية الخاصة بهم . ولم يعد الخليفة يتفرد باختصاص الدعاء له والولاء لحكمه في خطب الجمعة على منابر المساجد الجامعة في طول الدولة الإسلامية وعرضها ، بل أشرك معه الدعاء للأمير البويهى ابتداءً من عهد الأمير عضد الدولة^(٢) والذي بلغت به الغطرسة والاستهتار حدا جعله يأمر بإفراد الدعاء له ، ومنع أن يرد في الخطبة ذكر بالدعاء للخليفة الطائع لأمر الله^(٣)

(١) مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ / ص ٣٠٧ .

(٢) سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٥٦ وعضد الدولة هو أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة البويهى ، كان أعظم سلاطين زمانه ، توفي ببغداد سنة ٣٧٢هـ / ٩٨٢م . الثعالبي : يتيمة الدهر ج ٢ / ص ٢١٦ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ٧ / ص ١١٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٥٠ ، ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٤ / ص ١٤٢ .

(٣) هو عبد الكريم أبو بكر الطائع لأمر الله ، بويع بالخلافة سنة ٣٦٣هـ / سنة ٩٧٣م ، وقويت في عهده شوكة آل بويه . ابن الطقطقي : الفخرى / ص ٢٩٠ .

مدة شهرين ، بسبب جراءة الخليفة واختلافه معه .^(١)

والخلاصة ان السلطة الحقيقية في الدولة انتقلت من يد الخلفاء العباسيين الى أيدي أمراء بني بويه وأعوانهم .

وما هو جدير بالذكر أن بعض الأمراء البويهيين قد حاولوا القيام باصلاحات اقتصادية في العراق ، تتمثل في محاولات اصلاح نظام الري ، وتحسين أوضاع المزارعين والزراعة ، وقد قام بها كل من الأمير معز الدولة والأمير عضد الدولة ، فأسهمت الى حد ما في تحسين معدلات الانتاج الزراعي .^(٢)

على أن نظام الاقطاع الذي توسع الأمراء البويهيون في استخدامه قد تسبب في تدهور واردات بيت المال ، في وقت كانت الدولة فيه بحاجة ماسة الى الأموال ، فاستحكمت الأزمة المالية ، ولم تعد الواردات كافية لمواجهة النفقات على الزراعة وعلى الجيش .

ولقد أقطع الأمير معز الدولة الكثير من الاقطاعات للقواد وكبار الموظفين والجند ، لاسترضائهم وتقوية جانبهم ، ولكن ذلك لم يقلل من نهم الجميع في جمع أموال العامة لمصلحتهم مستغلين مناصبهم . وذلك فشلت محاولات معز الدولة في اصلاح نظام الري والزراعة ، فقد أدى ذلك الى ارهاق بيت المال ، حيث قلت موارد .^(٣)

هذا بالاضافة الى أن الأمير معز الدولة كان مسرفا في الانفاق على قواته العسكرية ، مما نجم عن ذلك افلاس بيت المال . وقد أشار مسكويه الى ذلك بقوله : " فتعذر عليه أن يدخر ذخيرة لنوائيه ، أو أن يستفضل شيئا من ارتفاع ،

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ١٦٥ .

(٢) مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ / ص ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، ٤٠٦ .

(٣) ن ٢٠٠ ص ج ٢ / ص ٩٨ .

ولم تنزل مؤونته تزيد ، وموارده تنقص ، حتى حصل عليه عجز لم يكن واقفا على حد منه بل يتضاعف تضاعفا متفاقما " (١).

وزاد الحالة سوءا أن الأمراء الذين جاءوا بعد معز الدولة - باستثناء عضد الدولة - لم يتمتعوا بمقلية سياسية ناضجة ، أوحزم ادارى مطلوب ، مما عجل في ارباك أمور الدولة ، واتجاه مؤسساتها المختلفة نحو الانهيار " فقد شغل بختيار (٢) نفسه باللهو واللعب ومعاشرة المساهر والمغنية " (٣) وكان لا ينظر في دخل ولا خرج ، وانما يلزم وزيره تشية الأمور ، ولا يمنع أحدا من جنده شيئا ، فاذا أوقفت أموره قبض على وزيره ، واستبدل به ، فلا يلبث الأمر أن يعود من الالتياك (٤) والانحلال الى أسوأ ما كان " (٥) وعموما فقد كانت السياسة البويهية في العراق بشكل عام مضطربة وفاشلة ، لاتباعهم سياسة مذهبية تقوم على مناصرة المذهب الشيعي . وقد أثر ذلك كثيرا على نواحي الحياة العامة المختلفة ، إذ حدث الانشقاق في صفوف الأمة ، وكان أثره بالغاً في تدمير روح الانتماء ، وفي شعور الناس بالضعف واليأس ، وتزريق الصف الاسلامي ، وشيوع الخوف والقلق والفتن ، وسوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية .

وعلى الرغم مما ساد العراق في هذا العصر من التعصب المذهبي ، والفساد الاداري والسياسي ، والانهيار الاقتصادي ، فان ذلك لم يكن انعكاسه سريعا أو مباشرا على الحركة العلمية والأدبية والفكرية في العراق ، والمشرق الاسلامي .

-
- (١) مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ / ص ٩٩ .
- (٢) بختيار : أبو منصور عز الدولة ابن معز الدولة ، أحد سلاطين العراق من بني بويه توفي سنة ٣٦٧هـ / سنة ٩٧٨م . الثعالبي : يتيمة الدهر ج ٢ / ص ٤ ، ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ج ١ / ص ٤٢ .
- (٣) مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ / ص ٩٩ .
- (٤) الالتياك : الاختلاط والالتفاف ، يقال : التاثت الخطوب ، اذا كثرت وتفاقت . وأنظر : ابن منظور (لسان العرب - لوث) ج ٢ / ص ١٨٧ .
- (٥) مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ / ص ٣٠٧ .

فلقد عاش المجتمع في هذا العصر نهضة علمية شاملة ، نشطت فيها العلوم على اختلاف أنواعها ، وصارت بغداد عاصمة الخلافة العباسية قبلة للعلم والمعارف في العالم . ولقد كان للأمرء البويهيين دورهم على كل حال في إبقاء بغداد مركزا للإشعاع العلمي ، ذلك أنهم ضموا إلى بلاطهم نخبة كبيرة من رجالات العلم والأدب ، وجمهرة فاضلة من رواد الفكر الإسلامي ، واحتشد فيها طائفة من العلماء والشعراء ورجال اللغة والبيان قل أن تحتشد في عصر واحد ، وفي مركز واحد .

ولعل من حسن حظ العلم والأدب في هذا العصر أن يتنافس أولوا الأسر في الدولة في الاستئثار من العلماء والأدباء والشعراء ، فيجمعوهم حولهم ، ويلحقوهم بمجالسهم باعتبار أن ذلك من مظاهر الجاه والسلطان ، وواسطة لذيوع شهرتهم وانتشارها في البلدان . وقد كان للتنافس بين الأمرء أثره في الصعود بأهمية ومكانة العلم والثقافة . هذا إضافة إلى الحاجة لأساطين البيان ورؤساء صناعات الكتابة ، حيث وجدوا فيهم ضالتهم لضبط الأمور ، وإضافة كذلك إلى ما يمكن أن يعكس وجودهم من الأبهة والمقام السامي ، والتسبب في التفاف الناس حولهم .

وينبغي ألا ننسى أن بعض الأمرء والوزراء البويهيين كان محبا للعلم والعلماء بل وكان فيهم من يشارك العلماء والأدباء والشعراء في علمهم وأدبهم وشعرهم ، مثل معز الدولة البويهى الذى كان شاعرا ، وأديبا ، أحب الشعراء والأدباء ، وقربهم إلى بلاطه ، وآثر مجالس العلماء والأدباء على غيرهم .

وكذلك عز الدولة الذى كان محبا للعلماء والأدباء والشعراء ، وقد أشار أبو حيان التوحيدي^(١) إلى إحدى الندوات التى حضرها فى مجلس عز الدولة فقال :

(١) على بن محمد التوحيدي البغدادي ، فيلسوف متصوف معتزلى ، صاحب ابن العميد ، والصاحب بن عباد ، وله مؤلفات جيدة ، منها الامتاع والمؤانسة ، المقابسات ، الصداقة والصديق ، مثالب الوزيرين وغيرها . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ١١٢ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٢٠٢ .

" لقد رأيت أبا عبد الله البصري ، في مجلس عز الدولة سنة ٣٦٠ هـ / سنة ٩٧٠ م في شهر رمضان والجماعة هنا أبو حامد المروزي ^(١) ، وأبو بكر الرازي ^(٢) ، وعلى بن عيسى ^(٣) ، وابن نيهان ، وابن كعب الأنصاري ، والأبهرى ^(٤) ، وابن طرارة ^(٥) ، وأبو الجيش شيخ الشيعة ، وابن معرف ^(٦) ، وابن أبي شيان ، وابن قريعة ^(٧) ، وناس كثير . وهو في إيوان فسيح ، في صدره من حضروا من أجله ، وأبو الوفاء البوزجاني ^(٨) المهندس ، نقيب المجلس ومرتب القوم فسئل البصري عن مسألة " ^(٩)

أما عضد الدولة البويهى فقد كان أعظم الأمراء البويهيين علما وسياسة ، وجراً وهيبة ، لم يبلغ أحد منهم مبلغه من سعة الملك والسلطان ، فكان عالماً حكيماً ، تعلم العلم ودرسه على أيدي نخبة ستازة من المعلمين الذين اشتهروا بالعلم والمعرفة ، وقد قصد علماء بغداد على اختلاف طوئهم وثقافتهم ، وأجرى الرواتب والنفقات لرجال الدين والفسرين والشعراء والنحاة والأطباء والمترجمين والمهندسين وغيرهم . " وكان فضلاً عن ذلك يجالس العلماء ، ويعارضهم في كثير من المسائل العلمية ، ويتشغل بالعلم والأدب " ^(١٠) وقد أقر هذا الأمير في داره للحكماء والفلاسفة موضعاً يقرب من مجلسه ، وكان مجلسه ندوة للمناظرات العلمية والأدبية وقد نقل لنا القفطى مثلاً من تلك المناظرات فقال : " دار البحث ذات يوم فسئ

-
- (١) أنظر عنه : ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ٦٩ .
 - (٢) ن . م . س ج ٥ / ص ١٥٧ ، ابن النديم : الفهرست / ص ٢٩٣ .
 - (٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٣٣ .
 - (٤) ابن النديم : الفهرست / ص ٢٨٣ .
 - (٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ٢٢١ .
 - (٦) ن . م . س ج ٢ / ص ٧٨ - ٧٩ .
 - (٧) ن . م . س ج ٤ / ص ٣٨٢ .
 - (٨) ابن النديم : الفهرست / ص ٣٩٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ٨٠ ، القفطى : أخبار العلماء / ص ١٨٨ .
 - (٩) الثعالبى : تنزيل النظم وحل العقد / ص ٢ .
 - (١٠) الثعالبى : بيتية الدهر ج ٣ / ص ١٩٥ .

مجلس عقد الدولة حول الفرق بين النحو العربي والنحو اليوناني وأصل استنباطهما^(١).

وقد صنف لعقد الدولة الكثير من الكتب ، منها كتاب التاجي صنفه لـ
أبو اسحاق الصابي^(٢) وهو كتاب في أخبار الدولة الديلمية ودورها في التاريخ . وقد
صنف له الشيخ أبو علي الفارسي^(٣) كتاب الايضاح ، وكتاب التكملة في النحو ، وكتاب
الحجة في القراءات ، وكتاب العصدي^(٤) . وصنف له علي بن عباس المجوسي الكتاب
الملكي في الطب^(٥) .

وكان وزراء البويهيين قد ساروا على نهج أمرائهم في العناية بالعلوم والآداب
والعلماء والمفكرين . فالوزير ابن سعدان^(٦) وزير الأمير صمصام الدولة^(٧) أحد هؤلاء
الوزراء ، وكان بيته منتدى يجتمع فيه العلماء والآدباء ، منهم أبو علي عيسى بن
زرعة الفيلسوف النصراني^(٨) وابن مسكويه^(٩) صاحب تجارب الأمم ، وأبو حيـان
التوحيدى .

-
- (١) القفطى : أخبار العلماء / ص ٢٨٣ .
(٢) مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ / ص ١٩١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ٢٥ .
(٣) ابن خلكان : ن . م . س ج ٢ / ص ٨٠ .
(٤) القفطى : انباء الرواة ج ٢ / ص ٣٨٧ .
(٥) ابن الأثير : الكامل ج ٧ / ص ٣٨٧ ، القفطى : أخبار العلماء / ص ١٥٥ ، ابن أبي
أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣١٩ .
(٦) ابن سعدان : أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان ، ظل في الوزارة الى سنة
٣٧٥ هـ / سنة ٩٨٥ م . ابن النديم : الفهرست / ص ١١٨ ، التوحيدى : الامتـع
والمؤانسة ص / ح ، أبي شجاع : ذيل تجارب الأمم / ص ٨٥ .
(٧) صمصام الدولة أبو كاليجار الرزيان البويهى توفى سنة ٣٨٨ هـ / سنة ٩٩٨ م . دائرة
المعارف الاسلامية ج ١٤ / ص ٣٢٨ .
(٨) ابن النديم : الفهرست / ص ٣٦٩ ، القفطى : أخبار العلماء / ص ١٦٣ .
(٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ٤٥ ، ج ٥ / ص ١٣٧ ، ابن أبي أصيبعة : عيون
الأنباء / ص ٣٣١ .

هذا بالإضافة الى أن ابن سعدان نفسه كان واسع الاطلاع والمعرفة. وكانت
تتناقش في مجلسه موضوعات فلسفية باللغة الأهمية ، وكان ابن سعدان يعتر غايصة
الاعتزاز بهذه المجالس العلمية ، فكان يفاخر بها الأمراء والوزراء ، وقد قال عن
مجالسه هذه " والله ما لهذه الجماعة بالعراق شكل ولا نظير ، وانهم لأعيان أهل
الفضل ، وسائرة ذوى العقل ، وان جميع ندما^(١) المهلبى لا يفون بواحد من
هؤلاء ، وان جميع أصحاب ابن العميد^(٢) يشتهون أقل من فيهم ، وان ابن عميد^(٣)
ليس عنده الا أصحاب الجدل الذين يشغبون ويتصايحون^(٤) .

ومن شجع العلم ، واهتم بالعلماء من وزراء الدولة البويهية أبو الفضل محمد بن
العميد ، كان وزير ركن الدولة الحسن بن بويه ، وكان ابن العميد من ألمع شخصيات
عصره ، علما وأدبا وسياسة ، فقد كان عالما بالفلسفة والنجوم ، فضلا عن الأدب

(١) الحسن بن محمد بن عبد الله بن هارون وزير عضد الدولة توفي سنة ٣٥٢ هـ / سنة
٩٦٣ م كان من كبار الأدباء الشعراء ، ومن رجال الحزم والدهاء . مسكويه :
تجارب الأمم ج ٢ / ص ١٢٣ ، الثعالبي : يتيمة الدهر ج ٢ / ص ٨ ، ابن الجوزي :
المنتظم ج ٧ / ص ٩ .

(٢) أبو الفضل محمد بن العميد الكاتب ، وزير ركن الدولة أبي الحسن علي بن بويه ،
كان متوسعا في علوم الفلسفة والنجوم ، أما الأدب والترسل فلم يقاربه أحد فسي
زمانه ، توفي سنة ٣٦٠ هـ / سنة ٩٧٠ م . الثعالبي : يتيمة الدهر ج ٣ / ص
١٥٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ١٠٣ ، العماد الحنبلي :
الشذرات ج ٣ / ص ٣١ .

(٣) أبو القاسم اسماعيل بن الحسن بن عباد الطالقاني ، أديب لغوي ، له
مؤلفات منها : المجمل في اللغة ، المحيط ، الكافي ، الوزراء ، وزر لمؤيد
الدولة البويهية ثم لغفر الدولة ، توفي سنة ٣٨٥ هـ / سنة ٩٩٥ م . الثعالبي
: يتيمة الدهر ج ٣ / ص ١٩٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٢٨
وياقوت : معجم الأدباء ج ٦ / ص ١٦٨ .

(٤) التوحيدى : رسالة الصداقة والصديق / ص ٨٣ .

والترسل ، يقرب أهل العلم والأدب ، ويفدق عليهم الهبات . حفلت مجالسه بطوائف العلماء والأدباء ، وعقد مجالس علمية مختلفة ، للفقهاء يوماً ، وللأدباء يوماً ، وللفلاسفة يوماً ، ذكر لنا أبو حيان التوحيدي جانباً من مجالسه المهمة التي عقدها في بغداد فقال : " دخل شهر رمضان ، فاحتشد بالغ ، ووصل ووهب ، وجرت نفسي هذه المجالس غرائب العلم ، ودائع الحكمة " (١) . وكان ممن يرتادون مجلسه ثابت بن ابراهيم بن زهرون الحراتي (٢) وجمهرة من العلماء (٣) .

وكانت أغلب اهتمامات ابن العميد متمثلة في الأدب والشعر والترسل ، فكان مجلسه يضم غالبية عظمى من هذه الطائفة (٤) .

أما الوزير محمد بن الحسن بن صالحان فقد كان له مجلس خاص يحضره أهل العلم والمعرفة ، وكان كثير العطاء والهدايا لأهل العلم وحملته الفكر (٥) .

والصاحب بن عباد هو الآخر كان من الوزراء الذين كان لهم فضل في ازدهار الحركة العلمية والفكرية في هذا العصر ، وقد وزير لمؤيد بن ركن الدولة البويهى (٦) ، وكان صاحب أدب عالما في اللغة والأدب ، أخذهما عن طائفة من العلماء والأدباء ، وعلى رأسهم ابن العميد (٧) ، وازدهرت مجالسه بجمهرة كبيرة من رواد العلم والأدب والشعر ، وفدوا إليه من كل صوب يمدحونه تارة ، ويتناظرون في مجلسه تارة أخرى ،

-
- (١) التوحيدي : مطالب الوزيرين / ص ٣٧٠ .
 (٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٢٩٥ ، القفطي : أخبار العلماء / ص ٧٨ .
 (٣) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ج ٩ / ص ١٤٣ .
 (٤) أحمد أمين : ظهر الإسلام ج ٤ / ص ١٤٢ .
 (٥) ابن الجوزي : المنتظم ج ٧ / ص ٢٣ .
 (٦) مؤيد الدولة ابن منصور بويه بن ركن الدولة البويهى ، توفي سنة ٣٧٣ هـ /
 سنة ٩٨٣ م ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ٢٢٩ .
 (٧) ابن النديم : الفهرست / ص ٢١٢ .

اشتهر منهم أبو الحسين السلامي^(١) ، وأبو بكر الخوارزمي^(٢) ، وأبو طالب المأموني ،
وأبو دلف الخزرجي^(٣) ، وأبو الحسن البديهي^(٤) وغيرهم .

والى جانب هذه المجالس الزاهرة ، وما حظيت به من رعاية الأمراء والسوزراء ،
كانت هناك عوامل أخرى أسهمت في ازدهار الفكر والحركة العلمية في هذه الحقبة
من تاريخ الدولة العباسية . فلقد كان لشيوع الكتب ومراكز التعليم والمكتبات
الخاصة والعامة دور كبير في تحقيق ذلك ، فلقد ظهر خلال هذه الفترة العديد من
المراكز التعليمية ، اتخذت من المساجد الجامعة مقراً لها ، فكانت أشبه ما تكون
بالمدارس الى حد كبير . منها جامع المنصور ببغداد ، الذي كان عظيم المكانة
التعليمية منذ انشائه . أما المسجد الجامع في البصرة فقد كان من المراكز
العلمية المهمة في العراق ، هذا بالإضافة الى المساجد الجامعة في المدن الكبرى ،
مثل سرمن رأى ، وواسط ، والكوفة ، وغيرها .

أضف الى ذلك أن المستشفيات "البيمارستانات" قد استقرت أحوالها خلال
العصر العباسي الثاني ، وتطورت حتى أصبحت - بالإضافة الى واجبها في رعاية
المرضى وصرف الأدوية لهم - مراكز للتعليم والتدريب العلي ، يتولى التعليم فيها
الاختصاصيون في العلوم الطبية ، وكان الطلبة يجتمعون في القاعة الكبرى بالمستشفى ،
حيث يتلقون دروسهم من أساتذتهم ، ويشاركونهم في عيادة المرضى ، واجراء
الفحوص لهم ، والتعرف على أعراض أمراضهم ، والتدريب على تشخيصها ووصف العلاج
والأدوية والعقاقير المطلوبة^(٥) .

-
- (١) الخطيب : تاريخ بغداد ج ١٠ / ص ١٤٨ ، ابن خلكان : وفیات الأعيان
ج ٢ / ص ٥٢١ .
(٢) ابن النديم : الفهرست / ص ٣٨٣ .
(٣) ن ٠٢٠ ص / ص ١٦٩ .
(٤) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ٣ / ص ٣٢٢ .
(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأبناء / ص ٣٢٣ .

ومن المراكز العلمية التي كان لها أكبر الأثر في اثراء الفكر وتقدم العلوم في هذا العصر خزائن الكتب ، التي كانت دائما ملتقى العلماء وعشاق المعرفة ، وميــدانا للمناظرات والمناقشات والمطارحات العلمية ، ومن أشهر تلك الخزائن خزانة عضد الدولة البويهى ، والتي كان يقوم عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد .^(١)

وسا يجدر ذكره أن صاحب بن عباد قد جمع من الكتب ما يحتاج في نقله الى أربعمائة جمل^(٢) .

ومن المكتبات الشهيرة أيضا مكتبة الأمير حبشى بن معز الدولة البويهى والتي كان عدد ما فيها من الكتب أكثر من خمسة عشر ألف مجلد^(٣) . وكذلك مكتبة ابن العميد ، التي كانت تضم عددا كبيرا من نفائس الكتب ، وكان ابن العميد يرى أن المكتبة هى أعز ما يملك . وقد أشار ابن مسكويه الى محتوياتها من الكتب فقال : " كانت كثيرة ، فيها كل أنواع الحكم والأدب ، تحمل على مائة وقر وزيادة"^(٤) .

وهناك الخزانة الحيدرية في النجف ، وخزانة بيت الحكمة العامة ، وخزانة دار سابور في بغداد ، التي كانت كمبة العلماء والأدباء ، يقصدونها في أى وقت للقراءة والمتابعة والدرس ، اضافة الى عدد كبير من الخزائن العامة والخاصة المنتشرة في العراق في هذا العصر^(٥) .

وينبغى ألا نهمل في هذا المجال منازل العلماء ، التي كانت مراكز مضيئة لتلقى العلم والمعرفة ، يلتقى فيها أعداد من مريدى العلم ، حيث كانت تعقد الندوات والمناظرات العلمية والأدبية .

-
- (١) المقدسى : أحسن التقاسيم / ص ٤٤٩ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٢ / ص ٢١١ .
(٣) مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ / ص ٢٤٦ .
(٤) ن ٠ م ٠ ص ٢ / ص ٣١٤ .
(٥) ن ٠ م ٠ ص ٢ / ص ٢٢٤ .
(٦) لمعلومات أوسع عن مكتبات هذا العصر أنظر كتاب كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق ، بغداد ، سنة ١٩٤٨ م .

ولابد لنا في هذه العجالة أن نذكر نبذة عامة ومختصرة عن محاور النشاط العلمي والأدبي في هذا العصر. فلقد كان القرآن الكريم ، وقراءاته ، وتفسيره ، وعلومه ، محورا رئيسيا لأنشطة العلماء والباحثين في الدراسات الشرعية واللغوية ، أمثال نتاج المقرئ المفسر أبو بكر العطار المتوفى (سنة ٣٥٤ هـ / سنة ٩٦٥ م) الذي صنف " كتاب الاحتجاج " ^(١) ، وأبى الحسن على بن عيسى الرمانى المتوفى (سنة ٣٨٥ هـ / سنة ٩٩٥ م) الذي كان عالما في علم الكلام والفقه واللغة ، والذي ألف تفسيراً للقرآن الكريم ^(٢) . أما أبو بكر النقاش شيخ المعتزلة ببغداد المتوفى (سنة ٣٥١ هـ / سنة ٩٦٢ م) فانه ألف تفسيراً كبيراً يقع في اثني عشر ألف ورقة ، بالإضافة الى كتاب " شفاء الصدور المذهب في تفسير القرآن " ^(٣) وقد برز بعد ذلك أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر البغدادى المتوفى (سنة ٤١٠ هـ / سنة ١٠١٩ م) الذي كان يلقى دروسه في جامع النصور ببغداد ، والذي ألف كتاب " الناسخ والمنسوخ في القرآن " ^(٤) .

أما الحديث فمن رواده في هذا العصر أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى الشافعى ، والذي سمع من خلق كثير في العراق والشام ومصر ، وتوفى ببغداد (سنة ٣٨٥ هـ / سنة ٩٩٥ م) وكان من أكبر محدثي القرن الرابع الهجرى ، وقد ألف العديد من المصنفات منها " كتاب السنن " و " كتاب الصفات " و " أحاديث النزول " و " كتاب الضعفاء والمتروكين " ، و " العلل الواردة في الأحاديث النبوية " ^(٥) وغيرها .

-
- (١) آدم متر : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ج ١ / ص ٣٦١ .
 (٢) ابن خلكان : وفیات الأعيان ج ٣ / ص ٣٩٩ ، وأنظر متر : الحضارة الاسلامية ج ١ / ص ٣٦٥ .
 (٣) ابن خلكان : وفیات الأعيان ج ٤ / ص ٢٩٨ .
 (٤) الخطيب : تاريخ بغداد ج ١٤ / ص ٧٠ ، السيوطى : بغية الوعاة / ص ٤٠٧ .
 (٥) الخطيب : تاريخ بغداد ج ١٢ / ص ٣٤٤ ، ابن خلكان : وفیات الأعيان ج ٣ / ص ٢٩٧ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٢ / ص ٣١ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٣ / ص ١٩٩ ، اليافعى : مرآة الجنان ج ٢ / ص ٤٢٥ .

أما الفقه وعلومه ، فلقد تميز وانفرد عن العلوم الشرعية الأخرى في هذا العصر ، فأصبح العلماء فريقين : الفقهاء ، والعلماء على الحقيقة ^(١) . هذا بالإضافة إلى نهوض علم الكلام بعد أن تخطى ما كان يكبله من قيود وعقبات ، واشتهر من رجال الفقه الحنفى أبو الحسن عبد الله الكرخى (المتوفى سنة ٣٢٠هـ / سنة ٩٥٢م) له العديد من المصنفات منها "رسالة فى الأصول" و "كتاب مختصر الكرخى" ^(٢) وغيرهما من الكتب .

ومن شيوخ الحنفية أيضا أبو الحسن أحمد بن محمد القدورى البغدادي (المتوفى سنة ٤٢٨ هـ / سنة ١٠٣٧ م) رئيس الأحناف فى عصره ، والذي ألف " متن القدورى " و " مختصر القدورى " ^(٣) .

أما اللغة العربية فلقد حظيت بنصيب كبير من العناية فى العصر البويهى ، ولعل ذلك بسبب رد الفعل الناجم عن تسلط الأعاجم . فلقد شهد هذا العصر فتحا جديدا فى مجال العلوم العربية ، فى ميدان النحو ، والمعاجم اللغوية . ويبدو أن أئمة اللغة فى هذا العصر قد شعروا بالحاجة إلى منهج على دقيق يسرون عليه ، وإلى تناول مادة بحثهم بطريقة منظمة ^(٤) ، ولعل ذلك يوضح لنا السبب الذى دفع أحمد بن فارس الرازى المتوفى (سنة ٣٩٥هـ / سنة ١٠٠٤م) إلى أن يصف " كتاب المجل " حافلا بالشواهد ^(٥) . ولقد أثرت اللغة العربية فى هذا العصر لأسباب عديدة ففسد

-
- (١) متر : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ١ / ص ٣٢٠ .
 (٢) ابن النديم : الفهرست / ص ٢٠٨ ، ابن العماد : الشذرات ج ٢ / ص ٢٨٧ ، القرشى : الجواهر المضية ج ١ / ص ٣٣٧ .
 (٣) الخطيب : تاريخ بغداد ج ٤ / ص ٣٧٧ ، القرشى : الجواهر المضية ج ١ / ص ٩٣ .
 (٤) متر : الحضارة الإسلامية ج ١ / ص ٤٣٥ ، بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ج ٢ ص ٤٧ .
 (٥) الثعالبي : بتيمة الدهر ج ٣ / ص ٢١٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ١١٨ .

" كان أبو علي الفارسي ^(١) وتلميذه ابن جني ^(٢) رافعي لواء توسيع اللغة عن طريق القياس ، فخرجا على الناس بطريقة جديدة تخالف طريقة الآخرين المحافظين " ^(٣) .

على أن أكبر ماتم على أيدي علماء اللغة في هذا العصر هو تحديد معاني الكلمات وعمل المعاجم ^(٤) . هذا إضافة الى أن النحو قد نال حظه في هذا العصر من العناية والاهتمام . ولقد أدى الخلاف بين البصريين والكوفيين الى قيام مذهب نحوي جديد ، عرف بمذهب البغداديين ، تمثل في وجهات نظر جماعة من العلماء المهرزين ^(٥) . ولقد برز من علماء النحو في هذه الفترة عبد الرحمن بن اسحاق الزجاج المتوفى (سنة ٣٣٩ هـ / سنة ٩٥٠ م) وله " كتاب الجمل في النحو " ^(٦) ، وأبو الحسن علي بن ابراهيم المتوفى (سنة ٣٤٠ هـ / سنة ٩٥١ م) وله كتاب " اعراب القرآن " ^(٧) ، وأبو بكر محمد بن السري النحوي ، المعروف بابن السراج ، المتوفى (سنة ٣٦٠ هـ / سنة ٩٧٠ م) وله كتاب " الأصول في النحو " ^(٨) . وعلى بن محمد الهروي الذي كان

- (١) توفي سنة ٣٧٧ هـ / سنة ٩٨٧ م التحق ببلاط عضد الدولة وصنف له عددا من الكتب ابن النديم : الفهرست / ص ٦٤ ، ابن الانباري : نزهة الألباء / ص ٣٨٧ .
- (٢) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي توفي سنة ٣٩٢ هـ / سنة ١٠٠٢ م . الثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ / ص ٧٢ ، ابن الانباري : نزهة الألباء / ص ٤٠٦ ، السيوطي : بغية الوعاة / ص ٣٢٢ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٢٤٦ .
- (٣) كحالة : اللغة العربية وعلومها / ص ١٧ .
- (٤) متر : الحضرة الاسلامية ج ١ / ص ٤٣٥ .
- (٥) كحالة : اللغة العربية وعلومها / ص ١١٩ .
- (٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ١٢٦ .
- (٧) ن ٤٠٠ م / ج ٣ / ص ٣٠٠ .
- (٨) ن ٤٠٠ م / ج ٤ / ص ٣٣٩ .

حيا (سنة ٣٧٠ هـ / سنة ٩٨٠ م) وله كتاب "الذخائر في النحو" وكذلك كتاب "المرشد في النحو" ^(١) . وعلى بن عيسى الرمانى النحوى الذى كان من أفاضل النحويين البغداديين (توفى سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م) والذى صنف فى النحو "كتاب الحدود الأكبر" وكتاب "الحدود الأصغر" وكتاب "شرح كتاب سيويه" ، وكتاب "الايجاز فى النحو" ^(٢) . وأبو الفتح عثمان بن جنى المتوفى (سنة ٣٩٢ هـ / سنة ١٠٠١ م) ، وله "كتاب اللع" ، "كتاب الخصائص" وكلاهما فى النحو . هذا اضافة الى عدد آخر كبير من النحاة عاشوا فى هذا العصر .

ولقد عنى علماء النحو فى هذا العصر بدراسات جديدة فى الصرف والبلاغة ، نذكر منهم ، على سبيل المثال لا الحصر ، أبا على أحمد بن على الفارسي ، وأبا الفتح عثمان بن جنى ، الذى كان رائدا فى التصريف وفقه اللغة فى كتابه "التصريف الطوكي" ^(٣) .

أما الأدب فيعد هذا العصر بحق زبدة الحقب ، حيث كان للأدب فى كل مصر مرتع ، فلا تكاد تضيق بشاعر أو أديب أو كاتب مدينة حتى ينتقل الى غيرها ، ليحل فيها على الرحب والسعة . واشتد فى هذا العصر التنافس بين الشعراء والأدباء ، وظهرت فيه المقامات على يد بديع الزمان الهمذاني ^(٤) ككون جديد مسن ألوان الأدب ، عولجت فيه اللغة ، وظهر السجع ، وانعكس فيه مدى اهتمام الأدباء ، على يد ابن العميد ، وابن عباد ، والمهلبى ، وأصبح هو الأسلوب المتبع فى طريقة كتابة الرسائل السلطانية والاخوانية ^(٥) ، وحيث ان الأدب مرآة تعكس صورا للحياة ، فما المقامات الا وليدة مظاهر جديدة ، ظهرت فى هذه الحقبة .

-
- (١) ابن النديم : الفهرست / ص ١٢٦ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٢٩٩ .
(٣) كحالة : اللغة العربية وعلومها / ص ١٤٣ .
(٤) أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمداني توفى سنة ٣٩٨ هـ / سنة ١٠٠٧ م . الثعالبي : يتيمة الدهر ج ٤ / ص ٢٥٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ١٢٧ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ٢ / ص ١٦١ .
(٥) متر : الحضارة الاسلامية ج ١ / ص ٤٥٠ .

ولقد خلف شعراء هذا العصر ثروة جليلة من الانتاج الرائع ، اضافة الى ما أحدثوه من تطورات عميقة في الأدب وأساليبه ، ولعل الشاعر المتنبي ^(١) و "ديوانه" خير مثال على ذلك ، فلقد أثار هذا الشاعر نشاطا أدبيا جليلا في مراكز الدراسات الأدبية ، ونشطت حركة النقد الأدبي كثيرا في معالجة انتاجه ، سواء أكان ذلك في حياته أم بعد وفاته .

ومثل ذلك جرى بين أنصار شعر أبي تمام الطائي ^(٢) المعجبين به ، وبين أولئك الذين أظهروا إعجابهم وتقديرهم لشعر البحتري ^(٣) ولعل ذلك هو ما دفع الآمدي المتوفى (سنة ٣٧٠ هـ / سنة ٩٨٠ م) ^(٤) الى وضع كتاب "الموازنة بين الطائيين" .

وظل الشعر في هذا العصر محتفظا بحيويته وقوته ، ملتزما بأغراضه الموروثة ، فلم يحفل عصر من عصور الاسلام بظهور عدد من الشعراء يضاهي ما ظهر في هذه الفترة ، فقد ذاع فيها صيت المتنبي ^(٥) ، وابن المعيد ، وابن عباد ، والخوارزمي ^(٦) ، وصديق الزمان ^(٧) ، والصابي ، والتوحيدى ، والشريف الرضى ^(٨) وكشاجم ريحانة أهل الأدب ^(٩) والسلاص المتوفى (سنة ٣٩٤ هـ / سنة ١٠٠٣ م) ^(١٠) .

-
- (١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ٤٥٠ .
 - (٢) ن . م . س ج ٢ / ص ١١ .
 - (٣) ن . م . س ج ٦ / ص ٢١ .
 - (٤) ابن النديم : الفهرست / ص ٢٢١ ، القفطى : انباء الرواة ج ١ / ص ٢٨٥ ،
ياقوت : معجم الأدباء ج ٨ / ص ٧٥ ، السيوطى : بغية الوعاة / ص ٢١٨ .
 - (٥) أنظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ١٢٠ ، دائرة المعارف الاسلامية
ج ١ / ص ٣٦٣ .
 - (٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ٣٥٥ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ١ / ص ١٠١ .
 - (٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ١٢٧ .
 - (٨) ن . م . س ج ٤ / ص ٤١٤ .
 - (٩) ابن النديم : الفهرست / ص ٢٠١ .
 - (١٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ٤٠٣ .

أما العلوم الانسانية فقد نالت في هذا العصر نصيبا وافرا من الدراسة والتحقيق ، وبرز الاهتمام بشكل خاص في ميدان التاريخ ، ودراسة الأقاليم والبلدان . ولقد تنوعت الاتجاهات في التأليف التاريخي ، فمع استمرار الاهتمام بتاريخ السـيـر والفتوح ، وتاريخ الأنساب والطبقات ، وكذلك تاريخ الأمم الشامل لأخبار القدماء والمحدثين . ظهرت اتجاهات جديدة ، يمكن ملاحظتها بوضوح في هذا المجال ، فلقد عرف عن أبي الحسين هلال بن المحسن الصابي المتوفى (سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) انه عني بتاريخ الرجال وكتب الأنساب وصنف فيها كتاب " الأماثل والأعيان " وكتاب " تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء " ^(١) . وقد برز في هذا المجال أيضا أحمد بن ابراهيم بن الحسن ، الذي عاش في بغداد أول القرن الخامس ، وصنف كتاب " العاصيخ من أخبار المعطفي والمرضى والأئمة من ولدهم الطاهرين " ^(٢) مما يعكس انسجاما مع الخط المتغلب في الدولة . كما ألف الشيخ غرس النعمة أبو الحسن بن هلال الصابي كتاب " عيون التواريخ " ^(٣) . أما في تواريخ الخلفاء والعالم فمن برز في

- (١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ١٠١ ، بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج ٦ / ص ٣٥ .
- (٢) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ٣ / ص ١١٨ ، بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج ٦ / ص ٣٧ .
- (٣) محمد بن هلال بن المحسن بن ابراهيم بن هلال الصابي الحراني ، أبو الحسن غرس النعمة ، كان أدبيا كاتباً مؤرخاً من أهل بغداد ، محترماً عند الخلفاء والملوك ، أنشأ داراً في بغداد ، وأوقف عليها أربعة آلاف مجلد في فنون العلم . من آثاره : " الهفوات البادرة من المغفلين الطحوظين " ، وكتاب " التاريخ الكبير " ، وهو ذيل على تاريخ والده ، الذي ذيله أبوه على تاريخ ثابت بن سنان ، على تاريخ ابن جرير الطبري ، وسماه " عيون التواريخ " وأخيراً كتاب " الربيع " . ولمعلومات أوفى عن ترجمته أنظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ٢٦٧ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٤٢ - ٤٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ / ص ١٣٤ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٥ / ص ١٢٦ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج ٣ / ص ٢٢٩ ، حاجي خليفة : كشف الظنون ١٤١٩ ، ١٤٧١ ، ٢٠٤٥ ، الزركلي : الأعلام ج ٢ / ص ٣٥٧ ، البغدادي : هدية العارفين ج ٢ / ص ٧٥ ، كماله : معجم المؤلفين ج ١٢ / ص ٩٣ .

هذا العصر في هذا الفن : أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه المتوفى (سنه ٤٢١هـ / سنة ١٠٣٠م) وأهم كتبه كتاب " تجارب الأمم وتعاقب الهمم " وهو في أخبار التاريخ العالمي حتى سنة ٣٧٢هـ / سنة ٩٨٢م ، ويعد كتابه هذا من المصادر التاريخية الهامة ، ولا سيما عن الفترة التي توقف فيها الطبرى^(١) في تاريخه ، والتي نطياها الى عصر المؤلف ، وله أيضا كتاب في تاريخ الأدب أسماه " آداب العرب والفرس^(٢) " ومع أن الكتاب مفقود فان عنوانه يوحى بموقف مجامل . أما أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي^(٣) المتوفى (سنة ٣٤٦هـ / سنة ٩٥٧م) فقد خلف لنا كتابه الشهير " مروج الذهب ومعادن الجوهر " والذي يمتاز " بالتفاته الى الأمور الاجتماعية ، كبثه في بيانات العرب ، وآرائها في الكيمياء ، والقيان^(٤) ، اضافة الى كتاب " التنبه والاشراف " .

والمجال هنا لا يتسع لذكر عشرات المؤرخين الذين ظهروا في هذا العصر ، وما أفادوا به الباحثين من مؤلفات تاريخية تتناول تواريخ الأمم والدول ، والسير والتراجم ، والأنساب والطبقات .

وقد ظهر في هذا العصر عدد من علماء الجغرافية والممالك والبلدان ، وضعوا مؤلفات في أحوال البلدان ومساكنها وأهلها ، كالرحالة أحمد بن فضلان بن العباس^(٥) مولى محمد بن سليمان رسول الخليفة المقتدر بالله العباسي المتوفى (سنة ٣٢٠هـ / سنة ٩٣٢م) الى ملك الصقالبة ، وقد دون ملاحظاته عن رحلته هذه في رسالة سجل فيها مشاهداته في بلاد الترك والخزر^(٦) والروس^(٧) والصقالبة ، والباشفسرد^(٨)

-
- (١) ابن النديم : الفهرست / ص ٣٢٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ١٩١ .
 - (٢) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج ٦ / ص ١١٨ .
 - (٣) ابن النديم : الفهرست / ص ٢١٩ .
 - (٤) كعالة : التاريخ والجغرافيا / ص ٥١ .
 - (٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٢٥٣ .
 - (٦) ياقوت : معجم البلدان ج ١ / ص ٣٦٧ .
 - (٧) ن ٢٠٠ ص ج ٣ / ص ٢٩٠ .
 - (٨) ن ٢٠٠ ص ج ١ / ص ٣٢٢ .

وغيرهم على اختلاف مذاهبهم وأخبار ملوكهم وأحوالهم متعرضا الى كثير من أمورهم^(١).
برز من علماء جغرافية الممالك أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الاصطخرى الكرخي
المتوفى (سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)^(٢) الذي صنف " كتاب مسالك الممالك " وذكر فيه
أقاليم الأرض على الممالك ، وقصد بذلك بلاد الاسلام ، ففصل في مدنها وما تفرع
عنها^(٣). كما برز أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل النصيبي البغدادي المتوفى بعد
(سنة ٣٦٧ هـ / سنة ٩٧٢ م)^(٤) وله " كتاب المسالك والممالك " الذي ذكر فيه الفساز
والممالك ، والأقاليم والبلدان ، وطبائع أهلها ، وخواص البلاد في نفسها ،
وذكر جبايتها وخراجها ومستغلاتها ، وسواحلها ، وأنهارها . وقد فصل ابن
حوقل في كتابه هذا الحديث عن بلاد الاسلام ، فتناولها اقلها اقلها ، وصقعا
صقعا ، وكورة كورة^(٥).

أما فيما يتعلق بعلوم المنطق والفلسفة وأنواع الحكمة الأولى فلقد راجت دراسة
هذه العلوم في هذا العصر ، وذلك بعد مرحلة السبات التي عاشتها في أعقاب
اجراءات الخليفة المتوكل على الله العباسي^(٦) ضدها ، حيث كبح جماح الدراسات
المعتزلية والفلسفية . وحين تولى معز الدولة أحمد البويهبي السلطة في بغداد

-
- (١) أنظر رسالته مطبوعة طبعة أولى ، أصدرها مجمع اللغة العربية بدمشق سنسنة
١٣٧٩ هـ والطبعة الثانية أعدتها مديرية احياء التراث العربي بدمشق .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ٧٤ .
(٣) كحالة : التاريخ والجغرافيا / ص ٢٥٣ .
(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ٣٩٨ .
(٥) كحالة : التاريخ والجغرافيا / ص ٢٥٥ ، ولمعلومات أوسع عن الجغرافيسنة
والجغرافيين في هذا العصر . أنظر : كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافيسنة
العربي ج ١ من ص ١٩٧ الى ص ٢٣٧ .
(٦) أبو الفضل جعفر بن المعتصم بالله توفي سنة ٢٤٧ هـ / سنة ٨٩١ م . أنظر :
الارسل : خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٢٦ ، ابن العمراني : الأنباء في تاريخ
الخلافة / ص ١٢١ .

(سنة ٣٣٤ هـ / سنة ٩٤٥ م) سارت الدولة فى سياسة جديدة مغايرة ، لعل ذلك انعكاس لاختلاف عقيدة الحاكم ، ونظرتة ورغباته ، فلقد ظهرت دراسات فلسفية جديدة كان من نتائجها " ازدياد نفوذ الفلسفة الأفلاطونية الجديدة ، التى كبرت مذهب أرسطو الذى يمثل الكندى وتلاميذه ، وكانت نصره هذا الاتجاه الفكرى الجديد هدف رجال مزوتيين بثقافة فلسفية التقوا بالبصرة " (١) وهؤلاء هم جماعة " اخوان الصفا " وأغلب الدراسات تشير الى انتمائهم الشيعى الاسماعيلى ، ونزوعهم نحو التنظيم السرى الباطنى . والدلائل التاريخية توضح لنا أن جماعة " اخوان الصفا " قد ظهرت فى القرن الرابع الهجرى ، وأن القائمين عليها قد وضعوا اثنتين وخمسين رسالة ، وما وصلنا منها ينقص رسالة واحدة عن الأصل (٢) . ويبدو أن تأليفها قد استغرق من القائمين عليها وقتا طويلا ، وجهدا عظيما . غير أن أحدا من كتاب عصرهم لم يذكرهم ، باستثناء أبى حيان التوحيدي حين تحدث عن أحد أصحابه (٣) فقال : " وقد أقام بالبصرة زمانا طويلا ، وصادف بها جماعة جامعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة ، منهم أبو سليمان محمد بن معشر البستى ، ويعرف بالقدسي ، وأبو الحسن على بن هارون الزنجاني ، وأبو أحمد المهرجاني ، والصوفي وغيرهم ، وكانت هذه العصبة قد تألفت بالعشرة ، وتضافت بالصداقسة ، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة ، فوضعوا بينهم مذهبا زعوا أنهم قرَّبوا به الطريق الى الفوز برضوان الله ، والمصير الى جنته ، وذلك أنهم قالوا : الشريعة قد دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة ، وذلك لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية ، والمصلحة الاجتهادية " (٤) .

(١) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ج ٤ / ص ١٥٤ .

(٢) يذكر جبور عبد النور أن النساخ دمجا رسالتين معا فى القسم الرابع ، قسم الرسائل الناموسية الالهية ، والشرعية الدينية . أنظر : جبور : اخوان الصفا ص ٥١ .

(٣) هوزيد بن رفاعه .

(٤) التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ج ٢ / ص ٤ - ٥ .

اذن فاخوان الصفا فريق من الفلاسفة ، اعتنقوا مذهباً سياسياً عقائدياً . وقد أوضح أبو حيان التوحيدي في النص السابق هدفهم من تأليفهم لرسائلهم . ومعروف أن أبا حيان التوحيدي من علماء عصره المشهورين ، عاش تجربة عصره ، وشارك في اثراء ثقافته ، ولم يكن ليقول كلامه هذا الا وهو يعلم بأمر هذه الجماعة وأهدافها وخططها ووسائلها . ويظهر من قراءة الرسائل أنها موجهة ضد الواقع الاجتماعي والفكري والسياسي السائد ، والرغبة في التغيير الجذري على أساس استخدام سلاح الفلسفة ضد الالتزام الشرعي . وهي تعكس على أية حال وجهة نظر شيعية باطنية انقلابية ، ولذلك يقول التوحيدي : " وزعموا أنه متى انضمت الفلسفة اليونانية والشرعية العربية فقد حصل الكمال ، وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة ، علمها وعملها ، وأفردوا لها فهرستا ، وسموها رسائل اخوان الصفا وغلان الوفا ، وكتبوا أسماهم وبثوها في الوراقين ، ولقنوها الناس^(١) .

ولسنا في هذا العرض بصدد مناقشة عقيدة اخوان الصفا ورسائلهم وأساليبهم وأهدافهم المنسجمة مع الأمراء المتغلبين ، والموجهة أساساً لتقويض دعائم المجتمع القائم على أساس الفكر السنّي السلفي ، والعقيدة الصافية . ان استعراض هذه الرسائل يعكس اهتماماً في علوم الرياضيات والفلك ، والجغرافية والتاريخ ، والموسيقى ، وعلم الأخلاق ، والتربية والتعليم . غير أن جميع هذه العلوم ينبغي أن تهدف الى خدمة الفلسفة وشيوعها على اعتبار أنها خلاصة العلوم . ولقد تعتمد مؤلفوا الرسائل أن يكتبوها بأسلوب سهل سلس ، حتى يستطيع فهمها عامة الناس ، ذلك أن الهدف هو التأثير على العامة ومتوسطي الثقافة ، بهدف تكوين القاعدة الشعبية التي تمكنهم من تحقيق أهدافهم في التغيير المنشود .

أما في ميدان العلوم البحتة ، كالطب ، والصيدلة ، وعلوم الرياضة ، من حساب وهندسة وجبر وفلك ، وعلم الحيل " الميكانيكا " والكيمياء ، وعلم الحيوان ،

(١) التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ج ٢ / ص ٥ .

والنبات ، فلقد برع فيها الكثير من العلماء في العراق والمشرق الاسلامي في هذا العصر ، وكثفت حولها الكثير من الدراسات التي يمكن أن نلص آثارها في تأليف الكثير من المؤلفات الرائدة ، التي تعكس روح التقصى والمثابرة والصبر ، والموضوعية المطلقة . ويمكن أن نشير في هذا المجال الى عدد من الأمثلة البارزة .

ففي مجال الطب وصناعته برز في هذا العصر في العراق نخبة ممتازة من علماء الطب ، عالجوا ، ودرسوا العلوم الطبية ، وركبوا الأدوية ، وترجموا ، وألفوا الكثير من الكتب الطبية .

وكان الخليفة العباسي المعتز بالله (المتوفى سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢م) قد أصدر تعليماته باجراء الامتحان للأطباء قبل التصريح لهم بممارسة مهنة الطب . وقد بقى هذا النظام ساريا ومعمولا به طوال العصر العباسي ^(١) . ولم يكن البيمارستان العضدى الذى أنشأه عضد الدولة البويهى في بغداد يتولى القيام بالمعالجة والتطبيب فقط ، بل كان كذلك مركزا علميا يتلقى فيه تلامذة الطب العلوم الطبية والنفسية ، والتدريبات العملية على مختلف العلوم الطبية والنفسية ، كما كانوا يرافقون أساتذتهم أثناء زياراتهم العلاجية ، واشرافهم على المرضى . وكان عبد الله بن الطبيب أبو الفرج الفيلسوف المتوفى (سنة ٤٣٥هـ / سنة ١٠٤٣م) يقوم بتدريس طوم الطب في البيمارستان العضدى ، اضافة الى قيامه بمعالجة المرضى وتدريس طلابه فيه ^(٢) . كما أن أبا الحسن على بن ابراهيم المتوفى (سنة ٣٩٤هـ / سنة ١٠٠٣م) كان من بين الأطباء الأربعة والعشرين الذين اختارهم عضد الدولة للعمل في بيمارستانه ببغداد ، وكان أبو الحسن هذا من أفاضل علماء الطب ^(٣) .

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٠٢

(٢) ن.م.م. : ص ٣٢٩ . القفطى : أخبار العلماء / ص ١٥٨ .

(٣) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء ص ٣٢٩ ، القفطى : أخبار العلماء / ص ١٥٨ .

برز في هذا العصر عدد من الأطباء من أشهرهم ثابت بن ابراهيم بن زهرون الحراني ، كان طبيبا حاذقا فذا ، له مؤلفات جيدة في الطب ، توفي (سنة ٣٦٥ هـ / سنة ٩٧٥ م)^(١) . وكان أبو الحسن ثابت بن سنان بن قرة من بيت مشهور بالطب ، كان ساعورا^(٢) في البيمارستان العضدي ، وخدم الكثير من خلفاء بني العباس ، وله من المصنفات " كتاب التاريخ " ذكر فيه الحوادث والوقائع في زمانه^(٣) . برز في ميدان الجراحة الطبيب الجراح أبو الحسين الجرائحي ، وهو من مشاهير المتخصصين في علم الجراحة ، اختاره ضد الدولة لتولي مسئولية البيمارستان العضدي ، وكان موصوفا بالخدمة في الصناعة^(٤) .

أما أبو الحسن بن كشكرايا المعروف بتميم سنان فهو طبيب مشهور ببغداد له فطنة ومعرفة بصناعة الطب ، كان من بين الأطباء الأربعة والعشرين المختارين للبيمارستان العضدي ، له من الكتب كتابه^(٥) المعروف بالهادي ، وكناش آخر^(٦) . وكان الطبيب ابن مندويه الأصفهاني أحد الأطباء الأربعة والعشرين بالبيمارستان العضدي ، له في الطب عدة تصانيف منها " كتاب الأغذية " إضافة الى كناش في الطب و " كتاب الكافي في الطب " و " كتاب المفتي في الطب " . أما الطبيب علي بن عيسى الكحال فكان أشهر كحالي العرب ، اختصا في طب العيون ، صنف اثنين وثلاثين كتابا في علم الرمد ، أشهرها كتاب " تذكرة الكحالين " وصف

-
- (١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٠٤ ، القفطي : أخبار العلماء / ص ٧٨ .
 (٢) الساعور : هو عميد أو ناظر المستشفى ، قال الزبيدي : هو مقدم النصارى في معرفة علم الطب وأدواته ، وأصله بالسريانية (ساعورا) ومعناه متفقد المرضى . أنظر : الزبيدي : تاج العروس ج ٣ / ص ٢٦٨ .
 (٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٠٤ ، القفطي : أخبار العلماء / ص ٢٦٠ .
 (٤) القفطي : أخبار العلماء / ص ٢٦٣ .
 (٥) الكناش : الكنايش والكناشات ، وهو جمع كناش سرياني معرب معناه المجموعة أو التذكرة ، ولعله الكراسة المعروفة ، وقد وقع كثيرا في كلام الحكماء وسموا به بعض كتبهم . الخفاجي : شفاء العليل / ص ٢٣١ .
 (٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٢١ ، القفطي : أخبار العلماء / ص ٢٦٣ .
 (٧) القفطي : أخبار العلماء / ص ٢٨٥ .

فيه مائة وثلاثين مرضا من أمراض العين . ونقل الكتاب الى العبرية واللاتينية .^(١)

كما كان ابن وصيف ممن برز في هذا العصر في طب العيون ، عاش في بغداد حوالي (سنة ٣٥٠ هـ / سنة ٩٦١ م) لم يكن في زمانه أعلم منه في طب العيون . أخذ الناس عنه ورحل اليه من مختلف الأقطار ، من الأندلس وغيرها .^(٢)

أما الطبيب علي بن رضوان المتوفى (سنة ٤٤٤ هـ / سنة ١٠٥٢ م) فقد اشتهر بـدقته ومؤلفاته الطبية التي من أشهرها كتاب " تقويم الصحة " ، و " مقالة في شرب الدواء السهل " .^(٣)

ومن اعتنى بأمور الصيدلة وصناعة الأدوية في هذا العصر الطبيب المشهور علي بن عباس المجوسي ، الذي خصص الجزء الثاني من كتابه " الملكى " للحدث عن الأدوية ومنافعها .^(٤)

وفي هذا العصر كان للعلوم الرياضية والفلك نصيب وافر من الدراسة والاهتمام ، نبغ فيها جماعة من العلماء ، كانت لهم دراسات وتجارب ونظريات صائبة . برز منهم محمد بن محمد أبو الوفاء البوزجاني المتوفى (سنة ٣٨٧ هـ / سنة ٩٩٧ م) أحد الأئمة المعدودين في الرياضيات ، كتب في الجبر ، وزاد على بحوث الخوارزمي زيادات تعتبر أساسا لعلاقة الهندسة بالجبر ، ووضع طرقا جديدة في حساب المثلثات وحساب الجيب ،^(٥) وكان لجميع معادلاته في حساب المثلثات أثر كبير في تقدمها . ومن مصنفاته " كتاب في عمل المسطرة والبركار والكونيا " و " كتاب ما يحتاج اليه العمال والكتاب من صناعة الحساب " و " كتاب تفسير كتاب الخوارزمي في الجبر

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٣٣ ، بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج ٢ ص ٤٠١ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣١١ ، القفطي : أخبار العلماء / ص ٢٨٤ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٢٥ ، القفطي : أخبار العلماء / ص ١٩٢ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣١٩ ، بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج ٤

ص ٢٩١ طوقان : تراث العرب العلمي / ص ٢٢٩ .

والمقابلة " و " كتاب المجسطي " وعشرات من الكتب الأخرى^(١) وقد عمل في مرصد بغداد ، وكان واحداً من الفلكيين المشهورين في هذا العصر .^(٢)

برز من علماء الرياضيات أيضاً أبو جعفر محمد بن الحسين الخازن الخراساني ، الذي كان خبيراً بالحساب والهندسة ، عالماً بالأرصاد والعمل بها ، أعطى حلاً للمعادلة ذات الدرجة الثالثة ، باستعمال خطوط التقاطع للأشكال المخروطية ، له من الكتب " شرح لأول المقالة العاشرة لأقليدس " ، وكتاب " المسائل العددية " .^(٣)

أما علم الفلك والنجوم فقد أعتنى به البويهيون عناية فائقة ، خصوصاً في عهد شرف الدولة بن عضد الدولة البويهى المتوفى (سنة ٣٧٩هـ / سنة ٩٨٩م) الذى أنشأ مرصداً في بغداد ، عمل فيه عدد من رواد الفلك والرياضيات للإشراف عليه ، ورصد النجوم ، وتحديد مواقعها ومساراتها وحركاتها ، وذلك سنة ٣٧٨هـ / سنة ٩٨٨م .^(٤)

وكان من أشهر علماء الفلك في هذا العصر أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفي المتوفى (سنة ٣٧٦هـ / سنة ٩٨٦م) الذى عمل في خدمة عضد الدولة البويهى ، وألف له كتاباً سماه " الكواكب الثابتة " أو " صور الكواكب الثابتة " .^(٥) وله كتاب " العمل بالاسطرلاب " وكتاب " المدخل إلى علم النجوم " .^(٦)

-
- (١) ابن النديم : الفهرست / ص ٣٩٤ ، كعالة : العلوم البحتة / ص ١٦ .
 (٢) ابن النديم : الفهرست / ص ٢٨٣ ، بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج ٤ / ص ٢٢٤ .
 (٣) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٣ ، القفطى : أخبار العلماء / ص ٢٥٩ ، بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج ٤ / ص ١٨٣ .
 (٤) القفطى : أخبار العلماء / ص ٢٢٠ .
 (٥) الكتاب مطبوع ، وقد أثنى ابن النديم على كتابه هذا ، واعتبره من نـوادر المؤلفات الفلكية . ابن النديم : الفهرست / ص ٣٩٥ ، بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج ٤ / ص ٢١٧ .
 (٦) بروكلمان : ن . م . س ج ٤ ص ٢١٨ .

كما برز في علم الفلك في هذا العصر ابن الأعمى أبو القاسم العلوى على يمين الحسين المتوفى (سنة ٣٧٥ هـ / سنة ٩٨٥ م) وهو صاحب " الزيج " ^(١) المشهور ، كان من العلماء المعدودين المشهورين بالهيئة وصناعة النجوم ، برز في هذا الفن واشتهر به ، ولاقى حظوة فائقة لدى عهد الدولة البويهية ، الذى عمل له " زيجه المشهور " الذى صار مرجعا للناس في زمانه وبعد وفاته ^(٢) .

أما أحمد الصاغاني أبو حامد الاسطرلابي المتوفى (سنة ٣٨٠ هـ / سنة ٩٩٠ م) فقد كان عالما فاضلا في الهندسة وعلم الهيئة ، وكان يتقن صناعة الاسطرلاب ^(٣) والآلات الرصدية الأخرى غاية الاتقان ^(٤) وقد صنف " رسالة في عمل الاسطرلاب وقوانين الهيئة " وقد سبقت الإشارة الى أبي الوفاء البوزجاني الرياضى الفلكي الذى كان يعمل في رصد شرف الدولة بهمداد .

أما يحن بن رستم الكوهي فقد كان عالما فاضلا كاملا بعلم الهيئة ، أوكل اليه بناء مرصد شرف الدولة بهمداد (سنة ٣٧٨ هـ / سنة ٩٨٨ م) وقد علق بعض الباحثين المعاصرين على انجازاته بقوله : " انه انتقد بعض المسائل الفرضية الماثورة عن اليونان " ^(٥) وقد قام بعملية رصد الكواكب السبعة في حديقة القصر بهمداد ، له

-
- (١) الزيج : كتاب منه يحسب سير الكواكب ، ومنه يستخرج التقويم ، وهو بالفارسية " زه " أى الوتر ، ثم عرب فقيل " الزيج " . أنظر الخوارزمي : مفاتيح العلوم / ط ١٦٩ .
- (٢) البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام ص ٩٠ ، القفطي : أخبار العلماء / ص ١٥٧ .
- (٣) الاسطرلاب : معناه مقياس النجوم ، وهو باليونانية " اسطرلابون " . أنظر : الخوارزمي : مفاتيح العلوم / ص ١٧٧ ، دائرة المعارف الاسلامية ج ٢ / ص ١١٤ .
- (٤) القفطي : أخبار العلماء / ص ٥٦ ، حتى : تاريخ العرب ج ٢ / ص ٤٥٩ ، ناجي معروف : المراصد الفلكية بهمداد / ص ١٣ .
- (٥) سيدو : تاريخ العرب / ص ٢٤٣ .

من الكتب أكثر من عشرين كتابا ورسالة ، كلها فى علم الفلك والرصد .^(١) أما فى بلاط السلطان ركن الدولة البويهى فقد برز الفلكى العالم أبو جعفر الخازن الخراسانى الذى حدد انحراف دائرة البروج ، وحلل احدى المسائل العويصة التى عجز عنها أرخميدس .^(٢)

واضافة الى ذلك فقد بحث العديد من علماء هذه الحقبة فى علوم الطبيعة ، فتعمقوا فى دراسة الفيزياء والكيمياء والنبات ، وألفوا العديد من المؤلفات المهمة ، كما قام بعضهم بترجمة بعض ما سبق تأليفه بلغات أخرى الى العربية فى هذا المجال ، ولعل مؤلفات العالم الجليل ابن النديم خير مثال فى هذا الاتجاه .

... ..

(١) أنظر عنه : ابن النديم : الفهرست / ص ٣٩٥ ، القفطى : أخبار العلماء / ص ٢٣٠ .

(٢) ابن النديم : الفهرست / ص ٣٩٣ ، حتى : تاريخ العرب ج ٢ / ص ٤٥٩ .

الباب الأول

أثر التطورات والأوضاع العامة
في الحياة العلمية
خلال فترة البحث

الباب الأول

أثر التطورات والأوضاع العامة في الحياة العلمية خلال فترة البحث في العراق

تناول الجغرافيون العرب منطقة ما بين النهرين بالدراسة ، من الناحية الإقليمية ،
ووضحوا حدودها ثابتة ومعروفة بالنسبة للعراق ، في الجهات الشرقية والغربية
والجنوبية . وهم يعتبرون حدوده نفس حدود السودان .^(١)
^(٢)

أما حدوده الشمالية فقد اختلف الجغرافيون في أمرها ، فقد جعلها المقدسي
(٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م) تسير مع الخط من الأنبار الى المن ، أما ابن خرداذبة
(٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م) والاصطخري (٣١٨ هـ / ٩٢٣ م) وابن رسته (٣٠٠ هـ / ٩١٢ م)
والمسعودي (٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م) وابن حوقل (٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) فيجعلون حدوده

(١) يقصد بمصطلح "حدود" هنا ما استعمله الجغرافيون المسلمون من معنى عند
استعمالهم هذه الكلمة بمعنى النهايات الخاصة باقليم معين ، كما وردت عند
ابن خرداذبة في كتابه المسالك والممالك ص ١٤ (ط. لايدن ١٨٨٩ م) أو نهاية
اقليم أو بلد كما وردت عند ابن حوقل : كتاب المسالك والممالك ص ٢٠٩ - ٢١٠
(ط. لايدن ١٨٧٣ م) ، وياقوت : معجم البلدان ج ٣ / ص ١٣٥ حين أشار الى
أنها المناطق التي لا يحق للجباة بعدها مباشرة أعمالهم في الجباة . ولتفصيلات
أوفى أنظر : El-Samarraie: Agriculture in Iraq during the
3rd century A.H. p.p. 1 - 39.

(٢) الماوردي : الأحكام السلطانية / ص ١٦٦ .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم / ص ١٣٤ .

الشمالية تمتد من العلت وحري^(١) ومنطقة ما بين النهرين تشمل العراق والجزيرة ،
ويحدها خط يبدأ من عبادان ، ويسير شمالا الى تكريت ، ثم السن ، ثم
الحديثة ، ثم الموصل ، ثم جزيرة ابن عمر . بعد ذلك يسير غربا الى مياقارين ،
ثم جنوبا مع الفرات الى العذيب ، ثم شرقا بعد أن يدور حول البطيحة الى البصرة .^(٢)

وطيه يبدأ من حدود العراق الشمالية لم تستقر خلال العهود المختلفة ففى
الاسلام .

بلاد الجزيرة ، بعدنها الهامة ، كان لها ارتباط وثيق ، سياسيا وثقافيا ،
مع بغداد ومقبة مدن العراق ، مما حدا بنا الى ذكرها هنا ، واهراز دورها
العلمي والثقافي فى هذا العصر ، الذى كان عصر خير حركة ، التقت فيه التيارات
العلمية بين مدن العراق والجزيرة ، متمثلة فى المدارس النظامية ، والرحلات
العلمية للطلبة والعلماء ، فكتب التراجم وطبقات الرجال تذكر لنا عشرات العلماء
الذين رحلوا من بلاد الجزيرة ، واستقروا فى مدن العراق ، لاسيما ببغداد
مدينة العلم ، وملتقى العلماء .

كما كان هناك أعداد من طلبة وعلماء مدن العراق اتجهوا صوب الجزيرة
للدراة ، ولربما استقر الكثير منهم هناك .

أما أهم العناصر التى كانت تسكن ما بين النهرين فكانت مزيجا من أناس تختلف
لغاتهم ، وتباين ألوانهم وطبائعهم ، منهم العرب وهم الأكثرية ، وكانت قبائل

(١) ابن خرداذبة : المسالك والممالك / ص ١٤ ، ابن رسته : الأعلاق النفيسة /
ص ١٠١ ، الاصطخرى : المسالك والممالك / ص ٧٨ ، المسعودى : التبهيـه
والإشراف / ص ٥١ ، ابن حوقل : المسالك والممالك / ص ٢٣٤ .

(٢) الدورى : تاريخ العراق الاقتصادي / ص ١٩٠ .

بكر وديار ربيعة وديار مضر تقطن بلاد الجزيرة^(١) ، وظهرت خفاجة في العراق الأوسط^(٢) ، كما كانت قبائل ربيعة ومضر ونو تميم تستقر في جنوب العراق^(٣) . وسكن الديالمة في العراق ، غير أن أعدادهم ازدادت كثيرا خلال العصر البويهي^(٤) إضافة إلى استيطان جماعات من الفرس الذين كان لهم أثرهم في حقل الثقافة والسياسة .

أما الترك فكانوا من أقوى العناصر التي سكنت العراق منذ عصر المأمون ، وازدادت أعدادهم في العصور التالية . وكان لهم دور عظيم في توجيه الكثير من الأمور والأحداث السياسية في العراق خلال فترة البحث .

أما النبط فقد كانوا يسكنون البطحبة^(٥) ، وكانوا يمثلون جزءا من سكان العراق . وذكر السعودي أنهم سكان العراق القدام^(٦) .

ويعتبر الأكراد من سكان بلاد الجزيرة في الجزء الشمالي الشرقي من العراق وقد استقر بعضهم في الموصل^(٧) .

أما أشهر الأديان التي كانت سائدة في العراق في هذا العصر فبالطبع الدين الإسلامي ، بطوائفه ومذاهبه المتعددة . كما أن العراق كان موطن الديانات المختلفة . ومع أن الدين الإسلامي قد أصبح هو دين الغالبية العظمى من السكان

(١) ابن خرداذبة: المسالك والممالك / ص ٩٥ ط. لايد سنة ١٨٨٩م ، الاضطخري:

المسالك والممالك / ص ٧١ ط. لايد سنة ١٨٢٠م .

(٢) الصابي : تحفة الوزراء / ص ٤٧٢ .

(٣) ن.م.م. ص ٤٧٢ ، الدينوري : الأخبار الطوال / ص ١٨٢ ، ابن الأثير:

الكامل ج ٨ / ص ٢٢٦ .

(٤) مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ / ص ٤١ .

(٥) المقدسي : أحسن التقاسيم / ص ١٠٨ .

(٦) السعودي : التبئية والاشراف / ص ٧ .

(٧) ابن حوقل : المسالك والممالك / ص ٢١٧ .

فقد كان هناك طوائف دينية أخرى ، منهم أهل الذمة من النصارى واليهود . فقد كان في بغداد وحدها في القرن الرابع الهجري مابين أربعين وخمسين ألفا من النصارى .^(١)

ويقول ابن حوقل : ان النصارى في مدينتي الرها وتكريت أكثر عددا .^(٢)

أما اليهود فلقد كانوا منتشرين في أغلب مدن العراق ، كالحلة والكوفة والبصرة . ويذكر القفطى أن اليهود هم أكثر أهل مدينتي سورا ونهر ملك من بسين أجزاء العراق ،^(٣) ويذكر أحد الباحثين أن عدد اليهود بالعراق في القسطنطينية^(٤) السادس الهجري بلغ ستمائة ألف^(٥) حيث يقول : " وثم يهود في جميع المدن والقرى التي بين نينوى ودجلة " .^(٥)

أما الديانات غير السماوية والتي كانت منتشرة بالعراق فكان منهم المجوس ، والذين كثروا هم بالعراق ،^(٦) وقد بقيت في العراق حتى عصور متأخرة بقاءها ديانات وعقائد ، كالصابئة والثنوية وغيرهم .

... ..

-
- (١) متر : الحضارة الاسلامية ج ١ / ص ٨٤ .
 - (٢) ابن حوقل : المسالك والممالك / ص ١٥٦ .
 - (٣) القفطى : أخبار العلماء / ص ١٩٤ .
 - (٤) متر : الحضارة الاسلامية ص ٨١ - ٨٢ عن ربي بتاحيا / ص ٢٨٩ .
 - (٥) ن ٢٠٠ ص ص ٨١ - ٨٢ عن ربي بتاحيا / ص ٢٢٩ .
 - (٦) المقدسى : أحسن التقاسيم / ص ١٢٦ .

الفصل الأول

- الأوضاع السياسية

- الأوضاع الاقتصادية

- الأوضاع الاجتماعية

الأوضاع السياسية: ص ٧٨ ، ظهور دولة السلاجقة ص ٧٩ ، دخولهم بغداد
ص ٨٢ ، علاقتهم بالخليفة العباسي ص ٨٣ ، كفاح الخلفاء من أجل استرداد
هيئة الخلافة ص ٨٧ .

الأوضاع الاقتصادية: ص ٩١ ، الوزير نظام الملك ونظام الاقطاع ص ٩٤ ، الزراعة
في العراق خلال فترة البحث ص ١٠٠ .

الأوضاع الاجتماعية : ص ١٠٢ ، العيارون ، والفتيان ص ١٠٤ ، الخليفة
الناصر لدين الله العباسي والفتوة ص ١١٠ .

الفصل الأول

ولابد لنا ونحن ندرس الحياة العلمية والفكرية في هذه الفترة أن نتعرف على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العراق في هذا العصر ، وذلك لما لها من تأثير في تحديد البعد الثقافي ، والوعى الفكرى ، في حياة المجتمع .

الأوضاع السياسية :

على الرغم من الدور السياسى الفعال للجند الأتراك بعد انتهاء خلافة المعتصم بالله ، كان القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى يمثل اتجاهها جديداً في نمط التدخل ، فبعد أن كان تدخلهم خلال القرن الثالث داخلها ، باعتبار أنهم جزء من القوات التى يتألف منها الجيش العباسى ، فإن تدخلهم فى هذه الحقبة تمثل فى كونهم قوة عسكرية خارجية ، توجهت الى مقر الخلافة ، وتسلمت مقاليد السلطة ، مما كان له كبير الأثر فى توجيه أحداث التاريخ ، إضافة الى أثره على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية فى الدولة الإسلامية خلال فترة البحث ، التى اعتبرها البعض " تغيراً عميقاً فى جميع أركان العالم الإسلامى ، تجلى فى الظاهر بتأسيس دولة المرابطين فى المغرب ، وقيام دولة أهم منها فى المشرق هى الامبراطورية السلجوقية " .^(١)

(١) كلود كاهن : تاريخ الشعوب الإسلامية / ص ٢٣٧ .

ولقد كان العصر السلجوقي عصرا ذهبيا في المشرق الاسلامي ، اذ جرى توحيد اغلب المناطق والدويلات في المشرق الاسلامي تحت امرة واحدة ، فاتحدت البلاد بعد أن كانت مجزأة .

ولقد كان للسلاجقة ، فضل عظيم في حماية الدين والذود عن الاسلام ، كما تمكنوا من تحقيق ما عجز عنه من سبقهم من المسلمين ، وهو احتلال الأناضول ، ومن ثم التمهيد للقضاء على بيزنطة^(١) .

وارتفع شأن أهل السنة والجماعة في عهدهم ، واستعاد الخليفة العباسي مكانته الطبيعية نسبيا في أعقاب التدهور المزري الذي أصاب مكانته خلال التحكّم البويهى^(٢) .

يرجع السلاجقة في أصولهم الى مجموعة من القبائل التركية التي عرفت باسم : " الغز " دفعتهم الظروف الاقتصادية والسياسية السائدة في أواسط آسيا - بلاد المشرق الى التنقل بحثا عن أسباب العيش الرغيد^(٣) وحاولت الاستقرار في اقليم ما وراء النهر وخراسان .

وقد أطلق على هذه القبائل اسم السلاجقة ، نسبة الى رئيسها سلجوق بن دقاق^(٤) الذي وحدها تحت زعامته ، فنسبت اليه ، وخضعت لحكم أبناؤه وأحفاده .

وقد أدى جوار السلاجقة للمسلمين السنيين ، من السامانيين والخانيسيين والغزنويين ، الى اعتناقهم الاسلام . يقول ابن الأثير في كلامه عن سلجوق بن دقاق : " فسار بجماعته كلهم ومن يطيعه من دار الحرب الى دار الاسلام وسعد

(١) زكار : مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية / ص ١٧ .

(٢) الفارقي : تاريخ الفارقي / ص ٨٦ .

(٣) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق / ص ١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٢٢ .

بالإيمان ومجاورة المسلمين^(١).

ولقد استفاد سلجوق بن دقاق من مساعدته للسامانيين^(٢) الذين استجندوا به ضد هارون بن أيلك خان^(٣) ، فأذنوا له بالمرور في بلادهم ، والاستقرار بقومهم بالقرب من شاطي^(٤) نهر سيحون ، واتخاذ مدينة " جند " مركزا لهم.

وهنا اطمأن السلاجقة الى حياتهم في بلاد ما وراء النهر ، وأخذوا يعدون أنفسهم للقيام بدور أكبر . وقد استطاعوا في سنوات معدودة اعداد جيش قوى حتى صاروا قوة يخشى بأسها ، ويرهب جانبها^(٥).

بعد أن أحس السلاجقة بقوتهم بدأوا يغيرون على المناطق المجاورة لهم ، ويحاولون توسيع ممتلكاتهم ، فأوجس منهم الغزنويون خيفة ، وكان على رأسهم قائدهم الغازي محمود الغزنوي ، الذي استطاع بالحيلة والدهاء القبض على اسراييل بن سلجوق ، وكان المقدم بينهم^(٦) حيث حبسه في قلعة " كالنجر " وقد ظل سجيناً بها حتى وفاته^(٧).

كان لهذه الخديعة وقع عظيم في نفس ميكائيل الذي تولى زعامة السلاجقة ، ونقلهم الى اقليم خراسان^(٨) كبداية لمرحلة جديدة من مراحل كفاحهم ، وذلك لانقضاء على الدولة الغزنوية ، والأخذ بتأثر اسراييل ، ففي (سنة ٤٢١ هـ / سنة ١٠٣٠ م) توفي السلطان محمود الغزنوي ، وخلفه ابنه مسعود الذي اصطدم

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٨ / ص ٢٢٢.

(٢) السامانيون : ينتسبون الى أسرة فارسية عريقة. وقد بدأ نجمهم يرتفع في القرن الثالث الهجري. حصنين : سلاجقة ايران والعراق / ص ٧ ، عن اقبال : تاريخ ايران از ظهور اسلام تا حطه مغول / ص ١٢١.

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٢٢٢.

(٤) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية / ص ٢.

(٥) الراوندي : راحة الصدور / ص ٨٦.

(٦) ن. م. س. / ص ١٤٨.

(٧) ن. م. س. / ص ١٥١.

(٨) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٧.

بالسلاجقة في معركة انتهت بهزيمته قرب نيسابور (سنة ٤٢٩ هـ / سنة ١٠٣٧ م)
ودخل ميكائيل بقواته نيسابور فاحتلها ، وجلس على عرش مسعود فيها ^(١) وصار
بذلك أول سلطان للسلاجقة ، ولقب طغرل بك السلطان المعظم ركن الدنيا
والدين أبو طالب ^(٢) . وقامت الدولة السلجوقية ، وقويت أركانها خصوصا بمسند
معركة " دنداقان " الحاسمة مع الغزنويين (سنة ٤٣١ هـ / سنة ١٠٣٩ م) ^(٣) والستي
لم يفكر بعدها الغزنويون في مهاجمة السلاجقة .

وأصبحت الدولة السلجوقية أكبر قوة عسكرية في المشرق الاسلامي ، وأصبح
السلاجقة جميعا يخضعون لطرغل الذي قرر أن يتجه بنفسه لفتح العراق والولاي
القرية منه ، وأن يتخذ مدينة " الري " عاصمة له ، فكتب في عام (سنة ٤٣٢ هـ
/ سنة ١٠٤٠ م) رسالة الى الخليفة القائم بأمر الله ^(٤) أظهر فيها ولاه السلاجقة
له ، وحبهم للجهاد في سبيل الله ، وابتغاء مرضاته ، وطلب في نهاية رسالته
من الخليفة الاعتراف بشرعية دولتهم ، والاقرار بطغرل بك سلطانا عليهم ، حتى
تكون ولايتهم شرعية ، وأمر من أمير المؤمنين ^(٥) .

بعدها بدأ طغرل في تنفيذ خطته لاتمام سيطرته على ايران والعراق ،
والقضاء على البقية الباقية من نفوذ الديالمة ، حيث انتصر في حروبه جميعها ،

-
- (١) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٨ ، عبد النعيم حسنين : سلاجقة
ايران والعراق / ص ص / ٢٧ - ٢٨ .
- (٢) الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية / ص ٩ .
- (٣) الراوندي : راحة الصدور / ص ١٠٠ .
- (٤) هو أبو جعفر عبد الله بن أحمد - بويج بالخلافة (سنة ٤٢١ هـ / سنة ١٠٣١ م) ،
وتوفي (سنة ٤٦٧ هـ / سنة ١٠٧٥ م) . أنظر : الخطيب : تاريخ بغداد ج ٩ /
ص ٣٩٩ ، ابن الأثير : الكامل ج ١٠ / ص ٣٥ ، ابن دحية : النبراس في
تاريخ خلفاء بني العباس / ص ١٣٦ ، ابن العراني : الأنباء في تاريخ
الخلفاء / ص ١٨٨ .
- (٥) الراوندي : راحة الصدور / ص ١٠٢ .

وأدرك غايته ^(١) فقد قضى على الدولة الزيارية باستيلائه على اقليم جرجستان وطبرستان ، وضمهما الى حوزته ^(٢) ، ثم توجه لفتح خوارزم ، وبعد نجاحه في ذلك اتجه من هناك الى مدينة الري عاصمة اقليم خراسان فاتخذها عاصمة له ومقرًا لحكومته ^(٣) ، وفي عام (٤٣٤ هـ / ١٠٤٢ م) بسط نفوذه على قزوین ، وأبهر ، وزنجان ، وهمدان ، واقليم أذربيجان ، وكرمان ^(٤) ، وأتم فتح ايران بالاستيلاء على أصفهان (سنة ٤٤٢ هـ / سنة ١٠٥١ م) ^(٥) .

كل هذا حدث في الوقت الذي كانت الأمور فيه تسير في بغداد من سوء الى أسوأ مما شجع طغرل بك على السير اليها ، وذلك بعد أن وصلت رسالته الى الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، الذي تقبلها بقبول حسن ، ودعا طغرل لزيارة بغداد ^(٦) .

تقدم طغرل بك بقواته الى بغداد ودخلها عام (٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م) حيث أمر بالقبض على الملك الرحيم البويهى الذى زج به في سجن الري حتى توفي عام (٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) ^(٧) . وأصبح طغرل سيد الموقف في العراق ، وذلك بعد أن قضى على الدولة البويهية ، وفتنة أبي الحارث أرسلان التركي " البساسيري " وذلك في عام (٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) ^(٨) . وذلك أصبح طغرل هو المؤسس الحقيقي لدولة السلاجقة بعد أن بسط نفوذه على ايران ، وحرر العراق من التسلط البويهى ، وكان التقارب بينه وبين الخليفة العباسي كبيرا بحكم انتمائه الى أهل السنة وإيمانه بشرعية الخلافة العباسية ووجوب طاعته .

-
- (١) الراوندى : راحة الصدور / ص ١٠٤ .
 (٢) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٣٠ .
 (٣) ن ٣٠٠ م / ج ٨ / ص ٣٤٤ .
 (٤) ن ٣٠٠ م / ج ٨ / ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٥٠ .
 (٥) ن ٣٠٠ م / ج ٨ / ص ٥٤٤ .
 (٦) الراوندى : راحة الصدور / ص ١٠٥ .
 (٧) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٨٢ ، حوادث سنة ٤٥٠ هـ / سنة ١٠٥٨ م . أنظر أيضا :
 الفاروق : تاريخ الفاروق / ص ١٥٥ .
 (٨) الراوندى : راحة الصدور / ص ١٠٩ .

والحق أن طغرلبيك كان مسلماً ملتزماً ، بحب أهل السنة ، ويحرص على آداب الفرائض ، ويتقرب إلى الله بخدمة الدين ^(١) .

وبدخول السلاجقة بغداد تبدأ مرحلة جديدة من مراحل سيطرة الأتراك على الخلافة العباسية ، على أنها أفضل وأرحم بكثير من العصر السابق أيام الحكم البويهى الشيعى (سنة ٣٣٤هـ / سنة ٩٤٦م - سنة ٤٤٧هـ / سنة ١٠٥٥م) الذى سلب الخليفة كل سلطة ^(٢) ، والذى كان فاتحة عهد السيطرة الأجنبية فى البلاد العربية ^(٣) .

ورغم امتناعهم عن إزالة الخلافة العباسية ، وإقامة خلافة علوية مكانها فإن البويهيين انتهجوا سياسة فى العراق ، كانت ذات أثر سىء فى هذه البلاد ^(٤) .

على أن علاقة سلاطين السلاجقة بالخلافة العباسية لم تستمر على الالتزام والسير على وتيرة واحدة خلال فترة حكمهم للعراق ، ذلك أنهم قسموا دولتهم منذ انشائها إلى أقاليم ، وعينوا على كل إقليم منها حاكماً من أفراد البيت السلجوقى ، كانوا يطلقون عليه لقب " الملك " وكل هؤلاء الملوك يخضعون للسلطان ^(٥) وكان كل ملك يتمتع باستقلال ذاتى فى تصريف شئون ولايته الداخلية ، مما كان له عواقب سيئة على الخلافة والسلطنة السلجوقية على السواء ، فقد كانت حالة الصراع مستمرة بين أفراد البيت السلجوقى من أجل التوسع والاستئثار بالسلطة ^(٦) .

وكانت الخلافة العباسية فى بغداد تتجاه تلك الصراعات والحوادث فتأثر بمراكز القوى لدى سلاطين السلاجقة ، الذين كانوا يحرصون على الظفر بموافقة الخلفاء

-
- (١) الراوندى : راحة الصدور / ص ١٠٩ .
 (٢) البيرونى : الآثار الباقية / ص ١٣٢ .
 (٣) الدورى : مقدمة فى التاريخ الاقتصادى العربى / ص ٨٦ .
 (٤) عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق / ص ١١ .
 (٥) الراوندى : راحة الصدور / ص ١٠٤ .
 (٦) كلود كاهن : تاريخ الشعوب الإسلامية / ص ٢٤١-٢٤٢ ، عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق / ص ١٥٧ .

العباسيين على توليتهم مناصبهم ، حتى يكتسبوا الصفة الشرعية ، وكان الخلفاء لضعفهم يمنحون السلطة لمن غلب ^(١) . ففي عصر السلاجقة العظام كان الاحتمار متبادلا بين السلاطين والخلفاء ، اللهم الا في بعض الفترات حيث كانت تحدث أحيانا الجفوة بينهما .

والملاحظ أن النزعة البدوية كانت عنصرا بارزا في مختلف مظاهر حياة السلاجقة ، وقد انعكس هذا على سياستهم ، ونظم حكمهم . وكان للحياة البدوية هذه تأثيرها الواضح في سلاطينهم الأول الذين كانوا " بداءة لاعلم عندهم بأخبار الطوك ومآثرهم " ^(٢) ولهذا اضطروا الى الاستعانة بالأكفاء من أبناء البلاد التي يحكمون فيها ، ك فارس والعراق وغيرها ، في ادارة أعمال الدولة المختلفة ، وكان أعلى شخصيات هذه الطبقة العاملة في ادارة الدولة هم الحجاب والوزراء ، نخص منهم الوزير العظيم نظام الطك ^(٣) الذي سيطر على أمور الدولة السلجوقية سيطرة كاملة ، والذي كان رجلا دولة وسياسة ، وفكر من خلال حكمه الذي استمر ثلاثين عاما ، وهو الذي ألف كتاب " سياسة نامه " ^(٤) أو كتاب " السياسة " والذي يعرض فيه آراءه في الحكم من خلال بعض النوادر النموذجية ، وهذا يؤكد ما ذهب اليه بعض المؤرخين من أنه يعتبر بحق أسلما من الادارة انفرادية الأتراك ^(٥) .

وما يدل على النزعة الاستبدادية للسلاجقة أنهم كانوا يدعون أن حكمهم مستمد من الله ، مفروى على الناس ، طبقا لنظرية " الحق الالهي في الحكم " ويؤيد ذلك قول نظام الطك الوزير حين أكد على أن الله تعالى قد اختار " السلطان وميزه على عباده ، وجعلهم جميعا خاضعين له ، منه يستمدون نفوذهم ودرجاتهم ،

(١) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق / ص ١٥٢ .

(٢) النظامي المروزي السمرقندي : جهاز مقاله ، ترجمة عبد الوهاب عزام ، ويحيى الخشاب / ص ٣٢ .

(٣) سيأتي الحديث عنه في الفصل الأول من الباب الثاني .

(٤) مطبوع . ترجمة وتعليق الدكتور السيد محمد العزاوي ، الناشر دار الراء العرب .

(٥) كلود كاهن : تاريخ الشعوب الاسلامية / ص ٢٤٢ .

أما هو فيستمد قوته من ربه الذى جعله أمينا على عباده^(١) ، ويؤكد هذا الأمر السلطان ألب أرسلان^(٢) نفسه فى مرسوم تفويض ابنه ملكشاه الى نظام الملك يقول فيه : " وأن نعدده ونهيئه لنعمة الطوكية المفوضة من الله تعالى ، والتي حصلها بواسطة تربيتنا له " ^(٣) . والراوندى يقول فى حق السلطان ملكشاه : " كان السلطان ملكشاه ملكا جبارا نافذ السلطة مؤيدا بالحق الالهى " ^(٤) . ولعل هذا ما دفع بكثير من الفقهاء والعلماء الى تناول موضوع الامامة والخلافة فى هذا العصر كالامام الماورى المتوفى سنة (٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) فى كتابه " الأحكام السلطانية " ^(٥) بالاضافة الى كتابه " قوانين الوزارة " ^(٦) .

وجاء بعده الامام أبو حامد الغزالى المتوفى (سنة ٥٠٥ هـ / سنة ١١١١ م) ، والذى أتاحت له تجربة نادرة ، فقد كان الفقيه وعالم السياسة ، وكانت تربطه بنظام الملك علاقات وصلات ، فقد وعى الأمور ، وشاهدها عن قرب ، وكان ذلك مدعاة الى أن وضع فى ميدان الحكم والسياسة والامامة عددا من المصنفات ، أهمها كتاب " التبر السبوك " ^(٧) اضافة الى كتابه " أحيا علوم الدين " ، وكتاب " الاقتصاد فى الاعتقاد " الذى أفرده فيه فصلا عن الامامة .

وعلى كل حال فقد كان الخليفة العباسى فى عصر السلاطين العظام سلبوب السلطة الى حد ما ، فالسلطان طغرل بك حصل من الخليفة القائم بأمر الله على تفويض كامل بالنظر فى أمور الدولة وتدبير شئونها دون الرجوع اليه ، فقد جاء فى هذا

-
- (١) نظام الملك : سياسة نامه / ص ٦٢ - ٦٣ .
 (٢) محمد بن داود جفرى بك أبو شجاع ، أمير سلجوقى كبير حكم من سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م الى سنة ٤٦٥ هـ / سنة ١٠٧٢ م ولد سنة ٤٢٠ هـ / سنة ١٠٢٩ م .
 أنظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ٣٦٤ ، دائرة المعارف الاسلامية ج ٢ ص ٥٠٢ .
 (٣) نظام الملك : سياسة نامه / ص ٦٣ .
 (٤) الراوندى : راحة الصدور / ص ١٩٧ .
 (٥) مطبوع : ونشرته مجموعة من دور النشر .
 (٦) مطبوع . تحقيق ودراسة الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد ، والدكتور محمد سليمان داود ، الناشر : مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
 (٧) مطبوع . تحقيق محمد مصطفى أبو العلا ، القاهرة ، مكتبة الجندي .

الكتاب " يا على ، أمير المؤمنين حامد لسعيك ، شاكر لفضلك ، آنس بقربك ، زائد الشفيع بك ، وقد ولاك ما ولاه الله تعالى من بلاده ، ورد اليك فيه مراعاة عباده " .^(١) وعندما تأزمت علاقات طغرليك بالخليفة أمر بحمل موارد العراق العالية الى خزائنه بدلا من خزانة الخليفة ، بل وبلغ من تطاوله على الخليفة أنه كان يأمر نوابه بالحجر على أموال الخليفة .^(٢) وفي عهد السلطان ملكشاه حدثت جفوة بينه وبين الخليفة المقتدى بأمر الله العباسي .^(٣) فبعث ملكشاه الى الخليفة يقول : " لا بد أن تترك بغداد وتنصرف الى أى البلاد شئت ، فانزعج الخليفة من هذا انزعاجا شديدا " .^(٤)

بعد وفاة السلطان ملكشاه (سنة ٤٨٥ هـ / سنة ١٠٩٢ م) واجهت مملكة السلاجقة مشكلات خطيرة ، وانشغل السلاطين والأمراء عن مصالح الرعية والدولة بالصراع حول الحكم ، والسعي وراء الطغذات ، يقول الراوندى : " وكان ملوك العصر والوزراء العظام ، يشتغلون بالشراب فى مجالس الأنس والحفلات والولائم ، فكانوا مع تحققهم من آية التعريم يرتكبون اثما كبيرا يخسرون به أرواحهم وما ملكت أيديهم " .^(٥) وأصبحت الدولة نهبا مقسما بين الأمراء والأتابكة العديدين . وفى هذه الأثناء كان الصليبيون قد احتلوا أنطاكية التى كانت تحت حكم السلاجقة ، وذلك عام (٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م) ، كما استولوا على معرة النعمان وأجزاء واسعة من بلاد الشام ، بحيث لم يبق فى أيدي المسلمين الا بعض المدن الداخلية كدمشق وحلب .^(٦)

-
- (١) ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ / ص ١٨٢ .
 (٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ / ص ٨٦ .
 (٣) أبو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله ، تولى الخلافة سنة ٤٦٧ هـ / سنة ١٠٧٤ م وتوفى سنة ٤٨٧ هـ / سنة ١٠٩٤ م . السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٢ .
 (٤) ابن الجوزى : المنتظم ج ٩ / ص ٦٢ ، ابن الطقطقى : الفخرى / ص ٢١٧ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء / ص ٣٩٢ .
 (٥) الراوندى : راحة الصدور / ص ٢١٠ ، ابن الجوزى : المنتظم ج ٩ / ص ٦٢ ، الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية / ص ٧١ .
 (٦) الراوندى : راحة الصدور / ص ٥٨٥ .
 (٧) ابن الاثير : الكامل ج ٨ / ص ١٨٥ - ١٨٧ .
 (٨) ن ٢٠٠ م / ج ٩ / ص ٢٣٠ ، الراوندى : راحة الصدور / ص ٥١٤ .

كل هذا حدث والسلاجقة ملتهون بصراعاتهم من أجل السلطة. أما الخليفة العباسي فلم يكن له في كثير من فترات حكم السلاجقة للعراق " من الأمر الا الاسم ، لا يتعدى حكمه بابه ولا يتجاوز جنباه " (١) . ويؤكد سيطرة السلاطين السلاجقة على الخليفة العباسي ما ذكره العماد الأصفهاني بقوله " وكان أهون ما عندهم سلاطين السلاجقة ، خلاف الخليفة وعناده ، وتتردهم عليه بأن يحصل مرادهم لمراده ولهم مطالب من الديوان العزيز ، لا يفي بها خواصه ، ومفسارم تلحقها منهم ، يتعسر منها خلاصه ، وإلحوم من جنايتهم خائف ، والرعية ورعة ، والسعاية مسموعة ، فلا الدين يزعمهم ، ولا العقل يردعهم ، ولا القليل يقنعهم ، ولا الكثير يشبعهم " (٢) .

ويمكن القول أن الكفاح من أجل استرداد هبة الخلافة والعمل على التخلص من الحكم السلجوقي بدأ في عهد الخليفة المسترشد بالله الذي كان ذا أهمية عالية ، وشهامة زائدة ، واقدام ورأى وهبة شديدة (٣) والذي ضبط أمور الخلافة ورعتها أحسن ترتيب (٤) .

لقد حاول الخليفة المسترشد بالله التخلص من السلاجقة . وهو وان كان قد فشل ، الا أنه قد وضع بذلك البداية الأولى للخلاص منهم . ففي عام (٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م) حدثت جفوة بين السلطان مسعود (٥) والخليفة المسترشد ، انتهت

(١) ابن دحية : النبراس في تاريخ بني العباس / ص ١٤٤ .

(٢) الأصفهاني : نصرة الفترة وعصرة القطرة - الورقة ٢٥٩ .

(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء / ص ٣٩٨ ، تولى المسترشد الخلافة سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م ، وتوفي سنة ٥٢٩ هـ / سنة ١١٣٤ م .

(٤) ن . م . س / ص ٣٩٨ .

(٥) أبو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه أصبح سلطاناً عام (٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م) ، وتوفي عام (٥٤٢ هـ / ١١٥٢ م) . أنظر : ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ١٥١ .

بمسير الخليفة على رأس جيش كبير لمحاربة مسعود ، فهزم المسترشد وأسر ، وقتلته الباطنية في هذه السنة ^(١) . وفي عام (٥٣٠هـ / ١١٣٥م) جمع السلطان مسعود العلماء والفقهاء والشهود والأعيان ، واتهم الخليفة الراشد بالله بنهب الأموال ^(٢) وسفك الدماء وشرب الخمر ، فشهد الحاضرون على ذلك ، وأفتى أصحاب الفتيا بجواز خلع الخليفة واستبداله بغيره ، وهكذا خلع الراشد بالله ، وبمسعود المقتضى لأمر الله ^(٣) .

كل ذلك علمه مسعود بسبب موقف الراشد العدائي للسلطان مسعود السدي قتل والده ، واستهتاره وتهجمه على دار الخلافة وتفتيشها ^(٤) ، وفي عام (٥٥٥هـ / ١١٦٠م) توفي الخليفة المقتضى لأمر الله بعد أن حكم أربعة وعشرين عاما قضاه في مناهضة السلاجقة ، والذي تمكن من الخلافة ، وزادت حرمة وعلت كلمته ، وكان ذلك بداية انتعاش واستعادة سلطات الخلافة العباسية ^(٥) . قال ابن الجوزي : " من أيام المقتضى عادت بغداد والعراق الى يد الخليفة ، ولم يبق له منازع ، وقبل ذلك من دولة المعتذر الى وقته كان الحكم للمتغلبين من الملوك ، وليس للخليفة معهم الا اسم الخلافة " ^(٦) . وهكذا نجح المقتضى لأمر الله بتأييد وساعدة وزيره عون الدين يحيى بن هبيرة ^(٧) والشاف العامة حوله بعيدا عن سلطان السلاجقة ، فحكم

- (١) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٣٤٨ ، الراوندي : راحة الصدور / ص ٢٣٠ .
 (٢) أبو جعفر منصور بن المسترشد تولى الخلافة عام (٥٢٩هـ / ١١٣٤م) وتوفي عام (٥٣٢هـ / ١١٣٧م) . السيوطي : تاريخ الخلفاء / ص ٤٠١ ، ابن الطقطقي : الفخري ص ٢٢٧ .
 (٣) أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله ، تولى الخلافة عام (٥٣٠هـ / ١١٣٥م) وتوفي عام (٥٥٥هـ / ١١٦٠م) . ابن الأثير : الكامل ج ٩ / ص ٦٨ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٤٠٣ .
 (٤) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٣٥٢ .
 (٥) السيوطي : تاريخ الخلفاء / ص ٤٠٤ .
 (٦) ن ٤٠٤ م / ص ٤٠٤ .
 (٧) أبو المظفر عون الدين يحيى بن هبيرة ، كان عالما باللغة والأدب والحديث ، ولد سنة (٥٢١هـ / ١١٢٧م) وتوفي سنة (٥٧٠هـ / سنة ١١٧٤م) . ابن الجوزي : المنتظم ج ١ / ص ٢١٤ ، الأصفهاني : الخريدة ج ١ / ص ٩٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ٢٣٠ .

العراق ، ولا أول مرة من أقصى الكوفة الى حلوان ، وحد تكريت الى عبادان^(١) . وفي أواخر عام (٥٤٩هـ / ١١٥٤م) انتصر جيش الخليفة ، ولأول مرة ، على جيش السلاجقة في موقعة "باغمرى" ولم تمنح أيام حتى أجبر سليمان شاه السلجوقي^(٢) على تقبيل عتبة النوى^(٣) بدار الخلافة^(٤) .

بعد وفاة المقتدى عام (٥٥٥هـ / ١١٦٠م) بويع ابنه المستنجد بالخلافة^(٤) ، وكان من أحسن الخلفاء سيرة مع الرعية ، عادلاً فيهم ، كثير الرفق بهم ، أزال كثيراً من المكوس ، ولم يترك بالعراق منها شيئاً ، وكان شديداً على أهل العيب والفساد^(٥) . وفي أيامه قضى على خطر طالها هدد بغداد ، ألا وهو خطر بني مزيد^(٦) أصحاب الحلة^(٧) الذين استفادوا من ضعف الخليفة العباسي خلال الفترة

-
- (١) الأصفهاني : نصرة الفترة / الورقة ٢٦١ - ٢٦٥ .
 (٢) سليمان بن محمد بن ملكشاه السلجوقي توفي عام (٥٥٦هـ / ١١٦١م) . أنظر : الراوندي : راحة الصدور / ص ٣٩٢ .
 (٣) نسبة الى الحاجب سعيد النوي المتوفى عام (٥١٤هـ / ٩٢٦م) . أنظر : ابن الجوزي : المنتظم ج ٦ / ص ٢٠٣ .
 (٤) الأصفهاني : نصرة الفترة ، الورقة / ٢٦٩ .
 (٥) تولى الخلافة عام (٥٥٥هـ / ١١٦٠م) وتوفي عام (٥٦٦هـ / ١١٧٠م) . أنظر : ابن الطقطقي : الفخرى / ص ٣١٦ .
 (٦) يقول الأصفهاني : بنو مزيد الأسديون النازلون بالحلة السيفية على الفرات ، كانوا ملجأً للاجئين ، وكثف المستضعفين ، وملكهم للاجئ "ظهير" ، وأثرهم فيسي الخيرات أثير وما برحت دولتهم وظلمهم يقلص الى أن أضحت . أنظر : الأصفهاني : الخريدة ج ٤ / م ١ / ص ١٥٣ .
 (٧) ذكر ياقوت أن الحلة علم لعدة مواضع ، حلة بني قيلة بين واسط والبصرة ، وحلة بني عفيف الأسدي قرب الحويزة ، وحلة بني مزيد ، وهي أشهرها ، وهي المقصودة هنا ، وهي مدينة كبيرة بين بغداد والكوفة ، خططها سيف الدولة صدقة بن منصور بن ديبس عام (٤٩٥هـ / ١١٠١م) . أنظر : ياقوت : معجم البلدان ج ٢ / ص ٢٩٤ .

السابقة ، وأمنوا لأنفسهم حرية الحركة والاستقلال وفرض النفوذ ، ان توجه جيسش الخلافة الى الحلّة في عام (٥٥٨هـ / ١١٦٣م) وتمكن من القضاء على المزيديين واجلائهم عنها ، فلم تقم لهم بعدها قائمة^(١) . وهكذا فان عودة سلطة الخلافة واستقرار الأوضاع ، واستقلال الخليفة في اتخاذ القرار ، كان طابع العصر في هذه الفترة ، بعد صراع مستمر بين الخلفاء العباسيين والسلاطين السلاجقة ، وقد كان لجهود المسترشد ، والراشد ، والمقتنى ، والمستجد الأثر الكبير في تحقيق ذلك ، فقد كان كل واحد من هؤلاء الخلفاء عظيما في حقبة ، جليلا في كفاحه ، من أجل استرداد حقوق الخلافة ، وازاحة التحكم والاستبداد السلجوقي ، حتى جاء الخليفة الناصر لدين الله^(٢) الذي أحيا سنن " الفتوة " ومعالمها^(٣) ، وجمع ما تشتت من نظامها ، وشيد ما تعطل من أحكامها ، واقتدى به في ذلك زعماء البلاد والخواص من العباد^(٤) .

ان تجد يد الخليفة الناصر لدين الله لنظم الفتوة ، ورعايته لها ، انما أراد بذلك نهضة الشباب الاسلامي ، وتدريبهم عسكريا ، وتنشئتهم على العادات الطيبة ، وغرس المثل السامية في نفوسهم ، وتوحيد صفوفهم ، وبذلك يقوى الصف الداخلي في مواجهة الأخطار ، حيث يمكن توجيه هؤلاء الغتيان الوجهة الصالحة لخدمة الدين والدولة . وقد نجح الناصر في ذلك نجاحا كبيرا مما ساعده على تحقيق أهدافه في التخلص من تسلط السلجوقي واستعادة هيبة الخلافة واستقلالها .

-
- (١) ابن الأثير : الكامل ج ١١ / ص ١١٩ - ١٢٠ .
(٢) أبو العباس أحمد بن المستنصر بالله الحسن ولد عام (٥٥٤هـ / ١١٥٩م) وبيع بالخلافة عام (٥٧٥هـ / ١١٧٩م) وشهدت الخلافة في أيامه قوة ومنعة . أنظر : ابن الطقطقي : الفخرى / ص ٣٢٢ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٤١٣ .
(٣) سيأتي الحديث عنها .
(٤) ابن المعمار : الفتوة / ص ٢٠ .

الأوضاع الاقتصادية :

تتحدث المصادر التاريخية التي تناولت العصر السلجوقي في العراق ^(١) عن الكوارث والأزمات الاقتصادية التي كثيرا ما اجتاحت البلاد في هذا العصر، مما يدعو إلى الدهشة والاستغراب ، وقد اتفق الكثير من هذه المصادر في وصف حالات الجذب والقحط والفيضانات والدمار التي كان من نتائجها حصول أزمات خانقة نجم عنها اضطراب الكثير من الناس إلى أكل الجيف ، والقحط ، والكلاب والتألى حصول ضربات مائية حادة كان من نتيجتها موت الآلاف من الناس ، وانتشار وتوطن ^(٢) الأمراض .

إن طبيعة البحث لا تقتضي تتبع المعلومات عن تلك الكوارث ، واستقصاء الحديث عنها ، ومع ذلك فلعل من المناسب الإشارة إلى نماذج من ذلك ، لما لها من تأثير سلبي في الحياة الاقتصادية للعراق خلال هذه الحقبة انعكس أثره على الحياة العلمية والنشاط الفكري بعامة . ففي عام (٤٤٩هـ / ١٠٥٧م) حدث جوع شديد في معظم النواحي ، حتى أكل الناس الكلاب ، وانتشرت الأوبئة والأمراض ، وكانت الدنانير الكثيرة والدراهم والشياب قد تقدم إلى الفقير المعدم فيعرض عنها ، ويقول : " أنا أريد كسرة ، أريد ما يسد جوعي " ^(٣) ، وتصاب حسب فترات الجوع والقحط هذه عادة موجات من الغلاء الفاحش ، حيث ترتفع معدلات أسعار المواد الغذائية إلى درجات عالية جدا ، لا يستطيعها أغلب الناس .

-
- (١) أنظر الحوادث الخاصة بفترة السلاجقة في العراق في ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ ص ١٧٩ ، ٢٧٣ ، ج ٩ / ص ١٤٦ ، ج ١٠ / ص ١٣٤ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٤٤٨ ، ١٩٥ ، ٢٥٢ ، ٢٨٠ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ، ابن كثير : البدایة والنہایة ج ١٢ / ص ١٦٥ .
- (٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ١٧٠ ، ٢٣٢ ، ج ٩ / ص ١٤٠ - ٢٧ ص ١١٣ ، ٢٤٩ ، ج ١٠ / ص ١٢٠ ، ١٣٨ ، ابن الأثير : الكامل ج ٩ / ص ٢٧ ، ١٤٤ .
- (٣) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٧٩ .

وفي عام (٥١٥هـ/ ١١٢١م) نزلت بالعراق نازلة عنيفة ، فقد استمر هطـول
الأمطار مدة طويلة ، زادت فيه عن أقصى الحدود المحتملة ، وكانت تلك الأمطار
كثيفة وشاملة ، فأهلكت الزرع والضرع ، ونزل الثلج الذي دام خمسة عشر يوما ، مما
تسبب في اهلاك الأشجار^(١) ، وغنى عن البيان ما يسببه مثل هذا الحال من أزمة
اقتصادية خانقة ، استمرت حتى الموسم الزراعي الثاني ، وقد عبر أحد الشعراء عن
مشاعر الأمة في أعقاب هذه الكارثة التي دمرت اقتصاد العراق عام (٥١٥هـ/ ١١٢١م)
حيث يقول^(٢) :

يا صدور الزمان ليس يوفر
ما رأينا في نواحي العراق
انما هم ظلمكم سائر الخلق فشابث ذوائب الآفاق^(٣)

وفي مقابل تلك الصورة الكالحة ، وما نجم عنها من أزمة حادة ، تقدم المصادر
صوراً جانبية عن البذخ والاسراف في روايات متواترة ، فابن الجوزي يروي لنا أخبار
حفل زفاف الأميرة خاتون ابنة السلطان ملكشاه الى الخليفة المقتدى بأمر الله ،
فيقول : " أمر الناس بتعليق وتزيين البلد لأجل زفاف خاتون بنت ملكشاه المسمى
المقتدى ونقل الجهاز على مائة وثلاثين جملاً ، وبين يديه البوقات والطبول
والخدم في نحو ثلاثة آلاف فارس ، ثم نقل بعد ذلك شيء آخر على أربعة وسبعين
بغلاً ، وكان على ستة منها الخزانة ، وهي اثنا عشر صندوقاً من فضة ، وبين يديها
ثلاثة وثلاثون فرساً ، والخدم والأمراء بين يدي ذلك"^(٤)

وابن كثير الحافظ المؤرخ يروي لنا في تاريخه تكاليف زفاف الخليفة العباسي
القائم بأمر الله من بنت أخي السلطان طغرل فيقول : " الصداق مائة
ألف دينار ، وأفاهي عليها خلعا سنياً ، وتاجاً من جوهر ثمين ، وأعطاهَا من
الغد مائة ثوب ديباجا ، وقصبات من الذهب ، وطاسة ذهب قد نيت فيها الجواهر

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٢٢٦ .

(٢) الوفري : الثلج .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ٢٢٦ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ٧ / ص ٢٤٢ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٣٦ .

والياقوت والفيروز ، وأقطعها في كل سنة من ضياعه ما يغل اثني عشر ألف دينار^(١).

وجد ير بالذكر أن اقتصاد العراق في هذا العصر وكل العصور كان يعتمد على الزراعة بالدرجة الأولى ، فصلاح الزراعة وفسادها له تأثير عظيم على اقتصاد الدولة وحياة الناس^(٢). وخلال فترة التسلط البويهى على العراق انتهج أمراء بني بويه سياسة غير مسئولة ، لم يعطوا خلالها أية أهمية لمصالح الرعية ولا حتى مصلحة حكومتهم ، حتى خربوا البلاد ، عن طريق تطبيقهم لنظام الاقطاع الذى يقوم " على أساس اقطاع لوارث الأرض ، فى أراضي لها زراعتها وملاكها الى الجند والقادة"^(٣) وقد أهمل الكثير من هؤلاء المقطعين ، عمارة ما أقطعوا ، وكان من السهل بعد أن تخرب اقطاعاتهم أن يردوها فيمضوا عنها حيثما يختارون^(٤) وازداد الأمر سوءاً حين اعتمد المقطعون على وكلائهم فى إدارة اقطاعاتهم ، فقام هؤلاء بأعمال الظلم والمصادرات^(٥). كما أن الأراضي التى كانت ملكا خاصا لم تسلم من هذا الوضع فقد يقطع الأمير البويهى وارداتها الى الجند والقادة^(٦). كما أن التجاوز والعسف

- (١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ / ص ٦٧ - ٦٨ .
- (٢) تقدم المصادر التاريخية الكثير من المعلومات عن وصايا الخلفاء منذ عهد الراشدين وطوال العصر الأموى والعصر العباسي الأول ، والتي يؤكدون فيها على ضرورة رعاية أرض الخراج والاصلاح فى أهلها^(١) لأن فى صلاحها وصلاحهم صلاحاً للأمة .
- (٣) الدورى : مقدمة فى التاريخ الاقتصادى العربى / ص ٨٩ .
- (٤) طرخان : النظم الاقطاعية ص ٢٣ ، عن مسكويه : تجارب الأمم ج ٦ / ص ٧٩ .
- (٥) طرخان : النظم الاقطاعية / ص ٢٣ ، عن مسكويه : تجارب الأمم ج ٦ / ص ٩٨ .
- (٦) ويرى د. السامرائى أن ملاك الأراضي الزراعية حينما يجدون أنفسهم مثقلين بأعباء ضرائب ثقيلة تجبى بأساليب قسرية، إضافة الى ما كان عليهم أن يدفعوه لسد جشع الجباة ، فانهم يضطرون الى التفتيش عن يحميهم من ذلك من بين كبار رجال الدولة المتفذين ، وفي مثل هذه الحالة تنقل ملكية الأرض - سوريا - الى الرجل الذى يوفر الحماية ويتعهد المالك الحقيقى بدفع الضرائب الخفيفة ، مضافا اليها نسبة معينة من وارد الأرض ، أو مبلغ معلوم يتضمنه الاتفاق سنوياً ، الى شخص الحامى فى مقابل حمايته للأرض وذلك يتخلص الملاك من دخول الجباة الى أراضيهم ، حيث ان الحامى يدفع استحقاق بيت المال مباشرة فى العاصمة ، أو مراكز الأقاليم . غير أن الخطورة تكمن فى أن تطبيق الاجراء سيؤدى حتما الى نقل الملكية فعليا الى الحامى أو ورثته بمرور الوقت . El-Samraie: Agriculture in Iraq p.188. الجهمشيارى : الوزراء ص ١١٨ ، ابن القتيبة : مختصر كتاب البلدان ص ٢٨٢ ، الاصطخرى : المسالك والعمالك ص ١٥٨ .

فى الجباية قد أدى الى انتشار نظام " الالجا" (١) احتفاء من الظلم وتخلصا من ثقل الضرائب المفروضة ، فتحولت ملكية كثير من الأراضى عن هذا الطريق الى القسادة " فملكوا البلاد واستعبدوا الناس " (٢) وهكذا فان نظام الاقطاع الذى اتبعه البويهيون قد أدى الى خراب البلاد ، والى قلة واردات بيت المال .

ان اتساع الدولة السلجوقية ، والحرص على ضمان وسلامة وحماية ثغورها وحدها واصلاح أمر البلاد ، حدا بالوزير نظام الملك الى اتباع نظام الاقطاع . يقول المقرئى : " وأول من عرف أنه فرق الاقطاعات الملك أبو على الحسن بن على بن العباس وزير ألب أرسلان ثم وزير أبو على لابنه ملكشاه ، وذلك لأن ملكته ، اتسعت ، فرأى أن يسلم الى كل مقطع قرية أو أكثر أو أقل ، على قدر طاقتها " (٣)

ولم يتبع نظام الملك النظام الاقطاعى الذى كان سائدا فى العصر البويهى نفسه بل أراد أن يطبق النظام الاقطاعى الذى يتشعب مع الأهداف المحددة ، والتى من أجلها أقامه ، يقول البندارى : رأى نظام الملك أن " الأموال لا تحصل من البلاد لاختلالها ، ولا يصح منها ارتفاع لاعتلالها ، ففرقها على الأجناد اقطاعات ، وجعل لهم حاصلا وارتفاعا ، فتوفرت دواعيهم على عمارتها " (٤)

لقد أدرك نظام الملك خطورة مثل هذا النظام على السلطة المركزية ، وعلى الأمن ، فاتخذ اجراء وقائيا بأن فرق اقطاع القائد أو الجندى الواحد فى بلاد مختلفة ، ولم يجعله جملة واحدة فى موضع واحد ، حتى لا يقوى المقطع بما يكون له من عصبية وقوة ، قد تكون خطرا على كيان الدولة ، يقول البندارى : " وربما قرر لواحد من الجنود

(١) الالجا : أن يلجى الضعيف ضيعته الى قوى ، ليحامي عليها . أنظر الخوارزمى :

مفاتيح العلوم / ص ٥٢ .

(٢) سكويه : تجارب الأمم ج ٢ / ص ١٧٢ - ص ١٧٥ .

(٣) المقرئى : الخطط ج ٣ / ص ١٥٢ .

(٤) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٥٥ .

ألف دينار في السنة ، فوجه نصفه على بلد من الروم ، ونصفه على وجه في أقصى خراسان وصاحب القرار راضٍ ^(١) .

ولقد حدد نظام الملك الالتزامات الرئيسية لهؤلاء المقطعين ، وذلك بأن قرر عليهم كما يقول البنداري " خدما عن عصمة ولاياتهم يوصلونها ، وقرر معهم الحضور إلى الخدمة وموالات الخدمات للحضرة ، والوصول بالعساكر الجمة " ^(٢) .

هذا النوع من الاقطاعات هو الاقطاع الحربي ، ولم يكن تطبيقا وانما كـ استغلالا ، وهو الذي يؤخذ منه خراج الأرض ، وتبقى رقيبتها للدولة . وهذا النمط من الاقطاع يجري منحه عادة لأحد الأفراد لفترة محدودة ، وقد تسترد منه حتى قبل نهاية الفترة متى أراد ذلك الخليفة أو السلطان ، ولصاحب الاقطاع الحق في استغلال الأرض المقطعة له طالما كانت في حوزته ، لأن الاقطاع يتضمن معني الحكم والولاية ^(٣) ، والمقصود من مثل هذه المنح هو تعويض بعض الموظفين المدنيين أو العسكريين عن الراتب النقدي .

ولقد وضع نظام الملك ضمانات واضحة تحوطا من استغلال أصحاب الاقطاع للناس فقال : " ينبغي لأهل الاقطاع أن يعلموا أن ليس لهم على الرعية من أمر الا أن يجبوا منهم المال ، الحق الذي عهدت اليهم حبايته بالحسنى ، فإذا جبهوه وجب أن يأمن الناس على أنفسهم ونسائهم وأموالهم وعيالهم ، ويطمئنون على أسبابهم وضياعهم ، وما لأهل الاقطاع عليهم بعد ذلك من سبيل وكل من سار من المقطعين في الناس بغير ذلك وجب أن تغل يداه ، وأن يسترد منه اقطاعه ، وأن يؤخذ على ذلك حتى يعتبر به الآخرون " ^(٤) .

(١) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٥٥ .

(٢) ن ٢٠٠ ص / ص ٥٥ - ٥٦ .

(٣) طرخان : النظم الاقطاعية / ص ٢٢ .

(٤) نظام الملك : سياسة نامه / ص ٦١ .

ونبه نظام الملك الى التدابير التي ينبغي اتخاذها اذا ما سمع من الرعية عس استغلال وظلم صاحب اقطاع فقال : " اذا بدت على الرعية علائم الطف والتشعث فى ناحية من النواحي ، وهجست الريبة فى النفس بأن القائلين مفرضون وجبب أن يندب على الفور من الخواص من لا يرقى الى ساحته الربب فيما يبعث فيه مسن أعمال ، وأن يرسل الى تلك الناحية متذرعاً بذريعة ما ، فيجوس فيها شهرا يفحص عن حال المدينة والريستاق ، ويرى العمران والخراب ، ويستمع الى قول كل قائل فى حق صاحب الاقطاع والعامل ، ويعود بالخبر اليقين . ذلك لأن الوكلاء يلقون أعذارهم ، ويلتمسون الذرائع بقولهم : " انهم لنا خصما " ، فلا تطلقوا لقلوبهم بالا ، لأنكم ان فعلتم جرأوا علينا وفعلوا ما يشتهون " .^(١) أما المعتمدون والقائلون فيمجزون عن بذل النصح للسلطان أو لأصحاب الاقطاع المفرضين ما لسم يتبينوا صورة الحال . فيخرب العالم لهذا السبب وتبتس الرعية . وتتأذى ، وتجبى الأموال بغير حق " .^(٢)

يتضح من كلام نظام الملك فى النصين السابقين أن المقطعين كانوا يقيمون فى المدن ، وينوب عنهم فى ادارة اقطاعاتهم وكلاء يختارونهم لهذه المهمة .

كما يفهم أيضا من كلامه أن حقوق المقطع على المزارعين كانت مالية فقط ، ولكن الواقع العلى كان خلاف ذلك ، فقد سيطر المقطعون عن طريق وكلائهم على الأرض ، فكانت حرية الزراع والفلاحين فى الغالب محدودة ، اضافة الى التزامهم بدفع رسوم اضافية ، وكثر التجاوز عليهم مما اضطر الكثيرين من أصحاب الأراضى الى " الجاء " أراضيهم للعسكريين طلبا للحماية^(٣) مما أدى الى التوسع فى الملكيات الكبيرة وتقليص الملكيات الصغيرة . ومع أن الوزير نظام الملك قد حاول أن يحمى

(١) نظام الملك : سياسة نامه / ص ١٧١ .

(٢) ن . م . م / ص ١٧١ .

(٣) قدم د . السامرائى عرضا ضافيا عن الالجا والحماية فى بحثه عن الزراعتى العراق خلال القرن الثالث الهجرى عند حديثه عن " سياسة الاقطاع " (ص ١٢٨-١٤٥) كما تعرض لموضوع (الضرائب الاضافية الثقيلة) التى ألجأت أصحاب الأراضى الى طلب الحماية (ص ١٥٥-١٩١) .

الزراع والفلاحين من التجاوز والظلم بما نص عليه النصان السابقان إلا أن ذلك لم يجد نفعاً^(١) فقد تطور الاقطاع العسكرى فى أواخر الفترة السلجوقية ، فلم يعد ينصب على الضرائب ، بل صار اقطاعاً وراثياً للأرض ، يمارس فيه المقطع صلاحيات واسعة مقابل الخدمة العسكرية واعداد الجند^(٢) .

فالمراق فى العصر السلجوقي قسم الى اقطاعات ، وزعت بين أفراد البيت السلجوقي والولاة والشحن^(٣) . واستمر على هذه الصورة طوال العصر السلجوقي ، لوجود الطبقة العسكرية التى كانت تتمثل فى الولاة والشحن وقادة الجيش اضافة الى الجند ، وقد استند هذا النظام الى الزنكيين والأيوبيين^(٤) .

وهناك نوع آخر من الاقطاع فى العصر السلجوقي ، وهو اقطاع التليك ، وموجهة تنتقل الى المقطع جميع حقوق التملك بما فى ذلك حق التوارث ، ولا يتحمل المقطع فى مثل هذه الحالة سوى العشر^(٥) .

ان منح مثل هذا الاقطاع يجرى عادة على الأرض الموات بقصد احيائها ، وربما على الأرض العشيرية ، وهى الأرض العامرة التى توفي صاحبها دون وارث^(٦) .

(١) الدورى : مقدمة فى التاريخ الاقتصادى العربى / ص ٩٦ .

(٢) ن.م.س / ص ٩٦ - ٩٧ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ج ٩ / ص ٤٧٧ - ص ١٠٣ - ص ١١١ .

الشحنة : وظيفة سلجوقية جديدة . استحدثها السلاجقة . ويعين صاحبها من قبل السلطان ، وهذه الوظيفة أشبه ما تكون بوظيفة المتصرف أو محافظ المدينة فى عصرنا الحاضر يتمتع صاحبها بسلطات بوليسية وإدارية . أنظر :

حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ج ٢ / ص ٦٢٣ .

(٤) الدورى : مقدمة فى التاريخ الاقتصادى العربى / ص ٩٧ .

(٥) ن.م.س / ص ٢٨ .

(٦) الماوردى : الأحكام السلطانية / ص ١٩٠ .

ومن أمثلة ذلك أن الخليفة المقتضى لأمر الله منح أحد الأتابكة الزنكيين قريسة الصريفيين^(١) ، ودرب هارون^(٢) وحري^(٣) ملكا له^(٤) . كما أقطع إحدى القرى من بين أملاكه الخاصة إلى وزيره ابن هبيرة^(٥) وكانت مجاورة لأملاك الوزير^(٦).

ومن الأقطاع التسليك ما كان يمنحه السلاطين السلاجقة لخلفاء^(٧) وأمراء البيت الميماشي أو أفراد عائلة الخليفة ، حيث يديرونها نيابة عنهم .

وكانت أقطاعيات الخلفاء كثيرة ، ومواردها متنوعة ، كان يقررها لهم السلاجقة^(٨) . وقد زاد السلاطين السلاجقة في أقطاعات الخلفاء ، فتحسنت أحوالهم المادية .

فطغرل بك حينما خطب ابنة الخليفة القائم بأمر الله زاد أقطاعاته احتفالا^(٩) بالمناسبة السعيدة . على أن أقطاعات الخلفاء وأموالهم كثيرا ما تعرضت لمصادرة سلاطين السلاجقة عند تأزم علاقاتهم مع الخلفاء ، أوحينما يظهر الخليفة أي نوع من المعارضة للسلاجقة .

-
- (١) صريفيين : قرية كبيرة قرب عكبرا . أنظر : ياقوت : معجم البلدان ج ٣ / ص ٣٨٤ .
 (٢) قرية دباها ، وهي في نواحي نهر الطك في الجانب الغربي وكانت وفقا على البيمارستان الحضدي . أنظر : جواد : دليل خارطة بغداد / ص ١٤١ .
 (٣) حري : مدينة تقع على الضفة اليمنى لمجرى نهر دجلة القديم إلى الجنوب الغربي من سر من رأى . أنظر : سوسة : رى سامرا ج ١ / ص ١٩١ .
 (٤) ابن الطقطقي : الفخرى / ص ٥٥ .
 (٥) سياثي الحديث عنه .
 (٦) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ٢٦١ .
 (٧) ابن الساعاتي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ١٩٠ .
 (٨) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية / ص ٥١ . أبو شامة : الروضتين ج ١ / ص ٨١ .
 (٩) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٢٢٨ .

ولهذا السبب نجد أن السلطان طغرلبيك قد أصدر أوامره الى نوابه في بغداد والبصرة وواسط بمصادرة اقطاعات الخليفة القائم بأمر الله حين اختلف معه .^(١)

وكذلك الحال حينما استولى السلطان مسعود على أملاك وأموال الخليفة المسترشد بالله حين اختلفا واقتتلا - وقد قدرت بعض المصادر قيمة ما نهبه السلطان من الخليفة بعشرة آلاف ألف دينار .^(٢)

وهكذا كانت موارد العراق المالية تذهب الى خزينة السلطان السلجوقي ، ليتصرف فيها بحرية تامة وكأنها خزائنه الخاصة . ويذكر السيوطي أنه في عام (٥٣١ هـ / ١١٣٦ م) أخذ السلطان مسعود جميع تعلق الخليفة ، ولم يترك له الا العقار الخاص ، وأرسل وزيره يطلب من الخليفة مائة ألف دينار ، فقال المقتدى : ما رأينا أعجب من أمرك ، أنت تعلم أن المسترشد صار اليك بأمواله ، فجرى ما جرى ، وأن الراشد ولي ففعل ما فعل ، ورحل وأخذ ما تبقى ، ولم يبق الا الأثاث ، فأخذته كله ، وتصرفت في دار الضرب ، وأخذت التركت والجوالى ، فمن أى وجه نقيم لك هذا المال ؟ وما بقى الا أن نخرج من الدار ونسلمها ؟ فاني عاهدت الله ألا آخذ من المسلمين حبة ظمما ، فترك السلطان الأخذ من الخليفة ، وعاد الى جباية الأملاك من الناس ، وصادر التجار ، فلقى الناس من ذلك شدة .^(٣)

وهكذا فانه في كثير من الفترات كانت موارد العراق المالية منهوبة ، وأراضيه اقطاعات حتى قال شاعرهم :^(٤)

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٢٢٣ .

(٢) ابن الطقطقي : الفخرى / ص ٢٦٨ .

(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء / ص ٤٠٣ .

(٤) الأصفهاني : الخريدة ج ٤ / ص ٥٣٥ . وقائل هذه القصيدة هو مرجى بن بطة

البطائحي ، كان من الفضلاء وفحول الشعراء في هذا العصر بالعراق . أنظر :

الخريدة ج ٤ / ص ٥٣٢ .

فقد كثر الاقطاع ، حتى أظنه
سلام على مال العراق ، فأنه
فشطراً لأتراك ومن دونها النهر
وشطراً لكتاب ، وما فيهم صدر
سيقطع كلب بالجزيرة أوهـر
ضى حيث لانفع لذاك ولا خسر
وشطراً لأكراد ، ومن شأنها الغدر
وشطراً لحجاب ، وما بهم فخر

أما بالنسبة للزراعة في العراق في العصر السلجوقي فالمصادر التاريخية لا تسعفنا بمعلومات وافرة عنها ، ولكن يتضح من اشارات عابرة عرض لها ببعض المؤرخين والرحالة أن الزراعة كانت منتعشة في هذه الفترة الى حد ما ، وانها لاقت شيئاً من الاهتمام ، فقد جاء عن والي العراق السلجوقي مجاهد الدين أبي الخير بهروز الرومي أنه تولى العراق حوالي عشرين سنة من عام (٥٢١ هـ / ١١٢٧ م) حتى وفاته عام (٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م)^(١) ، وأنه قام بأعمال هامة ، مثل تعميره للمحولة المعروفة بالمجاهدية ، حيث جمع لها الرجال وعمرها ، وكذلك عمر مدينة الخالص وأعمالها ، وعمل سداً لمدينة بهرز^(٢) .

ونذكر لنا بنيامين (سنة ٥٦٩ هـ / سنة ١١٧٣ م) عن بغداد أن استدارتها بلغت عشرين ميلاً ، وأن الرياض والحقول تمتد حولها ، وكذلك بساتين النخيل مما لا مثيل له في العراق^(٣) . وجاء في رحلة ابن جبير للعراق عام (٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) وصف جيد أظهر فيه العمران الزراعي للمنطقة من جنوب العراق الى شماله ، مبتدئاً بالكوفة التي قال عنها : " والجانب الشرقي كله حدائق نخيل ملتفة ، يتصل سوادها ويمتد امتداد البصر " ^(٤) ، وذكر مدينة الحلة فقال : " متصلة حدائق سق

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ١١٧ .

(٢) ن . م . ص ج ١٠ / ص ١١٧ .

(٣) بنيامين : الرحلة / ص ١٣٩ .

(٤) ابن جبير : الرحلة / ص ١٨٩ .

النخيل داخلًا وخارجًا فديارها بين حدائق النخيل ^(١) ووصف قرية على الطريق اسمها القنطرة ^(٢) بأنها كثيرة الخصب " وأنها وارفة الظلال بشجرات الفاكهة وألفينا حصاد الشعير بهذه الجهات في هذا الوقت ^(٣) . وقد وصف قرية زيران ^(٤) بأنها قرية " من أحسن قرى الأرض ، وأجملها منظرًا ، وأكثرها بساتين ورياحين وحدائق ونخيلًا ، وحسبك من شرف موضعها أن دجلة تسقى شريقها ، والفراة يسقى غريبها وهي كالعروس بينهما ، والبساط والقرى والمزارع متصلة بين هذين النهرين ^(٥) ، وهكذا فهو يستمر في وصفه لشيوخ الزراعة واتصال البساتين حتى يصل بغداد فيقول : " والمدخل إليها على بساتين وسباط يقصر الوصف عنها " ^(٦) ثم يواصل ابن جبير رحلته إلى الموصل واصفا المدن والقرى التي زارها ومربها ، فذكر العمران الزراعي في هذه المنطقة من العراق فالقرى عامرة ، والقنوات تؤدي عليها . والمزارع متصلة ^(٧) حتى يصل إلى نصيبين فيقول عنها : " جميلة المنظر ، يمتد أمامها وخلغها بساط أخضر مد البصر ، قد أجرى الله فيه مذائب من الماء تسقيه ، وتحف بها عن يمين وشمال بساتين ملتفة الأشجار يانعة الثمار ، ينساب بين يديها نهر قد انعطف عليها انعطاف السوار ، والحدائق تنتظم بحافته فخارجها رياض الشماثل ، أندلسي الخماثل ، يرف غضارة ونضارة ^(٨) .

-
- (١) ابن جبير : الرحلة / ص ١٨٩ .
 (٢) القنطرة : اسم لعدة مواضع قرب بغداد ، ياقوت : معجم البلدان ج ٤ / ص ٤٠٥ .
 (٣) ابن جبير : الرحلة / ص ١٩١ .
 (٤) زيران : قرية قرب بغداد . ياقوت : معجم البلدان ج ٢ / ص ١٤٠ .
 (٥) ابن جبير : الرحلة / ص ١٩٢ .
 (٦) ن . م . س / ص ١٩٣ .
 (٧) ن . م . س / ص ٢٠٦ إلى ص ٢١٤ .
 (٨) ن . م . س / ص ٢١٤ .

وينعكس مما سبق ذكره أن النشاط الزراعي كان جيدا الى درجة كبيرة في العراق خلال فترة البحث ، على الرغم من الحوادث والكوارث الطبيعية التي كانت تجتاح البلاد بين فترة وأخرى .

الأوضاع الاجتماعية :

ان دراسة الجانب الاجتماعي لحياة الناس من الأمور ذات العلاقة الوثيقة بالظروف البيئية ، وما يحصل من تطور في الحياة السياسية والأوضاع الاقتصادية . ولهذا فدراسة الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي ، كما هو الحال في كل العصور الأخرى ، لابد أن تكون متأثرة الى حد بعيد بالظروف الاقتصادية والسياسية .

والواقع أن الحياة الاجتماعية للعراق في هذا العصر لا تختلف كثيرا عما كانت عليه في الحقبة السابقة . ذلك أنه لم تحدث تطورات كبيرة تستلزم ذلك . على أن غلبة العنصر السلجوقي ، اضافة الى مجريات الأوضاع السياسية والاقتصادية والدينية ، أدت الى ايجاد ظواهر معينة ، كان لها آثار واضحة في حياة الناس الاجتماعية في هذا العصر .

فلقد كانت طبقة رجال الصوفية من أهم طبقات المجتمع في العصر السلجوقي ، وكان لانتشار تعاليمها أثر كبير في ميل الناس الى حب الوحدة ، والميل السسي الاعتكاف والانزواء ، وساد حياة الناس القلق والشك ، وعدم الاخلاص ، والنفاق في التعامل ، وانعدمت بينهم المثل الأخلاقية ، فابن جبير الذي زار بغداد عام (٥٨٠هـ / ١١٨٤م) يقول عن أهلها : " وأما أهلها فلا تكاد تلقى منهم الا من يتصنع بالتواضع رياء ، ويذهب بنفسه عجا وكبرياء ، يزدرون الغرباء ، ويظهرون لمن دونهم الأنفة والاباء ، فالغريب فيهم معدوم الارفاق ، متضاعف الانفاق ، لا يجد من أهلها الا من يعامله بنفاق ، أويهش اليه هشاشة انتفاع واسترقاق ، كأنهم من التزام هذه الخلقة القبيحة على شرط

اصطلاح بينهم واتفاق^(١).

هذه الأوضاع الاجتماعية ، التي ظهرت بسبب الظروف السياسية والاقتصادية والدينية المضطربة ، كانت سببا في محاولة بعض الفئات الاجتماعية ، والتي ظهرت قبل هذا العصر ، الى اصلاح المجتمع بالقوة كفرقة الأخية الفتيان الصوفية^(٢) وطبقة العياين^(٣) اللتين اتخذتا من السلاح وسيلة لأخذ حقهما ، والضرب على أيدي الظلمة ، وتقديم المساعدة للمحتاجين ، وكانت تعاليم هذه الفرق أكثر تمشيا مع نفوس السكان ، فانضوى كثير منهم تحت لوائها^(٤).

ولقد ظهر الرقيق في هذا العصر كطبقة اجتماعية لها أهميتها ، وقد وصل الكثير منهم الى درجة الامارة ، ولعبوا دورا هاما في الادارة في عهد السلاجقة^(٥).

وكان أهل الذمة من اليهود والنصارى يشكلون طبقة مهمة في العراق في هذا العصر ، هذا بالإضافة الى المجوس الذين أصبحوا يشكلون طبقة لها وزنهم الاجتماعي والاقتصادي في العراق منذ العصر السابق^(٦).

وقد كان لمظاهر حياة السلاجقة الخاصة^(٧) أثر كبير على مظاهر الحياة الاجتماعية للمجتمع ، لاسيما في أواخر العصر السلجوقي ، عندما تأزمت العلاقات بين السلطان السلجوقي والخليفة العباسي . ففي عام (٥٣١هـ / ١١٣٦م) أرسل السلطان مسعود " وزيره يطلب من الخليفة مائة ألف دينار - ورد الخليفة عليه بقوله : فاني عاهدت الله ألا آخذ من المسلمين حبة ظلما ، فترك السلطان

(١) ابن جبير: الرحلة / ص ١٩٤ . على أنه لا يعقل أن يسرى ذلك على كافة أهل بغداد .

(٢) عبد المنعم حسنين : سلاجقة ايران والعراق / ص ١٨١ نقلا عن : ابن بطوطة :

الرحلة / ص ١٨١ .
سياق الحديث عنها .

(٣) عبد المنعم حسنين : سلاجقة ايران والعراق / ص ١٨١ .

(٤) ن ٥٠٠ ص / ص ١٨٢ .

(٥) المقدس : أحسن التقاسيم / ص ١٢٦ .

(٦) أنظر ما كتبه الراوندي : راحة الصدور من ص ٤٠٥ الى ص ٤٣٧ الفصول الخاصة بالمنادمة ، ولعب الشطرنج ، والرماية والصيد . وأنظر أيضا : نظام الطك :

سياسة نامة / ص ١٢٠ ، ص ١٢٢ ، ص ١٥٧ .

الأخذ من الخليفة ، وعاد الى جباية الأملاك من الناس ، وصادر التجار ، فلقى الناس من ذلك شدة ^(١) .

وكان لمركز بغداد الخاص كعاصمة للخلافة الاسلامية ، ونظرا لوجود مقر الخلافة فيها أثره في حرص السلطان وذويه على أن يقيموا الاحتفالات في أفراحهم ومسراتهم فيها ، حيث تغلق الأسواق ، ويجبر الناس على اظهار معالم الزينة ، ويكثر في هذه المناسبات العزف والقصف والزمير ، ويذكر ابن الجوزي في حوادث عام (٥٣٢هـ / ١١٣٧م) " بأن السلطان مسعود قد أنفذ " الى البقش كأسا ^(٢) لمشربها ، فامتنع خمسة أشهر ثم عزم على شربها ، فتقدم الى الولاية بالمحال والأسواق أن يشعلوا الشموع والقناديل والسرور في جميع المحال ليلا ونهارا ثلاثة أيام ، وظهرت القينات والمعازف والنساء ، عليهن الثياب الملونة والمخانيث الى شرب الكأس " ^(٣) .

(٤) العيارون :

وحركة العيارين التي نشطت في هذا العصر ، واتبعت في كثير من الأحيان أسلها شادا في التعامل مع الناس . لم يكن اتجاههم هذا ، وأسلوبهم الجديد ، الا وليد الظروف الاقتصادية آنذاك ، والمؤرخون يصمون العيارين بأنهم لصوص ، وأن حركتهم لم تقم الا لاكتثار الفساد والفوضى .

- (١) السيوطي : تاريخ الخلفاء / ض ٤٠٣ .
 (٢) لعله البقش كون خرم المتوفى عام (٥٤٩هـ / ١١٥٤م) الذي كان من بين الذين حاربوا العقن في موقعة " باخمرى " . أنظر : ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ١٥٩
 (٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٧٢ .
 (٤) العيار لغة : الكثير المجن* والذهاب في الأرض ، ابن منظور : لسان العرب ج ٤ / ص ٦٢٠ . وقيل هو التركي الكثير التطواف . الزبيدي : تاج العروس ج ٣ / ص ٤٣٤ .

والواقع أن حركة الشطار والعيارين الذين تعرضت لهم الكتب الإسلامية هم الفتيان ، قال الجنيد البغدادي " الفتوة كف الأذى وذل الندى " ^(١) بل اعتبرت الفتوة " خصلة من خصال الدين ، وصفة مكلمة للمعارفين ، وهي عهد بين الكبير ورفيقه على التمسك بقانون الدين القويم ، والعمل بالقسط من المستقيم " ^(٢) فالفتوة في الإسلام مسلك أخلاقي يؤدي إلى تهذيب الأخلاق ، وتؤكد المؤاخاة بين الناس ، والدعوة إلى الفضائل والشجاعة والابتعاد عن الرذائل والجبن . ^(٣)

وظلت الفتوة طوال صدر الإسلام ، والعصر الأموي ، وشرطاً من العصر العباسي ، مسلكاً فردياً يسلكه بعض الأفراد ، ويتجلى في أعمالهم ، ولم يعرف لأهل الفتوة نظام اجتماعي في تلك الحقبة . ^(٤) والواقع أن حركة الشطار أو العيارين الذين تعرضت لهم الكتب الإسلامية هم الفتيان الذين برزوا في العصر السلجوقي كطائفة اجتماعية هامة ، ونظمت صفوفها ، وأصبح لها نقابات خاصة ، يرى الدكتور عبد العزيز الدوري ، أنها كانت تنتظم " أسلاف حركة الفتوة المشهورة " ^(٥) ويضيف بأن هذه الجماعة كانت تستهدف إجراء " حركة إصلاحية اجتماعية للطبقة الفقيرة دون أن يكون لها وقتئذ ذلك القانون الأخلاقي السامي الذي تمثل في خلافة الناصر " ^(٦).

ويلاحظ أن لفظ " الفتى " كان شائعاً بين العيارين ، فقد تغنى الشاعر الأعشى :

ويقول الفتى إذا طعن الطمع ————— نة خذها من الفتى العيار

-
- (١) القشيري : الرسالة القشيرية / ص ١١٣ .
 (٢) ابن المعمار : كتاب الفتوة / ص ١٣٩ ، تحقيق مصطفى جواد وآخرون ، بغداد ، ١٩٥٨ م .
 (٣) مصطفى حواد : الفتوة والفتيان قديماً ، مجلة لغة العرب ، مجلد ٤ ، بغداد ، سنة ١٩٣٠ م ، / ص ٢٤١ .
 (٤) عمر الدسوقي : الفتوة عند العرب / ص ٢٢٠ .
 (٥) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي / ص ٩٣ .
 (٦) ن ٢٠٠ م / ص ٩٣ .

ويستنتج الدوري من ذلك " أن مدلول الكلمتين " فتى " و " عيار " في الأصل واحد " (١).

ولكن الظروف التي تحكمت في الفتوة ، والتي هي في الأصل نوع من الغروسيّة الممتزجة بالمثل العليا والايثار ، قد تطورت في بغداد ، وصبت فنونها في قالب العصابات ، التي جعلت هدفها نهب الحوانيت والأسواق وبيوت الأغنياء (٢).

وبذلك تبدو هذه الحركة على حقيقتها في هذا العصر اتجاهها من معتنقوه الى التخفيف من الفرق بين الغنى الفاحش الذي كان يتمثل في قلة من أمراء بغداد وموسريها وتجارها ، والفقر المدقع الذي يشمل السواد الأعظم . يقول التنوخي : " ان تاجرا وقع في كمين عيار يدعى ابن حمدون ، فأخذ كل ماله ، وسهل على التاجر الموت فانبرى للفتى يحاول أن ينتزع منه شيئا وتطرق بهما الحديث الى الباعث للعيار على ما يفعل فكان جوابه : " يا هذا لعن الله السلطان فانه قد أسقط أرزاقنا فاجتمعنا الى هذا الفعل ، وليس فيما نفعل ارتكاب أمرا أعظم مما ارتكبه السلطان . أنت تعلم أن ابن شيرزاد ببغداد يصادر الناس ويفقرهم حتى يأخذ الموسر الكثير ، فلا يخرج من حبسه وهو يهتدي الى شئ غير الصدقة ، وقد ظمت أنهم يأخذون أصول الضياع والدور والعقار ، ويتجاوزون ذلك الى الحرم والأولاد فأحسبونا نحن هؤلاء " (٣) وكان المشهور عن ابن حمدون هذا أنه اذا قطع لم يعرض لأصحاب البضائع القليلة ، وأنه لا يفتش امرأة ولا يسلبها ، على حد قول ابن الجوزي " الفتى لا يزنو ولا يكذب ، ويحفظ الحرم ، ولا يهتك ستر امرأة " (٤).

(١) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي / ص ٩٣ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٧ / ص ٢٢٠ ، ص ٢٥١ ، ج ٨ / ص ٤٤ ، ص ٤٧ ، ص

٥٤ - ٥٥ ، ابن الأثير : الكامل ج ٩ / ص ١٠٥ .

(٣) التنوخي : الفرج بعد الشدة ج ٤ / ص ٢٣٨ .

(٤) ابن الجوزي : تلخيص ابلين / ص ٣٩٤ .

ففى عام (٥٣٨هـ / ١١٤٣م) " ضرب العيارون رجلا بالسيف ، وأخذوا دابسة كان قد اشتراها بخمسة وعشرين ديناراً ، وعلى أثر ذلك نفر الناس وأغلقوا دكاكينهم وأغلقوا باب الجامع ، وتلقوا السلطان فى الميدان فاستغاثوا اليه ، ولم يجيبهم ، فعادوا مرارا وهولا يلتفت^(١) . ولعل هذا يعكس مدى ما أصاب المجتمع من عصف وقنوط .

وفى الفترة من عام (٥٣٦هـ / ١١٤١م) الى عام (٥٣٨هـ / ١١٤٣م) استفحل شر العيارين ، وشكلوا مجموعات حول عدد من الأمراء السلاجقة ، أو حول بعض كبار الشخصيات الغدة ، وتطورت الأوضاع الى حد أنهم باسروا عمليات اغتصاب الأموال جهارا ، ان كانوا يكسبون الدور ليلا ، وأيديهم الشموع ، ويستولسون على ما فيها من الأموال ، بل تطور الوضع حتى انهم تجرأوا على السلطة، فصاروا يقتلون من يقف فى طريقهم من الشرطة وغيرهم ما اضطر الرعية الى عدم الخروج من البيوت بعد الغروب^(٢) .

والراجع أن أوضاع العيارين قد تغيرت ، وتنظيماتهم قد تعقدت ، حتى انهم رتبوا لأنفسهم جهاز رقابة دقيق ، يتولى رصد الناس وأموالهم ، ويتجسس عليهم بقصد الكشف عن أصحاب الأموال . وهذا أدى الى حصول هياج عام شمل العاصمة حيث أغلق الناس دكاكينهم وحاناتهم ، وكسروا منابر الجوامع احتجاجا على اختلال الأمن ، وشيوع المصادرات وتكرارها^(٣) . ويبدو أن الأخطار التى نجمت عن اشاعة الرعب ، واتصال تنظيمات الفتوة هذه بالحركات الباطنية ، والسلطنة الفاطمية الشيعية فى مصر^(٤) كان من أقوى الأسباب التى دفعت السلطة العباسية

(١) ابن الجوزى : المنتظم ج ١٠ / ص ١٠٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٢٠٤ .

(٣) ن . م . م ج ٨ / ص ٥ - ٧ .

(٤) ن . م . م ج ٨ / ص ٢٢٠ .

الى تتبع حركات الفتوة بقصد استئصالها .

وعند ما جاء الخليفة الناصر لدين الله العباسي عام (٥٢٥هـ / ١١٨٠م) الى عام (٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) قام بحركة حكيمة ومهمة في سبيل القضاء على الانحرافات الواقعة في تنظيمات الفتوة ، كان لها أثر كبير في تدعيم قوة الخلافة وتهذيب الأوضاع العامة ذلك أنه في الوقت الذي أعلن فيه إلغاء جميع التنظيمات الأخرى قرر تشكيل فتوة مرتبطة بالخلافة .

(١) ان اهتمام الخليفة الناصر لدين الله العباسي بالفتوة ، وتصديه لاصلاحها قد تم في عام (٥٢٨هـ / ١١٨٢م) بعد أن طلب اليه الشيخ عبد الجبار بن صالح البغدادي الزاهد أن يلبس لباس الفتوة ^(٢) . ولقد ربط الخليفة الناصر لدين الله هذه المنظمات بالدولة ، وجعلها تحت اشرافه المباشر . كما أنه لم يكتف بذلك ، بل عزم على تعميمها في جميع الممالك الاسلامية ، فكتب الأمراء والملوك طالبا منهم الانتماء الى الفتوة ، وتأمين دعمها وتنظيمها في مناطقهم . وهكذا قدر لهذا التنظيم أن ينتشر بشكل واسع بين أفراد الأمة في مختلف الأمصار الاسلامية ^(٣) ، وذلك رغبة من الخليفة الناصر لدين الله في أن يجدد شباب الأمة الاسلامية ، ويوحدها في داخل العراق ، وفي أقاليم الدولة الأخرى ، وأن يعيد لبغداد دورها وأهميتها .

لقد أدرك الخليفة الناصر لدين الله بثاقب بصيرته ما كان عليه العالم الاسلامي من التشتت والضعف والاختلاف ، والانحراف والتعادي ، والتمادي في التنازع ،

(١) ابن المعمار: الفتوة / ص ١٤٦ ، ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٢٢١ .

(٢) ابن المعمار: الفتوة / ص ١٢٣ ، ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٢٢١ .

(٣) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٢٢١ ، ابن الفوطي : الحوادث

الجامعة / ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٤) مصطفى جواد : الفتوة منذ القرن الثالث / ص ٥٥ .

كما لاحظ اضافة الى ذلك اشتداد قوة الافرنج والصليبيين وخطورتهم ، وهكذا تحقق له أن العالم الاسلامي يحتاج الى تجديد قوته بزيادة الاهتمام بالشباب ، وتدعيم دورهم ، فعمد الى الفتوة التي وجد فيها أسلها مثاليا لتجمع قوة شباب المسلمين ، وضمان الاستفادة من جهودهم لدعم الخلافة ، واصلاح الأوضاع. ولقد نجح الخليفة الناصر في هدفه ، ان سرعان ماتكون نتيجة سلامة الأسلوب ، ودقة العمل ، والاصرار عليه ، وعلى المتابعة ، جيل شجاع محارب مجاهد ، كامل الفضائل ، لقد تحقق ذلك بفضل ، التنظيم الجديد للفتوة ، الذي تضمن تدريبها خاصا على مختلف فنون بناء الجسم وأساليب القتال ، والدفاع عن النفس ، كالفروسية والرماية وفنون الحرب والقتال. ولقد " كان ابتداء هذا الأمر - أعنى الفتوة - في سنة ثمان وسبعين وخمسائة ، وذلك أن ندما الخليفة الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن أحمد بن المستنصر بأمر الله حسنوا له أن يكون فتى ، وأحضروا له رجلا يعرف بعبد الجبار بن يوسف بن صالح ، له أتباع كثيرون ، ومعه ولده شمس الدين على ، فقرر الاجتماع ببستان مقابل التاج ، ثم حضر عبد الجبار وابنه شمس الدين على ، وندما الخليفة ، وألبس عبد الجبار الخليفة الناصر لدين الله سراويل الفتوة ، وأخبره أنه لبسها من شيخ الى شيخ ، وثم ، ثم على بن أبى طالب رضى الله عنه " (١).

وتلافيا للنزاع بين أحزاب الفتیان أصدر الخليفة الناصر عام (١٢٠٧هـ / ١٢٠٧م) منشورا بإبطال جميع تنظيمات الفتوة القديمة ، واثبات أفراد التنظيم الجديد الذي استحدثه ، والذي جعل من شخصه المرجع والمثل الأعلى للفتوة ، قال ابن الساعى في حوادث عام (١٢٠٧هـ / ١٢٠٧م) : " في هذه السنة أهدرت الفتوة القديمة ، وجعل

(١) مصطفى جواد : الفتوة وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين - مجلة المجمع العلمي العراقي - المجلد الخامس ص ٩٥ . عن السخاوى : تحفة الأحباب ونفحة الطلاب ص ١٧ ، طبعة مصر سنة ١٩٣٧م .

أمير المؤمنين الناصر لدين الله - رضى الله عنه - القبلة في ذلك ، والمرحوم اليه فيه ، وكان قد شرف عبد الجار بالفتوة اليه ، فدخل في ذلك الناس كافة من الخاصة والعامة ، وسأل ملوك الأطراف الفتوة ، فأنفذ اليهم الرسل ومن ألبسهم سراويلات الفتوة بطريق الوكالة الشريفة ، وانتشر ذلك ببغداد ، وتفتى الأصاغر والأكابر^(١) .

وفي اليوم التاسع من شهر صفر من السنة المذكورة أصدر الناصر لدين الله مرسوما بتقرير قواعد الفتوة جاء فيه " بسم الله الرحمن الرحيم ، من المعلوم الذى لا يتمارى فى صحته ، ولا يرتاب فى براهينه وأدلته ، أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب هو أصل الفتوة ومنبعها ، ومنجم أوصافها الشريفة ومطلعها ، وعنه تـروى محاسنها وآدابها ، ومنه تشعبت قبائلها وأحزابها ، واليه دون غيره تنتسب الفتيان " .^(٢)

وهكذا فان تطور الأوضاع الاجتماعية ومظاهرها كان له أكبر الأثر على حياة الناس الى حد بعيد خلال فترة البحث ، فقد دب اليأس ، وسيطر التشاؤم على نفوس العامة ، نتيجة لعدم الاستقرار ، وكانت شكواهم تدور حول سيطرة الغلمان والعيارين ، وسيادة الأصاغر ، وزوغ نجم الشاذين ، وأدعياء الدين ، ورواج الفساد والكذب والتزوير ، وتفشى القتل والسلب ، وانتشار المصادات السيئة بين أفراد المجتمع، خصوصا بعد تأثرهم بالتحاليم الاسماعيلية المنحرفة^(٣) .

(١) ابن السباعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٢٢١ .

(٢) ن . م . م : ج ٩ / ص ٢٢٣ .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية مادة (اسماعيلية) ج ٢ / ص ١٨٢ ، ومصادرة

(الحشاشون) ج ٧ / ص ٤٣٤ .

ولم يكن غريباً أن يستغل الدين لخدمة الأهواء والأغراض والمصالح الخاصة على حساب مصلحة الأمة ، كما لم يكن غريباً أن تظهر مجموعات مختلفة من الناس ، يلبسون ثياب الورع والدعوة إلى الإصلاح ، ويرتزقون بمظهرهم هذا .

ولعل طبيعة التطورات التي عاشها المجتمع قد أسهمت في تشجيع ظهور ذلك ، فقد أخذ الأمراء والسلاطين يقرعون هؤلاً ويرعونهم في محاولة تحسين علاقتهم ————— بالعامّة .

وقد أدى هذا النزوع وردود الفعل المشجعة إلى حصول تطور له أثره الخطير في العقيدة ، فقد شاع في أعقاب هذه المرحلة اتخاذ التكيا ورباطات الصوفية مراكز لأنشطة اجتماعية لها خطرها ، وهذه كانت تضم أشتاتاً من الخلق من مختلف البلاد ، يأكلون ويشربون ويدعون للسلاطين والخلفاء بالخير والبركة ما استمر ————— المدد .

ومع أن هذه الأريطة والتكيا قد أثرت إيجاباً في بعض نواحي الاعداد النفس ، وفي تهيئة بعض أسباب الدراسة الشرعية ، من حفظ للقرآن ، ودراسة للحدِيث والوعظ ، فقد أثرت سلباً لدرجة خطيرة ، بما أشاعت في المجتمع من روح التواكل والقنوط ، إذ لم يحصل تفاعل حقيقى مع روح العقيدة الإسلامية السعاء ، كما تهللت مشاعر العامة ، فلم تظهر ردة فعل ايجابية أو غيرة على أوطان المسلمين التي استباحت ، كما لم تظهر استجابة واعية لداعى الجهاد ضد عدوان الصليبيين ، واستهتارهم بالقيم والمواثيق . أما الجيش السلجوقى فقد كان قوامه فى الأعـمـم الأغلب ، من المرتزقة الذين لم يلتحقوا به بدوافع عقيدية ، بتأثير روح الجهاد ولرفع راية الاسلام ، والدفاع عن المقدسات ، بقدر ما كان يقاتل من أجل أغراض دنيوية زائلة .

ولقد لعب الأكراد والأتراك دوراً فعالاً فى الحياة الاجتماعية فى العــــراق فى العصر السلجوقى ، وكثير الأتراك غلمانا يجلبون من أسواق النخاسة آنــــذاك ،

وتزايدت أعدادهم في العراق تزايداً كبيراً ، مما سبب الكثير من المتاعب ، بسبب
حدائثة عهدهم بالدين ، وصعوبة ادراكهم للأنظمة والتقاليد ، وميلهم الى السلب
والنهب ، وكثرت النساء التركيات في بيوت بعض الموسرين الذين اتخذوا منهن
زوجات وحظايا ، وبلغ بعضهن مكانة مرموقة في الدولة ، واشتهر بعضهن في
الفن والعلم والأدب .

.....

الفصل الثاني

- الفرق الدينية والمذاهب .
- أشر تطورا لأوضاع العامة
- على الحياة العالمية .

الأوضاع الدينية والفرق والمذاهب ١١٦ - الصراعات المذهبية ١٢٠ - صراع
أهل السنة والشيعة ١٢٤ - المعتزلة ١٢٧ - الاسماعيلية (الباطنية)
١٢٨ - الصوفية ١٣٧ - أثر الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية
والدينية على الناحية العلمية ١٤٣ .

الفصل الثاني

الأوضاع الدينية والفرق والمذاهب :

خلق الله الانسان ، وجعل له عقلا وظيفته التفكير ، والنظرة الأولى في القرآن الكريم توثق يقينا جازما بأن الاسلام دين تفكير وتأمل واقتناع ، قال الله تعالى : " قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفراى ثم تتفكروا " (١) وقال تعالى : " وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون " (٢) . فالاسلام يدعو الى التفكير وحرية العقل والفكر ، بل يلوم الغفلة والانقياد الأعمى . وتبدأ حرية التفكير من خلال علاقة المسلم بربه ، ثم بنفسه ، ثم بما حوله من أشياء تدعوه الى التفكير والتأمل ، قال تعالى : " ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الأبصار . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار " (٣) .

والايمان بحرية الفكر شىء هام فى حياة الانسان ، قال تعالى : " انما هديناك السبيل اما شاكرًا واما كفورًا " (٤) ، ولكن المهم ضمان الأصالة والدقة والسلامة فى هذا الفكر ، لأن الله تعالى يقول : " ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولًا " (٥) .

-
- (١) سورة سبأ ، آية ٤٦ .
 - (٢) سورة الجاثية ، آية ١٢ .
 - (٣) سورة آل عمران ، آية ١٩٠ .
 - (٤) سورة الانسان ، آية ٣ .
 - (٥) سورة الاسراء ، آية ٣٦ .

ولقد حصل الانحراف في أساليب التفكير ، وبالتالي في النتائج المترتبة على ذلك ، حين حصل النزوع الى الحرية المطلقة في محاولة الوصول الى تلمس وإدراك معاني " الصفات " أعني صفات الله عز وجل . وخاض في مباحث الذات البعيدة عن مداركه ، وخلطها بفلسفات عقيمة ، أقحمت قصداً أو جهلاً ، فلم تصل به الى نتيجة ، بل جلبت الهلاك والهال والشقاق والمحن على المجتمع الاسلامي . فبعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، واجه المسلمون مشكلات جسيمة ، وهنا حدثت أمور دارت حولها مناقشات ومنازعات ، اختلفت فيها وجهات نظر المسلمين ، ولكنها في جملتها أمور شكلية ، لا تمس صميم عقيدتهم ، فكانوا في هذه الناحية كما قال البغدادي : " كان المسلمون عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على منهاج واحد في أصول الدين وفروعه . . . " .^(١)

وانا نحن بحثنا بصورة أشمل وأوسع عن الأسس التي قامت عليها الفرق الاسلامية ، ودققنا في أسباب نشوئها لوجدنا ذلك يعود الى جملة أسباب^(٢) لعل أبرزها وأهمها موضوع الامامة والخلافة ، أو شئون الحكم والسياسة ، التي كانت من أهم وأبرز القضايا التي واجهت الأمة الاسلامية . وتكونت حولها أهم الفرق الاسلامية التي ظهرت في القرن الأول الهجري ، وهي الخوارج ، والشيعة ، والمرجئة ، ثم المعتزلة فيما بعد ، يقول الشهرستاني : " وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الامامة ، ان ماسل سيف في الاسلام على قاعدة دينية مثل ما سئل على الامامة في كل زمان " .^(٣)

ولقد تناول موضوع الامامة هذا عدد كبير من مفكري الأمة ، بالدراسة وابستداء الآراء التي تبلورت حولها المواقف المتباينة ، فتشعبت وجهات النظر الستى أدت الى تشعب الفرق الاسلامية .

-
- (١) البغدادي : الفرق بين الفرق / ص ١٤ .
(٢) ن . م . س : من ص ١٤ الى ص ٢٩ .
(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ / ص ٢١ .

وممن أسهم في دراسة هذا الموضوع الخطير خلال العصور الاسلامية المتعاقبة عدد من علماء الأمة وأقدان علمائها ، حيث أدلوا بدلوهم في هذه المسألة الخلافية ، يمكن أن نشير من بينهم الى : الفارابي ، واخوان الصفا ، والماوردي ، والغزالي ، ونظام الملك ، والطرطوشي ، وابن تيمية ، وابن خلدون ، وغيرهم .^(١)

على أن هناك أسبابا أخرى سياسية واجتماعية ساعدت على نشأة الفرق الاسلامية ، التي افترقت في الوسيلة والمذهب للوصول الى أهدافها ، ثم كانت تلك الحروب الطاحنة بين هذه الفرق بعضها مع بعض ، وبينها وبين الدولتين الأموية والعباسية ، اضافة الى مانجم عن ذلك من صراع فكري أحدث آثارا عميقة ومعقدة المدى ، تضمنت عند عدد كبير من الفرق شذوذا فكريا ونزوعا الى استخدام المنطق ، واعتماد الأسلوب الفلسفي في التفكير ، مما عصف بالمسلمين ، وشتت أفكارهم ، وفرق عقيدتهم ، وأفقدتهم الثقة في أنفسهم .

وجاء العصر السلجوقي وقد غصت العراق بالفرق الاسلامية المختلفة، والمذاهب الدينية المتعددة ، واحتدم الصراع بينها خصوصا بين أتباع مذهب السلف ، وبين الشيعة العلوية ، والذي عكس صراعا دينيا وسياسيا^(٢) ، قال ابن حزم : " والأصل في أكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الاسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الامم . . . حتى انهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء ، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم ، فلما امتحنوا بهزول الدولة عنهم على أيدي العرب ، وكانت العرب أقل الثم عند الفرس خطرا - تعاضهم الأمر ، وتضاعفت لديهم المصيبة ، وراموا كيد الاسلام بالمحاربة في أوقات شتى ، ففي كل ذلك

(١) الرئيس : الاسلام والخلافة في العصر الحديث / ص ٣١٩ - ص ٣٢٢ .

(٢) أنظر الخصومات بين أهل السنة والشيعة في هذا العصر في : ابن الجوزي :

المنتظم : ج ٨ / ص ٧٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٧٧ - ج ٩ / ص ٢٦ ، ٣٨

٧٧ ، ٤٧٧ ، ج ١٠ / ص ٢٤٩ . ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٣٨ ، ١٤٤ ،

١٨٦ ، ٢٥٧ ، ٣١٤ ، ج ٩ / ص ١٢١ .

يظهر الله سبحانه وتعالى الحق وأظهر قوم منهم الاسلام ، واستمالوا أهل التشيع باظهار محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استثناع ظلم علي رضي الله عنه ، ثم سلكوا بهم مسالك شتى ، حتى أخرجوهم عن الاسلام".^(١)

وقد توصل الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري الى الآثار المدمرة الناجمة عن هذه الفرق ، حيث ذهب الى أن برنامجها ينطوي على اتجاهات "سياسية في دعوتها الى ازالة السلطان العربي ، و احيا" مجد الفرس ، دينية في دعوتها الى المجوسية ومحاربتها الاسلام ، اقتصادية في دعوتها لأوضاع أفضل".^(٢)

وفي الوقت الذي احتدم فيه الصراع بين أهل السنة والشيعة " كان هناك خلاف مستمر كذلك طوال العصور ساد علاقات أتباع المذاهب السلفية السنية ، الشافعية والحنفية والحنابلة".^(٣)

وأيا ما كان الأمر فقد انتشرت الفرق والمذاهب الاسلامية في هذا العصر ، وكانت المنازعات والمناقشات مستمرة بينهم ، ولعل من محاسن هذه الفترة أن أصبحت بغداد بخاصة ، والمراق بعامة ميدانا رحبا للصراع الفكري ، والنشاط العلمي المتجدد . غير أن هذا الصراع كان من الناحية الأخرى عامل تفرق وضعف ، قاست منه الأمة الاسلامية كثيرا . فقد حدث من جراء ذلك شيوع حالة الدعسة والخمول ، وانكسار الشوكة واللامبالاة ، وتركز الصراع على وجهات النظر الضيقة ، فأهمل الجهاد ، بل كانت أخبار الغزوات الصليبية على الوطن الاسلامي تقابل

(١) ابن حزم : الفصل في المل والأهواء والنحل ج ٢ ص ١١٥ .

(٢) الدوري : الجذور التاريخية للشعبوية / ص ٣٤ .

ولمعلومات أوسع عن حركات الشيعة . أنظر أيضا : فاروق عمر : التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين من ص ٨٧ الى ص ٢٨٤ .

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم / ص ٣٢٣ . ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٦٣ ،

ص ٣٠٥ ، ج ٩ / ص ٤٠٣ . ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٧٣ ، ١٢٥ ، ١٣٢ .

بحالة (لا مبالاة) وعدم اكتراث . وعلى الرغم من وجود المذاهب الاسلاميــــــــــــة
فى العراق قبل تدخل البويهيين والسلاجقة ، فان استيلاء هذه القوى على مقاليد
الحكم فى العراق كان سببا مباشرا فى اذكاء العصبية المذهبية ، وتحولها من
خلاقات فكرية نافعة الى معارك دموية مدمرة ، خصوصا فى العصر البويهى الشيعى
الاسماعيلى .

أما فى العصر السلجوقي فالصادر توافينا بخلاقات بين أصحاب المذاهب
السنية بعضهم مع بعض ، اضافة الى حالة الصراع الحاصل بينهم وبين الشيعة
العلوية . فالسلاجقة كانوا متعصبين لمذهبهم الحنفى الى حد كبير ، ففى عهد
السلطان طغرل بك السلجوقي وقعت فتنة بنيسابور كان سببها مقالة فى العقيدة
لأبى الحسن الأشعرى^(١) اطلع عليها السلطان فما ارتضاها ، فأمر بلعن الأشعرى
وعز ذلك على أبى القاسم القشيرى^(٢) فصنف رسالة سماها " شكاية أهل السنة
لما نالهم من المعنة " كانت سببا فى طرده وطرده امام الحرمين الجوينى من نيسابور^(٣)
^(٤)

-
- (١) على بن اسماعيل الأشعرى ، صاحب الأصول ، والقائم بنصرة مذهب السنة ،
واليه تنتسب الأشعرية ، توفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٥م ، كان معتزليا
ثم انقلب على المعتزلة وقارعهم بسلامهم لصالح أهل السنة . السمعاني : الأنساب
ج ١ / ص ٢٦٦ ، الخطيب : تاريخ بغداد ج ١١ / ص ٣٤٦ ، السبكي : طبقات
الشافعية ج ٢ / ص ٢٤٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٢٨٤ .
- (٢) أبو نصر ، عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوزان القشيرى ، المناظر المفسر الأديب ،
من بنى قشير القبيلة العدنانية المشهورة ، درس على امام الحرمين الجوينى ورد
بغداد وناظر بها سنة ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م أهم كتبه الرسالة القشيرية ، وتعد أهم
وأعظم الكتب التى ظهرت عن الصوفية . ابن الجوزى : المنتظم ج ٩ / ص ٢٢٠ .
ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٢٠٥ .
- (٣) أبو المعالى عبد الطك بن عبد الله بن يوسف الجوينى ، الفقيه الشافعى امام
الحرمين ، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعى ، له مصنفات كثيرة فى كل فن .
كان الفزالي من تلامذته ، توفي سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م ، ابن الجوزى : المنتظم
ج ٩ / ص ١٨ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٣ / ص ٢٤٩ ، العماد الحنبلى :
الشذرات ج ٣ / ص ٣٥٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ١٦٢ .
- (٤) اليافعى : مرآة الجنان ج ٣ / ص ٢١٠ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٢٤٩ .

والظاهر أن أبا نصر الكندري^(١) ، وزير السلطان طغرليك ، هو الذى حسن للسلطان لعن الأشعري وطرد القشيري وجماعته^(٢) فى الوقت الذى كان نظام الملك الشافعى يتدرج فى معارج المعالي الى أن صار وزيرا لألب أرسلان .

وتتحدث بعض المصادر عن دور نظام الملك فى اقتناع ألب أرسلان بقتل الوزير الكندري بقصد ازاحته عن طريقه فى تولي الوزارة وربما كان هناك أكثر من دافع خلف هذه الخطوة غير أن المؤكد هو أن الكندري قد تم اعتقاله وسجنه حيث انتهت حياته فى السجن عام (٥٧٤هـ / ١٠٦٤م)^(٣) . وقد حاول البعض تصور الحادثة على أية حال بأنها انتقام دبره نظام الملك لما سبق أن أصاب الشافعية والأشاعرة .

لقد بدأ نظام الملك حياته شافعيا ملتزما ، ولعل ذلك من أسباب اقامته على انشاء المدارس النظامية ، التى قصد منها تخريج أعداد كبيرة من الدعاة من أتباع المذهب الشافعى ، اضافة الى جملة أسباب أخرى سنتحدث عنها فى موضعها المناسب من هذا البحث ان شاء الله تعالى . على أن خطوة الوزير نظام الملك فى انشاء المدارس النظامية لم تقع موقع الرضى والقبول أو الاستحسان من عموم رجالات الدولة السلجوقية الذين كانوا من أتباع المذهب الحنفى ، الذى كان فى نفس الوقت المذهب الرسمي للدولة العباسية . وقد كان رد الفعل لانشاء النظاميات ما أقدم عليه أحد أعيان الدولة السلجوقية وهو العميد شرف الملك

(١) أبو نصر محمد بن منصور بن محمد الملقب بعميد الملك الكندري أول وزير
للسلاجقة توفى سنة ٥٧٤هـ / ١٠٦٤م ، ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ / ص ٢٣٨ ،
ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ١٣٨ ، العماد الحنبلى : الشذرات
ج ٣ / ص ٣٠١ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ١٣٨ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ / ص ٢٣٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ /
ص ١٣٨ .

أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي^(١) مستوفي^(٢) مملكة السلطان ألب أرسلان . الذي ما كاد أن يعلم عن خطط نظام الملك في انشاء المدارس النظامية ، وباشرته العمل على تأسيس المدرسة النظامية الأولى في بغداد ، حتى قدم الى بغداد بنفسه عام (٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م) وأمر بإنشاء مدرسة للحنفية على نفقته الخاصة ، عند مشهد أبي حنيفة النعمان في شمال غربى بغداد عند مقابر قريش ، لكي تختص بتدريس العلوم الشرعية وفق المذهب الحنفى . وقد تعجل مستوفى المملكة في بنائها ، وعين لها مدرسا ورتب فيها الطلاب حتى انه تمكن من افتتاحها وتمكينها من استقبال الطلاب ومدى الدراسة قبل النظامية بأربعة أشهر^(٣) .

ولابد من الاشارة الى أن الصراع المذهبى الذى عانى منه الناس مدة طويلة هو الذى حمل أتباع المذهب الواحد الى التجمع والسكنى فى مناطق معينة خاصة بهم ، كي يواجهوا أصحاب المذاهب الأخرى متجمعين ، فنجد أن الحنابلة كانوا يتجمعون فى أرباع خاصة بهم من خطط الرصافة التى تشكل الجانب الغربى من بغداد^(٤) على حين تركز الشيعة العلوية فى أغلب أرباع الكرخ ، الى درجة كبيرة دفعت البعض الى القول بأن أهل الكرخ كلهم شيعة امامية ، لا تجد فيهم

(١) أنظر عنه ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ / ص ٢٤٤ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٠٥ .

(٢) المستوفى : ظهرت هذه الوظيفة فى العصر العباسى ، وعرف المستوفى فى الدولة الغزنوية ، وكان يرأس ديوانا يسمى بديوان الاستيفاء ، وكانت مهمته الاشراف على تنظيم إيرادات الدولة ومصروفاتها ، ومراقبة حسابات الدولة ، واستمرت وظيفته المستوفى فى عهد السلاجقة ، وكان شاغلها يسمى مستوفى المملكة ، وكان يتولاها الوزراء ونواب السلطان . حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ج ٣ / ص ١٠٨٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٠٥ ، البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٣٤ .

(٤) السعوى : مروج الذهب ج ٢ / ص ٣٠٨ ، ابن الجوزى : المنتظم ج ١٠ / ص ١٤٥ .

سنيا البتة .^(١)

وعلى الرغم من اشارة بعض المؤرخين الى أن الخلاف بين أتباع مذاهب السلف من أهل السنة يعد شكليا اذا قورن بخلاف أهل السلف السنة مع الشيعة ، الا أن النصوص تشير الى أن ما كان يحصل بين أتباع مذاهب أهل السنة كان خلافا حادا يتسم بالعنف وعدم التسامح ، وتحدثت المصادر التاريخية عن كثير من الوقائع بين أتباع هذه المذاهب في بغداد . نورد منها على سبيل المثال لا الحصر ما حصل في شوال عام (٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م) حين وقعت فتنة بين الشافعية والحنابلة ، وسببها أنه ورد الى بغداد العالم أبو نصر عبد الكريم القشيري ، الواعظ المتكلم على مذهب الأشعرى ، فجلس في المدرسة النظامية ، وخلط وعظه بالكلام ، وذم الحنابلة ، فأنكرت الحنابلة ذلك وكان في يوم مجلس ابن القشيري يحضر قوم مسن اليهود والنصارى ، ويرغبون بما يعطون فيسلمون ويخلع عليهم ، وكتب أبو اسحاق الشيرازي الى نظام الملك يشكو من الحنابلة ، وجلس ابن القشيري على عادته بالنظامية ، وخرج هو ومن معه من التلامذة فقصدا باب النهي ، وهزموا الهجوم

(١) ياقوت : معجم البلدان ج٤ / ص ٤٤٨ . ولعل هذه الصراعات المذهبية قسدت أوجت بهذه الصورة الجدية ، ولكن الواقع الثابت خلاف ذلك ، فقد كان الأصل في الكرخ مدينة المنصور (أو الزوراء ، أو بغداد ، أو دار السلام) المدينة التي لم يسكنها معه الا أنصار العباسيين ، وهؤلاء لم يكونوا شيعة امامية ، بل شيعة عباسية كما أنه قد تم انشاء عدد كبير من المساجد الجامعة في الكرخ قبل وخلال فترة البحث ، وهي بالتأكيد مساجد أهل السنة ، ذلك ان الشيعة الامامية لا يعتقدون بمشروعية اقامة الجمعة الا بعد ظهور الامام الثاني عشر الذي يسمونه بالغائب المنتظر صاحب الزمان . وعليه فان انشاء العسود الأكبر من المساجد ، واقامة الجمعة فيها يخالف ما ذهب اليه ياقوت . والمرجح أن يكون تركز الشيعة قد حصل خارج أسوار مدينة بغداد في مناطق الأسواق التي تقع الى الشرق من بغداد ، وهي مناطق تربة الشوك ، ونهر عيسى ، وراثا ، وكذلك المنطقة الواقعة الى الغرب حيث تربة الامامين موسى الكاظم ومحمد الجواد .

على ابن أبي موسى ، متقدم الحنابلة في مسجده ، فرتب ابن أبي موسى أصحابه على سطح المسجد ، فلما وصلوا رماهم الحنابلة بالآجر ، فقتل واحد من الشافعية ، وجرح آخرون وانهزم الشافعية^(١) .

ولعل من المناسب أن نشير إلى تعليق أحد الوزراء على الأوضاع لندرك مدى ما وصل إليه الحال في الانقسام المذهبي ، فقد قال ابن هبيرة الوزير : " ان اختصاص المساجد ببعض أرباب المذاهب بدعة محدثة ، فلا يقال هذه مساجد أصحاب الامام أحمد فيمنع منها أصحاب الشافعي ، ولا بالعكس ، فان هذا من البدع ، وقد قال الله تعالى : " سواء العاكف فيه والباد " (٢) (٣) .

والملاحظ أن اتباع الشيعة العلوية بشتى فرقها كانوا منذ بداية ظهورهم واستمرار يناصبون أتباع مذاهب السلف العداء . ولقد قويت شوكة الشيعة ، وخصوصا الاسماعيلية أيام البويهيين حيث نظموا أنفسهم ، وطوروا من أساليبهم في محاربة أهل السنة وقد ساعدتهم وقوى عزائمهم أن أمراء بني بويه كانوا من المتشيعين لهم . وخلال العصر السلجوقي نظمت فرقة الاسماعيلية الحشيشية نفسها ، كما سنلاحظ عند افراد الحديث عنها في خطبا طغى سرى ، واعتمدت الجدول وأسلوب المتكلمين والفلاسفة ، في محاولة نشر أفكارها ، غير أن قسما منهم وهم الحشيشية ، اعتمدوا القتل أسلها في تصفية كل من يشكل حجرة عثرة في طريق دعوتهم ، ولنتذكر الحسن الصباح وقلعة الموت ، والتعاون الوثيق بينهم وبين الصليبيين ضد المخلصين من أبناء الأمة الاسلامية .

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ١٨٦ ، وأنظر أمثال ذلك في : ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٧٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٣٠٥ ج ٩ / ص ٢٢٠ ج ١٠ / ص ٣ ، ١١٠ ، ١٩٤ ، العماد الحنبلي : الشدرات ج ٣ / ص ٣٢١ ، ج ٤ / ص ٢٢٤ ، اليافعي : مرآة الجنان ج ٣ / ص ٢١٠ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٢٤٩ .

(٢) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ٢٨٠

(٣) سورة الحج ، آية (٢٥) .

كل هذه الهجمة الشرسة دعت نظام الملك الى الوقوف في وجه هذا الخطر الذي أصبح يهدد الاسلام والأمة الاسلامية ، فبادر الى محاربتهم عن طريق نشر العلم والثقافة الاسلامية الصحيحة ، واعتاد أساليب الجدل وعلم الكلام والمنطق للرد عليهم ، وذلك عن طريق انشاء المدارس النظامية التي بثها في أرجاء العالم الاسلامي .

ومن الغريب أن جهود السلاجقة لضعاف الفكر الشيعي وتفتيت قوة الشيعة في العراق لم تؤد الى النتائج المرجوة ، وذلك يعود الى نشاط هؤلاء وتماسكهم ، وكثرة أنصارهم ، وتعذر مشاهدتهم وأضرحتهم في العراق ^(١) . وبالإضافة الى ذلك فقد تمكن بعضهم من الحصول على مناصب عالية في الدولة العباسية مثل مجد الدين هبة الله بن علي المعروف بابن المصاحب المتوفى عام (٥٨٣هـ / ١١٨٢م) الذي كان أستاذا للدار ^(٢) أيام المستضيء ^(٣) ، ونصير الدين ناصر بن مهدي العلوي

(١) من المعلوم أنه قد دفن في مدن العراق عدد كبير من العلويين ، من بينهم عدد كبير من معتقد الشيعة العلوية امامتهم ، كملو بن أبي طالب رضي الله عنه ، الذي أقاموا له ضريحاً في النجف ، والحسين بن علي رضي الله عنه ، الذي أقاموا له مشهداً كبيراً في كربلاء ، ومحمد الجواد وموسى بن جعفر الكاظم ، وضريحاهما في الكاظمين في الضاحية الجنوبية الغربية من بغداد . أما سر من رأى فإن فيها كلا من علي الهادي بن محمد الجواد ، والحسن العسكري بن علي الهادي ، وفيها أيضاً سرداب الخيمة الذي يعتقد الشيعة الامامية أن محمد المهدي بن الحسن العسكري ، الذي يطلقون عليه لقب امام الزمان أو صاحب الزمان أو الغائب المنتظر ، قد غاب فيه . إضافة الى عدد كبير من المشاهيد والأضرحة التي ينسبونها لأفراد من الأسرة العلوية رجالاً ونساءً ، وهي تشكل في الأهم الأغلب مراكز تجمع أتباع الفرق الشيعية العلوية .

(٢) أستاذ الدار : عرفت هذه الوظيفة في عهد العباسيين ، وكانت مهمة صاحبها الاشراف على دار الخليفة أو السلطان والعمل على مراعاة الآداب فيه ، وربما أسند اليه الحجابة ، وربما كلف بالقيام ببعض الأعمال الكتابية ، وقد انتقلت هذه الوظيفة الى الفاطميين ثم الأيوبيين . القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ / ص ٤٥٧ والصافي : رسوم دار الخلافة / ص ٧٧ ، البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق /

ص ٢٥ ، حسن الباشا : الفنون الاسلامية ج ١ / ص ٣٩٠ .

(٣) العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٢٧٩ .

الرازي المتوفى عام (٦١٧هـ / ١٢٢٠م) الذي كان وزيرا للخليفة الناصر لدين الله العباسي^(١). ومع ذلك فالراجح أنهم قد شددوا عليهم الخناق وجرى التضييق عليهم في جميع أنحاء البلاد وقد حصلت بينهم وبين السلطة من جهة ، وبينهم وبين أتباع المذاهب الإسلامية السلفية من جهة أخرى الكثير من الفتن والمصادمات في هذا العصر .

وتفصل أغلب المصادر التاريخية ذلك ، قال ابن الجوزي في حوادث سنة (٤٨٢هـ / ١٠٨٩م) : " ونقلت من خط أبي الوفاء بن عقيل^(٢) عظم الفتنه الجارية بين أهل السنة وأهل الكرخ - يعني الشيعة من أهل الكرخ - فقتل فيها نحو مائتي قتيل ، ودامت شهورا ، وانقهر الشحنة ، وانحش السلطان ، وصار العوام يتبع بعضهم بعضا في الطرقات ، فيقتل القوي منهم الضعيف ، ويأخذ ماله ، وكان الشباب قد أحدثوا الشعور والجم ، وحملوا السلاح ، وعلموا الدروع ، ورموا عمن القسي بالنشاب والنبل ، وسب أهل الكرخ الصحابة وأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم على السطوح ، وارتفعوا إلى سب النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم أجد من سكان الكرخ من الفقهاء والصلحاء من غضب ولا انزعج عن مساكنتهم ، فنفر المقتسدي امام العصر نفرة قبض فيها على العوام ، وحلق الجم ، وضرب بالسياط ، وحبسهم في الهبوت ، وكان شهرآب فكثر الكلام على السلطان ، وقال العوام : هلك الدين ، وماتت السنة ، ونصبت البدعة ، وترى أن الله ما ينصر إلا الرافضة فنرتد عمن الاسلام ويعلق أبو الوفاء على ذلك فيقول : فلما نهض السلطان بعصبة دينية أو سياسية ، وقد استحقوا قطع الرؤوس ، وتخليد الحبوس ، فقام

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٩ / ص ٢٩٠ ، ابن الطقطقي : الفخرى / ص ٣٢٥ ،

أبو شامة : ذيل الروضتين ص ٥٨ - ص ٦٠ .

(٢) أبو الوفاء على بن عقيل بن محمد البغدادي ، عالم العراق وشيخ الحنابلة ، له

مصنفات أعظمها كتاب الفتن قال الذهبي في تاريخه : لم يصنف في الدنيا

أكبر منه توفي عام ٥١٣هـ / ١١١٩م ، العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٤ /

ص ٣٥ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٨٣ . ابن رجب : الذيل

ج ١ / ص ١٢١ .

الحق في مآثم النياحة ، يقولون : هل رأيت في الزمن الماضي ما جرى على أهل السنة في هذه الدولة ، طاب والله الانتقال عن الاسلام ، لو كان ما نحن فيه حقاً لنصره الله ، وحملوا الصليبان في حلوقهم ودعوا بشعار الرفض ، وقالوا : لا دين الا دين أهل الكرخ^(١)

أما المعتزلة^(٢) في هذا العصر فكان أهل السنة ينظرون اليهم بعين الكراهية والاحتقار وهو استمرار لنفس النظرة التي حازوا عليها بعد توقف المحنة والقول بخلق القرآن ، على أن شوكة المعتزلة قد ضعفت الى حد كبير بعد ما كسر شوكتهم في القرن الثالث الهجري أبو الحسن الأشعري ، وحاربهم حرباً شعواء بنفس سلاحهم ، بالمنطق والفلسفة . ووافق الأشعري أهل السنة في كثير مما ذهبوا اليه . فلقد كان أهل السنة ، وخاصة الحنابلة ، شديدي الوطأة على المعتزلة وأصحابها في هذا العصر ، فابن الجوزي يحدثنا عن عدد من الحوادث التي وقعت ضدهم ، وعن تكرار حرق كتب المعتزلة^(٣) . يقول أحمد أمين " وكان بجانب هؤلاء جماعة من الشكاك ، رأوا هذه المذاهب المختلفة والآراء المتناقضة ، والأدلة المتعارضة فشكوا فيها جميعاً وكفروا بالجدل - الى أن يقول - ونرى الجماعة الكثيرة قد طلبوا طم الفلسفة وتبحروا فيها ، ووسموا أنفسهم بالوقوف على الحقائق ، وبالخروج على جلبة العامة ، ونجد آخرين قد تمهروا في علم الكلام ، وأفتوا فيه دهرهم ، وفخروا بأنه قد لاح لهم الفرق بين الحق والباطل بالحجج ثم نجدهم كلهم - فلسفيهم

-
- (١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٤٨ - ٤٩ .
 (٢) المعتزلة : نشأت هذه الفرقة بسبب الخلاف الذي حدث بين الحسن البصري المتوفى سنة ١١٠ هـ / ٧٢٨ م وبين واصل بن عطاء المتوفى سنة ١٣١ هـ / ٧٤٨ م ، في القدر ، وفي المنزلة بين المتزلتين ، فطردهم الحسن عن مجلسه ، فاعتزل واصل الى سارية من سواري مسجد البصرة فقيل له ولأتباعه " معتزلة " . أنظر : البغدادي : الفرق بين الفرق / ص ٢٠ - ٢١ ، ابن حزم : الفصل في الملل والنحل ج ٤ / ص ١٩٢ ، الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ / ص ٥٣ -

- ٥٧
 (٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٢٣٥ - ٢٥٤ - ٢٧٥ ، ج ٩ / ص ١٧ .

وكلامهم - مختلفين كاختلاف العامة وأهل الجبل بل أشد اختلافاً". (١)

الاسماعيلية (الباطنية) :

(٢) أما الاسماعيلية فتعد من الفرق الشيعية المهمة التي نشطت في العصر السلجوقي. وكان للباطنية في هذا العصر خط سياسي غير عادي ، فهي في الوقت الذي تتكتم فيه على تعاليمها (باطنية) ، وتعتمد الى اتباع أسلوب سرى باطنى في نشر الدعوة ، يضمن عدم الافصاح عن مبادئها ، فانها اتخذت من رعاية العلوم وتنظيمات العمال والتقاليد الخاصة بها غطاءً تستتر فيه على حقيقة دعوتها ومبادئها و " ففى الوقت الذى كان فيه بعض دعاة الاسماعيلية يحصلون على مراكز قوة لهم فى المناطق النائية ، ويدعون أنفسهم فيها كان هناك آخرون يثبون دعائيتهم الدينية فى المراكز الرئيسية داخل العالم السنى والسلجوقى ، وهؤلاء هم الذين تسبوا فى سفك أول الدماء بين العملاء الاسماعيليين والسلطات السلجوقية". (٣)

ولقد تعرضت أقلام الكتاب المسلمين لهذه الفرقة بالنقاش والمعارضة ، وكشف الحقائق . نشير الى بعض من كتب خلال فترة بحثنا هذا ، منهم حجة الاسلام الامام أبو حامد الغزالى المتوفى عام (٥٠٥هـ / ١١١١م) فى كتابه فضائح الباطنية ، والامام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى المتوفى عام (٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) الذى

-
- (١) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٣ / ص ٣٤٨-٣٤٩-٣٥٠ .
- (٢) وهم الذين قالوا بأن الامام بعد جعفر الصادق ولده اسماعيل وليس موسى نصبا عليه باتفاق بين أولاده الا أنهم اختلفوا فى موته فى حال حياة أبيه فعنهم من قال : لم يمت ، الا أنه أظهر موته تقية من خلفاء بنى العباس ، وعقد محضرا وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة ، وعنهم من قال : الموت صحيح . . والامام بعد اسماعيل محمد بن اسماعيل . . والاسماعيلية المشهورة فى الفرق هم الباطنية التعليمية الذين لهم مقالة مفردة الشهرستانى : الطل والنحل ج ٢ / ص ٥ - ٩ .
- (٣) برنارد لويس : الحشاشون / ص ٩١ .

وصفهم بأنهم " قوم تستروا بالاسلام ، وسالوا الى الرفض ، وعقائدهم وأعمالهم تهاين الاسلام بالمرة ، فمحصول قولهم تعطيل الصانع ، وإبطال النهوة والعبادات وانكار البعث ، ولكم لا يظهرون هذا في أول أمرهم " (١) . ويمثل الامام الغزالي الباعث على ظهورهم ، ونصب دعوتهم ، وإفاضة بدعتهم الناس بقوله : " ما تطابق عليه نقلة المقالات قاطبة أن هذه الدعوة لم يفتحها منتسب الى ملّة ولا معتقد لنحلة معتضد بنهوة ، فان ساقها ينقاد الى الانسلال من الدين ، كانسلال الشعرة من العجين . ولكن تشاور جماعة من المجوس والمزدكيّة ، وشرذمة من الثنوية الملحدين ، وطائفة كبيرة من طحمة الفلاسفة المتقدمين ، وضربوا سهام الرأي في استنباط تدبير يخفف عنهم ماناهم من استيلاء أهل الدين ، وينفس عنهم كربة مآذاهم من أمر المسلمين ، حتى أغرسوا ألسنتهم عن النطق بما هو معتقد لهم ، من انكار الصانع ، وتكذيب الرسل ، وجحد الحشر والنشر والمعاد الى الله " (٢) . وكانت دعوتهم هذه أخطر ما تكون على الاسلام والمسلمين بما كان لعبادتها من خطر عظيم ، وما للقاتمين عليها من خبث ودهاء . يقول البغدادي : " اعلموا - أسعدكم الله - أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم ، بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم " (٣) . أما وسيلتهم في الوصول الى المسلمين فقد أفصح عنها الغزالي في أثناء عرضه لأساليبهم حين نقل قولهم : " فسيلنا أن ننتحل عقيدة طائفة من فرقهم ، هم أركتهم عقولا ، وأسخفهم رأيا ، وألينهم عريكة لقبول المحالات ، وأطوعهم للتصديق بالأكاذيب المزخرفات ، وهم الروافض . ونتحصن بالانتساب اليهم والاعتزاء الى أهل البيت عن شرهم ونشاكى لهم على

(١) ابن الجوزي : تلخيص ابلين / ص ١٠٢ .

(٢) الغزالي : فضائح الباطنية / ص ١٨ .

(٣) البغدادي : الفرق بين الفرق / ص ٢٨٢ .

ما حل بآل محمد صلى الله عليه وسلم". (١)

وهكذا يتضح مما سبق تساؤل الغزالي وابن الجوزي عن سبب انتشار هذه الحركة بهذه السرعة ، وقد توصلوا الى تفسيرات مؤداها أن الباطنية تمثل خلاصة جهود العقائد التي غلب عليها الاسلام ، لتندس فيه فتقضى عليه ، أو تحل محله اما بشكلها القديم ، أو بشكل يتصف بالالحاد الخالص . وقد نبه الغزالي وابن الجوزي الى أن الباطنية والمزدكية والخرمية والقرامطة حركة واحدة (٢) . ولهذا فقد وقف فقهاء المسلمين من أهل السنة موقف التصدي لهذه الفرقة الباطنية ، وغيرها ، وكانوا يهاجمون هذه الفرق ويكفرونها ، ويقذحون في مؤلفاتها ، وأفكارها ————— ومبادئها (٣) ، كما أنهم يذهبون الى أن الباطنية حركة اباحية ، تعمل على تحليل ما حرم الله ، وتهدف الى تقويض دعائم وأركان الدين الاسلامي ، لأنها تنادى برفع التكليف الدينية ، وتدين بالتناسخ والحلول والتلاشي وشيوعية المرأة (٤) .

وقد أدرك الغزالي جيداً أن عقيدة الباطنية تصادف هوى في نفوس العامة حين السبب في رواج حيلتهم وانتشار دعوتهم ، مع ركافة حاجتهم وفساد طريقتهم (٥) ووافق رأى ابن الجوزي رأى الغزالي في أن السبب في سهولة انقياد العامة لتعاليمهم الالحادية يعود الى أن الباطنية كانت تركز دعوتها على المزارعين وأصحاب الحرف ، ممن كانت ثقافتهم محدودة ، وكانوا يعانون من أوضاعهم

(١) الغزالي : فضائح الباطنية / ص ١٩ .

(٢) الغزالي : فضائح الباطنية من ص ١١ - ص ١٧ ، الديلمي : بيان مذهب

الباطنية مطلقاً / ص ص ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ .

(٣) ابن الجوزي : تلبيس ابليس / ص ص ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ .

(٤) الغزالي : فضائح الباطنية / ص ١٨ ، ابن الجوزي : تلبيس ابليس / ص ص

١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ . الديلمي : بيان مذهب الباطنية / ص ٢٤ .

(٥) الغزالي : فضائح الباطنية / ص ٣٣ .

الاقتصادية السيئة خلال هذه الفترة. ولقد صنفهم الغزالي الى ثمانية أصناف بقوله:
 " فان قيل : هذا أيضا مع الكتمان ظاهر البطلان ، فكيف ينخدع بمثله عاقل ؟ :
 قلنا لا ينخدع به الا المائلون عن اعتدال الحال واستقامة الرأي ، فللعقلاء عسوارض
 تعمي عليهم طرق الصواب ، وتقضى عليهم بالانخداع بلامع السراب ، وهم ثمانية
 أصناف : الصنف الأول طائفة ضعفت عقولهم ، وقلت بصائرهم ، وسخفت في أمور
 الدين آراؤهم ، لما جبلوا عليه من البله والبلادة ، مثل السواد وأفجاج العسرب
 والأكراد وجفاة الأعاجم وسفهاة الأحداث ، ولعل هذا الصنف هم أكثر الناس
 هدا (١) " وعدد الغزالي بقية الطوائف " مابين طائفة انقطعت الدولة
 عن أسلافهم بدولة الاسلام ، كأبناء الأكاسرة والدهاقين ، وأولاد المجرسوس
 المستطيلين ، وطائفة لهم هم طامحة الى العلية ، متطلعة الى التسلط والاستيلاء (٢)
 وطائفة جبلوا على حب التميز عن العامة والتخصص عنهم ، ترفعا عن مشابهمهم ،
 وتشرفا بالتحيز الى طائفة خاصة ، تزعم أنها مطلعة على الحقائق ، وطائفة سلكوا
 طريق النظر ولم يستكملوا فيه رتبة الاستقلال (٣) ، وطائفة من ملحدة الفلاسفة والثنوية
 والمتحيرة في الدين ، اعتقدوا أن الشرائع نواميس مؤلفة ، وطائفة استولت عليهم
 الشهوات فاستدرجتهم متابعة اللذات واشتد عليهم وعيد الشرع وثقلت عليهم
 تكاليفه (٤) .

قال الديلمي : " واغلق أهل المقالات أن أول من أسس هذا المذهب المششوم
 قوم من أولاد المجوس ومقايا الخرمية والفلاسفة واليهود ، فجمعهم ناد واشتـوروا
 وقالوا : ان محمدا غلب علينا ، وأبطل ديننا ، واغلق له أعوان ، نصرنا مذهبهم ،

(١) الغزالي : فضائح الباطنية / ص ٣٣ - ٣٤ .

(٢) الغزالي : فضائح الباطنية / ص ٣٤ ، الديلمي : بيان مذهب الباطنية / ص ١٩

(٣) الغزالي : فضائح الباطنية / ص ٣٥ ، الديلمي : بيان مذهب الباطنية / ص ١٩ - ٢٠ .

(٤) الغزالي : فضائح الباطنية / ص ٣٦ ، الديلمي : بيان مذهب الباطنية / ص ١٩ - ٢٠ .

ولم يكن نبيا ، ولا مطمع لنا في نزع ما في أيديهم من المملكة بالسيف والمحاربة ،
لقوة شوكتهم ، وكذلك لا مطمع لنا في طريق المناظرة لما فيهم من العلماء والفضلاء
والمتمكّمين المحققين ، وانفقوا على وضع جيلة يتوصلون بها الى فساد دينهم من حيث
لا يشعرون ، ومنوا أمورهم على التبيين والتدليس ^(١) .

أما فيما يختص بالدراسات المعاصرة حول فرقة الاسماعيلية " الباطنية " فقد
تناولها الكثير من الكتاب المستشرقين والعرب بالدراسة والنقد والتحليل ، ومحاولة
الوصول الى حقيقة هذه الفرقة . وقد اعتد أغلب المستشرقين في دراساتهم لهذه
الفرقة على مصادر متباينة الاتجاهات والآراء والعقائد ، منها مصادر تاريخية
عامة ومنها ما يمثل نظرة أصحاب السلف ، ومنها شيعية اسماعيلية . والغريب
أن أكثر هذه الدراسات قام بها بعض القساوسة والكتاب الغربيين في العصور
الوسطى ، منهم القس الألماني بروكاردوس الذي يرى أن الحشاشين كانوا قتلـة
مأجورين ^(٢) . ويفسر فرانشسكو دابوتي في القرن الرابع عشر كلمة حشاش بقولـه :
" الحشاش هو الذي يقتل الآخرين مقابل أجر " ^(٣) . كما وجدت دراسات ونصوص
من هذه الفرقة في سجلات الصليبيين ، ويذكر برنارد لويس أنه وجد " وصفا مكسرا
لهذه الجماعة في تقرير كتبه معوث أرسله الامبراطور فريدريك ببروسه الى مصر
وسوريا عام (٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) ^(٤) بعد ذلك بسنوات قليلة كتب وليم أسقف
صور وصفا مختصرا لهذه الفرقة في تاريخه عن الدويلات الصليبية ^(٥) . أما الرحالة
الشهير ماركو بولو الذي عبر بلاد فارس في عام (٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م) فقد وصف
" قلعة الموت " التي ظلت طويلا قصرا لهذه الفرقة ^(٦) ، ويرى برنارد لويس أن

(١) الديلمي : بيان مذهب الباطنية / ص ١٩٠ .

(٢) برنارد لويس : الحشاشون / ص ١٢٠ .

(٣) ن ٤٠٠ ص : / ص ١٣٠ .

(٤) ن ٤٠٠ ص : / ص ١٤٠ .

(٥) ن ٤٠٠ ص : / ص ١٥٠ .

(٦) ن ٤٠٠ ص : / ص ٢٨٠ .

(١) دراسة سيلفستردى ساسي بحثابة علامة هامة فى تاريخ الدراسات الخاصة بالحشاشين حيث يقول " فتحت دراسة سيلفستردى ساسي الباب أمام سلسلة من الدراسات الأخرى حول الموضوع، كان أكثرها انتشارا بالتأكيد " تاريخ الحشاشين " الذى وضعه المستشرق النموى جوزيف فون هاسر ، ونشر بالألمانية فى شتوت جارت عام (١٢٢٤هـ / ١٨١٨ م) ، وترجم الى الفرنسية والانجليزية فى عام (١٢٤٩هـ / ١٨٣٣ م) وهو ينظر الى الحشاشين باعتبارهم اتحادا من الدجالين والمغفلين ، استطاع تحت قناع من التشدد الدينى والأخلاقى الاساءة الى كل الأديان والأخلاقيات^(٢)

ويذكر الأستاذ الدورى فى معرض حديثه عن الاسماعيليه عند تقديمه كتاب " أصول الاسماعيليه " لبرنارد لويس ، أن دى ساسي قد اعتمد فى حديثه عن الدعوة الاسماعيليه بالدرجة الأولى على نهاية الأرب للنويرى (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١ م) وعلى المقرئى (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١ م)^(٣) .

ويضيف بأن دورى كان ممن تعرضوا فى كتابه عن الاسلام ، وفى كتابه " تاريخ العرب فى الأندلس " لموضوع الحشاشين بشكل يوافق النتائج التى توصل اليها دى ساسي^(٤) .

ويذكر الدورى بأن المستشرق دى غويه فى كتابه تاريخ علاقة قرامطة البحرين بالفاطميين^(٥) قدم خطوات حسنة فى الموضوع ، لاعتماده فى بحثه على عدد كبير من المصادر السنيه ، اضافة الى اهتمامه بالنقد والتحليل^(٦) ، وأشاد الأستاذ الدورى بدراسة الدكتور برنارد لويس فى كتابه " أصول الاسماعيليه " الذى اعتمد فيه على مجموعة كبيرة من المصادر السنيه والاسماعيليه^(٧) وأخذ عليه الدورى فى بحثه هذا عدم

(١) برنارد لويس : الحشاشون / ص ٢٨٠ .

(٢) ن . م . ص / ص ٣١٠ .

(٣) ن . م . ص / ص ١٠٠ .

(٤) ن . م . ص / ص ١٢٠ .

(٥) Memoire sut les carmathes du Bahrain et les fatimidis. Leide 1886.

(٦) برنارد لويس : أصول الاسماعيليه / ص ١٣٠ .

(٧) ن . م . ص / ص ٢٢٠ .

اهتمامه بالناحية الاقتصادية وأثرها ، ولعل هذا ما يوضح أسباب تركيز الدكتور
الدوري على هذه الجوانب في كتابه تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري^(١)
وفي كتابه الآخر دراسات في العصور العباسية المتأخرة^(٢).

وعلى أي حال ، فقد كان القرنان الخامس والسادس الهجريان عصر نشاط
الاسماعيلية ، خصوصا بعد بروز دور أحمد بن عبد الملك بن عطاء^(٣) وتلميذه
الحسن الصباح^(٤) في تنظيم الدعوة الاسماعيلية حيث تضاعف نشاطها في تلميح
معتقداتها ، وإيجاد المراكز المناهضة لآراء أهل السلف والخلافة العباسية ،
ان كانت اتجاهاتها مناهضة سواء ضد الفرق الأخرى ، أو ضد سلطة الخلفاء
والسلاطين . وقد اتخذت هذه الدعوة مركزها الرئيسي قرب بحر قزوين لبعدها عن
مركز الخلافة ، ولوجود عدد من المناوئين هناك^(٥).

وقد استفاد أحمد بن عبد الملك بن عطاء من اختلاف السلاجقة فيما بينهم ،
فاستولى على قلعة أصفهان (شاء دز)^(٦) ، وهي من قلاع أصفهان الحصينة ،

-
- (١) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي من ص ٧٥ - ص ٧٩ . صدر من الكتاب
طبعتين ، بيروت ، لبنان - دار المشرق .
- (٢) الدوري : دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص ٢٢ ، ١٧٨ - ١٨٦ .
- (٣) زعيم باطني من أهل أصفهان ، اجتمع عليه عدد من باطنيتها المعروفين
بالاسماعيلية (توفي بأصفهان عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م) . ابن الأثير : الكامل
ج ٨ / ص ٢٠٠ .
- (٤) الحسن الصباح بن علي الاسماعيلي (توفي عام ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م) داهية شهم
شجاع عالم بالهندسة والحساب والنجوم ، كان من أعيان الباطنية في عهد
ملكشاه . ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٢٠١ . الذهبي : ميزان الاعتدال
ج ١ / ص ٢٣٢ ، دائرة المعارف الإسلامية ج ٢ / ص ١٨٢ .
- (٥) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٢٠٠ .
- (٦) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٢٠١ ، ياقوت : معجم البلدان ج ٣ / ص ٣١٦ .

وملاها بالأسلحة والعتاد ، واتخذها مركزا لدعوتها ، فتبعه خلق كثير من أصفهان ،^(١)
 بعد رجوع الحسن الصباح من مصر عام (٤٨٣هـ / ١٠٩٠م) استولى على " قلعة الموت"^(٢) والتي كانت بداية لسقوط الكثير من القلاع في هذه المنطقة كقلعة
 (وسنكوه) قرب أبهر^(٣) التي استولوا عليها عام (٤٨٤هـ / ١٠٩١م)^(٤) ، وقلعة
 (خالنجان) ، قرب أصفهان ، وقلعة (استوناوند) بين الري وآمل ، وقلعة
 (خلادخان)^(٥) .

استولى الباطنية على هذه القلاع جميعها ، في نفس الوقت الذي انتشر فيه
 دعائهم في بلاد فارس والعراق ، وكان آخر ما لجأوا اليه هو التصفية الدموية لكل من
 يعارضهم ، وذلك بانطلاق الانتحاريين من " قلعة الموت " التي اشتهرت في عهد
 الحسن الصباح ، وأصبحت مصدر رعب للأمراء والوزراء والولاة والخلفاء^(٦) . فلقد
 انطلقت منها فرق الحشيشية التي اغتالت الخليفة المسترشد بالله العباسي^(٧) عام
 (٥٢٩هـ / ١١٣٤م) ، والوزير السلجوقي نظام الملك عام (٤٨٥هـ / ١٠٩٢م) والوزير^(٨)
 أبو الفرج محمد بن عبد الله رئيس الرضا عام (٥٧٣هـ / ١١٧٧م)^(٩) ، يقول البنداري

-
- (١) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٢١٠ .
 (٢) الموت : قلعة بنواحي قزوین واسمها بلغة الديلم " آله موت " ومعناها " تعليم العقاب . ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٢٠١ .
 (٣) أبهر : مدينة مشهورة بين قزوین وزنجان وهذان من نواحي الجبل . ياقوت : معجم البلدان ج ١ / ص ٨٢ .
 (٤) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٢٠٢ .
 (٥) ن . م . م . ج ٨ / ص ٢٠٢ .
 (٦) ن . م . م . ج ٨ / ص ٢٠٣ .
 (٧) العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٤ / ص ٨٦ .
 (٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ١٢٨ ، أبوشامة : الروضتين ج ١ ص ٢٥ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٣ / ص ١٣٥ .
 (٩) العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٢٤٤ .

" فنابت النواذب ، وظهرت العجائب ، وفارق الجمهور من بيننا جماعة نشأوا على طباعنا وكالوا بصاعنا ، وكانوا معنا في المكتب ، وأخذوا حظا وافرا من الفقه والأدب ، وكان منهم رجل أقام الفتنة كل قيامه ، واستولى في مدة قريبة على قسلاع وحصون منيعة ، هدا من القتل والفتك بأمر شنيعة . . . " (١) فكان الوزير نظام الطك أول ضحاياهم من الكبراء ، خلال فترة البحث ، وذلك عندما وقف فسي وجوههم فكربا بانشاء المدارس النظامية التي كانت تستهدف تخريج أكبر عدد من المثقفين من أهل السنة ، للدفاع عن العقيدة السلفية ، والوقوف في وجه أباطيسل الشيعة وفرقها المتنوعة ، وخاصة الاسماعيلية الباطنية والذي خطط هدا خطوات مواجهتهم بالقوة والوقوف في وجوههم حربيا ، وذلك بإرساله الجيوش لمحاصرة " قلعة الموت " بعد استيلائهم عليها . (٢)

وعلى العموم فقد حرص السلاجقة على تعقب دعوتهم في هذا العصر ، وشكل خاص ، على أيام ملكشاه ووزيره نظام الطك (٣) والسلطان بركيارق (٤) الذي أمر بقتلهم حيثما ثقفوا عام (٤٩٤هـ / ١١٠٠م) بعد أن سارت الحوادث على شكل ينبي " بنجاح دعوتهم ، وأصبحوا خطرا يهدد الخلافة العباسية بالزوال . وهكذا فقد اتسعت جهود الخلفاء العباسيين والسلطين السلاجقة في ملاحقة الاسماعيلية ويدها القادرة المثلة في الحشيشية بكل حزم وشدة ، بقصد القضاء عليها ، بعد أن تبين لهم خطرها الذي كان يهدد الاسلام والمسلمين . (٥) ويبدو أن تلك الجهود قصد

-
- (١) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٦٨ ، وأنظر المزيد من أخبارهم في : ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ص ١٢٠ - ١٢٢ - ١٢٣ .
 (٢) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٢٠٢ .
 (٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٢١ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٢٠٠ ، ص ٢٠٥ .
 (٤) بركيارق بن ملكشاه السلجوقي ركن الدين تولى الطك عام (٤٨٦هـ / ١٠٩٣م) ، وتوفي عام (٤٩٨هـ / ١١٠٤م) . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ٢٦٨ ، الراوندي : راحة الصدور / ص ٢١٤ وأخباره متفرقة في عدد من الكتب التاريخية .
 (٥) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٢١ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٢٠٠ - ٢٠٥ .
 (٦) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٢٠٣ ، ج ٩ / ص ١٢١ ، تلميس إبليس / ص ١٠٩ .

أتت بنتائج طيبة ، فقد اضطر أتباع هذه الفرقة الضالة للهروب الى الجبال البعيدة في أقصى شمال شرق الدولة الاسلامية . وهذا يعنى أن خطر هذه الفرقة قد كمن وانزوى ، وأنه لم يكن من المستطاع القضاء عليهم بشكل تام ونهائى ، وهذا أمر متوقع ، فالفكرة لا تقاوم الا بالفكرة المضادة التى تفضحها وتقضى عليها ، وان استعمال القوة بازائها وان كان قد أبعد أخطارهم ، وقلص من قوتها وقدراتها ، فانه لم يقضى عليها ، فقد ظلت هذه الدعوة تضعف وتنشط بحسب الظروف والأحوال المتاحة لها ، الى أن ظهرت قوة المغول حيث تم القضاء على فلولهم عند استيلاء المغول على " قلعة الموت " عام (٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) ، وذلك تم القضاء على مركز التنظيم الأساسى لهم ان لم يعد للحشيشية بعد ذلك أثر كبير فى هذه المنطقة .^(١)

الصوفية :

التصوف نزعة من النزعات ، وليس فرقة مستقلة ثابتة الآراء والأهداف والتعليمات وان كان هناك بعض التماثل فى الأساليب واعتاد التسلسل فى الطريقة ، ولذلك يصح أن يكون الرجل سنيا متصوفا ، أو شيعيا متصوفا ، أو معتزليا متصوفا .

وليس من السهولة بمكان تعريف التصوف ، ذلك لأن التصوف لم يكن له فى يوم من الأيام طريقة منتظمة معدودة أو معينة من الناحية النظرية أو العملية ، بل كان له فى كل عصر مفهوم خاص^(٢) على أنه تعرض لتعريف التصوف العشرات من علماء الصوفية أو من كتب عنهم . فالجنيد البغدادي (المتوفى عام ٢٩٧هـ / ٩٠٩م) من معتدلى صوفية بغداد عرف التصوف بتعاريف كثيرة ، منها قوله : " التصوف هو تصفية

(١) برنارد لويس : الحشاشون / ص ١٦٦ ، دائرة المعارف الاسلامية ج ٢ / ص ١٨٨ ،

ج ٧ / ص ٤٣٤ .

(٢) قاسم غنى : تاريخ التصوف فى الاسلام / ص ٢٦٩ .

القلب من مراجعة الخلقة والمفارقة من أخلاق الطبيعة ، وامانة الصفات البشرية ، والابتعاد عن الدواعي النفسانية ، والنزول على الصفات الروحانية ، والسمو الى العلوم الحقيقية ، ونصيحة الأمة كلها ، والوفاء في العمل بالحقيقة ، ومتابعة النبي في الشريعة" (١) . أما الشيخ معروف الكرخي (المتوفى عام ٢٠٠هـ / ٨١٥ م) فانه يرى بأن " التصوف الأخذ بالحقائق ، واليأس مما في أيدي الخلائق ، فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف " (٢) .

وقد فرق الشيخ عمر السهروردي (المتوفى عام ٦٣٢هـ / ١٢٣٤ م) بين الزهد والفقر والتصوف قائلاً " التصوف غير الفقر ، والزهد غير الفقر ، والتصوف غير الزهد . فالتصوف اسم جامع لمعاني الفقر ومعاني الزهد ، مع مزيد أوصاف واضافات لا يكون بدونها الرجل صوفياً ، وان كان زاهداً وفقيراً " (٣) .

أما في العصر الحديث ، فقد عرف ماسينيون التصوف بأنه " مصدر الفعل الخماسي المصوغ من (تصوف) للدلالة على لبس الصوف ، ومن ثم كان التجرد لحياة الصوفية يسمى في الاسلام صوفياً ، وينبغي رفض ما عدا ذلك من الأقوال التي قال بها القدماء والمحدثون في أصل الكلمة " (٤) .

أما نشأة كلمة " صوفي " أو " متصوف " ففي صدر الاسلام كان الاقبال على الدين والزهد في الدنيا غالباً على المسلمين ، فلم يكونوا في حاجة الى وصف يمتاز به أهل التقى ، قال ابن الجوزي : " كانت النسبة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان والاسلام ، فيقال : مسلم ، ومؤمن . ثم حدث اسم : زاهد وعابد . ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد ، فتخلوا عن الدنيا ، وانقطعوا

(١) العطار : تذكرة الأولياء ج ٢ / ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) السهروردي : عوارف المعارف / ص ٥٤ .

(٣) ن ٤٠٠ ص / ص ٥٥ .

(٤) دائرة المعارف الاسلامية ج ٥ / ص ٣٦٥ . مادة " تصوف " .

الى العبادة ، واتخذوا في ذلك طريقة تغردوا بها^(١) ولكن بعد الاقبال على الدنيا ، وجنوح الناس الى مخالطة المتاع الدنيوى ، قيل للخواص من لهم شدة عناية بأمر الدين : الزهاد ، والعباد ، ثم ظهرت الفرق الاسلامية ، فادعى كل فريق أن فيهم زهادا وعبادا^(٢) واشتهر هذا الاسم قبل المائتين ، ولم يكن موجودا على عهد الصحابة رضوان الله عليهم^(٣) ، قال القشيري : " انغرد خواص أهل السنة ، المراعون أنفاسهم مع الله تعالى ، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف ، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة " .^(٤)

ولقد تناول الخوف في موضوع الصوفية ، عدد كبير من العلماء والباحثين قديما وحديثا . وكان لكل وجهة نظره الخاصة ، حسب اتجاهاته وفكره وعقيدته . وكان الجميع يتفقون حول نشأتها ، وتطورها التاريخي ، غير أنهم يختلفون حول ماهيتها ، وأسباب ظهورها ، وأهدافها ، ومدى ارتباطها بواقع الحياة بشقي جوانبها .

على أن الذي دعا الى دراسة هذه الفئة في العراق خلال العصر السلجوقي هو ما ينعكس في الكتابات المعبرة عن الفكر الصوفي في هذا العصر من عمق وخصوصية ، وما يلاحظ عليه من التزام بالمفاهيم العلمية .

وطيه فقد كان الصوفيون بأربطتهم وزواياهم ومصنفاتهم وفكرهم وعلومهم ، ففي هذا العصر يمثلون مدرسة علمية خاصة ، كان لها آثارها على بعض جوانب الحياة العلمية والفكرية ، اضافة الى آثارها الاجتماعية . بجانب ما كان لهذا الفكر من علاقة بأوضاع العصر المختلفة . ففي العصر السلجوقي راجت سوق الصوفية ، ثم ان الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في العراق في هذه الفترة ، شكلت

(١) ابن الجوزي : تبيين البليس / ص ١٦١ .

(٢) ن ٢٠٠ ص / ص ١٦١ .

(٣) ن ٢٠٠ ص / ص ١٦٢ .

(٤) القشيري : الرسالة القشيرية / ص ٧ - ٨ .

عاملا مشجعا لانخراط أعداد كبيرة من المجتمع في سلك الصوفية ، هذا بالإضافة الى ميل عامة المسلمين الى احترام الزهاد وتوقيرهم والنظر اليهم باكبار واجلال^(١) . ولقد اتسعت موجة الزهد والعزوف عن الدنيا ، حيث انها أصبحت ظاهرة اجتماعية ضمت مجموعات لم يكن من المتوقع انخراطهم في سلكها ، فالأمير سليمان بن نظام الملك متولي المدرسة النظامية حضرا أحد مجالس أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، " فتواجد وفرق ثيابه ، وكشف رأسه ، وقام وأشهد الواظ والجماعة أنه قد اعتنق ما يملك من الرقيق ووقف أملاكه " ^(٢) . وذكر ابن الدبيثي " أن الحسن بن عبد الله بن أبي الفوارس الحاجب كان خصيما بخدمة الوزير أبي الفرج رئيس الرؤساء^(٣) ملازما له ، وانقطع في آخر عمره الى الصوفية وأقام بهراط الزوزني " ^(٤) .

على أن انصراف المتصوفة عن الدنيا ، وانشغالهم بالدين والعلم في هذا العصر واحترام الناس لهم ، وكثرة ارتباطهم ، والتفاف الكثير من الناس حولها ، قد لفت أنظار الحكام اليهم فبدلوا كل ما يستطيعون لتقريبهم والسيطرة عليهم ، واستمالة زعائنهم . فأصبح الصوفية فئة مميزة في المجتمع ، فأصبحت لرؤسائهم مكانة مرموقة عند الخلفاء والوزراء ، فكانوا يحضرون مجالس وولاتم الخلفاء والوزراء أسوة بكبار رجال الدولة . ^(٥)

-
- (١) ابن الجوزي : تلبيس ابليس / ص ١٦١ .
(٢) بدرى محمد فهد : تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير / ص ٣٩٧ .
(٣) أنظر عنه : ابن الطقطقي : الفخرى / ص ٣١٩ .
(٤) ابن الدبيثي : ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد / ورقة ٣٤٥-٣٤٦ .
(٥) ابن الجوزي : تلبيس ابليس / ص ٢٢١ . بدرى محمد فهد : تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير / ص ٣٩٧ .

وكان من أشهر رجال الصوفية في العراق في هذا العصر الشيخ عبد القسادر الجيلاني (المتوفى عام ٥٦١ هـ / ١١٦٥ م)^(١) الذي قال عنه سبط ابن الجوزي "وكسان سكوته أكثر من كلامه، فظهر له صيت عظيم وقبول تام، وتاب على يده معظم أهل بغداد، وأسلم معظم اليهود والنصارى".^(٢)

أما الثاني فهو أحمد الرفاعي (المتوفى عام ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م) وكان لاتباع طريقته في التصوف أعمال عجيبة، كابتلاع الجمر والأفاعي الحية والزجاج.^(٣)

ولقد تعددت مشارب وأهداف الصوفية في هذا العصر، فقد ظهر متصوفة لا يلتزمون بآداب الصوفية^(٤). فقد أنكر ابن الجوزي ذلك على متصوفة زمانه فهاجم وقدح فيهم، وأنكر عليهم حبهم لسماع الأغاني والرقص^(٥)، وتشير المصادر إلى أنه في عام (٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م) "اجتمع جماعة من الصوفية برباط شيخ الشيوخ ببغداد"^(٦) وكان معهم مغن يغني فيحرك الجماعة على عادة الصوفية".^(٧)

-
- (١) عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والمتصوفين، له مجموعة مصنفات. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٥ / ص ٣٧١، المكتبي: فوات الوفيات ج ٢ / ص ٣٧٣، العماد الحنبلي: الشذرات ج ٤ / ص ١٩٨.
 - (٢) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج ٨ / ص ٢٦٤.
 - (٣) ابن العماد: الشذرات ج ٤ / ص ٢٥٩، دائرة المعارف الإسلامية ج ١٠ / ص ١٤٧.
 - (٤) أنظر آداب الصوفية في: السهروردي: عوارف المعارف من ص ٢٥٠ إلى ص ٢٦٨.
 - (٥) ابن الجوزي: تلبيس إبليس من ص ٢١٧ إلى ص ٤٠٢.
 - (٦) ن. م. م. / ص ٢٢٢ - ص ٢٥٨.
 - (٧) هو رباط الزاهد أبو العباس السيد أحمد بن علي الرفاعي المتوفى عام (٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م) شيخ الطريقة الرفاعية، العماد الحنبلي: الشذرات ج ٤ / ص ٢٥٩.
 - (٨) الأشرف القسائي: المعجم السبوك ج ٢ / ص ٢٨٧.

على أن هناك من رجال الصوفية من كانوا من الأتقيا المنصرفين عن الدنيا ،
والذين لا يخافون قول الحق ، قال سبط ابن الجوزي في الجيلاني " وكان
يصدع بالحق على المنبر ، وينكر على الظلمة ولما ولي (الخليفة) المقتدى (لأمر
الله) القاضي ابن العرخم^(١) الظالم قال على المنبر (مخاطبا الخليفة) " وليت على
المسلمين أظلم الظالمين ، فما جوابك غدا عند رب العالمين . . . " ^(٢)

وحين ننظر الى الجماعات التي انتشرت فيها مبادئ الصوفية في هذا العصر
نجدها في الغالب فئات اجتماعية فقيرة . ولم تبرز هذه الظاهرة في بغداد عاصمة
الخلافة العباسية فقط بل انتشرت كذلك في بلاد فارس ومصر والشام وغيرها . مع
ملاحظة صورة الفقر المنتشرة بين جماعات الصوفية . ولم يكن فقرهم غالبا بسبب
تصوفهم ، بل ان تواكلهم وسوء سلك الكثير منهم هو الذي كان سببا لفقرهم ،
قال ابن الجوزي : " قال ابن عقيل : نقلته من خطه وأنا أذم الصوفية لوجوه
يوجب الشرع ذم فعلها ، منها أنهم اتخذوا مناخ البطالة وهي الأريطة ،
فانقطعوا اليها عن الجماعات في المساجد ، وصعدوا فيها للبطالة عن أعمال
المعاش ، وبدنوا أنفسهم بدن البهائم للأكل والشرب والرقص والغناء " ^(٣) فلقد
وجدت هذه الجماعات المختلفة الفقيرة مهتفاها في الأريطة والزوايا ، قال ابن
الجوزي : " والتصوف طريقة كان ابتدأها الزهد الكلي ، ثم ترخص المنتسبون
اليها بالسماع والرقص ، فمال اليهم طلاب الآخرة من الموام لما يظهرونه من التزهد
ومال اليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب " ^(٤) فهؤلاء المتصوفة

- (١) أبو الوفاء شديد الدين يحيى بن سعيد بن يحيى بن المظفر ، صار أفضى القضاة
ببغداد في أيام المقتدى العباسي ، وقد وصفه المؤرخون بالظلم والجور
والارتشاء قتل عام (٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) . ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ١٩٤ ،
ابن الأثير : الكامل ج ١٠ / ص ١٢٠ .
(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٢٦٥ .
(٣) ابن الجوزي : تلبيس إبليس / ص ٢٧٢ .
(٤) ن ٢٠٠ - س / ص ١٦١ .

في هذا العصر وجدوا في الأريطة ملاذا للفرار من صروف الحياة بحثا عن حياة أفضل ، وطمعا في الحصول على ما تجود به أيدي الأغنياء والخلفاء ، قال ابن الجوزي : " وهذا الذي نهينا عنه من التثقل الزائد في الحد ، قد انعكس في صوفية زماننا ، فصارت همهم في المأكّل ، لهم الغذاء والعشاء والحلوى ، وكل ذلك أو أكثره حاصل من أموال وسخة ، وقد تركوا كسب الدنيا ، وأعرضوا عن التعبد ، وافترشوا فراش البطالة ، فلا همّة لأكثرهم إلا الأكل واللعب " (١).

أثر الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية على الناحية العلمية :

يقول ابن خلدون " ان اختلاف الأجيال في أحوالهم ، انما هو باختلاف نعلتهم من المعاش " (٢) ، فهذه الملاحظة الأساسية تعد تحليلا دقيقا يكشف أن اختلاف أحوال الناس السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعقائدية تؤثر على ثقافتهم وتفكيرهم ونتاجهم العلمي .

والراجع أن الأوضاع السابقة الذكر تكوّن ، مجتمعة ، عاملا كبيرا له أثره البارز على الحياة الفكرية والعلمية في العصر السلجوقي في العراق ، كما أن له أثره المشابه في جميع العصور والأقاليم .

ومما يلفت له أن الغالبية العظمى من مؤرخي هذه الفترة والفترة التالية كان اهتمامهم في دراساتهم التاريخية منصبا على تسجيل الحوادث كالحرب والسلام ، وتداول الخلافة وأخبارها ، دون أن يولوا اهتماما كبيرا للأوضاع الاجتماعية، وخصائص الحياة العامة والاقتصاد ، وفي محاولة الباحث اليوم لتقصي أحوال الناس في تلك الفترة ، ومحاولة ربطها بالنواحي العلمية والفكرية ، ينبغي له أن يسعى ، في

(١) ابن الجوزي : تبيين البلي / ص ٢٢١ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة / ص ١٢٠ .

منهج دقيق ، الى تتبع العلل وكشف الأسباب ، ولا يتحقق ذلك دون الاطلاع على عشرات المصادر المختلفة التخصصات ، المتباعدة الاتجاهات في محاولة للوصول الى نتائج قريبة من الواقع ، لأننا في دراستنا لفترة العصر السلجوقي في العراق انما ندرس وضع أمة ، ذلك أن ما يصح قوله عن العراق يصح أن ينسحب على أقاليم الدولة العباسية المختلفة مثل بلاد فارس وبلاد الشام وسائر بلدان الخلافة الخاضعة للحكم السلجوقي .

يقول أحد الباحثين : " والحاصل أن هذه الأوضاع أدت الى خروج العلم عن محوره الحقيقي ، وهو البحث في حقائق الأشياء ، كما آلت الى انحطاط مستوى تفكير العلماء وضياح أوقاتهم في الخصومات بينهم ، وشيوع العصبية وضيق الأفق ، وأصبحت الحكمة والفلسفة أداة للمناظرة والجدل بين أصحاب المذاهب " (١).

ويتفق عبد النعيم حسنين مع هذا الرأي بقوله : " منذ استيلاء العناصر التركية على البلاد الاسلامية ، وشيوع الأوهام والخرافات وضيق الفكر ، وظهور روح اليأس التي كانت تجري كالسم الزعاف في أجسام المفكرين قد قوت جذور الضعف الأخلاقي والمعنوي والانحطاط العلمي والاجتماعي " (٢).

ويفهم من كلامه أيضا أن اهتمام حكام العصر والعلماء خلال هذا العصر بالعلم ، لم يكن بسبب مدى أهميته في الحياة العامة ، بقدر ما يحقق من هدف أساسي يتمثل في خدمة العقيدة . ويذكر أن العلوم في هذا العصر كانت تسرج بحسب ساعدة الأوضاع أو عدم ساعدها ، ويرى أن العلوم الدينية كالحديث والفقه والعلوم الشرعية كانت أكثر رواجاً وشيوعاً ، وكانت موزدة الحاجات العامة ، في حين أن بقية العلوم ، ولا سيما الفلسفة ، كانت تعتبر من العلوم المستظرفة (٣).

(١) قاسم غني : تاريخ التصوف في الاسلام / ص ٦٥٧ .

(٢) ن . م . س / ص ٦٧٦ ، عبد النعيم حسنين : دولة السلاجقة / ص ٦٣ ، سلاجقة

ايران والعراق / ص ١٧٧ ، ص ١٧٨ ، ص ١٨١ .

(٣) قاسم غني : تاريخ التصوف في الاسلام / ص ٦٧٨ .

ويعلل قاسم غنى السبب في نهضة العلوم الدينية في هذا العصر بقوله : " ذلك لأن العلوم الدينية كانت في ذلك القرن - القرن السادس - أكبر العوامل لتهيئة المعاش للأفراد ، أى ان الانسان كان بإمكانه أن يصل بمعرفة العلوم القرآنية والفقه والحديث الى منصب القضاء ، والوعظ ، والامامة ، ورواية الحديث ، والتذكير ، والتدريس في المدارس ، وأن يتقرب الى الأمراء والملوك ، ويكون موضعاً لاحترام الخلق والاعجاب ، والحصول على رفاهية العيش ، بينما المشتغلون بالعلوم الفلسفية والعقلية يعيشون في الفقر والبؤس ، وكانت علومهم وحكمتهم سبباً لتعاستهم ونكبتهم ^(١) .

هذا ما ذهب اليه قاسم غنى ، واتفق معه عبد النعيم حسنين في تناولهما لنهضة العلوم في هذا العصر ، وتأثرها بالظروف المختلفة . وهي نظرة وان كانت تتسم بالواقعية في بعض جوانبها الا أنه لا يمكن الاتفاق على الكثير منها .

فمنذ سيطرة السلاجقة على مناطق العالم الاسلامي في المشرق كان هذا ايذاناً بنهضة علمية واسعة ، ربطت المدن الاسلامية من أقصى المشرق الاسلامي حتى سواحل بلاد الشام ، وامتد ذلك الى مصر وافريقية وبلاد الأندلس ، وذلك عن طريق المدارس النظامية التي انتشرت في هذا العصر ، والتي أنفقت عليها أموال طائلة من حاصلات الأملاك والأوقاف ، وأسست المكتبات لهذه المدارس ، وانتظم فيها الآلاف من الطلاب وعين للتدريس فيها مشاهير العلماء ، وكان قد عهد بإدارة كل مدرسة الى رئيس يتولاها ، وعدد من النظار والمشرفين ، يقومون بالاشراف عليها ، وصرف مرتبات المدرسين والطلاب والعمل على ترفيه حالهم . وذلك لتخريج دفعات من الشباب المتسلح بسلاح العلم والمعرفة الحققة ، للدفاع عن الاسلام والعقيدة السلفية الصالحة ، والوقوف في وجه الحركات المفردة المضادة للاسلام ، كالحركة الاسماعيلية * الباطنية * التي نشرت سمومها ومبادئها الهدامة

(١) قاسم غنى : تاريخ التصوف في الاسلام / ص ٦٧٨ .

بين أفراد المجتمع الاسلامى فى العراق وفارس ، وكادت أن تعصف بحياة الاسلام والمسلمين .

والذى لاشك فيه أن العلم فى هذا العصر قد تأثر بالتغيرات والتطورات السياسية والدينية تأثرا كبيرا ، فالدولة السلجوقية كانت سنية حنفية المذهب ، وكان خلفاء بنى العباس سنيين ، وفى الجانب الآخر كان هناك الشيعة الذين وقفوا من أهل السنة والسلف موقف المعارضين ، والذين كانوا يرون أن الخلفاء العباسيين اغتصبوا الخلافة وأن أصحاب الحق فيها هم أبناء على من فاطمة الزهراء .

كما ينهض ألا ننسى الفرق الاسلامية الأخرى ، كالمعتزلة والمرجئة والجهمية وغيرها ، وهى فرق كثيرا ما كانت تتعرض لمناقشة الكثير من الأمور السياسية والدينية وهذا بدون شك أدى الى صراع فى الآراء ، ومناقشات احتدمت فترة طويلة من الزمن ، وخاصة عند مناقشة المسائل الخلافية . وهنا كان يبرز دور علماء السنة وخاصة شيوخ وخريجو المدارس النظامية بشكل واضح ، لمناهضة أفكار هذه الفرق ، فالامام الماوردى (المتوفى عام ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) ، والامام الغزالى (المتوفى عام ٥٠٥هـ / ١١١١م) والامام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (المتوفى عام ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) وغيرهم من علماء أهل السنة قد ألفوا العشرات من الكتب التى تعرضوا فيها لمناقشة الكثير من الأمور السياسية والفقهية والمتعلقة بالخلافة وسياسة الحكم .

هناك عليه فالعلوم الاسلامية ، من الفقه والأصول والحديث وعلم الكلام والتفسير والأدب العربى وطولم اللغة والطب ، نهضت فى هذا العصر نهضة لاحدود لها . أما فيما يتعلق بالدراسات الفلسفية وعلوم الأوائل والعلوم الصرفة فلم يكن لها ذلك النصيب الوافر من الدراسة والاهتمام .^(١)

(١) نلاحظ فى هذا العصر موقف أهل السنة المتشدد ازاء هذه العلوم لاسيما الحنابلة وموقفهم من الفلسفة وعلم الكلام ودراسات المعتزلة . فابن الأثير فى كتابه الكامل ، وابن الجوزى فى كتبه : المنتظم ، وصيد الخاطر ، وتلخيص ابلين وغيرها من المصادر ، تحدثا عن حوادث غريبة تعرض لها العلماء المهتمون بمثل هذه الدراسات ، كما تعرضت كتبهم للحرق . وسوف نتعرض لذلك فى الباب الثانى " الكتب والمكتبات " والباب الثالث من هذا البحث .

والواقع أن تطور المجتمع ، وتطور الحركة الثقافية ، وواقع الظروف الاقتصادية في هذا العصر ، بالإضافة الى ظهور الكثير من الحركات الهدامة " كالباطنية " وانتشارها في الأوساط الاجتماعية المختلفة أدى الى ظهور الكثير من القضايا الفكرية التي أثرت على الكثير من الناس ، وأدت الى بلبلة أفكارهم ، وانتشار الغوضى وانحطاط الأخلاق ، وانعدام الفضائل^(١) ولذلك يقول الشاعر أبو الحسن محمد بن علي بن أبي الصقر الواسطي^(٢) :

يا نظام الملك قد حــــــل بهخداة البظــــام
وابنك القاطن فيهمــــــا مستهان مستضــــام^(٣)

وكان العراق في هذا العصري موج بالفرق المختلفة ، مما أدى الى شمول حالة صراع فكري عنيف استتبع ايجاد نهضة علمية ، ذلك أن هذه الفرق اتخذت العلم وسيلة لتحقيق أهدافها ، فكان للجدل الذي قام بين هذه الفرق أثر بعيد في احداث تلك النهضة العلمية التي تمثلت في الآثار التي خلفها علماء العصر على اختلاف مشاربهم وآرائهم^(٤) كما أن الكبراء المنتمين الى المذاهب الأربعة لأهل السلف كان لهم دور عظيم في تنشيط الحركة العلمية في هذا العصر ، تمثل في انشاء المدارس الشافعية ، والحنفية ، والحنبلية ، والزوايا والأربطة ، فكان لكل مذهب مدارس معروفة ، فكان رجال الأمة الحريصون على مصالح الاسلام جادين في العمل على دعم النشاط العلمي والثقافي واشاعة العلوم الشرعية ، وتبني استخدام المنطق والجدل وعلم الكلام للدفاع عن عقيدة أهل السلف . وقد

- (١) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق / ص ١٧٣ .
(٢) من شعراء الدولة القائمة والمقتدرية والسستظهيرية توفي عام (٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م) ، الأصفهاني : خريدة القصر ج ٤ / ص ٣١٥ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ١٨ / ص ٢٥٧ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ١٠ .
(٣) الأصفهاني : خريدة القصر ج ٤ / ص ٣١٦ .
(٤) عبد النعيم حسنين : دولة السلاجقة / ص ١٧٠ .

أدى هذا الى انتعاش علمي هائل تمثل فيما ظهر من المؤلفات المختلفة للدفاع عن العقيدة وشرح أصولها ، وإبراز وجهات النظر الفقهية المذهبية ، وإخراج تراجم لرجالها ، والكتابة عن مناقب شيخ المذهب .

ولقد أسهمت الصوفية في هذا الازدهار العلمي والنهضة الثقافية ، فيقول الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي (المتوفى عام ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م) " فالصوفية أخذوا خطأ وافرا من علم الدراسة ، فأفادهم على الدراسة العمل بالعلم ، فلمسا علوا بما علموا أفادهم العمل على الورثة ، فهم مع سائر العلماء في طومهم ، وتميزوا عنهم بعلوم زائدة ، هي علوم الورثة ، وعلم الورثة هو الفقه في الدين " (١) كما أن مصادر تراجم رجال الصوفية كان لها أهميتها ، ذلك أن مشاهير علمائهم كانت لهم احاطة واسعة بالعلوم ، وقد خلف بعضهم آثارا قيمة ومهمة في الزهد والتصوف وأحوال المتصوفة وآدابهم ومثال ذلك أبو القاسم القشيري (المتوفى عام ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م) صاحب الرسالة القشيرية (٢) وعبد الله بن محمد الأنصاري الهروي (المتوفى عام ٤٨١هـ / ١٠٨٨م) مؤلف كتاب طبقات الصوفية ، والامام أبو حامد الغزالي (المتوفى عام ٥٠٥هـ / ١١١١م) ، وشقيقه أحمد بن محمد الغزالي (المتوفى عام ٥٢٠هـ / ١١٢٦م) ، والشيخ شهاب الدين السهروردي (المتوفى عام ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م) المشهور بكتابه عوارف المعارف . على أن أبا الفرج عبد الرحمن بن الجوزي قد قدح في مصنفاتهم ، ووصفها بالتلفيق والكذب وعلم الباطن ، حيث يقول : " وصنف لهم عبد الكريم القشيري كتاب الرسالة ، فذكر فيها العجائب مسن الكلام في الغناء ، والبقاء والقبض ، والبسط والوقت ، والحال ، والصحو ،

(١) السهروردي : عوارف المعارف / ص ١٦ .

(٢) ابن الجوزي : تلخيص ابلين / ص ١٦٥ .

والسكر ، والذوق ، والشرب ، والاثبات ، والتجلى ، والمكاشفة ، الى غير ذلك من التخليط الذى ليس بشئ^(١) وتفسيره أعجب منه^(٢) . ويقول فى موضع آخر : " وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم كتاب الاحياء على طريقة القوم ، ومسلأه بالأحاديث الباطلة ، وهو لا يعلم بطلانها ، وتكلم فى علم المكاشفة ، وخرج عن قانون الفقه وجمهور هذه التصانيف التى صنفت لهم لا تستند الى أصل ، وانما هى واقعات تلقفها بعضهم عن بعض ، ودونوها وقد سموها بالعلم الباطن^(٣) .

أما أربطة وخانقاهات الصوفية وزواياهم ومدى تأثيرها فى الحياة العلمية ففى هذا العصر بالعراق ، فسنحدث عنها فى الفصل الثانى من الباب الثانى ان شاء الله .

.....

(١) ابن الجوزى : تلبيس إبليس / ص ١٦٥ .

(٢) ن ٢٠٠ س / ص ١٦٦ .

الباب الثاني

مظاهر النشاط العامي في العراق
في العصر الساجوي

الباب الثاني

مظاهر النشاط العلمي في العراق

في العصر السلجوقي

لاحظنا مما سبق مدى تميز فترة الادارة السلجوقية للعراق عن فترة الاستيلاء الهويهي ، مما كان له أثر كبير انعكس في أوضاعه السياسية والاقتصادية والدينية والتي كان لها أثر واضح في الحياة العلمية والفكرية فيه .

ان الخلاف الواقع بين المذاهب الاسلامية والفرق لعب دورا كبيرا في تطور وانتعاش الحركة العلمية والثقافية على الرغم من كل ما يقال عن استخدام المسلم والمعرفة لخدمة المجادلات الدينية ، وتحديد المسائل العلمية بالأحاسيس المذهبية .

والواقع أن الجدل قد أثر في الحركة العلمية ، وكثيرا ما أدى الى خروج بعض الأبحاث والدراسات العلمية عن محورها الحقيقي . وما يلاحظ في هذه المرحلة أحيانا وجود حدود معلومة في البحوث ، حتى ليدور للباحث أحيانا أن جهود الكثير من العلماء قد أهدرت في محاولة التركيز على مسائل أشيعت بحثا وتمحيصا ، أو في تقديم ملخصات موجزة ، أو تعليقات وحواش ، أو شروح على انجازات من سبق من العلماء ، ويشذ عن ذلك عدد من الانجازات التي تمت في اطار الدراسات الشرعية واللغوية والطبية ، وجوانب محدودة من الدراسات الانسانية الأخرى ، وما يلفت النظر في التيار الثقافي خلال هذه المرحلة التحوط الشديد من الانسياق خلف ما يسمى بعلوم الأوائل ، كالفلسفة والمنطق ، ذلك التحوط الذي قد تحول الى تهمة قد تلحق الفرد ان هواقنتي المؤلفات في هذه العلوم ، وقد يؤدي ذلك بالبعض الى أن يقدر في عقيدتهم ، ومن

أمثلة ذلك ما حصل لأحد رجال الفترة ، وهو صدقة بن الحداد الناسخ الحنبلي
(١)
(ت ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م) .

كما أن هناك أمثلة أخرى لهذا الموقف ، ففي عام (٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م) كبست
دار عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر (٢) وأخرج منها كتب منها
الشفاء لابن سينا ، والنجاة ، ورسائل اخوان الصفا ، وكتب الفلسفة والمنطق ،
فأحرقت أمام الناس ، ولعن عبد السلام (٣) . وحين قبض على ابن المرخم القاضي
أخذت كتبه فأحرق منها ما كان من علوم الفلاسفة ، فكان منها كتاب الشفاء لابن
سينا ، ورسائل اخوان الصفا وما يشاكلهما . (٤)

ومن الغريب أن يتهم الأديب الضريع كامل بن الفتح (توفي عام ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م)
الذي كان يدخل على الخليفة الناصر لدين الله ، ويخلو معه ، بأنه " قد طمس
علوم الأواقل وهون عليه علم الشرائع " (٥) . وقد يصاب الباحث بالدهشة حين يجد
خليفة كالمستجد بالله حكم بين سنتي (٥٥٥ هـ / ٥٦٦ هـ) ، الذي ازدهرت
سوق المعرفة في أيامه ، وهو يأمر بقتل أديب لامع كابن حمدون (٦) لأنه وجد
في كتاب له حكايات توهم غضاة الدولة (٧) . وكاد الشيخ عبد القادر الجيلاني

- (١) فقد قيل : انه قد حفظ القرآن ، وتغقه وأفتى ، وناظر ، لكنه قرأ الشفاء لابن سينا ،
وكتب الفلاسفة فاتهم بتغيير عقيدته . أبو شامة : ذيل الروضتين / ص ١٢ ،
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٦ / ص ٨١ .
- (٢) فقيه حنبلي من علماء بغداد ، ولي عدة ولايات ، وتوفي عام (٦١١ هـ / ١٢١٤ م) .
ابن الأثير : الكامل ج ٩ / ص ٣٠٨ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ /
ص ٥٧١ .
- (٣) أبو شامة : ذيل الروضتين / ص ٥٦ .
- (٤) ابن الأثير : الكامل ج ١١ / ص ١٠٤ .
- (٥) الكتبي : فوات الوفيات ج ٢ / ص ٢٨٢ .
- (٦) أبو المعالي محمد بن أبي سعد بن الحسن بن حمدون الكاتب البغدادي ، كان
فاضلا ذا معرفة تامة بالأدب والكتابة له كتاب التذكرة مات محبوسا عام (٥٦٢ هـ /
١١٦٦ م) . ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٢٢١ ، الأصفهاني : خريدة القصر ،
ج ١ / ص ١٨٤ .
- (٧) الأصفهاني : خريدة القصر ج ١ / ص ١٨٤ .

أن يلاقي حتفه ، لولا شعبيته ، ولذلك اكتفى بلفت النظر^(١) وكان الحنابلة قد
نقموا على أبي الوفاء على بن عقيل صاحب كتاب الفنون حين قرأ شيئاً من كلام على
أبي على بن الوليد المعتزلي ، ولهذا فقد كان عليه الحضور الى الديوان وعلان
توبته^(٢) .

على أن منع جمهور المثقفين في هذا العصر من الاطلاع على دراسات الفلسفة
والمنطق بشكل قسري وشامل ، قد أضرب الوعي الفكري والثقافي للعقلية
الاسلامية ، ان انه قد حرم الفكر الاسلامي من امكانية استخدام الفلسفة والمنطق
خلال فترة البحث للتصدي لخصومه ، ومشكل خاص الفرق الباطنية التي
استخدمتها كسلاح مشروع ضد عقيدة السلف . وبالإضافة الى الشك والنزوع الى
الزيف فقد اتهم رواد الفلسفة والمنطق : " بأنهم رجال لا يعرفون العلوم
العقلية ، ولا معاني الحديث الحقيقية ، بل هم مع اللفظ الظاهر"^(٣) في الوقت
الذي أكد آخرون : " أن قسماً من علوم الأوائل هذه ، والتي يفضيها رجال
الدين ، تساعد على الايمان وتخدم الدين "^(٤) .

ومع كل ما تقدم ذكره فان المصادر التاريخية المختلفة تتحدث عن كثرة المدارس
في العراق في هذا العصر كما تتحدث عن انشاء أول وأكبر جامعة في أرض الخلافة
الاسلامية في تلك الفترة الا وهي المدرسة النظامية ، بالإضافة الى المراكز العلمية
الأخرى المختلفة . وهي معلومات تعكس مدى انتعاش الحركة العلمية في هذا
العصر ، مما يؤكد أن اضطراب الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية في هذا

-
- (١) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ٨ / ص ٢٩٢ .
(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٢٥٤ - ٢٧٥ . وأنظر أمثال ذلك في
المنتظم ج ٨ / ص ٢٣٥ - ج ٩ / ص ١٧ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ /
ص ٢٤٦ .
(٣) العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٥ / ص ٤٠ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ج ١١ / ص ١٠٤ .

العصر بالاضافة الى الصراع الفكرى العقيدى ، لا يمكن أن يكون أثره سلبيا على الدوام ، بل ان ذلك يدل ، دون أدنى شك ، على توفر نتائج ايجابية لصالح الحركة العلمية والفكرية . وهذا يمرر ما عناء البعض بقوله " ولكن ضعفت الدولة الاسلامية فى هذه الفترة من الناحية السياسية ، فانها لم تضعف فى النواحي العلمية ، فالمملكة الاسلامية فى القرون ، الرابع والخامس والسادس ، كانت أعلى شأنًا فى العلم من القرون التى سبقتها ، ولكن كانت الشار السياسية قد تساقطت فى هذه القرون فالشار العلمية قد آتت أكلها فيها ولهذا فالعلم والسياسة لا يعيشان دائما جنبا الى جنب ، بل قد يكون الأمر على العكس فلقد كانت الحياة العلمية فى هذه القرون الثلاثة فى غاية من الانتاج والنشاط والعطاء" (١).

وهكذا فقد كان العراق خلال هذه الفترة مع كل الأوضاع السلبية يهوج بحركة ثقافية رائعة ، شغلت الجميع ، على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم ونحلهم ، فلقد كانت المدارس والجوامع والمكتبات تغص بطلاب العلم وعشاق المعرفة من الأقطار المجاورة والبعيدة ، حتى ليندر أن نجد عالما فى ذلك الوقت اشتهر وذاع صيته فى العراق أو المشرق دون أن تكون بغداد صاحبة فضل عليه ، فلقد كانت المدرسة النظامية ببغداد ذلك المنار العالى الذى يطمح كل عالم فى أن يدرس فيه . وحسبها أن يكون من أساتذتها حجة الاسلام أبو حامد الفزالي وغيره ممن فطاحل العلماء المسلمين .

ويقول بشار معروف عند حديثه عن كتاب " تاريخ بغداد " للخطيب البغدادي : " وقيت العصور التالية له - أى كتاب تاريخ بغداد - مطبوعة لا أحد يدري ما بها ، برغم أن هذه العصور المتأخرة هى فترة مظلمة ليس فيها من أصالة تميزها أو فكريتها ، أو مؤلفات تثير انتباه الباحثين " (٢) ويضيف " وعندى أن هذا الحيف الذى لحق هذه الفترة يأتي من جهل الدارسين بها ، وعدم معرفتهم

(١) أحمد أمين : ظهر الاسلام ج ٢ / ص ٢٠٢ .

(٢) بشار معروف : ذيل تاريخ مدينة السلام ج ١ / ص ٨٠ .

بتراتها الثمين ، ولعل مرد ذلك الى أن جل هذا التراث لازال مطويا لم يطلع عليه جمهور كبير من الباحثين " (١) - الى أن يقول - " وهذا الذى أقوله ما أقوله هجرا ولا عثا ، فقد كان هذا العصر هو العصر الذى آتت فيه الحضارة العربية الاسلامية أكلها ضعفين ، فيه نضج التعليم وقامت أول جامعة فى العالم الاسلامي " (٢) فلقد رغب العلماء والمصنفون فى الافادة والاستفادة ، لوجود التشجيع من الخلفاء والوزراء والأمراء الذين أغدقوا عليهم ، فألفوا الكتب بأسمائهم ، واستنبطوا دقائق العلوم لفائدتهم ، فكثرت الكتب والمصنفات ، حواشي وشروحا واختصارات حول المصنفات التى وضعت فى العصر الماضى . كما ظهرت مصنفات وأبحاث جادة فى علوم الشريعة واللغة والأدب والأخلاق وآداب الطوك وسياسة الطوك ، وقيادة الحرب وتميئة الجيوش وتدبير المال ، فلقد " تميز العصر بالتوسع فى المعاجم التاريخية والأدبية ، لكثرة المعارف ، وتنوع الفنون ، ووفرة الكتب ، واتصال العلماء بعضهم ببعض " (٣) ويشير العلامة بهجة الأثرى فى مقدمة لكتاب " خريدة القصر " الى " عدد ضخم من الشعراء الكبار ، والى حركة أدبية شاملة ، ازدهرت فى العراق فى أثناء القرن الخامس والقرن السادس ، واتصلت شعلتها بأضواء النهضة العظيمة التى بلغت الذروة فى القرن الرابع ، عمت مدنه الكبار كبغداد ، وواسط ، والبصرة ، وشملت النواحي ، وتغلغلت فى أحشاء القرى من سواد بغداد وأعمالها شرقيها وغربيها ، وأعمال الفرات أعلاه وأسفله ، واتصلت من الشمال الى الجنوب من الحديثة (٤) وهيت (٥) والأنبار (٦)

(١) بشار معروف : ذيل تاريخ مدينة السلام ج ١ / ص ٨٠ .

(٢) ن . م . س ج ١ / ص ٨٠ .

(٣) القفطى : انباء الرواة ج ١ / ص ٢٤ .

(٤) الحديثة ، وتعرف بحديثة النورة . على فراسخ من الأنبار . ياقوت : معجم البلدان ج ٢ / ص ٢٣٠ ، وهى مدينة معروفة فى العصر الحديث .

(٥) هيت : بلدة على الفرات من نواحي بغداد ، فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات . ن . م . س ج ٥ / ص ٤٢١ ، وهى مدينة عامرة فى العصر الحديث .

(٦) الأنبار : مدينة على الفرات فى غربى بغداد بينهما عشرة فراسخ . ن . م . س ج ١ ص ٢٥٧ ، وهى من محافظات العراق الحديث وقد تسمى قصبته بمدينة الرمادى .

الى الحلة والكوفة ، وقرى واسط ، وشارك فيها الخلفاء والأمراء والسوزراء
وأعيان البلاد " الى أن يقول " وقد جاء هذا الكتاب دليلا على ما تمتع به العراق
من نعمة في الفكر والفن طوال تاريخه المجيد ، وعنوانا من عناوين حياته الثقافية^(١)
وهكذا ازدهرت الحركة الفكرية في العراق في هذا العصر ، وتبدو مظاهر النشاط
العلمي والحركة الثقافية واضحة في كثير من الميادين والمجالات ، متمثلة في عدد
كبير من المدارس والمعاهد والمراكز العلمية المنتشرة في طول العراق وعرضه .

.. ..

(١) الأصفهاني : خريدة القصر ج ١ / ص ١٠٣ - ١٠٤ .

الفصل الأول

مظاهر الإهتمام بالحركة العالمية

اهتمام الخلفاء ووزرائهم بالحركة العلمية ص ١٥٩ - عناية السلاطين والسووزاء
السلاجقة بالحركة العلمية ص ١٦٢ - الوزير السلجوقي نظام الطك واهتمامه
بالعلم ص ١٦٤ - حركة التأليف ودور الكتب في العراق في هذا العصر ص ١٧١.
الدراكون في العراق في العصر السلجوقي ص ١٧٣ - خزائن الكتب في العراق
في العصر السلجوقي ص ١٧٩ :

أولا : خزائن الخلفاء ص ١٨٥ - ثانيا : خزائن كتب الوزراء والأمرء ص ١٨٦.
ثالثا : خزائن الكتب العامة ص ١٨٧ - رابعا : خزائن الكتب الخاصة ص ١٩١.
مراكز العلم في العراق في هذا العصر ص ١٩٥ - الموصل ص ١٩٦ - اربل
ص ١٤٨ - سنجار ص ٦٩٨ - واسط ص ١٩٩ - البصرة ص ٢٠١ - حلقة
بني مزيد ص ٢٠١.

الفصل الأول

مظاهر الاهتمام بالحركة العلمية

اهتمام الخلفاء ووزرائهم بالحركة العلمية :

كان الخلفاء العباسيون يحتفون بأهل العلم في هذا العصر ، بل كانوا هم أنفسهم من محبي العلم ومريديه ، فإذا كان الخليفة عالما ، ومن عشاق العلم ومحبي العلماء ، زها العلم وسعد في أيامه ، يقول ابن الفوطي عن الخليفة القائم بأمر الله " وكانت أيامه منيرة بالعدل ، مزهرة بالعلم والفضل ليلا ونهارا ، يستأنس بالعلماء ومحاضرتهم ، والأدباء ومحاورتهم " (١) . وكان هؤلاء الخلفاء يعقدون مجالس العلم والمناظرة بحضور جمع عظيم من رجال العلم والفقهاء ، ففي عام (٥٤١ هـ / ١١٤٦ م) استقبل الخليفة المقتضى لأمر الله العالم قطب الدين أبا منصور المظفر بن أردشير العبادي حيث " أقبل عليه الامام المقتضى وقبله ، ورفع له صجله ، وأمره بالجلوس في جامع القصر " (٢) . وكان الامام الخليفة الناصر لدين الله (المتوفى عام ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م) يفاوض العلماء مفاوضة خبير (٣) . ولقد كان للمجالس العلمية والأدبية تقاليد معينة ، ينبغى على الحاضرين مراعاتها ، وقد سجلها الصابى (المتوفى عام ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) في كتابه رسوم دار الخلافة (٤) .

والملاحظ أن كثيرا من علماء العصر قد ألفوا كتبها قدموها للخلفاء ، فالطبيب سعيد بن هبة الله (المتوفى عام ٤٩٤ هـ / ١١٠٠ م) صنف للخليفة المقتدى بأمر

(١) ابن الفوطي : مجمع الآداب ج ٣ / ص ٣٥١ .

(٢) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ١٩٨ .

(٣) ابن الطقطقى : الفخرى / ص ٢٨٥ .

(٤) الصابى : رسوم دار الخلافة / ص ٤٥ - ٤٦ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ .

الله كتاب المغني في الطب ، قال فيه " ولما رأى المبد الخادم هذه الأيام الزاهرة ،
والمناقب الباهرة ، آثر أن يصنف لمولاه كتاباً طبياً ، مختصراً مغنياً ، في معرفة
الأمراض وأسبابها وعلاقتها ومداواتها لأضطرار الناس إلى وجود الصحة واعتادهم
طلبها " (١) وفي عصر الخليفة المسترشد بالله صنف الشاشي كتاب العدة وقدمه
للخليفة (٢) ، كما صنف الامام الغزالي كتاب فضائح الباطنية ، وقدمه للخليفة
المستظهر بالله ، وسماه المستظهرى (٣) .

وقد تولى الوزارة لدى الخلفاء العباسيين ببغداد في هذا العصر عدد من
الوزراء كان للكثير منهم نشاط علمي ملموس ، ولعل الوزير ابن هبيرة (٤) كان من
أعظم وزراء فترة البحث ، اهتماماً بالعلم ، وتشجيعاً للعلماء ، ولقد كانت مجالس
الوزراء تعقد بكثرة في شهر رمضان حيث يقدم طعام الافطار ، ثم تتعقد الندوات
بعد الصلاة ، وتطرح الأسئلة المختلفة ، ويتبارى الحاضرون في عرض وجهات
نظرهم ، ولقد اشتهر الوزير ابن هبيرة من بين وزراء هذه الفترة بمجالسه العلمية .
كيف لا وقد كان من علماء العصر المحدثين ، فلقد قدم ببغداد في صباه ،
واشتغل بالعلم ، وجالس الفقهاء والأدباء ، وحصل من كل فن طرفاً ، وقرأ
القرآن وخطه بالقراءات والروايات ، وقرأ النحو ، واطلع على أيام العرب وأحوال
الناس ، ولازم الكتابة ، وحفظ ألفاظ البلغاء ، وألف مجموعة من الكتب أهمها

(١) سعيد بن هبة الله : مختصر المغني في معرفة الأمراض والأبيات والعلاقات
والمداواة ، مصور بمركز البحث العلمي وأحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى
رقم ١٠٨ طب ورقة ١ أ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية ج ٧ / ص ٢٥٧ .

(٣) الغزالي : فضائح الباطنية / ص ٢ .

(٤) عون الدين أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني المتوفى عام (٥٥٥ هـ /

١١٦٠ م وزير للمقتدى وعده للمستنجد . ابن الأثير : الكامل ج ٩ / ص ٩٣ ،

ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ٢٣٠ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان

ج ٨ / ص ٢٥٥ .

كتاب الافصاح عن شرح معاني الصحاح الذي ظل العلماء بعده يتدارسونه زمناً طويلاً^(١) . وعندما تولى الوزارة بالغ في تقريب خيار العلماء والفقهاء والمحدثين ، واجتهد في اكرامهم . وكانوا يحضرون مجالسه العلمية ليلاً ونهاراً . وكان يقرأ عنده الحديث عليه وعلى الشيوخ بحضوره ، ويجرى من البحث والفوائد ما يكثر ذكره^(٢) ، وكان أبو محمد الأشتري من علماء المالكية ، وقد استقدمه الوزير ابن هبيرة من بلاط نور الدين محمود زنكي الذي وجهه اليه ، فأكرمه الوزير غاية الاكرام ، فكان يحضر مجلس علمه . وقد " وقعت بينهما مشادة نددت فيها كلمة من الوزير للأشتري ، بسبب أن الوزير ذكر في مجلسه حديثاً انفرد به أحمد بن حنبل ، فادعى الأشتري أن مالكا رواه أيضاً ، فرد عليه الحاضرون وأحضر الوزير كتب المفردات لأحمد ، فوجد فيها الحديث ، فبقي الأشتري على انكاره^(٣) " . وبالإضافة إلى الوزير ابن هبيرة ، فقد كان هناك عدد من الوزراء لهم اهتمامات علمية ، وعناية بالعلماء ، فالوزير عبد الله بن يونس بن أحمد البغدادي (المتوفى عام ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م) كان فقيهاً أصولياً متكماً ، وزير للخليفة الناصر لدين الله وقد رزقه الله حفظ القرآن ، والفرائض ، والحساب ، والعلم بالنحو والسنة والأخبار ، وكان عالماً بالجبر والمقابلة والهندسة^(٤) . ومن اهتم بالعلم والعلماء من الوزراء الوزير أبو شجاع محمد بن الحسين بن محمد ، الطلقب ظهير الدين الروذراوري الذي ولي الوزارة للخليفة المقتدى بأمر الله عام (٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م) وتذكر المصادر أنه تعلم ودرس ، وقرأ الفقه والأدب ، قال الأصفهاني : " وكان عصره أحسن العصور ، وزمانه أنضر الأزمان ، ولم يكن في الوزارة من يحفظ أمر الدين وقانون الشريعة مثله ،

-
- (١) ابن الجوزي : المنتظم ج ١ / ص ٢١٤ ، ابن الفوطي : مجمع الآداب ج ٢ ص ٩٨٨ ، البغدادي : هدية العارفين ج ٢ / ص ٥٢١ .
(٢) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ٢٥١ ، الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ٣ / ص ٢٤٨ .
(٣) ابن رجب : الذيل ج ١ / ص ٢٥١ ، محمد سليمان : من أخلاق العلماء / ص ١١٩ .
(٤) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ٣٩٢ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٣١٣ .

وعمل نديلا على كتاب تجارب الأمم لابن مسكويه^(١).

عناية السلاطين والوزراء السلاجقة بالحركة العلمية

تؤكد المصادر التاريخية على أن السلاطين السلاجقة الأول كانوا جفاة وغبير متقفين ، ولذلك فقد اضطروا الى الاستعانة برجال أكفاء لخدمة الدولة في مختلف الشئون الادارية والسياسية ، من وزراء وحجاب وكتاب ممن كان لهم خبرات سابقة في هذه المجالات لدى الدويلات الاسلامية الأخرى في المشرق^(٢) كالفزنويين وغيرهم ، ولهذا فقد استعان السلاجقة بأعداد من كتاب الفرس وغيرهم لادارة شئون البلاد . وقد استطاع هؤلاء أن يلعبوا دورا مهما في ادارة شئون البلاد السياسية والادارية والعلمية^(٣).

ان اعتماد سلاطين السلاجقة على أصحاب الخبرات في ادارة شئون الدولة ، اعترافا منهم بواقع حالهم ، قد هيا لهم الفرصة للتفرغ لهواياتهم الخاصة من جهة ، وترك المجال واسعا أمام وزراءهم الأوائل للتصرف بحرية كبيرة في توجيه أمور السلطنة من جهة أخرى ، وخصوصا خلال فترة وزارة نظام الملك الذي تمتع بسلطات واسعة في ادارة شئون البلاد وحكسها وفق اجتهاده^(٤) ، ومن هنا فقد أتاحت لسلاطين السلاجقة فترات كبيرة من الوقت للاهتمام بالعلم والعلماء .

على أنه مع مرور الزمن ، واختلاط السلاطين برجال السياسة والفكر ، ممن وزراء وجلساء وعلماء ، قد عرفوا معنى العلم ، وقدروا العلماء ، وحظوا لديهم بالتشجيع ومنحهم كل اهتمام . وقد زاد السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان من اهتمامه بالعلم

(١) الأصفهاني : خريدة القصر ، قسم العراق ج ١ / ص ٧٧ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ ص ٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ١٣٤ ، ابن الطقطقي : الفخري

ص ٢١٤ .
(٢) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ص ١٧٩-١٨٠ عن برتلس : نظامي

شاعر أنريجان ص ١٣ .
(٣) دائرة المعارف الاسلامية ج ٢ / ص ٥٠٣ مادة " ألب أرسلان " .

(٤) ن ٢٠٠ ص ج ٢ / ص ٥٠٣ مادة " ألب أرسلان " .

والعلماء حتى نقل عنه أنه صنف رسالة في وصف مملكته وأخباره^(١) ، وبالإضافة الى ذلك فقد كان يهتم بالمراكز العلمية كانشاء المدارس والربط . وينبغي ألا ننسى أنسـه هو الذي أسس عام (٤٦٧هـ / ١٠٢٦م) المرصد المشهور في بلدة المراغة^(٢) ، وعين فيه جماعة من أعيان المنجمين ، من بينهم عمر الخيام ، وأبو المظفر الاسفزاری ، وميمون بن النجيب الواسطي^(٣) ، وينبغي ألا يغيب عن البال ما تعرض له أبو القاسم القشيري من مضايقات ومعن . غاب بسببها عن نيسابور سنوات طويلة ، امتدت الى أن تولى السلطان ألب أرسلان السلطة ، حيث أعاده الى بلاده معززا مكرما .

وينقل الشيخ البنداري أخبار تأزم علاقة الامام الماوردي مع السلطان طغرل بك واساءته له ، غير أنه ينقل عنه بعد ذلك قوله : " ولم يتغير عن عادة اكرامى وشيعة احترامى " .^(٤) وكان السلطان أبو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه^(٥) واحدا ممن تخصصوا في علوم متنوعة ، فقد عرف باضطلاعهم بعلوم العربية ، وأنه كان حافظا للأشعار ، عارفا بالتواريخ والسير ، شديد الميل الى أهل العلم والخير^(٦) .

وهكذا أدرك سلاطين السلاجقة أن العلم هو سياج الدولة وعمادها ، وأن العلماء هم مشاعل الحضارة ورواد الأمة ، فعملوا على تشجيع العلوم ، ونوا المدارس والخوانق والربط لطلاب العلم ، وأكرموا العلماء ، وأحسنوا وفادتهم ، فأجزلوا لهم العطاء ، كما أدركوا أن خير ما يضمن لهم بقاء دولتهم ورقبها أن يشحنوا

-
- (١) البغدادي : هدية العارفين ج ٢ / ص ٤٧١ .
 (٢) المراغة : بلدة عظيمة مشهورة ، أعظم وأشهر بلاد أذربيجان . أنظر :
 ياقوت : معجم البلدان ج ٥ / ص ٩٣ .
 (٣) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٢١ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٣ / ص ٣٢٥ .
 (٤) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٢٨ .
 (٥) كانت وفاته عام (٥٢٥هـ / ١١٣٠م) . ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٣٣٣ ،
 الراوندي : راحة الصدور / ص ٢٩٩ .
 (٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ١٨٢ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٧٦ .

مراكزها المختلفة بالعلماء ورجال الدين ، للدفاع عن بيضة الاسلام ، وحراسة
أمور الأمة .

ولهذا فقد كانت قصور السلاطين ومجالسهم عامرة بعلماء الدين والشعراء
والأدباء ورواد العلم والمعرفة^(١) ابتداءً من عهد ألب أرسلان ومن جاء بعده ، حيث
كان للأدب والعلم ازدهار واسع ، حتى انه عرف عن ألب أرسلان ميله الى صحبة
المتقنين وسماع الأخبار منهم^(٢).

ولقد حرص سلاطين السلاجقة على ارتباط الحكماء والأطباء بهم ، وانقطاعهم
الى قصورهم ، حيث ان الغالبية منهم كانوا يشاركون مشاركة حسنة في التقدم العلمي ،
لا سيما أولئك العلماء الذين كانوا يعرفون لغات متعددة^(٣).

الوزير نظام الملك واهتمامه بالعلم :

الوزير أبو علي الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي الشافعي ، ولد عام (٤٠٨ هـ /
١٠١٧ م) في مدينة طوس^(٤) وفيها نشأ وتعلم ، وحفظ القرآن ، ولقن مبادئ العربية .
ثم رحل الى نيسابور حيث درس علوم العصر ، وأخذ عن كبار علماءها . قال ابن
العديم " سمع الكثير ، وحدث وأصلى بخراسان جمعا وغيرها من البلاد ، وكان ثقة
ثبتا متحريرا فهما علما " ^(٥) والتقى خلال ذلك بكل من الشاعر المنجم عمر الخيام ،
والداعية الباطني حسن الصباح منظم حركة الحشاشين^(٦) ، ثم عاد الى طوس ، وواصل

(١) ياقوت : معجم الأدباء ج ٨ / ص ٥٤ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ج ٢ / ص ٥٠٣ ، ج ١٢ / ص ٢٧ .

(٣) البيهقي : تاريخ الحكماء / ص ٧ .

(٤) طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ . أنظر :

ياقوت : معجم البلدان ج ٤ / ص ٤٩ .

(٥) ابن العديم : بغية الطلب / ص ٦٤ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٩٣ .

رحلته العلمية الى بخارى^(١) حيث أقام بها ثلاث سنوات ، عكف خلالها على البحث وتلقي العلوم ، ثم رحل الى مرو^(٢) ثم الى كابل^(٣) وأخيرا الى غزنة^(٤) التي تسدرّب فيها لتولي بعض الأعمال الادارية والحسابية والانشاء ، ثم رحل الى بلخ^(٥) حيث استكنه حاكمها أبو علي أحمد بن شاذان الذي كان يليها من قبل جفري بك داود والد الأمير ألب أرسلان .

تلقى نظام الملك خلال رحلته العلمية الطويلة هذه علوما شتى منها علوم اللغة العربية ، والفقه ، والتفسير والحديث ، وعلم الكلام ، والتاريخ والحساب . وكان نظام الملك يتقن اللغتين الفارسية والتركية الى جانب العربية . ومن بلخ رحل الى ديوان جفري بك داود الذي قدمه الى ابنه ألب أرسلان ، وهنا بدأت مرحلة جديدة من مراحل حياة نظام الملك تحولت فيها شخصيته وحياته تحولا كبيرا ، فلقد ارتقى أول مدارج حياته السياسية لدى سلاطين السلاجقة خاصة ألب أرسلان وملكشاه كما ارتبط من جهة أخرى بخلفاء بني العباس ، ولاسيما القائم بأمر الله ، ولم يجد الأمير ألب أرسلان بعد توليه السلطنة ، من معاصريه من يقوم مقام نظام الملك ، سياسة وثقافة وعلم وحكمة ودراية واخلاصا ، ولذلك اختاره وزيرا له عام (٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م)^(٦)

(١) بخارى : أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها ، كانت قاعدة ملك السامانية . ياقوت :

معجم البلدان ج ١ / ص ٣٥٣ .

(٢) مرو : الشاهنجان أشهر مدن خراسان وقصبتها . ن . م . س ج ٥ / ص ١١٢ .

(٣) كابل : مدينة بالاقليم الثالث كانت تعد من مدن الهند . ن . م . س ج ١ / ص ٤٧٩ .

(٤) غزنة : مدينة عظيمة يقال لها غزني تقع في أطراف خراسان كانت تعد من مدن الهند . ن . م . س ج ٤ / ص ٢٠١ .

(٥) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان ومن أجل مدنها . ن . م . س ج ١ / ص ٤٧٩ .

(٦) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٦٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ١٢٨ .

وكان نظام الملك خلال فترة وزارته التي امتدت ثلاثين عاما يدير أمور السلطنة في بلاد السلاجقة جميعا بفضل دهاءه وخبرته ، حتى أصبح الملك غير المتزوج الذى يحكم بأمر الخليفة والسلطان معا في تلك الدولة الواسعة الأطراف ، التي امتدت من تخوم الصين شرقا حتى بيت المقدس غربا ^(١) . ولقد كان نظام الملك - كما تدل سيرته - وزيرا هادفا ، وليس محترفا يتخذ من السياسة مأربا للوصول الى منصب أو جاه ، فلقد شهد في النصف الأول من القرن الخامس الهجري انهيار دولة الفزنويين ، وأقول السلطة البويهية ، ومدى الانهيار الذى أصاب الخلافة العباسية ومؤسساتها ، مما أكسبه وضوحا في الرؤية ، وخبرة في معالجة المشاكل التي تطرأ بحنكة ومع نظر ، وقد تركت تلك الأحداث لديه انطبعا نفسيا عميقا كان له أبعد الأثر في حنكته ودهاءه في إدارة شئون الدولة .

ولاحظ نظام الملك ما يواجه الأمة من أخطار تمثلت في حالة الانقسام في جسم الدولة ، وشيوع الفرق الاسلامية التي مزقت البلاد ، اضافة الى التيارات الفكرية الخطيرة التي كانت تعصف بالعالم الاسلامي . لذلك فقد حدد لنفسه هدفين رئيسيين يتمثلان في :

ضمان مصلحة الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية على السواء ، عن طريق احلال التسلسل والانسجام بين مؤسسات الدولة والسلطنة وازالة أسباب الخلاف .

أما هدفه الثانى والأهم فهو الدفاع عن الفكر والعقيدة الاسلامية ضد أعدائها ، سواء في الداخل ممن كانوا متسترين تحت ستار الاسلام ، أو في الخارج متمثلا في مطامع الصليبيين ، وذلك عن طريق نشر العلم وتشجيع العلماء وافتتاح المراكز

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ / ص ١٢٣ .

(١) التعليمية من جهة ، وتقوية الجيش وتعزيز قواته واستعداداته من جهة أخرى .
والذى يعنيننا هنا هو اهتمامه بالعلم والعلماء والتعليم وانشاء المدارس ، وتركيزه
على تخريج أجيال من العلماء المدافعين عن العقيدة الاسلامية وفق منظور أهل
السنة وعقيدة أهل السلف . فكان نظام الملك كما تقدم ذكره من العلماء الذين
بذلوا جهدا عظيما فى تحصيل العلم ، فلقد غمرته موجة الاقبال على الحديث
والشفف بدراسته وحفظه ، فكان ولوعا به سماعا ورواية . قال عبد الله بن علي
بن اسحاق أخو نظام الملك : " كان أخى نظام الملك يطلي بالرى ، فلما فرغ
قال : انى لأعلم أنى لست أهلا لما أتولاه من هذا الاملاء ، لكنى أريد أربط
نفسى على قطار نقلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٢) ، ويتفق الذين
ترجموا لنظام الملك على أنه ألقى مجالس عدة فى مدن مختلفة ، ومناسبات عديدة
فحدث فى أصبهان والرى ومرو ونيسابور وخمداد (٣) وكان يحضر مجالس أهل الحديث
ويستمع المهم ويناقشهم .

ولقد أكسبته أعماله الادارية وتنقله فى الدول المشرقية المختلفة وادارته السلطنة
السلجوقية حنكة سياسية واسعة ، وخبرات صاغها فى كتابه سياسة نامه الذى
يعرض فيه آراءه فى الحكم من خلال بعض النوادر النموذجية ، وهو يعد أسلوبا

(١) أغلب المصادر التاريخية تتحدث عن نظام الملك سيرته وحياته وعمله ونهوضه كدولة
الاسلامية فى عهد سياسيا وعلميا مما يطول به الحديث ، وللمزيد من المعلومات
أنظر البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٦٠ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ /
ص ١٩٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ١٢٨ ، الحسينى : العراضة
فى الحكاية السلجوقية ص ٥٧ ، ابن العديم : بغية الطلب من ص ٦١ الى ص ٩١ ،
السيكى : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٣١١ ج ٧ / ص ١٣٧ ، العماد الحنبلى :
الشذرات ج ٣ / ص ٣٧٣ وأنظر كذلك : هيفاء البسام : الوزير السلجوقى نظام
الملك (رسالة ماجستير ، بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، بجامعة
أم القرى) .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٩٣ ، ابن العديم : بغية الطلب / ص ٧٠ .

(٣) عبد الهادى رضا : آمالى نظام الملك ، مجلة معهد المخطوطات العربية مجلد

فريدا في الادارة انفراد به السلاجقة^(١).

امتدت أيام وزارة نظام الملك ثلاثين عاما ، لم يغفل في ليل أو نهار ، وسفر أو حضر ، عن الانعام على العلماء وارفاد الأفاضل ، وخدمة رجال المعرفة . وكان ينفق الكثير من ماله على أهل العلم والأدب فكان " أهل الدين والعلم والفضائل راتمون في انعامه ، وفي أيامه نشأ للناس أولاد نجباء ، وتوفر على تهذيب الأبناء والابناء ، وفي عصره نشأت طبقات الكتاب الجياد ، وفرعوا المناصب وولوا المراتب ، ولم يزل بابهم مجمع الفضلاء ، وطلجاً العلماء ومن رأى الانتفاع بعلمه أغناه ورتب له ما يكفيه من جدواه ، حتى ينقطع الى افادة العلم ونشره^(٢) ويقول ابن العديم : انه " كان يكرم العلماء على اختلاف مذاهبهم وكان يرضى لأهل الهيئات بيوتاتهم ، وللعلماء علمهم ، وللشعراء شعرهم ، وللأدباء أدبهم .^(٣) " وكان مجلسه عامرا بالفقهاء وأئمة المسلمين وأهل الدين ، حتى كانوا يشغلونه عن مهمات الدولة ، فقال له بعض كتابه هذه الطائفة من العلماء قد بسطتهم فسي مجلسك حتى شغلوك عن مصالح الرعية ليلا نهارا ، فان تقدمت ألا يوصل أحد الا باذن فقال : هذه الطائفة أركان الاسلام ، وهم جمال الدنيا والاخرة ، ولو أجلسيت كلا منهم على رأسي لاستقلت لهم ذلك . وكان اذا دخل عليه أبو القاسم القشيري وأبو المعالي الجويني يقوم لهما ، ويجلسهما في مسند ويجلس في المسند على حالته .^(٤)

(١) حتى : تاريخ العرب ج ٢ / ص ٥٧٣ ، كما أن له مجموعة رسائل في الادارة والحكم نشرت منها مجلة معهد المخطوطات العربية ست رسائل الى أبي اسحق الشيرازي ، وابنه فخر الملك ، ومؤيد الملك ، والي ابن جبير وزير الخليفة المقتدى والي السلطان ملكشاه . المجلد السابع ج ٢ / ص ١٥ .

(٢) الهنداري : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٥٩ كما قال " ثم انه لما وفر الأموال على الخزانة جعل فيها لأرباب العلوم وأصحاب الحقوق حقوقا لا تؤخر ورسومها لا تغير وصير احسان السلطان بين أهل العلم ميراثا يأخذونه بقدر الفرائض " / ص ٦٠ .

(٣) ابن العديم : بغية الطلب / ص ٩١ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٦٤ .

وقد جعل داره ندوة للعلماء والأدباء دون تقيد بسنن أو مذهب ، لأن الجامع بين هؤلاء العلماء هو العلم والوصول الى الحقيقة ، وقد وصف الشيخ السبكي داره بقوله " انها كانت معمورة بالعلماء ، مأهولة بالأئمة والزهاد ، ولم يتفق لغيره ما اتفق له من ازدهار العلماء عليه وتردد هم على بابيه ، وتصنيفهم الكتب باسمه " (١)

وكان قد اعتاد على السماع والمناقشة ، فكان اذا وفد عليه أحد رجال العلم اغتنم فرصة وجوده ، فمقد مجلسا للمناظرة بين هذا العالم الوافد وبين أحزابه من علماء عصره ، وربما رأس الجلسة بنفسه وأسهم في المناظرة ، ومثل هذا حصل في المناظرة التي جرت بين الامام أبي حامد الغزالي وبين عدد من العلماء في مجلس الوزير نظام الملك (٢) . ولطالما جرت مناقشات بين أبي اسحاق الشيرازي وبين أبي المعالي الجويني عندما كان ببغداد بحضرة نظام الملك (٣) .

وفي عهد وزارة نظام الملك أنشئت المدارس النظامية ، وكان أعظمها وأهمها نظامية بغداد التي بدى في بنائها عام (٤٥٧هـ / ١٠٦٤م) وافتتحت للدراسة عام (٤٥٩هـ / ١٠٦٦م) يقول السبكي : " بنى مدرسة ببغداد ، ومدرسة ببليخ ، ومدرسة بنيسابور ، ومدرسة بهراء ، ومدرسة بأصبهان ، ومدرسة بالبصرة ، ومدرسة بمرور ، ومدرسة بآمل طبرستان ، ومدرسة بالموصل ، ويقال : ان له في كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة قلت وشيخنا الذهبي زعم أنه أول من بنى المدارس ، وليس كذلك ، فلقد كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك ، والمدرسة السعدية بنيسابور أيضا وقد أدت فكري ،

(١) السبكي : طبقات الشافعية ج ٣ / ص ١٥٣ .

(٢) الغزالي : احياء علوم الدين ج ١ / ص ٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ / ص ٨١ ، أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج ٢ / ص ٢٠٤ .

وغلب على ظني أن نظام الملك أول من قدر المعاليم للطلبة^(١). وتوفى نظام الملك رحمه الله عام (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) وقال عنه أبو الوفاء علي بن عقيل في كتابه الفنون "أيامه التي شهدناها تربي على كل أيام سمعنا بها فأبهرت العقول سيرته جودا وكرما وعدلا ، بنى المدارس ، ووقف الوقوف ، ونعش من العلم وأهله ما كان خاملا مهملًا في أيام من قبله ، وكانت سوق العلم في أيامه قائمة ، والنعم على أهله دارة^(٢)".

على أنه كان هناك عدد من الوزراء السلاجقة ، غير نظام الملك ممن أظهر اهتماما بالعلم والعلماء ، فالوزير عبد الرزاق بن عبد الله بن علي بن اسحاق الطوسي (المتوفى عام ٥١٥هـ/١١٢١م) وزير السلطان سنجر بن ملكشاه ، كان من مشاهير العلماء ، ولي التدريس بمدرسة عمه نظام الملك مدة ، حتى أصبح وزيرا للسلطان سنجر^(٤) . ولا ننسى مستوفي مملكة السلطان ملكشاه ، العالم شرف الملك أبو سعيد محمد بن منصور الخوارزمي (المتوفى عام ٤٩٤هـ/١١٠٠م) الذي بذل المال الكثير لأهل العلم ، وقد بنى بمرور مدرسة للأحناف ، وأخرى في بغداد وهي مدرسة مشهد الامام أبي حنيفة التي بدىء بإنشائها بعد النظامية غير أنها افتتحت قبلها بشهور^(٥).

(١) المعاليم : أي الرواتب والنفقات . ناجي معروف : التوقيعات التدريسية / ص ٢٧ .
(٢) السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٣١٣ - ٣١٤ وسنتحدث في الفصل الثاني من الباب الثاني عن المدرسة النظامية وعن المدارس المنتشرة في العراق في هذه الفترة .

(٣) ن.م.م. ص ٤ / ص ٣١٨ .

(٤) ن.م.م. ص ٧ / ص ١٦٨ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٢٠٥ .

حركة التأليف (*) ودور الكتب في العراق في هذا العصر :

وكان من أبرز مظاهر النشاط العلمي في العراق في هذا العصر، الاقبال على التأليف والتصنيف بشكل يلفت نظر القارئ* خصوصا في العلوم الشرعية وعلوم اللغة والدراسات الانسانية الأخرى فقد تنوعت المصنفات فيها من مبسوطات ومختصرات وشرح .

ولعل ما يثير الإعجاب طاقات هؤلاء العلماء ، وما أوتوه من قدرة في صياغة مؤلفاتهم بلغة بليغة سهلة . وما يثير الانتباه ما يلاحظ من ظهور عشرات التصنيفات للمؤلف الواحد ، وفي مختلف الفنون . وهكذا جرى تأليف تلك الموسوعات العلمية في اللغة والأدب والتاريخ وعلوم الشريعة الاسلامية .

لقد تهيأ لأولئك العلماء بجانب القابلية وذل الجهد المطلوب ، القدرة على المثابرة والصبر ، والرغبة في خدمة العلم بعيدا عن الأغراض الزائلة دون استهداف لرئاسة ، ولا سعي وراء زعامة فقد كانوا متعبدين في محراب العلم ، بعد أن نظروا إليه على اعتبار أنه عبادة وصناعة .

لقد تهيأ للسلاجقة أن يحكموا العراق في أعقاب نشاط فكري متصل ، عاشه العراق منذ بداية القرن الثاني وحتى القرن الرابع ، قد هيا لهم أن يعايشوا نهضة علمية شاملة ، حيث ان العلوم الاسلامية قد آتت أكلها فيه ضعفين نتيجة نزوح الثقافة والفكر الاسلامي ، ما هيا الظروف لظهور تلك الموسوعات العلمية المتعددة في مختلف العلوم والفنون .

على أن ما يؤخذ على العلماء والمؤلفين في هذه المرحلة غياب ظاهرة الابتكار والتجديد من جهة ، ونظرة الشك والحذر من علوم الأوائل من جهة أخرى . فلقد تأثر

(*) في الباب الثالث ستوضح لنا الرؤية حول هذا الموضوع عند تقديم الدراسات للنتاج العلمي والأدبي خلال فترة البحث .

العلماء والمثقفون من مؤرخين ولغويين ومتأدبين بأسلافهم من مفكرى القرون السابقة الى درجة ألزمتهم السير على آثارهم والاقتصار على مؤلفاتهم ومصنفاتهم بشرحونها وبذيلونها ويختصرونها ، وربما نقدوها . ومن جهة أخرى فان النشاط العلمى فى هذا العصر قد اقتصر فى الغالب على علوم الشريعة والعربية وما اليها . أما تلك العلوم المسماة بعلوم الأوائل فقد كانت من العلوم التى توقفوا عندها ، حتى أن من يطلع عليها أو يقتنى بعض كتبها قد يتعرض لمضايقات كبيرة قد تصل الى الطعن فى العقيدة .^(١)

ان مؤلفات هذا العصر كثيرة جدا ، شملت جميع الفروع والفنون حتى أنه ليس بالامكان حصر ما ظهر من الكتب فى فنون المعرفة بسبب ذلك الحشد الهائل من الكتب . على أنه يكفي للدلالة على نشاط حركة التأليف والتصنيف أن الامام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) كان من رجال العصر^(٢) ، وكذلك الامام أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) الذى قال عنه ابن خلكان : " ان كتبه أكثر من أن تعد " .^(٣)

ولاشك فى أن الكتب وتأليفها وخزائن الكتب وتعدد ها ، وأسواق الوراقين المنتشرة فى بغداد وسائر المراكز العلمية فى العراق فى العصر السلجوقى - تعد مظهرا هاما من مظاهر النهضة العلمية والفكرية .

ومن خلال المصادر التاريخية والمراجع التى اهتمت بهذا الموضوع ، ومن خلال كتب التراجم التى ترجمت للكثير من الشخصيات العلمية فى هذا العصر، يتضح وجود عدد كبير من خزائن دور الكتب الخاصة والعامة فى العراق خلال فترة البحث، والتى كانت مجمعا لطلاب العلم والمعرفة ، بالاضافة الى ما تعكسه من شغف الناس

-
- (١) أبو شامة : ذيل الروضتين / ص ١٢-٥٦ . ابن رجب : الذيل ج ٢ / ص ٦٧ .
(٢) حصر الدكتور عبد الرحمن بدوى مصنفاته فبلغت أربعمئة كتاب ورسالة . أنظر : عبد الرحمن بدوى : مؤلفات الغزالي .
(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٣ / ص ١٤٠ .

واهتمامهم بجمع الكتب في هذا العصر ، فقد عنوا بجمعها وتصنيفها وتجليدها — وايداعها خزانهم الخاصة^(١) رغم ما كانت تكلفهم الكتب في ذلك العصر من نفقات ولا سيما بعد أن تدخل في الاعتبار أثمان الورق الصالح للنسخ أو الرق أو البردي ، وأجور النساخين الباهظة ، وكلفة التجليد ، مما لا يدع مجالاً للمقارنة مع تكاليف الكتاب المعاصر ، ومع ذلك فلم يكن هناك عالم من العلماء أو طالب علم إلا وكان يحرم على جمع الكتب واقتنائها .

الوراقون^(٢) في العراق في العصر السلجوقي :

ولعل من أهم العوامل المساعدة على انتشار الكتب وتعدد المكتبات ، أن صناعة

(١) يذكر ياقوت الحموي ترجمة للحسن بن محمد بن حمدون الكاتب المتوفى عام (٦٠٨ هـ / ١٢١١ م) أنه كان من الأدباء والعلماء وكان من المحبين للكتب واقتنائها وبالغ في تحصيلها وشراؤها ، وحصل له من أصولها المتقنة وأسمائها المعينة ما لم يحصل لأحد ، ثم تقاعد به الدهر وطل عن العمل ، فرأيته يخرجها ويبيعها وميناء تذر فان بالدموع . كالمفارق لأهله الأعراء ، فقلت : هون عليك أدام الله أيامك ، فان الدهر ذودول ، فقال : حسبك يا بني ، هذه نتيجة خمسين سنة من العمر أنفقتها في تحصيلها الى أن يقول : وكتب بخطه الرائق طرائف الكتب الكثيرة الكبار والصغار والعروبة ، وقابلها وصحبها وسمعها المشايخ . أنظر : ياقوت : معجم الأدباء ج ٩ / ص ١٨٤ ، وابن الجوزي يذكر لنا أن عبد السلام بن محمد بن بندان القزويني المتوفى عام (٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م) رحل الى مصر ، وأقام بها أربعين سنة ، وحصل أحمالاً من الكتب ، وحملها الى بغداد . أنظر : ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٨٩ .

(٢) عرف السمعاني لفظ الوراقة بقوله : " الوراق بفتح الواو وتشديد الراء في آخرها القاف : هذا اسم لمن يكتب المصاحف والكتب وكتب الحديث وغيرها ، وقد يقال لمن يبيع الورق ، وهو الكاغد ببغداد الوراق أيضا . أنظر : السمعاني : الأنساب / ص ٥٨٠ نشره د . س . مرجليوت ، ليدن . أما ابن خلدون فعرفها بقوله : " المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد ، وسائر الأمور الكتابية . أنظر : ابن خلدون : المقدمة / ص ٣٣٤ . ولكن يفهم من بعض أقوال المؤرخين كابن النديم ، وابن الجوزي ، وياقوت الحموي أن الوراقة معنى أوسع ، فهي تعني أيضا من يجلد الكتب ومن يبيعها ، فسوق الوراقين ببغداد هي السوق التي تناع فيها الكتب . ابن النديم : الفهرست / ص ٣١ ، ابن الجوزي : مناقب بغداد / ص ٢٦ ، كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق / ص ٨ - ٩ .

الورق وشيوعه كانت عاملا حاسما في نشر العلوم والمعارف وفي توفير الكتب وتعدد المكتبات وعليه فان انتشار صناعة الورق في العالم الاسلامي وخاصة في العراق كان من عوامل شيوع المكتبات وكثرتها من جهة ، وظهور الوراقين على نطاق واسع نظرا للحاجة اليهم من جهة أخرى .

ان أجود أنواع الورق قد ظهر في القرن الخامس الهجري " الحادي عشر الميلادي" ، حيث حل الورق ابتداءً من هذا التاريخ محل الرقوق في جميع أنحاء العالم الاسلامي ، ولقد كانت بغداد في هذه الفترة تتباهى بأن فيها أكثر من مائة حانوت للوراقين في سوق واحدة ^(١) وكان بعضها من السعة بحيث تعرض فيها الكتب ، ويلتقى فيها العلماء . يذكر ياقوت الحموي " أن وراقا عراقيا كانت له خزانة اكتنز فيها القديم من المخطوطات من الجلود والصكاك ، وقرطاس مصر ، والورق الصيني ، والورق الخراساني ، وعلى كل مدرج توقيع الكاتب وتتمه شهادات خمسة أو ستة أجيال من العلماء" ^(٢).

أما في مجال النسخ فلقد ظهر في العراق ، كما تشير المصادر ، أعداد كبيرة من النساخين ، رجالا ونساء ، لا يتسع المجال لسرد أسمائهم وإنما سنقتصر على ذكر المشاهير منهم . ويبدو أن هذا العمل كان يدر مردودا اقتصاديا طيبا ، وأنه ساعد على انتعاش الحركة الفكرية والاقتصادية معا ^(٣) ، وما ساعد على ارتفاع شأن النساخين

(١) حتى : تاريخ العرب ج ٢ / ص ٥٠٢ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ج ١ / ص ٤٥٦ .

(٣) كان لأبي الدر ياقوت بن عبد الله الموصلني المتوفي بالموصل عام (٦١٨هـ / ١٢٢١م) خط في نهاية الحسن ، ولم يكن في آخر زمانه من يقاربه في حسن الخط ، ولا يؤدي طريقه ابن البواب مثله ، وقصده الناس من البلاد وكان مفرسا بنقل الصحاح للجوهري ، فكتب منه نسخا كثيرة ، كل نسخة في مجلد واحد ، وكل نسخة تباع بمائة دينار . أنظر: ياقوت : معجم الأدباء ج ١٩ / ص ١١٣ ، ابن خلكان : وفیات الأعيان ج ٦ / ص ١١٩ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٥ /

في هذه الفترة نشاط حركة التأليف ، بالإضافة الى اقبال العلماء وهواة جمع الكتب على اقتناء ما يظهر من المؤلفات ، وقيام الوراقين باستنساخها . وقد كان الحسن بن شهاب العكبر اوى المتوفى عام (٤٢٨ هـ / ١٠٢٤ م) يقول : " كسبت في الوراقسة خمسة وعشرين ألف درهم ، وكنت أشتري الكاغد بخمسة دراهم ، فأكتب فيه ديوان المتنبى في ثلاث ليال وأبيعه بمائتي درهم ، وأقله بمائة وخمسين درهماً " (١) .

ولاشك في أن نسخ الكتب كان يستغذى من النساخين جهدا عظيما ، فابن جماعة يقول : " كان الحميدى (٢) من اجتهد به ينسخ بالليل في الحر ، مكان يجلس في اجانسة ما يتبرد به " (٤) . وكان محمد بن أحمد بن عبد الباقي المعروف بابن الخاضبة المتوفى عام (٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م) " من أشهر نساخي زمانه ، معروفاً بالافادة وجودة القراءة وحسن الخط وجودة النقل قال ابن الخاضبة : " لما كانت سنة الفرق وقعت دارى على قماشى وكتفى ، ولم يبق لي منها شئ " ، وكانت لي عائلة ، وكنت أوريق للناس فكنت صحيح مسلم تلك السنة سبع مرات " (٥) . وقد مر بنا ياقوت بن عبد الله الرومي نزيل الموصل ، وكان أوحده عصره في جودة الخط واتقانه على طريقة ابن البواب ، قصده الناس من البلاد وكتب عليه خلق لا يحصون كثرة ، يقول ياقوت : " ورأيت كتباً كثيرة بخطه يتداولها الناس ويتغالون بأشائها ، بينها عدة نسخ من الصحاح للجوهري ، والمقامات الحريري " (٦) ، وكان من هؤلاء النساخ من له قدرة عجيبة

-
- (١) ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ / ص ٩٨ .
 (٢) الحميدى : المؤرخ المحدث المشهور صاحب جذوة المقتبس توفى عام (٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م) ببغداد . ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٢٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٥٨٢ .
 (٣) الاجانسة : عرفها ابن منظور بأنها المكنج ج ١٣ / ص ٣٨ . وفسر المكنج بالاجانسة التى تغسل فيها الثياب ونحوها . ابن منظور : لسان العرب ج ٣ / ص ١٨٦ .
 (٤) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم / ص ١٦٦ .
 (٥) ابن الجوزى : المنتظم ج ٩ / ص ١٠١ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ١٧ / ص ٢٢٦ .
 (٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ١١٩ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ١٩ / ص ٣١٣ وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ / ص ٢٨٣ .

على سرعة النسخ وسرعة انجاز الكتب فقد ذكرت المصادر أن يحيى بن محمد أبو محمد الأرزني " كان يخرج في وقت العصر الى سوق الكتب ببغداد فلا يقوم من مجلسه حتى يكتب الفصحى لشعوب ، ويبيع بنصف دينار ، ويشتري لحماً وفاكهة " (١) أما ابن الأخوة العطار المتوفى عام (٥٤٨هـ / ١١٥٣م) فقد نسخ ما لا يدخل تحت الحصر ، وكان يكتب خطأ مليحاً ، وكان سريع القراءة والكتابة ، قال ابن النجار : " رأيت بخطه كتاب التنبيه في الفقه لأبي اسحاق الشيرازي ، وقد ذكر في آخره أنه كتبه في يوم واحد ، وكان يقول : كتبت بخطي ألف مجلد " (٢).

وظهر في هذا العصر نساء عرفن بجودة الخط ، أشهرهن أم الفضل فاطمة بنت الحسن بن علي العطار المعروفة ببنت الأقرع (ت ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧م) وكانت من أحسن الناس خطاً ، واشتهرت بجودته على طريقة ابن الهواب . قال الذهبي : " مكناتها يضرب المثل وهي التي تدبت للكتابة كتاب الهدنة الى طاغية الروم من جهة الخلافة ، وكانت تقول : كتبت ورقة لعبد الملك الكندري فأعطاني ألف دينار " (٣).

- (١) ياقوت : معجم الأدباء ج ٢٠ / ص ٣٤٠ .
 (٢) ن . م . س ج ٧ / ص ٢٩١ ، الكتبي : فوات الوفيات ج ٢ / ص ٣٠٩ ، وهناك عدد ضخم من النساخين المشاهير في هذا العصر لا يسمح المجال للحديث عنهم .
 أنظر : ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٢٠٤ ، ج ١٠ / ص ١٤٦ - ١٥٢ - ١٦٢ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ١٦ / ص ٩ - ٤٣ - ٥٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ١٤٩ ، ج ٤ / ص ٩٣ - ٣٨٩ ، سبط ابن الجوزي : مراة الزمسان ج ٨ / ص ٢٢٥ ، القفطي : انباء الرواة ج ٣ / ص ١٨٨ ، ابن الفوطي : مجمع الادب ج ١ / ص ٥٤٧ ، ج ٣ / ص ١١٠ - ١٢٢ ، الفهبي : معركة القراء الكبار ج ٢ / ص ٤٣١ ، تذكرة الحفاظ ترجمة رقم ١٢٨٩ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٥٧ - ١٥٥ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ٢١٦ - ٢١٩ .
 (٣) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٦ / ص ١٦٩ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٣ / ص ٣٦٥ ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٤٠ .

أما السيدة نسيم التي عاشت في بغداد في خلافة الناصر لدين الله العباسي ، فقد كانت من الناسخات المجيدات ، وكان الناصر قد عجز عن النظر في الكتب لما ضعف بصره ، فاستحضر هذه السيدة ، فكانت تكتب خطا قريبا من خطه ، وقد جعلها بين يديه تكتب الأجوبة^(١) . كما ينبغي ألا ننسى عالمة المشهورة شهيدة بنت الابري البغدادية التي عرفت بأنها تنسخ بخط حسن^(٢) .

وكان من عمل الوراقين في هذا العصر بيع الورق وأدوات الكتابة والتجليد ذلك أن عمل النساخ يحتاج إلى أدوات الكتابة المتعددة ، وقد ذكر القلقشندي^(٣) في كتابه أنواع الأقلام وأوصافها وصناعتها ، وأحسن في وصف مواد الكتابة الأخرى ، كالمداد حيث ذكر أصنافه ومزايا كل صنف^(٤) ، ولقد ذكر ياقوت في ترجمة لعممر بن الحسين الخطاط ابن خرنقا (المتوفى عام ٥٥٢هـ / ١١٢٨م) بأنه قد " كان له من آلة الكتابة ما لم يكن لأحد من قبله " ^(٥) ونص ياقوت هذا يدل على أن مهنة النساخين في هذا العصر كانت فنا قائما بذاته ، لا يتقنه الا من مارس المهنة ، وعرف أنواع الأقلام وخاماتها ، والمداد وأفضل أنواعه ، أما الورق فلقد كان من أدوات الكتابة المهمة ، إذ كان البضاعة الأساسية المعروضة في أسواق الوراقين في بغداد ، وكانت أنواعه متعددة ، وكمياته متوفرة ، وكان ثمن الكاغد في المتوسط خمسة دراهم^(٦) .

-
- (١) ناجي معروف : عالمات بغداديات ص ٨ - ٩ .
 (٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ٤٧٧ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٣٥٣ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٢٤٨ .
 (٣) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٢ / ص ٤٣٠ - ٤٧٧ .
 (٤) ن . م . س / ص ٤٣٠ - ٤٧٧ .
 (٥) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٦ / ص ٥٩ .
 (٦) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٩٢ .

أما تجارة الكتب فقد كانت سوقها رائجة في بغداد ، وكانت سوق الكتب تقع في الجانب الشرقي من بغداد (الرصافة ^(١)) وكان يجلس فيها باعة الكتب والوراقين وأكثرهم من الخطاطين والنساخين بالإضافة الى الدالين " المنادين " ، ولم تكن هذه الدكاكين مقصورة على تجارة الكتب والوراقة ، فلقد كانت كذلك مجمعا للعلماء وأهل الأدب ، ذلك أن هؤلاء الوراقين كانوا في الغالب من رجال العلم والأدب ، وكثيرا ما كانت تدور بينهم وبين زائريهم من العلماء مناقشات جادة ^(٢) .

وقد كان الشيخ أبو المعالي سعد بن علي الوراق الكتبي الحضري (المتوفى عام ٥٦٨هـ / ١١٧٢م) دالا للكتب في سوق الكتب ببغداد ، وكان أدبيا له فنون حسان منها لمح الملح وكتاب الاعجاز في الأحاجي والألغاز ، ولعل أهم مصنفاته كتابه زينة الدهر وعصرة المصير ، قال عنه الأصفهاني " ولا يكون اعتناؤه أكثر زمانه ، الا بالجمع والتأليف ، وتعريف القول في التصنيف ، ولم يزل مجمع الفضل دكانه ، ومنبع الفضل مكانه ، وكنت أحضر عنده وأقذح زنده " ^(٣) .

(١) الأصفهاني : خريدة القصر ج ٢ / ص ٣٤٤ ، ولقد وصف ابن الجوزي سوق الوراقين في بغداد في زمنه بقوله : " انها سوق كبيرة وهي مجالس العلماء والشعراء " . ابن الجوزي : مناقب بغداد ص ٢٦ . وقال الأصفهاني في ترجمة محمد بن حيسان التميمي المتوفى عام (٥٦٠هـ / ١١٦٤م) " ونقلت ما أثبت من شعره من كرارييس وجدت بها تباع في السوق ، وكانت أحضرتها امرأة تبيعها بعد موته عند دكان الشيخ أبو المعالي الحضيري " الأصفهاني : خريدة القصر ج ٣ / ص ٢٧٤ .

(٢) فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي الغنائم حبشي بن محمد الواسطي الضريمر المتوفى عام (٥٦٥هـ / ١١٦٩م) أنه كان يأتي سوق الكتب ببغداد كل ليلة عشرين سنة . ياقوت : معجم الأدباء ج ٣ / ص ٣ .

(٣) الأصفهاني : الخريدة ج ٤ / ص ٢٨ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٢٤١ .

أما أبو القاسم اسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي المتوفى ببغداد عام (٥٣٦هـ/ ١١٤١م) فإنه احترف بيع الكتب ، وكان دلال بيعها محظوظا في ذلك ، فقد اشترى صحيح البخاري وكتابا آخر يدinar وقيراط^(١) فباع الكتاب الآخر بدينار وصحيح البخاري بعشرين ديناراً^(٢) على أن المصادر التاريخية تذكر الكثير من العلماء في هذا العصر ممن كانوا يمتهنون الوراقة وبيع الكتب في بغداد وغيرها من مدن العراق بجانب اشتغالهم بفن من الفنون المختلفة .

خزائن الكتب في العراق في العصر السلجوقي :

وقبل الحديث عن خزائن الكتب في هذا العصر لابد لنا أن نتحدث عن بعض المسائل المهمة التي لها علاقة بالكتب والمكتبات تعرض لها علماء المسلمين فسـ كتاباتهم .

ومن هذه المسائل كيفية التعامل مع الكتاب ، ذلك أن للتعامل مع الكتب آدابها يذكرها ابن جماعة فيقول : " ولا يجعل الكتاب خزانة للكراريس أو غيرها ، أو مخدة أو مروحة ، ولا مكبس ولا مسندا ولا متكأ ، ولا مقئلة للبق وغيره ، ولا سيما في الورق فهو على الورق أشد " ^(٣) .

ومن هذه المسائل إغارة الكتب فيقول " وإغارة الكتب للطلبة والعشيخة أمر قد استحسنه الأولون والآخرين لما فيه من نشر العلم خاصة ، وإفادة الناس عامة ، حتى عد من صفات العلماء المحمودة " ^(٤) ، وقد ذكر ياقوت أن الحسن بن محمد بن حمدون (المتوفى عام ٦٠٨هـ / ١١٢١م) مع " ما كان من اغتباطه بالكتب جواد بإعارتها ،

(١) القيراط : كلمة يونانية Keration يختلف وزنه حسب البلاد وهو بالعراق نصف عشر دينار . الأب انستاس الكرطي : النقود العربية وعلم النميات / ص ٢٨ .

(٢) ابن الفوطي : مجمع الآداب ج ١ / ص ٥٣٥ .

(٣) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم / ص ١٧٢ .

(٤) ن . م . ص / ص ١٦٨ .

للطلبة : ما بخلت باعارة كتاب قط ولا أخذت عليه رهنا ، ولا أعلم مع ذلك أنه
فقد كتابا في عاربة قط^(١) وينقل ابن جماعة * أن ابن الخاضبة الحافظ مفيد بغداد
محبها الى الناس فاضلا حسن الذكر ما رأيت مثله على طريقته ، وكان لا يأتيه
مستعير كتابا الا أعطاه أو دله عليه^(٢).

ومن آداب التعامل مع الكتب عند شرائها أو استعارتها أو إعادتها أن يتفقد
المشتري أو المستعير أو مالكها بأن يتعهد أوله وآخره ووسطه وترتيب أهواه وكرامته
ويصفح أوراقه^(٣).

ولعل من الأعمال الحسنة التي كان يقوم بها بعض العلماء والخلفاء في هذه
الفترة وقف الكتب رجاء الأجر ، وللمحافظة عليها من التلف ، أو انتقـال
الملكية بعد الموت ، فكانوا يفضلون وقفها ليستفيد منها طلبة العلم^(٤).

ومن الآفات التي كان لها ضرر عظيم على المكتبات في هذا العصر اتلاف الكتب
لأى سبب كان . وهذا العمل بالرهب يمد خسارة كبيرة في إطار جمع التراث
وحفظه .

وقد مر بنا ما نقله ابن الجوزي من قيام البعض بكس دور عدد من العلماء ، وكيف
أنهم أخرجوا كتبهم فأحرقوا منها ما لم يكن منسجما مع آرائهم وأفكارهم^(٥).

(١) ياقوت : معجم الأديباء ج ٩ / ص ١٨٤ .

(٢) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم / ص ١٦٨ .

(٣) ن . م . س / ص ١٦٨ .

(٤) فنجد أن محمد بن ناصر بن علي البغدادي محدث العراق (المتوفى عام ٥٥٠هـ /
١١٥٥م) أوقف كتبه قبل وفاته . ابن العماد : الشذرات ج ٤ / ص ١٥٥ ، وعبد الله
بن المبارك باع ملكا له واشترى بثمنه كتاب الفنون لابن عقيل وكتاب الفصول
ووقفهما على المسلمين . ن . م . س ج ٤ / ص ٨٥ ، وأنظر في هذا أيضا ابن
الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٨٣ ، ج ١٠ / ص ٢٦٢ ، السبكي : طبقات
الشافعية ج ٥ / ص ١٢١ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٢٣٥ ، أبو شامة : ذيل الروضتين / ص ٥٦ ، العماد
الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٢٤٦ .

وذكر ابن الجوزي أيضا في حوادث عام (٤٨٣هـ / ١٠٩٠م) عن احتراق مدينة البصرة التي كان من نتائجها احتراق مكتبة عامرة كانت قد أنشئت خلال القرن الرابع الهجري^(١) ويعلق ابن الأثير على هذه الحادثة فيقول " وفي جملة ما أحرقوا داران للكتب ، احدهما وقفت قبل أيام ضد الدولة بن بويه والأخرى وقفها الوزير أبو منصور شاه بن مراد ، كان بها نفائس الكتب وأعيانها " ^(٢) وتتحدث المصادر المعتمدة عن المكتبة التي أنشأها سابور بن أردشير^(٣) في الكرخ ببغداد عام (٣٨١هـ / ٩٩١م) والتي كانت موثلا للعلماء والباحثين الذين كانوا يترددون عليها حتى احترقت في عام (٤٥١هـ / ١٠٥٩م) وقد ذكر ابن الجوزي في حوادث هذه السنة أنه قد : " احترقت بغداد ، الكرخ وغيره وبين السوريين واحترقت فيه خزانة الكتب التي أوقفها الوزير ونهبت بعض كتبها وجاء عيد الطك فاختر من الكتب خيرها ، وكان بها عشرة آلاف وأربعمائة مجلد من أصناف العلوم منها مائتا مصحف بخط ابن مقله ، وكان العامة قد نهبوا بعضها لما وقع الحريق " ^(٤)

ويبدو أن احتراق المكتبات العارضة والمتعمد ، وعطية اتلاف الكتب عن قصد وتصميم سبق ، وسرقات الكتب قد دفعت البعض الى اللجوء الى دفن الكتب ، ويظهر أن هذا العمل كان مثار استهجان البعض ، فيذكر ابن الجوزي " ولقد ذكرت بعض مشايخنا ما يروى عن جماعة من السادات ، أنهم دفنوا كتبهم فقلبت له : ما وجه هذا ؟ فقال : أحسن ما نقول أن نسكت ، يشير الى أن هذا جهل

-
- (١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٥٣ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٥٣ .
(٣) أبو نصر سابور بن أردشير ، الطقب بها الدولة وزير بها الدولة أبي نصر ابن عضد الدولة (المتوفى عام ٤١٦هـ / ١٠٢٥م) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ٣ / ص ١٢٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ٣٥٤ .
(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٢٣٨ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ٥ / ص ١٢٤ - ١٢٦ ، وحوادث أخرى أدعى وأمر تتحدث عنها المصادر التاريخية يذكر ابن الأثير حادثة حريق المدرسة النظامية عام (٥١٠هـ / ١١١٦م) حيث احترقت خزانة كتب النظامية ، ولولا وجود طلبة العلم الذين نقلوا الكتب لضاع تسراحت علمي ضخم . ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٢٧٦ .

من فاعله " (١) ويقول ياقوت في ترجمته للمبارك بن المبارك أبي طالب الكرخي (المتوفي عام ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م) أنه " كان أوحده زمانه في حسن الخط على طريقة ابن البواب على بن هلال وكان ضئيلا بخطه جدا ، فلذلك قل وجوده ، وكان اذا اجتمع عنده شيء من تجويداته يستدعي طستا ويفصله " (٢).

ثم كانت الطامة الكبرى والمصيبة الكالحة عندما دخل المغول بغداد عام (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) واستباحوها وقضوا على الكثير من المعالم الحضارية والمآثر الاسلامية والتراث ، ومن ذلك عشرات الآلاف من كتب خزائن المكتبات العامة والخاصة . يقول ابن الساعي المتوفى عام (٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م) " ويقال انهم بنسوا اصطبلات الخيول وطولات المعالف بكتب العلماء عوضا عن اللبن " (٣) فلقد منيت آلاف المجلدات والكتب من تراث الاسلام بالضياع طوال العصور يمثل هذه الأحداث التي كان نتيجتها ضياع الكثير من جهود العلماء والباحثين في مختلف العصور، وينعكس مدى اعتزاز الاسلام والمسلمين بالعلم والعلماء فيما خلده المصادر من معلومات مفصلة عن خزائن الكتب التي أولاها المسئولون عن الادارة الاسلامية وكذلك مختلف أبناء الأمة من اهتمام ورعاية في سبيل تيسير المعرفة ، عن طريق انشاء دور للكتب التي أصبحت شائعة حتى أنه ليندر أن تخلو مدرسة أو مسجد جامع أو مستشفى أو غير ذلك من معاهد العلم دون أن تجد مكتبة عامرة ملحقة بها ، هذا بجانب الخزائن الخاصة التي يؤسسها الخلفاء والأمراء والوزراء وكبار المسئولين والعلماء ، والتي يكون

-
- (١) ابن الجوزي : صيد الخاطر / ص ٧٤ . وأنظر أيضا : المنتظم ج ٩ / ص ٢٤ .
(٢) ياقوت : معجم الأدباء ج ٦ / ص ٢٣٠ ، وأنظر حوادث مائة ن . م . ص ج ٥ / ص ١٣٢ ، ج ٦ / ص ٢٣٥ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٧٦ .
(٣) ابن الساعي : مختصر أخبار الخلفاء / ص ١٢٧ ، طبع بولاق سنة ١٣٠٩ هـ ، وأنظر في ذلك أيضا ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٣ / ص ٥٣٧ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٧ / ص ٥١ ، النهر والي : الاعلام ببیت الله الحرام ص ١٨١ ، ص ١٨٢ طبعة وستفلد لهسك سنة ١٨٥٢ م .

الاتفاق عليها على حسابهم الخاص . وكان يقوم على هذه المكتبات مشرفون وخزينة وخدم للقيام بمختلف الأعمال اللازمة لادارتها والاشراف عليها والافادة من خدماتها المختلفة . وكان الكثير منها مزودا بالورق والحبر في قاعات رتب لتصبح مواضع للمطالعة ، وفي أحيان أخرى للنسخ والتعليم ، ولم تخل مكتبة من هذه المكتبات من فهارس يرجع اليها لتسهيل طلب واستخراج أو استعمال مجموعاتها من الكتب المخزونة فيها ، وكانت الفهارس عادة غاية في التنظيم ، يشرف على اعدادها وتطويرها خزنة المكتبة ومديروها . وما يحسن ذكره هنا انه كان لخزانة المدرسة النظامية فهرس شامل دقيق ، فقد قال ابن الجوزي " ولقد نظرت في ثبوت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية فاذا به يحتوى على نحو ستة آلاف مجلد (١) .

وكان لهذه الخزنة النفيسة خزنة ومشرفون يتولون أمرها والنظر في شئونها ولهم ادارات خصصت لهم من وقوف المدرسة (٢) وتقدم المصادر المعتمدة معلومات طيبة عن خزنة مكتبة المدرسة النظامية فتذكر منهم القاضي يعقوب بن سليمان الاسفراييني (المتوفى عام ٤٨٨ هـ / ١١٠٤ م) ، ويحيى بن علي بن محمد أبو زكريا الخطيب (المتوفى عام ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م) ، ومحمد بن أحمد الأبيوردى (المتوفى عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م) ، وعلي بن أحمد بن عبد الباقي بن بكرى (المتوفى عام ٥٢٥ هـ / ١١٧٩ م) ، وأبا جعفر عمرو بن أبي عبيد الله الدباس (المتوفى عام ٦١٠ هـ / ١٢٠٤ م) الذي قال عنه ابن الساعي " أقام مشرفا بدار الكتب العتيقة بالمدرسة النظامية الى أن توفي " (٣) أما خزنة مدرسة مشهد الامام أبي حنيفة

(١) ابن الجوزي : صيد الخاطر / ص ٣٦٦ - ٣٦٧ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٦٦ .

(٣) ياقوت : معجم الأدباء ج ٦ / ص ٣٤٣ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٦١ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ٢٠ / ص ٢٥ ،

ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ١٩١ ، القفطي : انباء الرواء ج ٤ / ص ٢٢ ،

العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٤ / ص ٥ .

(٥) ياقوت : معجم الأدباء ج ٦ / ص ٣٤٣ .

(٦) ن . م . م . ج ٥ / ص ١٠٤ .

(٧) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ١٦٠ .

فقد تولى الاشراف عليها ابن الأهوازي (المتوفى عام ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) ^(١) . وعند تأسيس خزانة الرباط الخاتوني ببغداد ، التي أوقفها الخليفة الناصر لدين الله العباسي لثربة زوجته سلجوقه خاتون (المتوفى عام ٥٨٤هـ / ١١٨٨م) عهد بأمر ^(٢) خزانتها والاشراف عليها الى أبي محمد عبد العزيز بن أبي دلف المعروف بالخازن ^(٣) (المتوفى عام ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م) ثم وليها عز الدين (المتوفى عام ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م) ^(٤) .

أما دار العلم التي أنشأها سابور بن أردشير ، والتي سبقت الإشارة اليهسا فقد تولى خزانتها أبو منصور محمد بن أحمد بن طاهر الخازن (المتوفى عام ٥١٠هـ / ١١١٦م) ^(٥) ، وقد تعرض أبو العلاء المعري الى ذكر الجارية التي تولت الخدمة في هذه الخزانة خلال هذه الفترة ، فلقد صورّ معادشة جرت بينهما قال فيها على لسانها " أتدري من أنا يا أبا علي بن منصور ؟ أنا توفيق السوداء التي كانت تخدم في دار العلم ببغداد على زمان أبي منصور محمد بن علي الخازن ، وكنت أخرج الكتب الى النساخ " ^(٦) .

وهكذا انتشرت المكتبات في هذا العصر ، وطئت بنفائس الكتب في المدارس والمساجد والأربطة والمستشفيات ، اضافة الى خزائن الخلفاء والوزراء والعلماء . ولعل من الخفي في هذه الدراسة أن نتعرض لذكر أهم خزائن الكتب في هذا العصر :

-
- (١) ابن الجوزي : المنتظم ج ١ / ٢٤٨ ، صيد الخاطر / ص ٣٦٢ .
 - (٢) ابن الأثير : الكامل ج ٩ / ص ١٩٨ .
 - (٣) الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ٣ / ص ٥ ، ابن الفوطي : مجمع الاداب ج ١ / ص ٤٩١ .
 - (٤) هكذا ذكره ابن الفوطي : مجمع الاداب ج ١ / ص ٢٩٤ .
 - (٥) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٨٩ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ١٧ / ص ٢٦٢ .
 - (٦) المعري : رسالة الغفران / ص ٧٣ .

أولا : خزائن الخلفاء :

من هذه الخزائن خزانة الخليفة القائم بأمر الله الذي تولى الخلافة بين سنتي (٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م - ٤٦٧ هـ / ١٠٧٥ م) . والواقع أن الخليفة القائم بأمر الله قد ورث هذه الخزانة عن سبقة من الخلفاء ، وقد وردت هذه المعلومة في كتاب رسوم دار الخلافة الذي ألفه الوزير الهلال بن المحسن الصابي (المتوفى عام ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) وأهداه الى الخليفة القائم ^(١) .

أما الخليفة المقتدى بأمر الله ، تولى الخلافة بين سنتي (٤٦٧ هـ / ١٠٧٥ م - ٤٧٧ هـ / ١٠٩٤ م) فقد كانت له خزانة كتب حوت الكثير من النفائس ، فقد ذكر أبو طي يحيى بن عيسى بن جزلة الطبيب البغدادي (المتوفى عام ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م) أنه ألف للخليفة المقتدى كتابين أولهما كتاب تقويم الأبدان ، وثانيهما كتاب الانسان ، وأن النسخ الأولى من هذين المؤلفين أودعت في خزانة المقتدى . يقول ابن جزلة " ستصرف في ذلك خدمة خزائن سيدنا ومولانا الامام العادل المقتدى بأمر الله " ^(٢) . ثم يشير الى الكتاب السابق الذي أهداه الى الخليفة المقتدى بقوله : " ولما أنعم بقبول الكتاب الذي سميته تقويم الأبدان ، بادرت بتركيب كتاب ثان سميته منهاج البيان فيما يستعمله الانسان " ^(٣) .

أما الخليفة الناصر لدين الله العباسي والذي امتدت خلافته بين سنتي (٥٧٥ هـ / ١١٨٠ م - ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م) والذي عادت الخلافة في عهده الى سابق قوتهسا وعزها ، بعد أن تمكن من طرد السلاجقة نهائيا من العراق ، فقد كان له خزانة

(١) هلال الصابي : رسوم دار الخلافة / ص ٣ ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء / ص ٦٠ .
(٢) ابن جزلة : منهاج البيان فيما يستعمله الانسان - الورقة / ١ ب ، مـ صـ .
بمركز البحث العلمي وأحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى برقم (١٢٨ طـ) .
(٣) ن ٤٠٠ م - الورقة / ١ أ ب .

كتب جلييلة ، ذكر القفطي في كتابه " اخبار العلماء " أنه أوقف جزءا منها على خزانة دار الصناعة التي استحدثها الخليفة الناصر ، وخزانة الرباط الخاتوني ، وخزانة المدرسة النظامية ، وأنه كلف هذه المهمة المبشرين أحمد بن علي الرازي (المتوفى (١) عام ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) .

ثانيا : خزائن كتب الوزراء والأمراء :

اقتدى الأمراء والوزراء بسير الخلفاء وخططهم في تأسيس دور الكتب ورعايتها ودوام استمرار الوقف لها وامتدادها ، فساروا على خطاهم ، مما أدى الى ازدهار الحركة الفكرية وكثرة المكتبات الموقوفة من الأمراء والوزراء لهذا الغرض النبل ، ومن ذلك دار كتب الوزير ابن شاه مراد بالبصرة ، التي أوقفها على طلبة العلم ، وقد ذكر ابن الجوزي أن الأعراب أحرقوها حين دخلوا البصرة عام (٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م) . . . وهكذا ، واحترقت دار الكتب هذه والتي كان بها الكثير من نفائس الكتب . (٢)

وهناك خزانة الوزير سابور بن أردشير ، التي أنشأها ببغداد ، وكانت من أكبر الخزائن ، وقد سبق أن ورد في البحث ما نقله ابن الأثير أنه " في سنة ٤٥٢ هـ / سنة ١٠٦٠ م احترقت بغداد الكرخ وغيره وبين السوريين ، واحترقت فيه خزانة الكتب التي أوقفها أردشير الوزير ، ونهبت بعض كتبها ، وجاء عيد الملك الكندري فاختار من الكتب خيرا ، وكان بها عشرة آلاف مجلد وأربعمئة من أصناف العلوم ، وكان العامة قد نهبوا بعضها لما وقع الحريق " . (٣) أما الوزير ابن هبيرة (المتوفى عام ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م) والذي وزر للخليفة المقتضى (المتوفى عام ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) وابنه المستنجد (المتوفى عام ٥٦٦ هـ / ١١٢٠ م) فكان واحدا من أعظم وزراء العصر علما وسياسة ، ولقد عاش قبل أن يلي الوزارة فترة طويلة من حياته طالبا في سوق الأدب واللغة والنحو حتى أصبح عالما مجيدا ، وقد وضع تأليف حسانا ، وبذلك سر

(١) القفطي : اخبار العلماء / ص ١٧٧ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٥٣ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٥٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٨٨ ، البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٢٠ .

حاجي خليفة أنه كانت له خزانة كتب جيدة ^(١). أما الوزير مؤيد الدين بن القصاب (المتوفى عام ٥٩٢هـ / ١١٩٥م) الذي وُزر للخليفة العباسي الناصر لدين الله فقد " نشأ مشغلاً بالعلوم والآداب ، وصرع في علوم المتصرفين ، كالحساب ومعرفة المساحات والمقاسمات ، ثم تبصر بأسباب الوزارة ^(٢) وقد أنشأ خزانة كتب فسي درج الخياطين بهفداد ^(٣) .

ثالثاً : خزائن الكتب العامة :

وتشمل خزائن الكتب العامة الخزائن الموقوفة ، وخزائن كتب المدارس والمساجد والأربطة المنتشرة في العراق في هذا العصر .

فمن هذه الخزائن خزانة الوقف بالبصرة التي أنشأها أبو علي بن سوار الكاتب على عهد عضد الدولة ، أشار إليها المقدسي عند حديثه عن مدينة رام هرمز ^(٤) حين قال " فيها دار كتب كالتى بالبصرة ، والداران جميعاً اتخذهما ابن سوار الا أن خزانة البصرة أكبر وأمر وأكثر كتباً " ^(٥) وقد ذكرها الحريري ^(٦) فسي مقاماته حين قال على لسان الحارث بن همام " فلما أبت عن غريبتى ، السى منبت شعبتى ، حضرت دار كتبها ، التى هي منتدى المتأدبين ، وملتقى القاطنين منهم والمفتربين " ^(٧) . والمفروض أن تكون هذه الخزانة قد توسعت وأثرت خلال العصر السلجوقي .

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون ج ٢ / ص ١١٢٧-١١٢٨ . كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق / ص ١٨٢ .

(٢) ابن الطقطقى : الفخرى / ص ٣٢٤ .

(٣) ن . م . م / ص ٣٧٣ ، كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق / ص ١٨٣ ، عن هند وشاه : تجارب السلف / ص ٣٣١ .

(٤) رام هرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان . ياقوت : معجم البلدان ج ٣ / ص ١٧ .

(٥) المقدسى : أحسن التقاسيم / ص ٤١٣ .

(٦) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (ت ٥١٦هـ / ١١٢٢م) القفطى : انباء السراة ج ٣ / ص ٢٧٦ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ١٦ / ص ٢٦٧ ، العماد الحنبلى : الشدراة ج ٤ / ص ٥٠ .

(٧) الحريري : مقامات الحريري / ص ٢٤ .

ويمكن أن نشير الى خزانة القاضي أبي الفرج بن أبي البقاء التي أنشأها أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن الحسن بن الحسين البصري (المتوفى عام ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م) والتي نهبت بعد وفاته ^(١).

ولاشك في أن خزائن المدارس هي خزائن عامة فقد كان الطلاب والعلماء والأساتذة ، يرتادونها ويستفيدون من خدماتها . ومن المعروف أن خزانة المدرسة النظامية قد حوت كل نادر وكل نفيس في كل فن من المؤلفات ، لاسيما وأن هذه الخزانة قد أوقف عليها ، اضافة الى محتوياتها الأصلية ، الكثير من الكتب والمكتبات ، فالخليفة الناصر لدين الله العباسي أوقف عليها من خزائنه الخاصة ، قال ابن الأثير في حوادث عام ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م " وفيها أمر الخليفة الناصر لدين الله بعمارة خزانة الكتب بالنظامية ببغداد ، ونقل اليها من الكتب النفيسة ألوفاً لا يوجد مثلاً " ^(٢) ، ويذكر السبكي في ترجمته لعبد السلام بن بندار القزويني (المتوفى عام ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م) أنه " أهدى الى نظام الملك أربعة أشياء لم يكن لأحد مثلاً ، غريب الحديث لأبراهيم الحري ، في عشر مجلدات ، فوقفه نظام الملك بدار الكتب ببغداد " ^(٣) ، كما أوقف المؤرخ محب الدين بن النجار (المتوفى عام ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م) " خزانتي من الكتب بالنظامية تساوي ألف دينار ، فأضى ذلك الخليفة المستعصم " ^(٤) ، وذكر ابن الجوزي أن هذه الخزانة كانت تحتوى على ستة آلاف مجلد في مختلف الفنون حينما كان يرتادها ^(٥).

-
- (١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٤٧ ، ابن الأثير : الكامل ج ١٠ / ص ٢٨٤ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٩ / ص ٢٢٩ ، القفطي : أخبار العلماء / ص ١٧٧ .
(٣) السبكي : طبقات الشافعية ج ٣ / ص ٢٣٠ .
(٤) ابن كثير : الهداية والنهاية ج ١٢ / ص ١٦٦ ، الكتبي : قوات الوفيات ج ٢ / ص ٢٦٤ .
العماد الحنبلي : الشذرات ج ٥ / ص ٢٢٧ .
(٥) ابن الجوزي : صيد الخاطر / ص ٣٦٦ - ٣٦٧ .

أما خزانة كتب مدرسة أبي حنيفة التي أنشأها المستوفي شرف الملك أبو منصور العميد الخوارزمي ، والتي افتتحت عام (٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م) ^(١) فقد احتوت على نفائس الكتب والمصنفات التي وقفت على طلبه العلم ^(٢) . وأورد المؤرخ ابن الساعي البغدادي نصا يشير الى تولي ضياء الدين أبي الفضل أحمد بن مسعود التركستاني أمر الخزانة قال فيه " وليثبت ما بخزانة الكتب من المجلدات وغيرها ، معارضا ذلك بفهرسته ، متطلبا ما عساه قد شذ منها ، وليأمر خازنها بعد استصلاحه بمراعاتها ونفضها في كل وقت ، وأن لا يخرج منها شيئا الا الى ذي أمانة ، مستظهرا بالرهن على ذلك " ^(٣) . ويظهر أنه قد أوقف على هذه الخزانة الكثير من الكتب خلال فترات مختلفة ، ان تذكر المصادر أنه في احدى المناسبات أوقف عليها مجموعة كبيرة من الكتب منها تفسير كبير يقع في ثلاثمائة مجلد ، لأبي يوسف عبد السلام بن محمد بن بندار القزويني (المتوفى عام ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م) أوقفه مؤلفه على طلبه العلم بهذه الخزانة ^(٤) ، كما أن ابن جزلة الطبيب البغدادي (المتوفى عام ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م) لما مرض مرض الموت أوقف جميع محتويات مكتبته على خزانة مدرسة مشهد الامام أبي حنيفة ^(٥) .

أما خزانة كتب الوقف بمسجد الزيدى ببغداد ، والتي وقفها الشريف أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الزيدى (المتوفى عام ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م) وكان أحد الأعلام العلماء في هذا العصر . ويذكر سبط الجوزي أنه اشترى دارا بدرب دينار الصغير ببغداد ، صناها مسجدا ، واشترى كتبها ووقفها على المسجد لينتفع الناس بها ^(٦) .

(١) مصطفى جواد : أول مدرسة في العراق مدرسة الامام أبي حنيفة ، مجلة المعلم

الجديد - مجلد ٦ / ص ٣٨٠ .

(٢) ابن الجوزي : صيد الخاطر / ص ٣٦٢ .

(٣) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٢٣٦ .

(٤) العماد الحنبلي : الشذرات ج ٣ / ص ٣٨٥ ، القرشي : الجواهر الخفية ج ١ / ص ٣١٦ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١١٩ .

(٦) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٢٢٧ .

كما أوقف أبو الخير صبيح بن عبد الله الحبشي (المتوفى عام ٥٨٤هـ / ١١٨٨م) كتباً كثيرة بمسجد الزيدى . وكذلك أبو الخطاب العلمي عمر بن محمد بن عبد الله الدمشقي الذي قدم بغداد (عام ٥٥٩هـ / ١١٦٣م) فقد عاهد الشريف الزيدى على وقف كتبه بمسجد الزيدى ، فأرسلها بعد وفاته بدمشق (عام ٥٧٤هـ / ١١٧٨م)^(١) أما ياقوت الحموي فقد كان يملك مكتبة ثمينة احتوت على العديد من النفائس ، أوقفها كذلك على مسجد الزيدى بدرب دينار .^(٢)

ومن خزائن الكتب العامة (خزانة كتب الرباط بالحريم الطاهري) الذي أنشأه الخليفة الناصر لدين الله العباسي بترية زوجه سلجوقه خاتون (عام ٥٨٤هـ / ١١٨٨) والذي سبقت الإشارة إليه ، ويذكر ابن الأثير في حوادث (عام ٥٨٩هـ / ١١٩٣م أنه " في هذه السنة فرغ من عمارة الرباط الذي أمر بإنشائه الخليفة الناصر لدين الله " ^(٣) ويظهر أنه قد نقل إلى الرباط الكثير من الكتب من خزانته الخاصة ، وأوكل الأمر في ذلك إلى البشراحمد الرازي البغدادي ^(٤) . وكان برباط المأمونية خزانة كتب أشار إليها ياقوت الحموي في ترجمته لابن الدهان الضرير الواسطي (المتوفى عام ٦١٢هـ / ١٢١٥م) قال " وحدثني محب الدين أحمد بن النجار قال : حضر الوجيه النحوي بدار الكتب التي برباط المأمونية " ^(٥) ويذكر سبط ابن الجوزي أنه وجد برباط المأمونية نحواً من سبعين مجلداً من " كتاب الفنون " لعلي بن عقيل ، وفيه حكايات ومناظرات وغرائب وعجائب وأشعار " ^(٦) .

(١) مصطفى جواد : الاخاء في الثقافة ووقف الكتب . مجلة الحضارة - العدد ٣٣ /

ص ٧ - ٨ والعدد ٣٤ / ص ٧ - ٩ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ١٢٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٩ / ص ٢٢٩ .

(٤) القفطي : أخبار العلماء / ص ١٧٧ .

(٥) ياقوت : معجم الأدباء ج ٦ / ص ٢٣٥ .

(٦) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٥١ .

رابعاً : خزائن الكتب الخاصة :

يندر أن نجد أحداً من العلماء في بغداد خلال فترة البحث الا وله خزانة كتب خاصة ، وقد أشارت المصادر الى بعض تلك الخزائن المشهورة ، والسقى كان لأصحابها فضل في ايقافها على طلبة العلم ، بالإضافة الى أن هناك عدداً من مشاهير العلماء كانت لهم خزائن ضخمة أوردت مصادر تاريخ الفترة طائفة من أخبارها .

فالخطيب البغدادي الحافظ أحمد بن علي (المتوفى عام ٤٦٣هـ / ١٠٧٠ م) كان يمتلك مكتبة ضخمة أوقفها على المسلمين ^(١) . أما أبو الحسن محمد بن هلال الصابي الملقب بفارس النعمة (المتوفى عام ٤٨٠هـ / ١٠٧٨ م) فقد ذكر ابن الجوزي أنه " قد ابتنى بشارع ابن أبي عوف دار كتب ، وأوقف فيها نحو من أربعمئة مجلد في فنون العلوم ، ورتب بها خازناً يقال له ابن الاقاسي العلوي وتكرر اليها العلماء سنين كثيرة " ^(٢) . أما ابن كثير فقد ذكر أن عدد الكتب التي أوقفها فارس النعمة هو أربعة آلاف مجلد ^(٣) .

وكان لعبد السلام بن بشار القزويني خزانة كتب ضخمة ذكر القرشي نقلاً عن ابن النجار " وحدثنى بعض أهل العلم أن أبا يوسف ورد بغداد ومعه عشرة جمال تحمل دفاتر ، وأكثرها بالخطوط المنسوبة ، ومن الأصول المخبورة في أنواع العلوم " ^(٤) ، ويؤكد الصفدي ذلك فيقول : " وصيحت كتبه في سنين وكانت تزيد على أربعة آلاف مجلد " ^(٥) .

-
- (١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٢٦٩ ، ياقوت : معجم البلدان ج ١ / ص ٢٥٩ .
(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٤٢ ، ابن القوطي : معجم الآداب ج ٢ / ص ١١٦٣ .
(٣) ابن كثير : الهداية والنهاية ج ١٢ / ص ٣١٦ .
(٤) القرشي : الجواهر الخفية ج ١ / ص ٣١٦ .
(٥) كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق . عن مجلة المعلم الجديد ، العدد ٦ / ص ٤٢ .

أما الشيخ السبكي فيذكر أنه " قد اجتمع له من الكتب شيء كثير ، وأنه سكن بغداد ثم سافر إلى الشام ثم إلى مصر وأقام بها مدة ، ثم عاد إلى بغداد وهو يحصل في ذلك الكتب ، وقيل : أنه حصل غالبها في مصرفي عام الغلاء المفرط...^(١) والمؤرخ أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الحميدى المغربي الأندلسي (المتوفى عام ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م) كانت له خزانة كتب أوقفها على طلبة العلم .^(٢) أما ابن جزلة الطبيب أبو علي يحيى بن عيسى (المتوفى عام ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م) فقد كان لــــه خزانة كتب أوقفها على خزانة مدرسة مشهد أبي حنيفة كما مر بنا ، فقد ذكر ابن الجوزي " أنه حصل كتباً نفيسة " ^(٣) أثناء رحلته العلمية .

أما خزانة كتب القاضي أبي الوفاء سديد الدين يحيى بن سعيد بن يحيى بن المظفر (قتل عام ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) فقد كانت خزانة جليلة ، ويذكر ابن الجوزي أنه عندما كُست داره أخرجت كتبه وأحرقت ، وكان فيها كتاب الشفاء ، وكتب اخوان الصفا .^(٤)

أما العالم الجليل أمين الدولة أبو الحسن هبة الله ابن التلميذ الطبيب فيذكر ابن أبي أصيبعة أنه " خلف نعماً كثيرة ، وأموالاً جزيلة ، وكتباً لا نظير لها فسى الجودة " ^(٥) ويظهر أن هذه المجموعة تعوى من نفائس الأشعار بالعربية والفارسية والسريانية واليونانية .^(٦)

-
- (١) السبكي : طبقات الشافعية ج ٣ / ص ٢٣ .
 (٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٩٦ ، صيد الخاطر / ص ٣٦٢ .
 (٣) القفطى : أخبار العلماء / ص ٢٣٩ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول / ص ٢٣٩ .
 (٤) ابن الجوزي : المنتظم ج ١ / ص ١٠٨ .
 (٥) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ١٩٤ ، ابن الأثير : الكامل ج ١٠ / ص ١٢٠ .
 (٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٥٥ .
 (٧) ن . م . س / ص ٣٦٥ .

أما خزانة أبي محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب النحوى العالم (المتوفى عام ٦٧٥هـ/١١٧١م) فقد اطلع عليها ابن الجوزى وقال : انها " كانت أحمالا " (١).

وكان لابن الدهان النحوى الأديب أبي محمد سعيد بن المبارك (المتوفى عام ٦٩٥هـ/١١٧٣م) خزانة كتب أفنى عمره فى تحصيلها ، وعندما غرقت أشجار عليه بعضهم أن ييخرها باللادن (٢) فبخرها وصعد البخور الى رأسه فأصيب بالعمى (٣) وذلك مما يدل على ضخامتها .

أما علامة العصر أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (المتوفى عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م) فقد كان من أشهر علماء عصره ، ونبغ فى عدد من الفنون ، وألف ما يناهز المائتين من المصنفات ، وكان جماعا للكتب ، كثير القراءة والاطلاع، وكانت لديه خزانة كتب ضخمة تبعثرت بعد وفاته ، ويبدو أن بعض كتبها قد أحرق (٤).

ويمكن أن نشير الى المؤرخ الطبيب المشهور بابن المارستانية أبي بكر مجد الدين صيد الله بن طي بن حمزة البغدادي (المتوفى عام ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢م) الذى كان قد " قوى جاهه ونى دارا بدرب الشاكرية وسماها " دار العلم " وجعل فيها خزانة كتب أوقفها على طلاب العلم " (٥) . وقد مررنا ذكر العالم الأديب أبوسعد تاج الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حمدون (المتوفى عام ٦٠٨هـ/١١٢١م) الذى قال عنه ياقوت : انه " كان من المحبين للكتب واقتنائها والمبالغين فى تحصيلها وشرائها " (٦) وذكر القفطي أنه كان لأبى الخير سيحي بن أبى البقساء

(١) ابن الجوزى : صيد الخاطر / ص ٣٦٧ .

(٢) اللادن : ضرب من الحلوكة . ابن منظور : لسان العرب ج ١٣ / ص ٣٨٥ .

(٣) الصفدى : نكت الهميان / ص ١٥٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ١٠٢ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ / ص ٤٥ .

(٥) الذهبى : المختصر المحتاج اليه ج ٢ / ص ١٨٧ .

(٦) ياقوت : معجم الأديباء ج ٣ / ص ٢١٥ .

الطبيب (المتوفى عام ٦٠٨هـ / ١٢١١م) خزانة ضمت كتباً كثيرة في الحكمة وما يتعلق بها ، حيث انها خرجت في الكثرة عن الحصر ، وقيل : انه كان اذا وقعت في يده نسخة من كتاب وخشي المزايدة فيه ، يخبره لينقص من ثمنه ويبتاعه ، واشتهر هذا (١) عنه .

وكان لعبد السلام بن عبد القادر بن جنكي (المتوفى عام ٦١١هـ / ١٢١٤م) مكتبة ضخمة احتوت كتباً كثيرة في علوم الأوائل ، واتهم بالتعطيل ؛ وأنه يرجع الى أقوال الفلاسفة ، فكسبت داره وأخرجت كتبه وأحرقت (٢) .

(١) القفطي : أخبار العلماء / ص ٢١٨ .
(٢) ن ٤٠٠ ص / ص ١٥٤ . سبط الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٢٤٤ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ١٣٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ / ص ٤٥ ، ابن حجر : لسان الميزان ج ٤ / ص ١٥ .

مراكز العلم في العراق في هذا العصر :

ولم تنفرد بغداد في هذه الفترة بكونها مركزا فريدا للعلم والأدب ، بل نافستها في بلاد الرافدين مراكز أخرى امتازت بنشاط الحركة العلمية والأدبية والفكرية . يقول المقدسي " ان اقليم العراق اقليم الظرفاء " ، ومنبع العلماء " أخرج كل فقيه ومقري وأديب وسري وحكيم وزاهد ونجيب " ^(١) ، ويقول في موضع آخر " والعراق كثيرة الفقهاء والقراء والأدباء والأئمة والملوك وقد حصل به عدة من المذاهب ، والغلبة ببغداد للحنابلة والشيعة ، وه مالكية وأشعرية ومعتزلة . . . " ^(٢) .

صحيح أن بغداد كانت مركز العلم والعلماء في جميع العصور ، يقول عنها المقدسي " بغداد لأهلها الخصائص والظرافة ، والقرائح واللطافة ، هوا رقيق ، وعظم رقيق ، وكل حسن فيها ، وكل حاذق منها ، وكل قلب اليها " ^(٣) .

ان نطاق البحث قد يقصر بالباحث عن أن يوفى الموضوع حقه ، ذلك أن بعض المدن التي ازدهرت فيها الحركة العلمية ، وأثرت وتأثرت بالأوضاع العلمية والثقافية للعراق هي من مدن أقاليم أخرى مجاورة للعراق ، فمدينة الموصل مثلا هي إحدى مدن اقليم الجزيرة ، وكذلك الحال بالنسبة لمدينة سنجار ، أما أربل فهي عاصمة اقليم الجبال ، ومع ذلك فان طبيعة البحث تقتضى المتابعة الدقيقة للمؤثرات والتداخل فيها ، وهذا يستلزم ضرورة الإشارة الى أهمية الأنشطة العلمية والثقافية في هذه المدن الثلاث على الرغم من أنها لا تخضع اداريا لاقليم العراق بحدوده التي أشرنا اليها في صدر هذا البحث ، ذلك أن الحركة العلمية قد

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم / ص ١١٣ .

(٢) ن . م . م / ص ١١٩ .

(٣) ن . م . م / ص ١١٩ .

ازدهرت ، اضافة الى ازدهارها في بغداد ، بالموصل خصوصا بعد أن اتخذها الأتابكيون عاصمة لملكهم ابتداءً من سنة ٥٢١هـ / ١١٢٧م . فقد امتاز ملوكهم بحبهم للعلم ونشر العلوم والمعارف ، ولم يأل كل منهم جهداً في تشجيع الحركة الثقافية ، فأنشأوا المدارس والمعاهد المختلفة ، و دور الحديث والقــــرآن والأرـبطة ، واستقدموا العلماء ، ورغبوهم بما أغدقوا عليهم من الهبات والعطايا الوافرة ، وجعلوا من الموصل مدينة علم وأدب وفن ، يشد اليها الرحال ، ويؤخذ من طمائها وأديانها . وكانت المدرسة النظامية أول مدرسة أنشئت بالموصل ثم أقبل الملوك الأتابكيون على انشاء المدارس والمعاهد العلمية .^(١)

ونبغ في الموصل في هذا العصر عدد من الشيوخ والعلماء الأعلام والشعراء ، منهم أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان المعروف بابن فضل الزمـــــان (المتوفى عام ٥٨٥هـ / ١١٨٩م) ، كان عالماً في مجالات شتى ، متبحراً في علوم كثيرة خلاف مذهبه والأصوليين والحساب والفرائض والنجوم والهيئة والمنطق .^(٢)

ومن علماء الموصل المعدودين بها* الدين أبو المعاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد (المتوفى عام ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م) ولد بالموصل ودرس بها الدين واللغة والتاريخ والأدب ، ثم ارتحل الى بغداد حيث درس في المدرسة النظامية وعمل معيداً بها ، وبعد عودته الى مسقط رأسه الموصل انتفع بعلمه الكثير من الطلاب ، حيث اشتغل بالتدريس ، وله مصنفات حسان أهمها النوادر السلطانية والمعاسن اليوسفية .^(٣)

-
- (١) سيعرض البحث للحديث عن مدارس الموصل في الباب الثاني ضمن الحديث عن مدارس العراق في هذا العصر .
- (٢) ابن الأثير: الكامل ج ٩ / ص ٢٠٥ .
- (٣) ابن خلدان : وفيات الأعيان ج ٧ / ص ٨٤ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ / ص ١١٥ . وقد تعرض البحث للحديث عن العلماء والأدباء في الموصل . في الباب الثالث من هذه الرسالة .

ومن اشتهر من علمائها الشيخ أبو الحرم مكي بن ريان بن شبه النحوي المقرئ (المتوفى عام ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م) الذي كان عالما بالنحو واللغة والقراءات والفقه والحساب ، والذي لم يكن في زمانه مثله ، وقد رحل اليه الطلاب من كل مكان ، وكانت حلقات درسه تبدأ من الصباح الباكر وتستمر حتى الليل ^(١) .

وكما نشطت الحركة العلمية في الموصل ، فانها نشطت أيضا في مدينة أربل ^(٢) في هذا العصر ، وقد تجلى ذلك في المدارس العديدة التي أسسها الحكام الأتابكة . وقد تخرج من هذه المدارس رجال شغلوا وظائف رئيسية في البلاد الاسلامية ، ومن شيوخ أربل ومدرسيها ابن خلكان المؤرخ المشهور (المتوفى عام ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) ^(٣) ، ومن أشهر أدباء أربل أبو البركات بن أبي الفتح أحمد المعروف بابن المستوفي (المتوفى عام ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) الذي نبغ في مجالات الأدب والشعر والحديث والنحو واللغة ، والذي كان يعقد المجالس العلمية التي تضم الأدباء والشعراء والفقهاء . قال عنه ابن خلكان : " وكان ماهرا في فنون الأدب من النحو واللغة والعروض والقوافي وعلم البيان وأشعار العرب وأخبارها وأيامها ووقائعها ، وكان بارعا في علم الديوان وحسابه وضبط قوانينه على الأوضاع المعتمدة عندهم " ^(٤) ، ومن أهم مصنفاته تاريخ أربل يقع في أربع مجلدات ، ويتضمن

-
- (١) ابن الأثير : الكامل ج ٩ / ص ٢٩٠ .
 (٢) أربل : وهي أربيل الحالية . قلعة حصينة ، ومدينة كبيرة ، تعد من أعمال الموصل ومنها مسيرة يومين ، قام بعمارته الأمير مظفر الدين كوكبرى . أنظر : ياقوت : معجم البلدان ج ١ / ص ١٣٨ .
 (٣) أحمد بن محمد بن ابراهيم بن خلكان الأربلي المؤرخ الحجة والأديب الماهر صاحب " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " أحسن كتب التراجم الاسلامية وأكثرها ضبطا وأحكاما . الكتبي : وفيات الوفيات ج ١ / ص ١١٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٢ / ص ٣٥٣ .
 (٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ١٤٧ . العماد الحنبلي : الشذرات ج ٥ / ص ١٨٦ .

تراجم الأعيان هذه البلاد^(١) ، وقد ساهم ابن المستوفى في نشاط الحركة العلمية فسي
أريل من خلال الندوات الأدبية التي كان يعقدها في منزله . وكان يحب الشعراء
ويشجعهم ، ويحب أن يخاطبوه ويخاطبهم بالشعر^(٢) . أما مظفر الدين كوكبرى أمير
أريل (المتوفى عام ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) فقد حرص ، رغم ما اشتهر به من قسوة
وظلم وساوى^(٣) على إقامة الندوات العلمية الدينية إذ كان يحب أهل السنة والجماعة
فكان يجتمع عنده أرباب العلوم والفقه والمحدثون في ندواته ، ويدوا أنه كسان
جواد مع العلماء ، ذلك أنهم نالوا منه الكثير من الصلات والبهات^(٤) .

وقد اشتهرت سنجار^(٥) إحدى مدن الجزيرة كمركز نشط في العلوم والآداب في
هذه الفترة ، وقد نصب إليها جماعة كبيرة من أهل العلم^(٦) . أما جزيرة ابن عمر^(٧)
فقد نهج فيها عدد من العلماء ، منهم أبو طاهر إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن
سهران الفقيه الذي جمع بين العلم والعمل ، وقدم بغداد وتعلم بها ، ثم رجع إلى
الجزيرة ودرس بها وأفتى ، إلى أن توفي عام (٥٧٧هـ / ١١٨١م)^(٨) .

-
- (١) نشره د . سامي الصقار ، بغداد ، دار الرشيد للنشر ١٩٨٠م .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ١٤٨ .
(٣) ياقوت : معجم البلدان ج ١ / ص ١٣٨ .
(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ١١٣ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٥ /
ص ١٣٨ ، دائرة المعارف الإسلامية ج ١ / ص ٥٧٠ .
(٥) سنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام . أنظر :
ياقوت : معجم البلدان ج ٣ / ص ١٣٨ .
(٦) منهم أسعد بن يحيى بن منصور الشاعر أحد المجيدين المشهورين . ن . م . س ،
ج ٣ / ص ٢٦٣ .
(٧) جزيرة ابن عمر : بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام . ن . م . س ج ٢ /
ص ١٣٨ .
(٨) ن . م . س ج ٢ / ص ١٣٨ .

ومنهم أبو القاسم عمر بن محمد بن عكرمة الجزري الامام الفقيه الذي وصف بأنسه
أحفظ من بقي في الدنيا (توفي عام ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م)^(١)
ومن علماء الجزيرة بنو الأثير الثلاثة العلماء الأدباء^(٢) .

والخلاصة أن بلاد الجزيرة - وخصوصا المدن المرتبطة بالعراق - كانت مركزا
مهما من مراكز الحياة الثقافية في العصر السلجوقي ، ولقد شمل النشاط جميع
المجالات العلمية ، ولا سيما ما يتصل بالعلوم الدينية والأدبية .

أما مدينة واسط^(٣) فقد كانت مركزا من مراكز الحياة الفكرية في العراق في هذا
العصر ، وتغني كتب المحدثين والمفسرين والقراء والتراجم والمؤرخين كالخطيب
البغدادي ، وابن الجوزي ، وابن الديلمي ، وابن النجار بأخبار العلماء
الواسطيين . وقد ذكر ابن بطوطة " أن أهل واسط من خيار أهل العراق بـ
غيرهم على الاطلاق ، أكثرهم يحفظون القرآن الكريم ، ويجيدون تجويده بالقراءة
الصحيحة ، والمهم يفد الغرباء لتعلم القرآن " ^(٤) ، ويذكر القرشي أنه " كان بواسط
محلة باسم محلة الوراقين " ^(٥) ما يدل على مقدار ما يستعمله العلماء فيها من الورق .

-
- (١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٤٤٤ ، ياقوت : معجم البلدان ج ٢ / ص ١٣٨ ،
السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٢٨٨ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٣ /
ص ١٨٩ .
- (٢) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ / ص ١٣٨ . وسنتحدث في هذه الرسالة عند الحديث
عن نشاط العلوم والآداب " الباب الثالث " عن أبناء الأثير الثلاثة .
- (٣) واسط : بلدة كبيرة تقع في الوسط بين الكوفة والبصرة . أنظر ياقوت : معجم
البلدان ج ٥ / ص ٣٤٧ .
- (٤) ابن بطوطة : الرحلة / ص ١٧٩ .
- (٥) القرشي : الجواهر النضية ج ٢ / ص ١٥٤ .

وكانت واسط تشتهر دون سائر مدن العراق بحفظ القرآن وتجويده ودراسته بالقراءات المختلفة ، مع اهتمام بالحديث وسماعه ، ان يروى عن جملة من أبنائها من رجال العلم أنهم حفظوا القرآن وقراوه بالقراءات^(١) ، وكان جامع واسط مسن المراكز الرئيسية لتدريس علوم القرآن وحفظه ودراسة الحديث . وكان من علماء العصر الذين كانت لهم مجالس علم بهذا الجامع ، عبد الله بن منصور الباقلاسي الواسطي (المتوفى عام ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م) الذي كان عالماً بالقراءات ووجوهها^(٢) . وكانت بواسط مجالس علم وسماع ، فقد أشار ابن الفوطي الى مجالس السماع التي كانت تعقد بواسط لسماع مقامات الحريري ، فقال : ان الشيخ كان يطمعها " بحق روايته عن جده بحق روايته عن منشئها ، في مجالس آخرها يوم الثلاثاء جمادى الآخرة سنة ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م بواسط^(٣) " .

ومن علماء واسط أبو الفتح محمد بن أحمد بن بختيار المعروف بابن المندائي الواسطي (المتوفى عام ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م) * كان أسند أهل زمانه ، وكان يفتي ويشغل الناس بواسط حتى وافته منيته^(٤) .

وقد خرجت واسط أعداداً كبيرة من طلاب العلم جذبت بغداد أعينهم^(٥) منهم الوجيه النحوي المبارك ابن الدهان الواسطي (المتوفى عام ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م) ،

-
- (١) أنظر عنهم : ابن الديلمي : ذيل تاريخ بغداد ج ١ / ص ١٤٧ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٩ - ابن رافع السلامي : منتخب المختار / ص ٥٥ - ١٦٠ - ٢٠٧ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٥٠٩ - ٥١٢ - ٥٣٢ ، ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٢٧٢ ، ١٨٤ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ - السبكي : طبقات الشافعية ج ١ ص ٣٨ - ٦١ - ٦٢ - ١٥٢ .
- (٢) الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ / ص ٤٦٠ .
- (٣) ابن الفوطي : مجمع الآداب ج ٥ / ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .
- (٤) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ١٩١ .
- (٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٥٧٣ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٨ / ص ٣٥٤ .

ومنهم أبو الحسن علي بن أحمد بن داود القنا الواسطي (المتوفى عام ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م) المشهور بعلم الأوائل والمتفرد بمعرفة علم النجوم ^(١).

أما مدينة البصرة ثغر العراق ، وعاصمة الجنوب ، فقد ازدهرت فيها الحياة العلمية ، وكانت في هذا العصر تزخر بعدد كبير من العلماء البارزين في علوم اللغة والأدب ، فلقد ظهر فيها الأديب المشهور الحريري صاحب المقامات (المتوفى عام ٥١٦ هـ / ١١٢٣ م) وغيره من العلماء الذين نبغوا في العلوم العربية والشرعية ، وكانت المساجد والمكتبات العامة الطلقة بها أسمى ما يتوق اليه العلماء وطلاب العلم ، لذلك فقد كانت هذه الأماكن محل اجتماع العلماء ورواد المعرفة ^(٢).

أما مدينة حلة بنى مزيد ^(٣) فقد كانت من مدن العراق المهمة ، ظهرت فيها النهضة الفكرية منذ تأسيسها على يد الأمير صدقة بن مزيد الأسدي (المتوفى عام ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م) ، وكانت مركز كبار علماء الشيعة العلوية وأدبائهم الذين اشتغلوا بالدرس والتدريس . منهم شمس الدين يحيى بن الحسن بن الحسين ابن البطريق الأسدي الحلبي (المتوفى عام ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م) وهو من كبار شيوخ الحديث عندهم ومن أعلام الفقهاء والمتكلمين ، وله آثار عديدة ^(٤) . ومن علمائها عميد الرؤساء هبة الله بن حامد أبو أيوب الحلبي (المتوفى عام ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) اللغوي النحوي الشاعر وصفه ياقوت بقوله " عنه أخذ أهل تلك البلاد الأدب " ^(٥).

-
- (١) القفطي : أخبار العلماء / ص ٢٤٠ .
 (٢) الحريري : مقامات الحريري / ص ٢٤ . وفضلا على ذلك فقد كان بالبصرة عدد من المدارس والربط كان لها آثارها في تنشيط الحركة الفكرية في هذا العصر .
 (٣) حلة بنى مزيد : مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد ، أفخر بلاد العراق وأحسنها . أنظر : ياقوت : معجم البلدان ج ٢ / ص ٢٩٤ .
 (٤) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٥٩ .
 (٥) مؤلف مجهول : انسان العيون في مشاهير سادس القرون - ورقة ١٤٦ ب .
 (٦) ياقوت : معجم الأدباء ج ٧ / ص ٢٣٦ .

لقد انتعشت الحياة الأدبية والشعر في عهد بني مزيد . فكان أمراؤهم يحبون الأدب والشعر ، ولهذا فانهم أغدقوا على الشعراء الذين ماكادوا يسمعون عن كرمهم وحبهم للشعر حتى توافدوا اليهم في الحلة ، فالشاعر محمد بن صالح ابن الهبارية (المتوفى عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م) ألف كتاب الصادح الباغم على طريقة " كليله ودمنة " في ألفي بيت ، ألفه لصدقه بن منصور ^(١) . والشاعر أفضل الدولة الأبيوردى (المتوفى عام ٥٠٢ هـ / ١١١٣ م) مدح الأمير صدقة بقصائد عدة ، كما شارك في المسابقات الأدبية التي كانت تعقد تحت رعايته ^(٢) . ومن شعراء الحلة الشاعر شميم الحلبي (المتوفى عام ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م) الذي قال عنه ابن خلكان : انه " كان أدبيا فاضلا خبيرا بالنحو واللغة وأشعار العرب " ^(٣) .

ولعل خير ما يعكس ازدهار الحركة الأدبية والعلمية في الحلة خلال هذه الفترة ما أورده ابن الفوطي حين ذكر الغزو المغولي ببغداد ، وما جلب من اضطرابات اقتصادية ببغداد ندرت بسببها المواد الغذائية وقال : " ان أهمل الحلة في هذا الوقت كانوا يأتون بالمواد الغذائية الى بغداد يبيعونها ويشترّون بأثمانها الكتب النفيسة " ^(٤) . وهذا يشير أيضا الى استمرار المكانة العلمية والثقافية للحلة حتى ذلك الوقت .

-
- (١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٤٥٣ ، العماد الحنبلي : الشدرات ج ٤ / ص ٢٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢١٠ .
- (٢) ابن الحوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٧٦ - ١٧٧ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ٢ / ص ٦١ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٦٢ .
- (٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٣٣٩ .
- (٤) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة / ص ٣٣١ .

أما سر من رأى فالمعروف أنه قد نشأ فيها مدرسة منذ عهد السلاجقة ، ولقد كانت مركز طلاب أهل السلف ، وكانت تجرى فيها مناظرات علمية ظهر فيها فسي هذا العصر عدد من الفضلاء العلماء منهم صدقة بن منجابه صدقة السامري (المتوفى عام ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م)^(١) حكيم متكلم صنف شرح كتاب الفصول لأبقراط ، كتاب الاعتقاد ، كتاب النفس ، كناش في أسامي الأدوية المفردة ، وغيره من العلماء .

.. ..

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٧١٧ ، حاجي خليفة : كشف الظنون ج ١ / ص ٥٠٦ ، ج ٢ / ص ١٢٦٩ ، ١٤٦٧ ، ١٥١٩ .

الفصل الثاني

الحركة التعليمية ومراكز التعليم ووسائله

- أولا : التعليم العام ٢٠٦ - تعليم المرأة ٢٠٧ - أخذ المعلم الأجر ٢٠٨ -
الكتاتيب ٢٠٩ - المسجد ٢١٤ - المجالس العلمية ٢١٧ - دور الوزراء
١١٨ - مجالس الفتوى والنظر ٢١٩ - دور العلماء ٢٢٠ - حوانيت الوراقين
٢٢٢ - مجالس القصاص والمذكرين ٢٢٣ - الأربطة ٢٢٣٠ .
ثانيا : الرحلة في طلب العلم ٢٣٥ - والاجازات العلمية ٢٤١ كوسيلتين من وسائل
التعليم في هذا العصر - أنواع الاجازات ٢٤٢ - السماع ٢٤٤ .
ثالثا : التعليم النظامي ومدارس العراق في العصر السلجوقي ٢٤٦ - بناء المدارس
في الاسلام ٢٤٦ - أسباب انشاء المدارس النظامية ٢٤٨ - محاربة الفكر
الشيعة ٢٤٨ .

- ما قاله القزويني ، ويرى حول أسباب انشاء المدرسة ٢٥٢ - التعصب الديني
ونصرة المذهب ٢٥٣ - انشاء المدارس النظامية ببغداد ، شرطها ، موقعها ٢٥٦
- أوقاف المدرسة ونفقاتها ٢٥٩ - ادارة المدرسة وسير العمل ٢٦٢ - التعليم في
المدرسة النظامية ٢٦٣ - المدرسون ٢٦٣ - المعيدون ٢٦٥ - الوعظ ٢٦٧
- طلاب المدرسة النظامية ٢٦٨ - الدراسة في المدرسة ٢٧٠ - فرع الفقه وأصوله
٢٧١ - فرع القرآن والحديث والتفسير والوعظ ٢٧٢ - فرع النحو واللغة والأدب ٢٧٣
- مدرسة مشهد أبي حنيفة ببغداد ٢٧٨ - المدارس الأخرى في بغداد وسمن
العراق ٢٨١ - دور الحديث ٢٨٣ - المدارس الحنفية ببغداد ٢٨٤ - المدارس
الشافعية ببغداد ٢٨٨ - المدارس الحنبلية ببغداد ٢٩١ - المدارس في سمن
العراق الأخرى - مدارس الموصل ٢٩٥ - مدارس واسط ٣٠٠ - مدارس البصرة

الفصل الثاني

الحركة التعليمية ومراكز التعليم ووسائله

أولا : التعليم العام :

من الواضح أنه لم يكن هناك مراحل معينة للتعليم ، بل كان التعليم يشتمل على مرحلة واحدة تهتدى بالكتاب ، أو بالمؤدين ، ثم الانتقال الى الحلقات فالى المساجد ، أو الالتحاق باحدى المدارس المنتشرة بالعراق فى هذا العصر ، هذا بالإضافة الى وجود أماكن متعددة كانت ملقطة لطلاب العلم كالمكتبات ، ومنازل العلماء ، وحوانيت الوراقين ، والأربطة والبيمارستانات حيث كانت تعتبر من جملة مراكز التعليم فى هذا العصر . ولقد كان الموسرون من الابهاء شديدي الحرص على تعليم أبنائهم ، فلقد كان من ديدنهم أن يصطحبوا أولادهم الى مجالس العلماء ، ويعودوهم على السماع والاستفادة ، فزرعوا فى نفوسهم حب العلم .^(١)

على أنه لم تكن الظروف مهيأة لجميع طلاب العلم لاكمال دراساتهم بحيث يصبح الطالب شيخا له حلقة أو مدرسا فى مدرسة ، فلقد كان الكثير منهم يضطر الى التوقف فى منتصف الطريق ، ومنهم من يتعلم القراءة والكتابة فقط ومنهم من يكتفى بحضور حلقات الشيوخ والاستماع الى محاضراتهم فى حين كان منهم من يلزم العلم والشيوخ ، وينتقل فى البلدان الى أن يصبح علما من الأعلام .

(١) الخطيب : تاريخ بغداد ج ٦ / ص ٣٢٠ ، ج ٩ / ص ٣٢٥ ، ج ١٠ / ص ١٦٦ .

ومن الجدير بالذكر أن التعليم في هذه الفترة ، وإن كان خاصاً بالذكور ، فإنه قد يشمل أحياناً الإناث ، فقد كان الكثير من الفقهاء والعلماء يحرصون على تعليم الفتاة ، حتى نهغ في ديار الإسلام عدد كبير من العالمات . ويرى القابسي (المتوفى عام ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م) أن " تعليم الأنثى القرآن والعلم حسن ومسبب صالحها " (١) ، فقد كان يوسع البنات التعلم في كتابات خاصة منفصلة عن كتابات الصبيان خشية الفتنة (٢) .

وبالإضافة إلى ذلك فقد كان بإمكان المرأة التعلم والسماع على الشيوخ في بيوت خاصة كانت تستخدم لهذا الغرض . وأغلب المتعلقات كنّ من بنات العلماء اللاتي كن يستفدن من الدروس التي كانت تعقد في بيوتهن لتعليم الطلاب ، كما هو الحال بالنسبة لابنة القاضي المعاطي العلامة الشافعي الذي كان يلقي دروسه في بيته (٣) ، وقد بلغت هذه الطالبة من العلم مبلغاً عظيماً حتى صارت تفتي السجانب أحد كبار العلماء (٤) . كما كانت هناك حلقات نسائية خاصة بهن يلقينها بعض الشيوخ ، أو بعض الواعظات كالشيخة شهدة بنت الأبري (المتوفى عام ٥٧٤ هـ / ١١٨٨ م) (٥) .

(١) القابسي : الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين / ص ٢٩٢ .

(٢) ن.م.م. / ص ٢٩٢ .

(٣) وكان تعرف بأمة الواحد .

(٤) الخطيب : تاريخ بغداد ج ١٤ / ص ٤٤٢ ، ٤٤٣ .

(٥) الذهبي : المختصر المحتاج إليه ج ٣ / ص ٢٦٣ ، ناجي معروف : عالمات بغداد يا

ص ١٥ - ١٦ - ١٧ . ولقد أشار الكثير من المصادر التاريخية كالخطيب فسق

كتابه تاريخ بغداد ، والسمعاني (ت ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م) في الأنساب ، وابن

الديبشي (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٢٩ م) وابن النجار (ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م) وابن رافع

السلامي (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) ورد في كتبهم عن تراجم علماء مدينة السلام أسماء

العالمات والصوفيات والمحدثات والمعلمات والشاعرات والواعظات والفتيات عن

هذه الفترة في بغداد والعراق . فمن الكثير من الاجازات العلمية وحصلن

عليها من رواد علماء عصرهن ، وكان الطلبة يتراحمون عليهن كما كن ينسخن

الكتب المختلفة ، وعرف بعضهن بتأليف المؤلفات في الفقه والحديث واقامة حلقات

التدريس المنذرى : التكملة لوفيات النقلة ج ١ / ص ١٥٧ - ١٧٦ - ٢٥٩ - ٣٠٤ -

٣٣٤ - ٤٣٥ ، ج ٢ / ص ٣٤ ، ج ٣ / ص ٤٠٥ ، ٤١٤ ، ٤١٧ ، كما وأنظر :

ناجي معروف : عالمات بغداد يا / ص ٧ .

والتي كانت تدرّس مختلف العلوم بعد أن طلقت العلم عن عدد كبير من الشيوخ . وكان والدها قد أحضرها مجالس السماع حتى صارت أسند أهل زمانها ، وما ان أتت علومها واستوعبت فنونها حتى أخذت تنشر علمها بين الناس . وكانت دارها بمرحبة جامع القصر غير مقر لتدريسها ، وأصبح مركزا للعلماء والعالمات ، فقد قصدتها طلبه العلم من كل صوب ، ودرس عليها أناس أصبحوا من فطاحل العلماء وأئمة الحديث كعبد الكريم السمعاني (المتوفى عام ٥٦٣هـ / ١١٦٧م) والمؤرخ المحدث الشهير عبد الرحمن بن الجوزي (المتوفى عام ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) وغيرهما من العلماء .

ولقد تعرج وامتنع الكثير من العلماء من أخذ الأجر في التعليم ، خاصة تعليم القرآن . طى أن الامام الغزالي كان متشددًا في ذلك حين يقول في وظائف المعلم " أن يقتدى بصاحب الشرع ، فلا يطلب على افادة العلم أجرا ، ولا يقصد به جزاء ولا شكورا ، بل يعلم لوجه الله تعالى " ^(١) طى أن الكثير من العلماء قد أباحوا للمعلم أن يأخذ أجرة عن تعليمه للتلاميذ ، فالقاسي يقول " ولقد ذكر الحارث بن مسكين في تاريخ سنة ثلاث وسبعين أخبرنا ابن وهب قال : " سمعت مالكا يقول : كل من أدركت من أهل العلم لا يرى بأجر المعلمين بأسا " ^(٢) .

وكانت هناك آداب يجب أن يتعلّق بها المعلمون بحيث يكون أمينًا عارفًا بسياسة الأطفال ونفسياتهم ، دينا ورعا . هذا ولقد تحدث عن هذه الآداب

(١) الغزالي : أحياء علوم الدين ج ١ / ص ٤٩ - ٥٠ .

(٢) الخطيب : تاريخ بغداد ج ٢ / ص ٨١ ، ج ١٠ / ص ٩٠ ، ج ١١ / ص ٣١٦ ، بحشل : تاريخ واسط / ص ١١٣ ، ١١٤ ، القاسي : الرسالة الفصلىة لأحوال المعلمين / ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

الكثير من المؤدبين العلماء^(١) كما كان هناك آداب يجب أن يتحلى بها المتعلمون^(٢).

ولقد كانت الكتائب^(٣) من أهم مراكز تعليم الصغار في هذا العصر، وكان الذين يقولون تعليم الأطفال فيها يسمون المعلمين أو المكتبيين، وكانت هذه المكاتب أما أن تكون في بيوت المعلمين، أو تكون في أماكن خاصة يتخذها المعلمون لهذا الغرض^(٤) وقد يكون الكتاب ملحقاً بالمسجد دون أن يكون داخله، يقول الامام الشافعي "كنت يتيماً في حجر أبي فدفعني في الكتاب فلما ختت القرآن دخلت المسجد"^(٥).

ولقد كان الآباء يدفعون بأبنائهم إلى المكتب منذ الصغر في الخامسة أو السادسة بعضهم في السابعة أو الثامنة^(٦) على أن العام السادس من عمر الطفل يعد المرحلة الملائمة لدخوله المكتب، ذكر ابن سينا "وإذا أتى عليه من أحواله ست سنين فيجب أن يقدم إلى المؤدب والمعلم"^(٧) وفي ترجمة ابن أبي أصيبعة لعلي بن رضوان

-
- (١) الغزالي : أحيا علوم الدين ج ١ / ص ٤٨ إلى ص ٥٥ في آداب المتعلم والمعلم ، ابن جماعة : تذكرة السامع / ص ٤٧ - ٦٢ ، الامام مالك : المدونة ج ٤ / ص ٢٦ ، النواوي : تدريب الراوي / ص ١٢٨ ، ابن عبدون : الوثيقة ص ٢١٤ ، كما قد أشار إلى آداب المعلمين الكثيرون غيرهم كابن سينا ، وابن سكويه ، واخوان الصفا ، وابن عبد البر ، والقاسمي . أنظر باب ٣ فصل ٣ من هذا البحث .
- (٢) الغزالي : أحيا علوم الدين ج ١ / ص ٤٨ إلى ص ٥٥ ، ابن جماعة : تذكرة السامع ص ٧٧ ، الزنوجي : تعليم المتعلم ص ٢٨ .
- (٣) الكتاب : موضع تعليم الكتابة والجمع الكتائب ، والمكاتب . والمكتب موضع التعليم . أنظر : ابن منظور : لسان العرب ج ١ / ص ٦٩٩ .
- (٤) ياقوت : معجم الأدباء ج ٤ / ص ٢٧٢ .
- (٥) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله / ص ٩٨ .
- (٦) الغزالي : أحيا علوم الدين ج ٣ / ص ٦٢ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ٦ / ص ٤٣٠ .
- (٧) ابن سينا : القانون ج ١ / ص ١٥٢ .

الطبيب (المتوفى عام ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م) نقل عنه قوله " فلما بلغت السنة السادسة أسلمت نفسي في التعليم " ^(١) والظاهر أنه كانت هناك كتابات لتعليم الخط والقراءة وأخرى لتعليم القرآن ، إذ ترد الإشارة الى أن سعيد بن عطاء الهمذاني (المتوفى عام ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م) كان يعلم الصبيان الخط ، وله مكتب بقراح أبي الشحم ^(٢) ، وأن يحيى بن المبارك الزبيدي البغدادي (المتوفى عام ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) كان له مكتب بشارع دار الرقيق يعلم فيه الصبيان الخط ، كما كان محمد بن أحمد بن داود المؤدب (المتوفى عام ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م) يسكن بالقرية ^(٣) من دار الخلافة وله هناك مكتب يعلم فيه الصبيان الخط والحساب ^(٤) . يقول ابن جبير " وتعلم الصبيان للقرآن بهذه البلاد المشرقية كلها إنما هو تلقين ، ويعلمون الخط والأشعار وغيرها تزويجها لكتاب الله عز وجل عن ابتدال الصبيان له بالاثبات والمحو ، وقد يكون في أكثر البلاد الطقن على حده ، والمكتب على حده ، فينفصل من التلقين السلي التكتيب " ^(٥) .

وطيه فهناك نوعان من الكتابات ، أحدهما للقراءة والكتابة ، والاخر لتلقين القرآن وتعلم أصول الدين ، ويؤكد ذلك ما ذكره ابن خلدون " ولتعليم الخط عند أهل المشرق قانون خاص ، ومعلمون له على انفراد " ^(٦) . أما ما يتعلمه الطفل فسلي

-
- (١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٥٦١ .
 (٢) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٢١٠ . وقراح أبي الشحم : محلة من أربع محلات معروفة ببغداد باسم قراح . ياقوت : معجم البلدان ج ٤ / ص ٣١٥ - ٣١٦ .
 (٣) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٢١٠ .
 (٤) القرية : محلة كبيرة ببغداد وهي حريم دار الخلافة . ياقوت : معجم البلدان ج ٤ / ص ٣٤٠ .
 (٥) ابن الدبيثي : ذيل تاريخ مدينة السلام ج ١ / ص ١٢٢ .
 (٦) ابن جبير : الرحلة / ص ٢٢٢ .
 (٧) ابن خلدون : المقدمة / ص ٣٩٨ .

المكتب فكان القراءة والكتابة والقرآن^(١) والاعراب والهجاء والنحو والعربية^(٢) والحساب^(٣).

ولقد ظهر الامام أبو حامد الغزالي (المتوفى عام ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) في هذا العصر كواحد من رواد العلم ورجال التربية المعدودين ، فالغزالي كان معلماً لجميع أفراد المجتمع في عصره ، بما كان يكتب ويصنف من مصنفات تتناول شتى الموضوعات ، فلقد كتب الغزالي في شئون التربية والتعليم والتأديب في عدد من مؤلفاته ، على أن أهم آرائه التربوية والتعليمية ظهرت في كتبه احياء علوم الدين ، فاتحة العلوم ، أيهما الولد ، الرسالة اللدنية ، ميزان العمل . والدارس لهذه الكتب من بين مؤلفاته يدرك أن الغزالي قد ناقش الكثير من الأمور التربوية والتعليمية المهمة ، بل وضع نظاماً تربوياً شاملاً ، فتعرض لأهمية العلم والعلماء ، ومكانتهم عند الله وعند الناس ، وكيف أن الاشتغال بالعلم أشرف الأعمال ، بل هو عبادة وتقرب إلى الله^(٤) . وتعرض الغزالي إلى تقسيم العلوم فقسمها إلى المحمود والمذموم^(٥) ثم وضع للمعلم صفات مهمة إذا اتصف بها فإنه يعد معلماً لائقاً ناجحاً^(٦) . ولقد اهتم الغزالي أيضاً بتربية النفس وتهذيب العقل بالمعرفة ، وتهذيب النفس بالعبادة ، فيقول : ان التربية الدينية يجب أن تبدأ في سن مبكرة ، ذلك لأن الصبي في هذه السن يكون مستعداً لقبول العقائد الدينية والايان بها دون أن يطلب عليها دليلاً^(٧) ، كما أوصى بأن يتعلم الطفل في المكتب القرآن ، وأحاديث الأخبار ، وحكايات الأبرار وأحوالهم ، محض الأحكام الدينية والشعر^(٨) ، كما تكلم

(١) القاسبي : الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين / ص ٢٩٣ ، ابن سحنون : آداب المعلمين ص ص ٥٠ - ٥٦ .

(٢) القاسبي : الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين / ص ٣٠٦ .

(٣) ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق / ص ٢٠ ، ابن الدببش : ذيل تاريخ مدينة السلام ج ١ / ص ١٢٢ .

(٤) الغزالي : احياء علوم الدين ج ١ / ص ١٣ ، فاتحة العلوم / ص ١٥ .

(٥) الغزالي : احياء علوم الدين ج ١ / ص ٢٧ .

(٦) ن ٠ م ٠ س ، ج ١ / ص ص ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ .

(٧) ن ٠ م ٠ س ، ج ١ / ص ٨٣ .

(٨) ن ٠ م ٠ س ، ج ٢ / ص ٦٣ .

عن الوسائل والطرق الحكيمة في كيفية التعامل مع الأطفال ، وتعرضي للشواب والعقاب ، وكيفية تعويد الأطفال على مكافحة هوى النفس والصبر والخشونة .^(١)

ولقد جرى العرف في القرون الاسلامية ، أن ينتدب الخلفاء وميسورو العمال لأبنائهم معلمين خاصين للتدريس لهم في قصورهم بدلا من ارسالهم الى الكتساب وقد يطلق على هؤلاء المعلمون اسم المؤدبين ، وكان المؤدب من هؤلاء يقوم بحمل العمل الذي يقوم به المعلم مع الاختلاف في المنهج والمكانة الاجتماعية ، حيث حظى المؤدبون بمكانة طيبة ورعاية خاصة ولم يكن يتولى هذه المهمة الا كبار العلماء وأفاضل الأدباء ، ممن يوثق بدينهم وعلمهم وقدراتهم التربوية . وقد تولى أحمد بن عبد الوهاب بن هبة الله (المتوفى عام ٥١٤ هـ / ١٢٠ م) ، المعروف بمؤدب الخلفاء ، تعليم أولاد الخليفة المستظهر بالله^(٢) ، وكان هؤلاء المؤدبون يعلمون تلاميذهم أصول الدين وحسن الأدب وفن النظم^(٣) ، ولقد حفظ ابن خلدون نصا يمثل منهجا تربويا وتعليميا جيدا وهو وصية الخليفة هارون الرشيد للأحمر معلم ولده الأمين حيث قال له " يا أحمر ، ان أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه بسوطة ، وطاعته لك واجبة ، فكن له بحيث وضعتك أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار ، وروّه الأشعار ، وطمه السنن ، وصره بمواقع الكلام وشدّه ، وأمنعه من الضحك الا في أوقاته ، ولا تترنّ بك ساعة الا وأنت مغتنم فائدة غنيده اياها ، من غير أن تحزنه فتصيت ذهنه . . . " .^(٤) وهذا

(١) الغزالي : احياء علوم الدين ج ١ / ص ٨٣ .

(٢) ياقوت : معجم الأدباء ج ٣ / ص ٢٢٧ .

(٣) الخطيب : تاريخ بغداد ج ٣ / ص ١٨٣ .

(٤) هو علي بن الحسن المعروف بالأحمر مؤدب المأمون العباسي وشيخ النحاة في عصره صنف من الكتب تغني البهلاء ، التصريف . ياقوت : معجم الأدباء ج ٥ / ص ١٠٨ ، ابن الانباري : نزهة الألباء ص ١٢٥ ، السيوطي : بغية الوعاة ص ٣٣٤ ، القفطي : انباء الرواة ج ٢ / ص ٣١٢ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١٢ / ص ١٠٤ .

(٥) ابن خلدون : المقدمة / ص ٣٩٩ .

النص وان لم يكن يتعلق بفترة البحث الا أنه يقرب الصورة ، ويكشف ما يؤمله الخلفاء من مربي أبنائهم . لقد كان باب التعليم مفتوحا لكل من شاء ، بعد أن يكمل الطالب الكتاب ، ومتى استطاع الطالب أو من يعوله أن يوفر ما يلزم للتفرغ للدراسة ومقتضياتها ، ان كان عليه أن يتحمل أساسا نفقات لباسه ومعيشته وسكناء وأقلامه وأوراقه وكتبه ، وما الى ذلك . على أن بعض الطلبة الفقراء قد تمكنوا من فتح طريقهم الى مراقبي العلم بالصبر والجلد ، وما توفر لهم من فرص من تبرعات الموسرين ، أو ما خصص على سبيل الوقف أو الصدقات . ولقد كان يوسع بعض الطلاب أحيانا السكن في المساجد أو دور الضيافة الملحقة بها أو المدارس مع احتراف حرفة أو عمل تدبر عليهم ما يسد تكاليف معيشتهم مع استمرار دراستهم . على أن هناك عددا من الأغنياء من ألعنا اليهم والشيخ الميسوري الحال أو التلامذة الأغنياء الذين كانوا يقدمون المساعدة في أحيان كثيرة للمحتاجين من الطلاب الناهيين (١) المعسرين .

والامكان أن نقسم الطلاب الى فئتين : طلبة عارضين ، وآخرين منتظمين ، وتشمل الفئة الأولى أعداد كبيرة من رجال الأعمال والعمال المتسربين ، وغيرهم ممن يحضر الدروس بين حين وآخر ، ولا سيما مجالس الوعظ والاملاء وحلقات العلم ، غير أنهم لا يواصلون دراستهم ولا يواظبون تحصيلهم العلمي .

أما الطلبة المنتظمون فقد كانوا يقضون شطرا كبيرا من حياتهم في مواصلة التعليم ، وغالبيتهم يقومون برحلة أو رحلات في سبيل الحصول على قدر أكبر من المعرفة ، أوللدراسة على عدد أكبر من مشاهير المشايخ في التخصصات التي يرغبون فيها .

وللطالب حرية في الاختيار للحلقة التي يريد الجلوس فيها والتخصصات التي يعيل اليها ، وهكذا فانه يختار الشيخ الذين يريد الدراسة على أيديهم ، وذلك

(١) الخطيب : تاريخ بغداد ج ٨ / ص ١٩٤ - ٤٢٨ ، ج ٩ / ص ٢٧٥ - ٤٥٦ .

حسب الهدف الذي حدده كل منهم لحياته العلمية . وكانت مواعيد الدراسة والحلقات والوعظ تحدده من قبل الشيوخ والمعلمين في الفترة الممتدة من بعد صلاة الفجر وحتى منتصف الليل ما بين محاضرات ومناظرات واستملاء ومناقشات وسماع ووعظ .^(١)

والمسجد مدرسة المسلمين الأولى حافظ طوال العصور السابقة لفترة البحث على مكانته التعليمية ، واستمر يؤدي نفس الدور خلال العصر السلجوقي ، وهكذا فقد ظل للمسجد دوره الرائد ، ومهمته الكبرى في التعليم رغم المدارس التي انتشرت في مدن العراق في هذا العصر فلقد ظلت المساجد الجامعة والمساجد الأخرى الأماكن الأساسية للدراسة والسماع والاملاء والوعظ والمناظرات العلمية ، فقد كانت ملتقى العلماء وطلاب المعرفة . وتفيض المصادر التاريخية في الحديث عن مساجد بغداد ومساجد مدن العراق الأخرى ، وتسهب في وصف حلقات العلم المنتشرة فيها ، وحشود الطلاب المنصرفين إلى التعليم ، أوسماع الوعظ والاملاء .

وقد اشتهر بعض العلماء بملازمتهم للتدريس والوعظ بالمساجد ، منهم الخطيب البغدادي (المتوفى عام ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) الذي كان يعقد مجلساً طلياً للاستماع^(٢) بجامع المنصور ببغداد ، الذي كان مجعماً لآلاف التلاميذ يتلقون علومهم على يده^(٣)

(١) الخطيب : تاريخ بغداد ج ٥ / ص ٤٦٩ ، ج ٦ ص ص ٤٢ - ٢٢٤ - ٣١٤ ، ج ٨ / ص ص ٢١٤ - ٢١٥ - ٣٢٣ ، ج ٩ / ص ١١ ، ج ١١ ص ص ١٢٨ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٤٥٦ - ٤٥٧ .

(٢) لقد كان هناك عدد كبير من المساجد في بغداد أحصى منها أحد الباحثين ما لا يقل عن ٥٧ سجداً كانت جميعها مراكز للتعليم في هذا العصر . أنظر : منير الدين أحمد : تاريخ التعليم عند المسلمين / ص ص ١٢٠ - ١٣٤ .

(٣) الاملاء : الاملاء والاملاء على الكاتب واحد ، وأطليت الكتاب أطي واستطيتته سألته أن يطله علي . ابن منظور : لسان العرب ج ١٥ / ص ٢٩١ .

(٤) الخطيب : تاريخ بغداد ج ٦ / ص ١٢٤ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ١ / ص ٢٤٦ .

أكابر العلماء^(١) . وكان منهم علي بن عبيد الله المعروف بابن الزاغوني (المتوفى عام ٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م) الذي كان يناظر يوم الجمعة قبل الصلاة في جامع المنصور المذكور ثم يعظ بعد الصلاة ، ويجلس فيه يوم السبت يملئ في حلقة الخاصة^(٢) .

وبعد وفاة الزاغوني تولى حلقة أبو علي الحسن بن حمد الفقيه الواعظ (المتوفى عام ٥٤٦ هـ / ١١٥١ م) . ويظهر أن ابن الجوزي عبد الرحمن قد حاول أن يلهمها عنه ، غير أنه لم يمكن من ذلك لصغر سنه^(٣) . ولقد كان جامع المنصور هذا مجمعا للأدباء وأفاضل العلماء والشعراء ، فقد كانت تعقد فيه مجالس أدبية عصر كل يوم جمعة^(٤) . ومن فطاحل النحاة الذين كانوا يدرسون فيه : هبة الله بن علي الشجسي (المتوفى عام ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) الذي كان يجلس يوم الجمعة بجامع المنصور ، مكان ثعلب^(٥) ناحية الرباط^(٦) . وفي بغداد الشرقية - أي الرصافة - حيث جامع القصر^(٧) الذي يعرف بجامع الخليفة حيث كانت تقرأ اليهود ، وفيه يصلي الخليفة وكبار رجال الدولة ، وفيه تؤخذ البيعة العامة . وكان هذا الجامع مركزا للعلماء

-
- (١) وبعد جامع المنصور ببغداد الذي شيده سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م من أشهر المراكز التعليمية في الاسلام ، فقد ظل طوال العصور العباسية مركزا للعلماء وطُلاب العلم الذين كانوا يحضرون حلقات الحديث والفقه والتفسير والأدب . وقد كان التحديث بجامع المنصور يتطلب الحصول على اجازة خاصة من نقيب الأشراف أو غيره . الخطيب : تاريخ بغداد ج ١ / ص ١٠٧ - ٣٥٤ ، ج ٢ / ص ٢١٢ - ٢٣٨ - ٤٠١ . آدم متر : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع ج ١ / ص ٣٣٢ .
- (٢) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ٣٣٩ .
- (٣) ن ٢٠٠ م / ج ١ / ص ٢٢٠ .
- (٤) الخطيب : تاريخ بغداد ج ٨ / ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، ج ١١ / ص ٣٥١ ، ج ١٢ / ص ٩٥ - ٩٦ .
- (٥) أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار النحوي المعروف بثعلب (ت ٢٩١ هـ / ٩٠٣ م) أنظر : ابن النديم : الفهرست / ص ٧٤ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ٢ / ص ١٣٣ ، الخطيب : تاريخ بغداد ج ٥ / ص ٢٠٤ .
- (٦) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ١٣٠ .
- (٧) بناء الخليفة العباسي المهدي (١٥٩ هـ - ٢٧٥ هـ) شرقي بغداد ، ياقوت : معجم البلدان ج ٣ / ص ٤٦ ، العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ١ / ص ٢٤٥ .

الحديث ورجال اللغة والأدب ^(١) . فقد حدث فيه العالم المحدث محمد بن عبد الباقي المعروف بقاضي المارستان (المتوفى عام ٥٣٥ هـ / ١١٤٠ م) ^(٢) وقد قال عنه تلميذه ابن الجوزي : انه " كان ثقة فهما ثبنا حجة متفنا في علوم كثيرة متفردا في علم الفرائض " ^(٣) .

ومن أئمة اللغة الذين درّسوا بهذا الجامع أبو منصور موهوب بن أحمد الجوالقي البغدادي (المتوفى عام ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) ^(٤) صاحب المعرب ^(٥) . وقد تولى حلقاته بعده ابنه اسماعيل (المتوفى عام ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م) ^(٦) ، الذي كان يدرّس الأدب كل جمعة في نفس الجامع ^(٧) .

وكان لغفر الدين أبي محمد اسماعيل بن عبد الله البغدادي الحنبلي (المتوفى عام ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) حلقة خاصة للمناظرة في جامع القصر ^(٨) ، كما كان لمحمد بن أحمد بن يحيى أبي عبد الله الدياجي (المتوفى عام ٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م) ^(٩) مجلس خاص في هذا الجامع أيضا ، حيث كان ينظر في مسائل الخلاف ويفتي على مذهب الإمام الشافعي ^(١٠) .

-
- (١) الخطيب : تاريخ بغداد ج ١ / ص ١٠٩ ، ج ٣ / ص ١٠٤ ، ج ١٠ / ص ٦٨-٣٦٦ - ٤٣٣ ، ج ١١ / ص ١٩٢-١٩٨ ، ج ١٢ / ص ٢٤٢-٢٤٨-٣٠٨ ، ج ١٤ ص ١٩٤-٣٢٢-٣٢٣ .
- (٢) عنه أنظر ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٩٤ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ١٩٤ .
- (٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ١ / ص ٩٤ .
- (٤) عنه أنظر ابن الأنباري : نزهة الألباء / ص ٤٧٣ ، السيوطي : بغية الواعاة / ص ٤٠١ .
- (٥) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ٣٤٧ .
- (٦) اسماعيل بن موهوب بن أحمد الجوالقي ، كان عالما باللغة والعربية والأدب . ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٢٥٠ .
- (٧) ن ٤٠٠ م / ص ١٠٠ ج ١٠ / ص ٢٥٠ .
- (٨) ابن الفوطي : مجمع الآداب ج ٣ / ص ١١٥ .
- (٩) السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ / ص ٨٨ .
- (١٠) ن ٤٠٠ م / ص ٦ ج ٦ / ص ٨٨ .

وتذكر المصادر أن عبد الله بن علي المعروف بسبط الخياط (المتوفى عام ٥٤١هـ / ١١٤٦م) شيخ العراق ، ورأس أصحاب الامام أحمد ، كان طول عمره منفردا فسي مسجد أبي عبد الله بن جرد ، بنهر المعلق^(١) ببغداد الشرقية ، وكان مقصدا لا كابر العلماء ولطلاب العلوم الشرعية^(٢) .

ومن بين مشاهير العلماء صدقة بن الحسين الذي انقطع بمسجده بالهدرية شرقي بغداد يؤم الناس فيه ، وفتى ويقصده الطلبة ليتعلمون عليه ، وقد استمر على ذلك نحو من سبعين سنة حتى توفي عام (٥٧٣هـ / ١١٧٧م)^(٣) .

ويقدم لنا عبد الرحمن ابن الجوزي وصفا شيقا لتلك المجالس العلمية ومجالس الوعظ والتي كان يعقدها هو لعامة الناس في الجوامع ، والتي كان يحضرها أعداد هائلة من المستمعين تفوق حدود التصور^(٤) ، فقد نقل تفصيلات عن المجالس العلمية في بغداد ، وما كان يدور فيها من فتاوى ومعارات ، وما يعكس ذلك من نشاط ثقافي كان له أبعاد الأثر في تنشيط الحركة الفكرية والعلمية للخاصة والعامة من طلاب العلم في هذا العصر .

ولقد أسهمت المجالس العلمية التي كانت تعقد في الجوامع ، وقصور الخلفاء والوزراء ، ومنازل العلماء ، وخوانيت الوراقين ، ومجالس الوعظ والتذكير والأربطة بالعراق في احياء نهضة علمية شاملة في هذا العصر ، وهي وان لم تكن وسائل منظمة للتعليم الا أنها أسهمت اسهاما كبيرا في التطور الثقافي والفكري والتعليمي خلال فترة البحث .

(١) نهر المعلق : محلة من محلات الرصافة ببغداد ، وفيها دار الخلافة تنسب الى المعلق بن طريف مولى المهدي ، وكان من كبار قواد الرشيد . ياقوت : معجم البلدان ج ٥ / ص ٣٢٤ .

(٢) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ٢٠٩ .

(٣) ن ٥٠٠ م / ج ١ / ص ٢٣٩ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ص ٢٤٣ - ٢٥٣ .

ولقد مررنا تشجيع الخلفاء والسلاطين ووزرائهم لمثل تلك المجالس العلمية حيث كان يحظى رجال العلم والشعراء فيها بالبهات والصلوات الجزيلة. وقد حكمت لنسب كتب الفقه، وكتب التراجم والطبقات، مناظرات كثيرة جرت بين أصحاب المصادر الفقهية من أتباع الأئمة أحمد والشافعي ومالك وأبي حنيفة في بغداد. كما نقلت لنا صوراً أخرى عن مناقشات ومعارضات حصلت بين الفقهاء والمحدثين. كما تضمنت كتب الأدب والنحو التي ألفت في هذه الحقبة معلومات موسعة عن مناظرات جرت بين علماء النحو واللغة والأدب في هذا العصر، ونشير هنا إلى الفصل المتع السدي هذه السيوطي في أحد مؤلفاته القيمة^(١).

ولقد كانت دور الوزراء في هذا العصر مجمعا لأهل العلم والفضل والأدب، حيث كانت تعقد بها المجالس العلمية المختلفة، فهناك مجالس المذاكرة، التي لم يكن لها عادة مكان ثابت، أو وقت محدد لعقدتها، وكانت هذه المجالس خاصة بتبادل الآراء والمعلومات بين طلبة الحديث خاصة^(٢)، لكنها تطورت عندما صار العلماء يتباحثون في الحديث سوية في مجالس مفتوحة يحضرها الطلبة، ثم تحولت هذه المجالس إلى مؤسسة تعليمية ذات قواعد محددة حيث تتناول هذه المجالس فنون الأحاديث وأسانيدها ورجالها جرحاً وتعديلاً^(٣).

ولقد مررنا كيف كانت مجالس المذاكرة تعقد في دار الوزير ابن هبيرة (المتوفى عام ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) والتي كانت مجمعا للعلماء والفقهاء والمحدثين ليلاً ونهاراً، وكيف كانت تعقد بحضرته مجالس المذاكرة في الحديث حيث كان يقرأ عنده الحديث عليه وعلى الشيوخ بحضوره، حيث يحصل من البحث والفوائد الشيء الكثير^(٤). فقد ذكر

(١) السيوطي: الأشياء والنظائر في المناظرات والمجالس والفتاوى والمكاتبات والمراسلات

ج ٣ / ص ١٥٠

(٢) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين / ص ٥٨.

(٣) الخطيب: تاريخ بغداد ج ١ / ص ٢٣١ - ٢٣٠ - ٢٣١، ج ٢ / ص ٧٦ -

٧٩، ج ٤ / ص ١٩٧ - ١٩٨ - ٣٤٣.

(٤) الذهبي: المختصر المحتاج إليه ج ٣ / ص ٢٤٨، ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة

ج ١ / ص ٢٥١.

ابن الجوزي ، مثلا في حوادث عام ٥٢١ هـ / ١١٢٥ م بأنه " في يوم الجمعة تاسع رجب استعاننا صاحب المخزن للمناظرة ، فحضر فقهاً بغداد ولم يتخلف الا النادر^(١) .

أما مجالس الفتوى والنظر فكان الغرض منها اصدار الفتوى ، وربما تم عقدها مرة في الأسبوع^(٢) وتكون عادة مفتوحة للجميع ، وكان الطلبة يحضرون على حضورهم وتدين الفتاوى التي تصدر فيها ، كما تتاح لهم الفرصة لمشاهدة الجانب العملي لتطبيق الأحكام الفقهية التي درسوها على شيوخهم . وازافة الى ذلك فلقد كانت تعقد أحيانا مجالس أدبية خاصة في بيوت الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة^(٣) .

أما الأساتذة والمعلمون والشيوخ فكان لهم امتياز لا يعلوه امتياز آخر ، ان لم يكن هناك أكثر تشريفا من العمل الذي يتولونه ، وخاصة الشيوخ في المدارس الكبرى كالنظامية ، ومدرسة مشهد الامام أبي حنيفة . وقد لعب العلماء والأساتذة دورا خطيرا في المجتمع في هذا العصر ، خصوصا أولئك الذين كانوا يتمتعون بمكانة علمية واجتماعية كبيرة في قلوب عامة الناس كالماوردي ، وأبي اسحاق الشيرازي ، والامام الغزالي ، وأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي . وغيرهم كثيرون ممن كان لهم كلمة مسموعة في الدولة ، وقد قريهم الخلفاء والوزراء بما أهلهم أن يلعبوا دور الوسيط بين الحاكم والمحكوم ، بل أصبحوا لسانا للعامة ، وممثلين لهم أمام الخلفاء والوزراء الذين كانوا يقدمون لهم المساعدة ، ويلبون طلباتهم ، ويدعونهم الى مجالسهم ، ويستمعون الى مناظراتهم . ولعل الدافع الأكبر من وراء هذا هو كسب العامة بالنظر الى ما يتمتع به العلماء من مكانة عالية لدى الخلفاء والوزراء ، وازافة الى ذلك فان هذه المكانة العالية تعكس تقدير الخلفاء للعلم وأهله .

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٢٥٢ .

(٢) منير الدين أحمد : تاريخ التعليم عند المسلمين / ص ٦٠ .

(٣) ابن الفوطي : مجمع الآداب ج ٣ / ص ٣٥١ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ /

ص ٣١٣ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ٣٩٢ .

كان الخلفاء العباسيون يدعون العلماء لالقاء دروسهم في مدارس وجوامع بغداد ، وكان السلاطين ووزرائهم يوفدون العلماء الى بغداد للتدريس بالنظامية^(١) كما كان الخلفاء يقدون العلماء مناصب مهمة في الدولة كالوزارة وامارة الحج والقضاء والامامة والكتابة والحسبة^(٢) .

ومما هو جدير بالذكر أن هناك عددا قليلا من العلماء كانوا ينادون بالخلفاء ، ويجالسونهم ويحادثونهم ، ويشيرون عليهم ، غير أن هذا الصنف يمثلون أقلية محدودة من العلماء ، ذلك أن الخلفاء غالبا ينصب تذوقهم على الأدب والشعر^(٣) . كما أن غالبية العلماء كانوا يتصفون بالورع والزهد ويتحفظون من التقرب من الحكام ، لكنهم على الرغم من ذلك لم يعطوا ضد السلطة ، بل كانوا أميل الى النصح والارشاد والتذكير ، ومع أن حجة الاسلام أبا حامد الغزالي قد أوصى العلماء بأن يتحسروا من شؤر السلطة فإنه أوصاهم أن ينتهزوا كل الفرص لحث المسئولين على الالتزام بالشرعية وتطبيق العدل والاستقامة^(٤) . ولقد اعتبرت منازل الكثير من العلماء أماكن طيبة للتعليم ، وقد أسهمت في نشر العلم ، فقد كان يجتمع فيها العلماء والمتعلمون^(٥) وكانت تدور فيها المناقشات العلمية والمحاورات والمناظرات التي كانت تتناول فروع العلم المختلفة كالحدِيث والفقه وعلم الكلام واللغة والأدب .

- (١) الخطيب : تاريخ بغداد ج ١ / ص ٦٢ .
- (٢) ن ٤٠٠ م / ج ٤ / ص ٢٣٢ ، ج ٥ / ص ٤١١ ، ج ٧ / ص ٥١ ، ج ٩ / ص ٤٦٧ .
- ج ١١ / ص ٤٤١ ، ج ١٢ / ص ١٤ ، وكان أبو العظفر عون الدين يحيى بن هبيرة من كبار علماء بغداد ، قلده الخليفة المقتضى الوزارة زمنا طويلا . ابن الطقطقي : الفخرى / ص ٣١٢ .
- (٣) الخطيب : تاريخ بغداد ج ٩ / ص ٢٢٥ ، ج ١١ / ص ١٥١ .
- (٤) الغزالي : أحياء علوم الدين ج ١ / ص ١٤٠ .
- (٥) فقد كانت دار أبي القاسم عبيد الله بن علي بن محمد بن الحسين (ت ٥٢٨ هـ / ١١٨٢ م) مجمعا للعلماء تدور فيها مناقشات علمية وأدبية . العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٢٦٤ .

وكان لهذه المجالس العلمية ، والتي كانت تعقد في منازل العلماء ، بالغ التأثير في التعليم ، والوعي الثقافي ، والحركة الفكرية في هذه الفترة ، ذلك أنها استلزمت أن يكون المتناظرون على معرفة جيدة بشتى العلوم مع الالتزام بقواعد وآداب المناظرة .

وقد حاول الامام الغزالي جاهدا توضيح شروط المناظرات العلمية وآدابها وحذر من أن يساء استعمالها فخصص لها فصلا في كتابه " احياء علوم الدين " وهو يشير الى فوائدها ، شريطة أن يتولاها من هو أهل لها ، وأن يلتزم بقواعدها وآدابها ^(١) وبها يجتمع لدى الشيخ من طلبته ومريديه في منزله يسألونه في كثير من الأحيان عن قضايا علمية غامضة ، وربما يجيئون في بيته من أجل أن يلقى عليهم الدروس . فلقد مر بنا فخر الدين أبو محمد اسماعيل بن عبد الله البغدادي الحنبلي (المتوفى عام ١٢١٣هـ / ١٢١٣م) ^(٢) الذي كان يدرس في منزله، ويحضر عنده الفقهاء ^(٣) ، كما تذكر المصادر في هذا المجال أن محمد بن أحمد بن هبة الله الغزاري الضريسري (المتوفى عام ١٢٠٦هـ / ١٢٠٦م) ^(٤) كان عالما بالنحو والقراءات ، وأنه قد انقطع في بيته فقصده الناس للقراءة عليه ^(٥) .

وعندما اتهم علي بن محمد الفصيحى (المتوفى عام ٥١٦هـ / ١١٢٢م) ^(٦) بالشيعة وعزل عن المدرسة النظامية بعد أن كان من مشاهير مدرسيها ، وجلس ففى داره

-
- (١) الغزالي : احياء علوم الدين ج ١ / ص ٤١ .
 (٢) ن . م . س ج ١ / ص ٤١ .
 (٣) ابن الفوطي : معجم الآداب ج ٣ / ص ١١٥ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ / ص ٦٢ .
 (٤) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ / ص ٦٢ .
 (٥) الصفدي : نكت الهميان / ص ٢٣٧ .
 (٦) ن . م . س / ص ٢٣٧ .
 (٧) ياقوت : معجم الأدباء ج ٥ / ص ٤١٥ . ابن الأنباري : نزهة الألباء / ص ٢٢٤ ، القفطي : انباء الرواة ج ٢ / ص ٣٠٦ .

فقصد ، الكثيرون لمواصلة القراءة عليه ^(١) .

ولم تكن المجالس العلمية مقتصرة على العلماء ، فقد برز في بغداد والعراق عدد من العالَمات في تخصصات متنوعة كعلوم الشريعة ، والأدب ، والشعر . ولعل أشهرهن العالمة شهدة بنت الأبري البغدادية ^(٢) ، التي استطاعت بثقافتها وفصاحتها وعلمها أن تأخذ مكانها بين مشاهير العلماء وفطاحل المدرسين حتى حضرتهَا الوفاة عام (٥٧٤هـ / ١١٢٨م) .

ومن الأماكن التي أسهمت في حركة التعليم والتثقيف في العراق في هذا العصر حوانيت الوراقين ، ذلك أنها لم تكن مجرد أماكن لبيع الكتب ، حيث كان الكثيرون من أصحابها يتمتعون بمعرفة واسعة وعلم غزير وثقافة عالية ، هذا بالإضافة إلى معرفتهم الجيدة بالكتب وأنواعها وقيمتها العلمية . فقد كانت حوانيتهم مجمعا للعلماء والأدباء ومحبي الكتب الذين ما يكاد ينتظم عندهم حتى تتعالى أصواتهم بالنقاش والمحاورة ^(٣) . ولقد وصف ابن الجوزي سوق الوراقين ببغداد في عصره فقال " أنها مجالس للعلماء والشعراء " ^(٤) ، ويذكر الخطيب البغدادي أنه سمع من أحد العلماء في دكان أحمد بن المباسين اسحاق الوراق يقول حتى عن حوانيت الوراقين " أما باعة الكتب فكان أكثرهم من الخطاطين أو النساخين أو المتأدبين الذين لم يجعلوا حوانيتهم مخازن للكتب فحسب بل مراكز للأبحاث الراقية " ^(٥) .

-
- (١) ياقوت : معجم الأدباء ج ٥ / ص ٤١٥ ، ابن الأنباري : نزهة الألباء / ص ٢٧٤ .
 - (٢) سبق الحديث عنها في هذا البحث .
 - (٣) كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق / ص ٨ - ٢٥ .
 - (٤) ابن الجوزي : مناقب بغداد / ص ٢٦ - ٢٨ .
 - (٥) الخطيب : تاريخ بغداد ج ٢ / ص ٧٨ .
 - (٦) حتى : تاريخ العرب ج ٢ / ص ٥٠٢ .

أما مجالس القصص والمذكرين ^(١) فقد كانت من الظواهر المميزة للنشاط الإسلامي في العراق في العصر السلجوقي ، ذلك أن مجالسهم قد انتشرت في هذا العصر ، خصوصا في القرن السادس الهجري ، الى درجة كبيرة ، ويظهر أن الذين تصدوا

(١) القاص : هو الذي يتبع القصة الماضية بالحكاية عنها والشرح لها . وهذا في الغالب عبارة عن يروي أخبار الماضين . ابن الجوزي : كتاب القصص والمذكرين / ص

١٥٧ وجد ير بالذكر هنا أن نؤكد أن القصص في أول الاسلام كان يعتبر وسيلة — من وسائل خدمة الدين ، وأن مفهومه عند أكثر المسلمين لم يختلف عن مفهوم الوعظ الديني ، وأنه كان يروي ليتعظ به الناس بمن سلف من الأمم ، وأنه في ذلك يشترك اشتراكا واضحا مع القصص القرآني الذي كانت غاية الوعظ والارشاد هي الموجه الأول له قال تعالى : "فأقص القصص لمعلم يتفكرون" (الأعراف ١٢٦) ، وقال عز من قائل : لقد كان في قصصهم عبرة لأولئ الألباب" (يوسف ١١١) ولذلك نجد عامة المصادر الاسلامية لا تكاد تتحدث عن القصص الا وهو مرتبط بالوعظ والتذكير . وكتاب ابن الجوزي "كتاب القصص والمذكرين" خير دليل لذلك ، كما أن الخطيب البغدادي في كتابه : تاريخ بغداد ج ١٢ / ص ٧٦ ، يصف مواعظ علي بن محمد المصري بلفظ (قصص) . ويذكر الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ج ١ / ص ٣٦٨ أن عمرو بن قائد أبا علي الأسواري قص ستا وثلاثين سنة ، وكان حافظا للسير ولوجوه التأويلات ، وكان يقص في فنون من القصص ويجعل للقرآن نصيبا من ذلك ، وذكر أبو طالب المكي في "قوت القلوب" ج ٢ / ص ٢٥ ، أن زياد النميري أتى زاوية أنس بن مالك فطلب منه هذا أن يقص ، لكنه امتنع قائلا : ان الناس يزعمون أنها بدعة ، فقال له أنس : ليس شيء من ذكر الله بدعة . كما وذكر المقدسي (المتوفى عام ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م) مجالس المذكرين في بيت المقدس ، فذكر أنه رأى لأصحاب الامام أبي حنيفة بالسجد الأقصي مجلس ذكر يقرأ فيه المذكر على الحاضرين من دفتر ثم أرف ذلك بقوله موضعا حقيقة هذه المجالس فقال : " وأن المذكرين به قصاص ، المقدسي : أحسن التقاسيم / ص ١٨٢ . وتشير المصادر الى قدوم الواعظ أبي القاسم القشيري (المتوفى عام ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م) الى بغداد فقال الخطيب : "أنه حدث بها وقص في مسجدنا وكان في ذلك كله ثقة حسن الموعظة" أنظر : الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١ / ص ٢٢٤ . العماد الحنبلي : الشذرات ج ٣ / ص ٣٢٠ .

لهذه الصناعة لم يكونوا من المستويات المطلوبة ، فلقد قال ابن الجوزي " ثم خست هذه الصناعة فتعرض لها الجهال فبعد عن الحضور عندهم المميزون من الناس ، وتعلق بهم العوام والنساء ، فلم يتشاغلوا بالعلم ، وأقبلوا على القصص وما يعجب الجبهة ، وتنوعت البدع في هذا الفن ^(١) .

والظاهر من كلام ابن الجوزي هذا أن الوعظ والتذكير في هذا العصر أصبح نوعا من القصص الديني ، الذي هو عبارة عن ايراد أخبار وسيرة السلف الصالح من الأنبياء والأولياء والصحابة والتابعين ، حيث يقول " وكم منهم من يزوق عبارة لا معنى تحتها ، وأكثر كلامهم اليوم في موسى والجيل وزليخا ويوسف ^(٢) .

أما الوعظ والتذكير فقد اشتهر به جماعة كبيرة في العراق في هذا العصر وكان على رأس هؤلاء جميعا أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (المتوفى عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) والذي وفق في تقديم دراسة مفيدة عنهم ^(٣) ، ذلك ان ابن الجوزي عاش حتى نهاية القرن السادس ، وذلك أدرك من شأن القصص والقصص ما لم يدركه غيره ، حيث كان شديد الوطأة عليهم لمعرفته بجهلهم ، وتغاية ما يقدمون به ، وخطرهم على العلم والثقافة . فساهم أهل البدع كما مر ذكره ^(٤) .

ولقد تطور فن القصص وتشعب الى أشكال مختلفة ، طبقا لمضامينها وأغراضها كالقصص السياسي ، والقصص العسكري ، وكان لها جميعا آثار متفاوتة في الأوضاع الاجتماعية والفكرية والسياسية في ذلك العصر ، من حيث توجيه الناس نحو مجالات سياسية أو اجتماعية أو أدبية أو مذهبية ، لاسيما بعد أن أصبح للقصصين مكانة واضحة في المجتمع ، مما رفع شأن القاص ومكانته الاجتماعية . وقد برز بعض هؤلاء

(١) ابن الجوزي : تبيين ابليس / ص ١٢٣ .

(٢) ن.م.س / ص ١٢٥ .

(٣) أنظر كتابه : كتاب القصص والمذكرين ، وكتاب تبيين ابليس / ص ١٢٣ .

(٤) ابن الجوزي : تبيين ابليس / ص ١٢٣ .

القصاص في قدرتهم في السيطرة بيسر وسهولة على العامة من أصحاب النفوس الضعيفة، والعقول البسيطة ، بالكذب والحيل وحلو الكلام ، مما دفع الفقيه ابن الجوزي الى أن يذم القصاص بصورة عامة ، ويرى فيها بدعة . وذلك فرق بين المشتغلين به وبين الوعاظ والمذكرين ، الذين يغلب على مجالسهم القصاص القرآني وحديث الايمان بقوله " ان هذا الفن ثلاثة أسماء ، قصص ، وتذكير ، ووعظ " ^(١) . ويحاول ابن الجوزي هنا أن يفرق بين القصاص والوعظ والتذكير تفريقاً يرفع من شأن الوعظ والتذكير ويحط من شأن القصاص . فيقول : ان التذكير " تعريف الخلق نعم الله عز وجل عليه ، وحثهم على شكره وتحذيرهم من مخالفته " ^(٢) ، ويقول في تعريف الوعظ بأنه " تخويف يرق له القلب " ^(٣) . ثم يقرر ابن الجوزي أن الوعظ والتذكير والقصاص بمعنى واحد في قوله " وان قد صار اسم القاص عاماً للأحوال الثلاثة " ^(٤) ، ثم قال بعد تعريفه للقصاص " وهذا لا يذم لنفسه لأن في ايراد أخبار السالفين عبرة لمعتبر ، وعظة لمزدر ^(٥) . . . " ، ويقول : " ان القصاص مذموم ، والتذكير والوعظ محمودان بقوله " وانما كره بعض السلف القصاص لأحد ستة أشياء " ^(٦) .

ونجد لابن الجوزي شروطاً تذكرنا بالشروط التي نص كتاب كتب الحسبة على لزوم توفرها في المحتسب ، قال بضرورة توفرها في القصاص والمذكرين حيث يقول " ولا يمكن لأحد ممن يتصدى لهذا الفن الا من اشتهر بين الناس بالدين ، والخير والفضيلة ،

(١) ابن الجوزي : كتاب القصاص والمذكرين / ص ١٥٤ ، وهكذا نجد أن القصاص فسي القرن السادس الهجري وهو العصر الذي عاشه ابن الجوزي ، قد اختلف لونه وتسميت مذاهبه فابن الجوزي يقول " كان الوعاظ في قديم الزمان فقهاء وقد حضر مجلس عميد بن عمير عبد الله بن عمر وكان عمر بن عبد العزيز يحضر مجلس القاص ، ثم خست هذه الصناعة فتعرض لها الجهال " ابن الجوزي : تلخيص ابيليس / ص ١٢٣ .

(٢) ن ٠٢٠ س / ص ١٥٩ .

(٣) ن ٠٢٠ س / ص ١٦٠ .

(٤) ن ٠٢٠ س / ص ١٦٠ .

(٥) ن ٠٢٠ س / ص ١٥٢ .

(٦) ن ٠٢٠ س / ص ص ١٥٨ - ١٥٩ .

وأن يكون عالما بالعلوم الشرعية وعلم الأدب ، حافظا للكتاب العزيز ولأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخبار الصالحين وحكايات المتقدمين ، ويمتحن بمسائل يسأل عنها من هذه الفنون ، فإن أجاب والا منع".^(١)

ولقد كان للقصاصين آثارهم على النواحي الأدبية ، فقد أسهموا في تطوير عناصر القصة الأدبية. أما في الإطار التاريخي فقد كانت السيرة النبوية وأخبار الصحابة والتابعين والقصص الشعبي تمثل المادة الأساسية التي وجدت طريقها منذ أمد بعيد إلى مؤلفات الأخباريين والمؤرخين. وهو ما أمكن استمرار ملاحظته في فترة البحث. أضف إلى ذلك أنه عند البحث في أحوال البلدان وعادات المجتمعات وأعرافها وتقاليدها نجد أن القصص الشعبي يشكل مادة دسمة للكتابة ، تسهم في التعرف على أحوال البلدان والشعوب ومعرفة تفصيلات شئون حياتهم ومعاشهم .

ولم يتوقف أثر القصص عند هذا الحد في هذا العصر ، بل اتخذ سارا جديدا متميزا قرب فيه من الخيال بقدر ما ابتعد عن التأثر والتأثير في الحياة الجادة ، ذلك أنه سار في مجال آخر اختلطت فيه الخرافة بالمتعة والتسلية ، وكان الدافع لذلك الرغبة في الحصول على المال والجاه ، وكان لابد أن يصاحب هذا التطور تبدل للمكان التقليدي الذي كانت تعقد فيه مجالس القصص الديني ليتناسب مع الوضع الجديد ، وهكذا خرج القصاصون من المساجد إلى الأماكن العامة ، كالطرقات والأسواق ، واتخذ بعضهم منبرا يجلس عليه ، وربما تيسر لبعضهم توفير الحصر والبسط والتزين بالثياب ، والتبخير بالزيت والكمون ليصفر وجهه ليجلب لنفسه قدرا أكبر من الاحترام والمكانة.^(٢) ولقد استنكر ابن الجوزي على هؤلاء ما يجري في مجالس قصصهم من التطريب والغناء في القراءة ، والسجع في الدعاء ، أو استعانتهم ببعض الأبيات من شعر العشق وغيرها ، فيقول " تأملت أشياء تجري في مجالس

(١) ابن الجوزي : كتاب القصاص والمذكرين / ص ص ١٨٠ - ٣٥٩ .

(٢) ن . م . ص / ص ٣٦٠ .

الوعظ يعتقدها العوام وجهال العلماء قربة وهي منكر ، وذلك أن المقرئ يطرب ، ويخرج الألحان إلى الغناء ، والواعظ ينشد بتطريب أشعار المجنون وليلى ، فيصفق هذا ، ويخرق ثوبه هذا يعتقدون أن ذلك قربة^(١) إلى أن يقول : ان " الواعظ مأمور بأن لا يتعدى الصواب ، ولا يتعرض لما يفسد العوام ، بل يجذبهم إلى ما يصلح بالألف وجه - إلى أن يقول - ولقد رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يلقى في صلاح القلب ، إلا أن يمزج بالرفائق والنظر في سيرة السلف الصالحين"^(٢)

وقد ظهر في العصر السلجوقي بالمراق عدد عظيم من الوعاظ والمذكرين لاسيما إلى حصرهم ، كان أشهرهم أبو القاسم القشيري (المتوفى عام ٦٥٠هـ / ١٢٢٠م) الذي سبق أن أشرنا إلى خبر قدومه إلى بغداد ، وعظه في النظامية والمسجد الجامع .

أما ابن الجوزي فإن أغلب المصادر التاريخية تشير إلى أنه كان من رؤوس المذكرين في زمانه بل ان ابن الجوزي نفسه قد أشار إلى ذلك حينما أرخ سيرته الذاتية في كتابه " المنتظم " وقدم معلومات مفصلة عن مجالس الوعظ التي كان يقيمها ، والأعداد الغفيرة من مختلف طبقات الناس الذين كانوا يحضرون مجالس وعظه ، والتي كان يحضرها بعض الخلفاء أحيانا ، والتي كانت تعقد في الساجد والساحات العامة حيث يشتد الزحام فيها حتى تقفل الطرقات ، وتمد الأزقة بالمستمعين الذين يتركون أعمالهم وأسواقهم ، وقد يشتد الزحام إلى درجة كبيرة حتى ان المنازل المطلة على ساحة الوعظ كانت تمتلئ أسطحها ونوافذها بالمستمعين^(٣)

(١) ابن الجوزي : صيد الخاطر / ص ٧٥ .

(٢) ن . م . س / ص ١٧٤ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ١ / ص ٥٣ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ . ولقد تحدث ابن الجوزي عن مجالس وعظه فقال " لقد تاب على يدي في مجالس الذكر أكثر من مائتي ألف ، وأسلم على يدي أكثر من مائتي نفس ، وكما سألت عين متجسس بوعظي لم تكن تسيل ولقد جلست يوما قرأيت حوالي أكثر من عشرة آلاف مافيهم إلا قد رق قلبه وأدمعت عينه " . ابن الجوزي : صيد الخاطر / ص ١٩٢ .

وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ما كان عليه المجتمع من الوعي وحب العلم وتقدير العلماء الأفاضل والاعتزاز بهم . ولقد حضر الرحالة المشهور ابن جبير (المتوفى عام ٦١٤هـ / ١٢١٧م) مجلسين من مجالس الوعظ التي كان يقيمها ابن الجوزي فبين ما كان عليه هذا الواعظ الفذ من قوة في البيان ، وروعة في التأثير في قلوب الناس . كما أنه حفظ لنا وصفا معبرا لمشاعر الناس نحوه وما فعلوه من شدة الوجد ، وعظيم التأثير ، ومدى انعكاس ذلك عليه ، فأشار في معرض تقويمه لمجالس الوعظ هذه الى أن أهوال الرحلة ومتاعبها تهون كلها مقابل الاستمتاع بحضور مجلس وعظ هذا الشيخ الجليل . يقول ابن جبير : أتى ابن الجوزي بعد أن فرغ من خطبته برقائيق من الوعظ ، وآيات بينات من الذكر طارت لها القلوب اشتياقا ، وذابت بها الأنفس احتراقا . الى أن علا الضجيج ، وتكرر بشهقاته النشيج ، وأعلن التائبون بالصباح ، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على الصباح ، كل يلقي ناصيته بيده فيجزها ، ويمسح على رأسه داعيا له ، ومنهم من يفسى عليه فشاهدناه هولا يملأ النفوس انابة وندامة ، ويذكرها هول يوم القيامة . فلولم نركب البحر ، ونعتسف مغازات القفرا لا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقة الراححة ، والوجهة المفلحة الناجحة^(١) . ثم يذكر ابن جبير أبيات ذكرها ابن الجوزي لم يزل يردد ها مرات عديدة حتى تأثر الواعظ نفسه ، وبدأ عليه الانفعال الشديد ، كما انفعال الحاضرون ، فأجهشوا بالبكاء ، حتى ارتفع صوت نحيبهم وسقط بعضهم على الأرض يقول : " ولم يسزل يردد ها والانفعال قد أثر فيه ، والدماع تكاد تمنع خروج الكلام من فيه ونزل عن المنبر دهشا عجلا ، وقد أطار القلوب وجلا ، وترك الناس على أحر من الجمر ، يشيعونه بالدماع الحمر . فمن أعلن بالانتحاب ، ومن متعفر فسي التراب . فiales من مشهد ما أهول مرآه^(٢) .

(١) ابن جبير : الرحلة / ص ١٩٢ - ١٩٨ .

(٢) ن.م.س / ص ١٩٩ .

يتضح من هذه النصوص مدى تأثير الوعظ والتذكير في هذا العصر في نفوس الناس وما كان له من الأثر في توجيه الناس الى مذاهب دينية محددة أو انقيادهم الى تنظيمات معينة بكل يسر وسهولة .

ووصف ابن جبير بعد ذلك كيف أرسل المستمعون أسئلتهم الى ابن الجوزي وكيف أجاب الشيخ عليها ليبين لنا أسلوبا تعليميا وثقافيا ، له منهجه وطريقته في ذلك العصر ، وكانت الأسئلة تدور حول أمور تتصل بأحكام الشرع ، أو ببعض القضايا الخاصة ، وربما شملت ما يدور في الأذهان ، ويشغل التفكير من أمور الحكم والسياسة ، لاسيما فيما يتعلق منها بالخلافة ، تلك المشكلة الحساسة والخطيرة ، التي كانت الشغل الشاغل لأذهان الناس خاصة بعد ظهور تلك التيارات الدينية والسياسية ، والتي كان لكل منها وجهة نظرها الخاصة فيها . وما هو جدير بالملاحظة أن مجالس الذكر في هذه المرحلة كان لها منهج خاص وأسلوب محدد من حيث بداية الذكر ، والموضوعات التي يدور حولها الذكر ، ثم المناقشة والأسئلة .

وبين ابن الجوزي في هذا الصدد خطوات المنهج المندوب بقوله : " ان من واجب الواعظ بعد أن يصعد المنبر ويسلم على المستمعين أن " يقرأ القرآن على وجه الترتيل ، فإذا فرغ حمد الواعظ الله ، وأثنى على رسوله عليه السلام ، ودعا للامام والرعية ، فإذا كانت له صناعة في انشاء خطبة أو كان يحفظ خطبة ذكرها ثم ذكر تفسير الآيات التي قرئت ، فإذا أنهى الكلام في التفسير أجاب عن سائل ان سئل ، ثم أمر القراء بالقراءة بعدها يعظمهم " ^(١) ثم يستطرد ليوضح طبيعة هذه المواعظ ، وما يجب أن تتناوله من أمور الدين كالقضايا والمعاملات وغيرها ، بالإضافة الى ما يفيدهم في أمور دنياهم .

(١) ابن الجوزي : كتاب القصاص والمذكرين / ص ٣٦١ .

ويبدو أن بعض الوعاظ في هذا العصر قد تعرضوا لمواقف محرجة بسبب التزامهم بقول الحق والدفاع عن الحدود الشرعية ، فعندما قدم الفقيه المروزي أبو الحسن اردشير بن منصور بغداد (سنة ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م) ^(١) أعجب فقهاؤها بعلمه ، وفتنوا بهديته ، وعقدت له مجالس للوعظ بالمدرسة النظامية ، كان يحضرها المشايخ والأئمة كالغزالي أبي حامد وغيره ، وأقبل الناس على مجالسه ، وازدحت حلقاته بشكل منقطع النظير ، ولكن سرعان ما انقلب عليه من كان يحضر مجالسه ، ولعلهم كانوا من أصحاب التجارة والنفوذ والمال ، عندما تحدث عن الحرام والحلال ففسى البيع والشراء والمعاملات والقروض . بل ان ذلك قد أدى الى تلويح موقف معارض - تجاه هذا الفقيه الجليل بلغ حدا منع فيه من الوعظ ، بل تعدى ذلك الى اخراجه من بغداد . ^(٢)

ومن الأماكن المهمة التي كان لها أثر كبير في اثراء الثقافة ونهضة التعليم ففسى العراق خلال هذا العصر الربط ، وقد أطلق الرباط في صدر الاسلام على رباط الخيل ، مستمدا من قوله تعالى : " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم " ^(٣) ، ومنه أخذت الرابطة ، أى ملازمة ثغر العدو . يقول مارسيه " غير أننا نجد أن صفة هذه الرباطات قد تغيرت في الشرق ، أى ففسى البلاد التي أصبحت بنجوة من تهديد الكفار ، وعزف أهله عزوفا تاما عن التدريب

(١) الوعاظ العبادي ، أكثر من الوعظ بالمدرسة النظامية . ابن الأثير: الكامل ج ٨ / ص ١٦٨ .

(٢) ن ٤٠٠ ص ٨ / ص ١٦٨ ، ولقد عقد ابن جبير في كتابه " الرحلة " عنوانا هاما عن الوعاظ ببغداد في هذا العصر حيث استمع الى وعظ ابن الجوزي وغيره من الوعاظ المبرزين الموجودين في بغداد في هذه الفترة فيقول " وشاهدنا بمعد ذلك مجالس لسواء من وعاظ بغداد " / ص ٢٠٠ .

(٣) الأنفال آية (٦٠) .

العسكري واستبدلوا به حياة قوامها الزهد ، والتكشف وترديد الصلوات التي كانت سنة الرباطات القديمة ، وقد كان تطور التصوف وتشعب المتصوفة فرقا وطرائق منذ القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) هو العلة التي بررت استمرار هذه الشككات باتخاذها زوايا وتكاي^(١) ، وهكذا صارت الربط في هذا العصر تطلق على الأماكن التي يرتادها الصوفية للعبادة والانقطاع الى الله ، والتوسعة ومجاهدة النفس ، والحد من شهواتها كما أصبحت تؤدي خدمات اجتماعية ودينية إضافة الى دورها الثقافي في الوعظ والاقراء والتحديث^(٢) والسماع والافتاء ومنح الاجازات العلمية وتصنيف الكتب . وما ساعد على ذلك أن الواقفين لهذه الرباطات قد أنشأوا فيها الخزائن ، وأوقفوا فيها الكتب ، وعينوا لها القوام والخزائن ، فكان الزهاد والمتصوفة يترددون على مكثاتها ، وكذلك كان يفعل الطلاب الذين يرحلون في طلب العلم . وكان العلماء يتخذون من الربط أماكن للقراءة والمطالعة والاستنساخ والتأليف يساعدهم على ذلك مكثات الربط العامة وامكانية مكوثهم فيها أوقاتا طويلة ، وما يتهيأ لهم فيها من معونة بشرية تتمثل في الطلاب والمتصوفة الذين كانوا على استعداد تام للتعاون طلبا للثواب ولعل ذلك ما يفسر أن أغلب كتب التصوف ألفت في الربط^(٣) .

ولقد كثرت الربط في بغداد وسائر مدن العراق ولعل أقدمها في بغداد الرباط المعروف برباط الزوزني^(٤) والذي كان في الأصل رباطا لأبي الحسن علي بن ابراهيم

- (١) مارسية : دائرة المعارف الاسلامية ج ١٠ / ص ٢٢٠ .
 (٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ١٠٠ . وتجدر الإشارة الى أنه كان هناك أربعة خاصة بالنساء الزاهدات ، يجتمعن فيها للعبادة والحدوث والوعظ ، ونشير هنا الى رباط المحدث فاطمة بنت الحسين ابن الحسن بن فضلوية الرازي (ت ٥٢١هـ / ١١٢٧م) الذي كان يجتمع فيه الزاهدات . ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٧٠ .
 (٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ١٥٢ - ١٥٣ .
 (٤) أبو الحسن علي بن محمود بن ابراهيم الصوفي (ت ٤٥١هـ / ١٠٥٩م) . الخطيب : تاريخ بغداد ج ١٢ / ص ١٥ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٢١٤ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٣ / ص ٢٨٨ .

البصري (المتوفى عام ٣٧١هـ / ٩٨١م) والذي ذكره ابن الجوزي فقال " انه كسبرت
سنة فصعب عليه المجيء الى الجامع فبنى له الرباط المقابل لجامع المنصور ، ثم عرف
بصاحبه الزوزني " (١) ولقد تمكن أحد الباحثين (٢) من احصاء الربط البغدادية فتوصل
الى خمسة وثلاثين رباطا منها طوى سبيل المثال لا الحصر " رباط الأخلاطية " أو
الخلاطية نسبة الى السيدة سلجوقه خاتون بنت السلطان قلع أرسلان ملك بلاد الروم
والذي افتتح عام ٥٨٥هـ / ١١٨٩م وقد بناء الخليفة الناصر لدين الله العباسي (٣)
و " رباط البديع " أبو المعظم عبد الصمد بن الحسين بن عبد الخفار الزنجاني الواعظ
الملقب بالبديع (المتوفى عام ٥٨١هـ / ١١٨٥م) . و " رباط البسطامي " أبو الحسن
البسطامي الصوفي الزاهد (المتوفى عام ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م) . و " رباط أرجوان " (٤)
الرومية والددة المقتدى بأمر الله (المتوفى عام ٥١٢هـ / ١١١٨م) . و " رباط بهروز " (٥)
مجاهد الدين أبو الحسن بهروز بن عبد الله الرومي (المتوفى عام ٥٤١هـ / ١١٤٦م) (٦)
و " رباط شهدة " بنت الابري العالمة المشهورة (المتوفى عام ٥٢٤هـ / ١١٢٨م) . و
و " رباط ينفشه " حظية الخليفة المستضيء والذي بنته سنة ٥٢٣هـ / ١١٢٢م بسوق
الدرسة ، و " رباط زمرد خاتون " (المتوفى عام ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م) وهي زوجة

-
- (١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٧ / ص ١١٠ .
(٢) مصطفى جواد : الربط البغدادية (مجلة سومر - المجلد العاشر - من ص ٢١٨ حتى ص ٢٤٩ - سنة ١٩٥٤م .
(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٤٢٢ ، الأشرف الغساني : العسجد المسبوك ج ١ / ص ٢٠٥ .
(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ١٤٧ .
(٥) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٩٦ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١١٦ ،
صيد الخاطر / ص ٢٣٩ ، ابن الفوطي : الحوادث الجامعة / ص ٤ .
(٦) الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ٣ / ص ٢٥٧ .
(٧) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٥٩ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٥ / ص ٢٧٧ .
(٨) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٢٨٨ ، ابن الأثير : الكامل ج ٩ / ص ١٤٧ .
(٩) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٧ - ٨ - ١٢٥ ، ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٦٥ .

(١) الخليفة المستنصر بالله وقد شيدت هذا الرباط سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م .

ان هذه الربط وأمثالها ببغداد ومدن العراق الأخرى كان لها دور بارز في حياة الناس الثقافية في العصر السلجوقي ، ففيها كان يلتقى العلماء والمفكرون للدراسة والبحث والمناظرة ، وفي مكاتبها يجد عشاق الكتب وهواة المعرفة نفائس الآثار وروائع المصنفات ، وفي الربط كان يقيم طلبة العلم المفترسون الذين كانوا يقصدون بغداد للدراسة ، كما يقيم فيها بعض الشيوخ المتصوفة ، كما كان ينزل فيها كثير من العلماء والفقهاء عند مرورهم أو حين عودهم من الحج فيلتقون مع شيوخها للمناقشة والدراسة . فرباط السيدة خاتون أم الخليفة الناصر لدين الله بالمحلة المأمونية في الرصافة ، ألحقت به خزانة كتب جليلة كان من بينها مثلاً كتاب الفنون لأبي الوفاء بن عقيل الذي قرأه سبط ابن الجوزي ، وذكر أنه نحو من سبعين مجلداً^(٢) .

وأشار ياقوت الحموي الى أنه قد " حضر الوجيه النحوي بدار الكتب التي برباط المأمونية ، وخازنها يومئذ أبو المعالي أحمد بن هبة الله ، فجرى حديث عن أبي العلاء المعري ، فذمه الخازن المذكور ، وقال : كان عندي في الخزانة كتاب من تصانيفه ففسلته ، فقال له الوجيه : وأى شيء كان هذا الكتاب ؟ قال : كان كتاب نقض القرآن فقال له : أخطأت في غسله ، فعجب الجماعة منه وتغامزوا عليه ، فقال له الخازن : مثلك ينهى عن مثل هذا ، يعني أنه رجل مسلم ، قال : ودارت مناقشة ومحاورة بينه وبينهم حتى أقتنع الحاضرون بقول الوجيه^(٣) ، ولعل فسى هذا ما يعكس نموذجاً للنشاط الفكري والثقافي ما كان يجري في هذه الربط وتشير المصادر الى أنه كان برباط الخلاطية خزانة كتب جليلة أنشأها الخليفة الناصر

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٩ / ص ٢٦١ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٣٦٥ ،

الأريلس : خلاصة الذهب المسبوك / ص ٢٠٧ .

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٨٤ .

(٣) ياقوت : معجم الأنبا ج ٩ / ص ٢٣٥ .

لدين الله ، وقد ذكر سبط ابن الجوزي في ترجمته للناصر لدين الله أنه نقل الكتب السننية بالخطوط المنسوبة ، والمصاحف الشريفة الى المدرسة النظامية ، وربطها بالأخلاقية ، والى ربط الحرم الطاهري^(١) .

وكان من شيوخ الأربطة من يقوم باقراء القرآن وتدريب الحديث ، ومن هؤلاء أبو الأزهري محمد بن محمد الصوفي الواسطي المقرئ ، فانه نزل بغداد ، وأقسامه برباط أرجوان والدة المقتدى حتى توفي عام ٥٧١ هـ / ١١٢٥ م . وكان قد أقرأ القرآن بالرباط مدة ، وحدث به^(٢) . وقد ذكر ابن الجوزي أنه سمع الحديث برباط بهروز على شيخ الرباط أبي نصر أحمد بن منصور الهمداني الصوفي (المتوفى عام ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م)^(٣) .

وقد تقوم بعض الأربطة بمهمة المدرسة ، فمثلا كان رباط ابن النحال البغدادي (المتوفى عام ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ م)^(٤) بباب الأزج مجعما للفقراء وأهل الدين والغرباء الذين كانوا ينزلون به ، ويذكر ابن العماد أن الاشتغال والدراسة فيه كانت أفضل من سائر المدارس ، وقد سكنه أكابر العلماء والرحالين في طلب العلم ، كالشيخ موفق الدين المقدسي ، والعماد الأصهباني^(٥) .

ولقد جرى تصنيف عدد كبير من الكتب في الأربطة ، مثل ذلك ما قام به أبو بكر محمد بن موسى الحازمي (المتوفى عام ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) الذي كان يسكن رباط " البديع الزنجاني " شرقي بغداد . فقد كان يدخل حجرته بالليل فيظل يقرأ ويكتب

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٦٣٢ ، باقوت : معجم الأدباء ج ٥ /

ص ٢٩٠ .
(٢) الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ٣ / ص ٢٥٢ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٩٩ .

(٤) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج ١ / ص ٤٧١ .

(٥) العماد الحنبلي : الشذرات ج ٥ / ص ٣٨ .

(٦) ن ٢٠٠ م . ج ٥ / ص ٣٨ .

حتى الفجر . وقد صنف الحازمي في هذا الرباط كتاب الناسخ والمنسوخ فـ في الحديث ، وكتاب عجالة المبتدئ في الأنساب^(١) . كما صنف وجيه الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عمويه السهروردي (المتوفى عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٢ م) كتاب التاريخ المجاهدي حيث صنفه على السنين ، وجمع فيه ما وقع من الأحداث حتى سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م وقد أهداه إلى والي العراق مجاهد الدين بهروز . والشيخ شهاب الدين عمر بن محمد البكري السهروردي (المتوفى عام ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) ، يعد كتابه المشهور عوارف المعارف من الكتب التي ألّفت في الرباط^(٢) .

ثانياً : الرحلة في طلب العلم :

والرحلة في طلب العلم تعتبر من أهم مميزات جهود المسلمين في هذا المجال ، وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال دراسة تراجم الآلاف من العلماء في هذا العصر ، فقد ارتحل هؤلاء إلى مناطق نائية سعياً وراء العلم والمعرفة غير مبالين بما يعترضهم من مشقة وعناء ، وجهد ونفقة ، بجانب متاعب السفر وصعوباته ومخاطره في ذلك الوقت وما يكتنفه من عراقيل وخطوط في وسائل المواصلات ، وما يتطلبه ذلك من استعدادات وتجهيز القوات ، ويبدو أن الطلبة كانوا يعتمدون على أنفسهم أثناء رحلاتهم العلمية إلى الأقطار البعيدة ، قال الخطيب : * ولو كان حكم المتصل والمرسل واحدا لما ارتحل كتبة الحديث ، وتكلفوا مشاق الأسفار إلى ما بعد من الأقطار ، للقاء العلماء والسماع منهم في سائر الأفاق *^(٣) .

-
- (١) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ١٥٣ .
(٢) ابن خلدان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٤٤٦ ، ابن الفوطي : الحقود الجامعة / ص ٧٤ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٥ / ص ١٥٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ / ص ١٣٨ .
(٣) الخطيب : الكفاية في علم الرواية / ص ٤٠٢ .

وكان طلبة العلم أثناء رحلاتهم يعملون من أجل توفير النفقة ، ويدرسون ويتلقون عن الشيوخ ، ويجتمعون بالعلماء في المساجد والمدارس المنتشرة في العالم الإسلامي آنذاك ، فكانت رحلاتهم العلمية بجانب المتعة في تحقيق الهدف ، هي عناء ومشقة يواجهها الطالب بعيداً عن أهله . وهكذا كان علماء الفقه يرحلون السي البادية ويختلطون بقبائل العرب يقيدون اللغة وقواعدها وينقلون الشعر والأدب . ورحل علماء الحديث إلى الأمصار المختلفة يروون الحديث ويقيدونه ويتابعون سماع عالم يتيسر لهم سماعه في بلدانهم ، يقول ابن الصلاح " وإذا فرغ من سماع العوالي والمهمات التي ببلده ، فليرحل إلى غيره " (١) .

أما الأدباء فانهم يديرون ترحالهم في نواحي العراق وأقطار الدول الإسلامية الأخرى ، يأخذون من أدبائها ويقيدون من شراحيها ونقادها . وقد رحل الجغرافيون المسلمون إلى مختلف أصقاع العالم الإسلامي ، يسجلون مشاهداتهم ويقيدون أحوال الناس والبلدان ، وعاداتهم وتقاليدهم ، ويصفون حضارتهم ويقدمون تفصيلات موسعة عن بلادهم ، طرقها وسالكها وأوديتها وجبالها ومدنها وقراها .

وكان أصحاب الحديث أنشط الطلاب على الرحيل في طلب العلم وأصبرهم على عنائه ، وكان أساتذتهم وشيوخهم يحثونهم عليه ، فقد استشار الخطيب البغدادي أستاذه أبا الطيب الطبري (المتوفى عام ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) فأشار عليه بالتوجه إلى الشرق (٢) ذلك أن الصحابة تفرقوا في الأمصار أثناء الفتوح ، فمنهم من استقر ببلاد العراق ، وآخرون بالشام ، ومنهم من سكن بلاد فارس وخراسان ، ومنهم من استوطن

(١) ابن الصلاح : علوم الحديث / ص ٢٢٢ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٢٦٦ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، مصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة ج ١٢ حوادث سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م .

مصر وبلاد المغرب ، وكان هؤلاء يحملون الأحاديث عن الرسول وقد تلقاها عنهم التابعون ، ثم تابعوهم من بعدهم ، فكان في كل مصر طائفة من الأحاديث انفردت بها عن الأمصار الأخرى ، فجد علماء الحديث في الرحلة يأخذون الأحاديث عن أهلها بعد أن يتحرروا عنهم ، ويتأكدوا من درجة عدالتهم ، وهكذا فانهم كانوا يجمعون ما تفرق منها ^(١) وكان لادراكهم أهمية ذلك ومكانته في الشريعة ما ندل لهم جميع الصعاب التي واجهتهم ، وما كابده من مشاق السفر وأخطاره التي يعجز المرء عن وصفها .

وهكذا فإن المشاق والأخطار لم تقف حائلا دون تنفيذ الرحلات التي مـالـت نتائجها وأخبارها بطون الكتب ، فقد حطهم دافع العقيدة وحب العلم الى آفاق بعيدة ، وقلما وجد في هذا العصر من أصحاب الحديث والقراءات من لم يرحل في طلب العلم ، بل ان منهم من قطع آلاف الأميال ، والتقى بمئات الشيوخ من الشرق الى الغرب ، ومن الغرب الى الشرق ، مروا ببغداد مرتع العلم وملتقى العلماء .

ولعل خير مثال على ذلك : يوسف بن علي بن جبارة المغربي أبو القاسم الهذلي (المتوفى عام ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م) ^(٢) المقرئ الجوال الذي أجهد نفسه كثيرا في طلب العلم والقراءات والذي رحل من أقصى المغرب الى بلاد الترك ، ودرس خلال رحلته على مائة واثنين وعشرين شيخا موزعين في مراكز العلم المختلفة في كل من القيروان وفاس وطرابلس ودمياط واللاذقية والرملة وبيت المقدس وعسقلان وصيدا وصور وبيروت والمعرة وحران وآمد والجزيرة والموصل وبغداد والأنبار وواسط والأهواز وشيراز وكرمان وأصفهان ونيسابور ^(٣) .

(١) الخطيب : الرحلة في طلب الحديث / ص ١٨ ، ص ١١٨ . أحمد أمين : ضحى

الاسلام ج ٢ / ص ٦٩ - ٧٠ .

(٢) الذهبي : معرفا لقراء الكبار ج ١ / ص ٣٤٦ .

(٣) ن ٤٠٠ م ج ١ / ص ٣٤٦ .

أما الحافظ محمد بن طاهر بن أحمد المقدسي (المتوفى عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م) فقد كان أحد الرحالين في طلب الحديث ، سمع بمصر والشام والجزيرة والثغور والعراق وفارس والجهال وخوزستان وخراسان والحجاز .^(١)

أما طاهر بن عبد الله بن طاهر أبو الطيب الطبري (المتوفى عام ٤٥٠ هـ / ١١٥٥ م) فقد سمع بهرجان ونيسابور وقدم بغداد وسمع على عدد من علمائها .^(٢)

ومن هؤلاء هبة الله بن المبارك بن موسى السقطي (المتوفى عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م) المحدث الرحال الذي سمع ببغداد وواسط والبصرة والكوفة والجهال والموصل وأصفهان .^(٣) والحافظ المحدث أبو الفرج يوسف بن أحمد بن يحيى الشيرازي (المتوفى ببغداد عام ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م) الذي طلب الحديث بالجهال والشام وفلسطين وديار بكر والجزيرة وأذربيجان صلا الروم والعراق والأهواز وفارس وكرمان وخراسان صلا ما وراء النهر .^(٤)

والحافظ المحدث أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (المتوفى عام ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) الذي رحل في طلب العلم إلى البصرة ونيسابور وأصفهان وهمدان والجهال والشام ودمشق وصور ومكة المكرمة ، وكان من رواد الحديث في الإسلام .

-
- (١) الكتبي : عيون التواريخ ج ١٢ / ص ٢٥٠ .
(٢) الخطيب : تاريخ بغداد ج ٩ / ص ٣٥٨ .
(٣) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ١١٤ .
(٤) ابن القوطي : مجمع الآداب ج ١ / ص ٤٦٠ .

وقد صنف الكثير من كتب الحديث ^(١).

هذا وقد قطع بعضهم آلاف الأميال ، وتردد على العديد من المدن والأصقاع وكانوا يقضون السنين وهم دائبون على لقاء الشيوخ والأخذ عنهم ^(٢) ، ويمكن القول بأن ما كان يساعد في رحلاتهم هذه مساعدة الشيوخ لهم ، إضافة الى وجود المدارس النظامية وغيرها من المدارس المنتشرة في البلاد خلال هذه الفترة ، حيث كان طلاب العلم يقيمون فيها بالإضافة الى اقامتهم في الخانات والفنادق ^(٣).

ولم تقتصر الرحلات على طلاب الحديث ، انما شملت طلاب العلوم الأخرى ، فالعلامة والرحالة والمحدث موفق الدين عبد اللطيف البغدادي (المتوفى عام ٦٢٩هـ / ١٢٣١ م) خرج من بغداد في رحلة علمية برع من نتيجة ما تحصل منها في شتى أصناف العلوم والمعارف ، وكان نتاجها ذلك الانتاج العلمي الضخم الذي صنفه والذي بلغ أكثر من ١٧٣ مؤلفاً بين كتاب ومقالة صغيرة ، تناول فيها صنوفاً شتى من المعارف والعلوم .

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٢٦٥ وهناك المئات غيرهم ممن رحلوا في طلب العلم . أنظر عنهم : ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٢٦٦ ج ٩ / ص ٥ ، ١٥١ ، ١٧٧ ، ١٨٣ ، الأصفهاني : خريدة القصر ج ٢ / ص ٢٨٣ ، ٣٠٦ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ٧ / ص ١٥٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٢٩٤ ، ٣٩٢ ، ابن الفوطي : مجمع الآداب ج ١ / ص ٤٠٥ - الذهبي : تذكرة الحفاظ تراجم رقم ١٣٦٣ ، ١٤١٢ ، معرفه القراء الكبار ج ١ / ص ٢٤٤ ، ج ٢ / ص ٤٥١ ، ٤٥٩ ، ٤٧٥ - السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ١٨٩ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٥ / ص ١٩٢ ، ج ٦ / ص ١٠٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ / ص ١٦٨ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ١ / ص ٤٦٠ ، ج ٢ / ص ٢٠٥ ، ص ١٩٣ ، ج ٣ / ص ٤٠٣ ، ج ٤ / ص ٢٦ ، ص ٢٧٦ ، ص ٢٨٢ ، ج ٥ / ص ٣ ، ص ١٣٢ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ١١٤ ، ١٢٣ ، ١٤٠ .

(٢) الخطيب : تاريخ بغداد ج ٩ / ص ١١ ، ج ١٠ / ص ٣٧٢ ، ج ١٢ / ص ٣١٢ .

(٣) ن ٢٠٠ / ص ١٠٩ ، ج ١٣ / ص ٤١ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٣٧ .

وقد دامت رحلته أكثر من ٥٤ عاماً رجع بعدها الى مسقط رأسه بغداد حيث توفي فيها^(١).

ونظراً لأهمية الرحلات العلمية في تاريخ المسلمين التعليمي ، فلقد صنف فيها عدد من العلماء كالخطيب البغدادي (المتوفى عام ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) وأبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج النباتي الأندلسي (المتوفى عام ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) . وهكذا فقد اعتبرت " الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في العلم . والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون من المذاهب والآراء والفضائل تارة طمًا وتعليةً واللقاء ، وتارة محاكاةً ، وتلقينا بالمباشرة ، إلا أن حصول الملكات من المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها " .

والملاحظ أنه منذ نشأة المدارس في العالم الاسلامي وانتشارها منذ منتصف القرن الخامس الهجري ، بدأت الرحلات في طلب العلم تتركز نحوها ، فكان طلبة العلم يقصدونها للاستفادة من شيوخها وعلمائها في مختلف العلوم والفنون .

ومن الجدير بالملاحظة أنه قد أصبح للرحلة في طلب الحديث أهداف وآداب وشروط خاصة بها خلال هذا العصر^(٢) .

-
- (١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٦٨٣ .
(٢) وهو كتابه " الرحلة في طلب الحديث " والكتاب مطبوع عدة طبعات نشره عدد من دور النشر .
(٣) الخطيب : الرحلة في طلب الحديث ص ١٦ - ٣٠ .

الاجازات العلمية :

الاجازة لغة : مصدر : أجاز ، اعطاء الاذن ، وأجاز له أذن له ^(١) .

والاجازة في الاصطلاح : اذن وتسويغ ، وهو اصطلاح اتخذه علماء فن مصطلح الحديث ، وذلك أن يأذن ثقة من الثقات لغيره بأن يروى عنه حديثاً أو كتاباً " سواء كان ذلك الكتاب من تصنيفه أم كان يرويه عن شيوخه بالاسناد الى مؤلفه " ^(٢) .

ويرى الخطيب البغدادي (المتوفى عام ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) أن " معنى الاجازة في كلام العرب مأخوذ من جواز الماء الذي تسقاء الماشية والحرث ، يقال عنه : استجرت فلاناً فأجازني . كذلك طالب العلم ، يسأل العالم أن يجيزه علمه فيجيزه إياه والطالب مستجيز ، والعالم مجيز " ^(٣) . قال السيوطي : " فعلى هذا يجوز أن يقال أجزت فلاناً مسموعاتي ، ومن جعل الاجازة اذناً وهو المعروف بقول : أجزت له رواية مسموعاتي " ^(٤) .

ومن هذا يتضح أن الاجازة هي اذن أو رخصة تتضمن تخويل المجاز حق نقل المادة العلمية أو الرواية لحديث معين أو كتاب محدد يمنحها الشيخ لمن يبيح له رواية المادة المذكورة فيها عنه .

وقد تطور نظام الاجازة منذ القرن الخامس الهجري الى حد بعيد ، حتى صار

-
- (١) الفيروزآبادي : القاموس المحيط ج ٢ / ص ١٧٠ ، ابن منظور : لسان العرب ج ٥ / ص ٣٢٦
العسقلاني : نخبة الفكر / ص ٢١٦ .
(٢) دائرة المعارف الاسلامية ج ١ / ص ٤٣٣ .
(٣) الخطيب : كتاب الكفاية في علم الرواية / ص ٤٤٦ ، ٤٤٧ .
(٤) السيوطي : تدريب الراوي ج ٢ / ص ٤٢ .

الشيخ يجيز قبل وفاته جميع مسلمي عصره في رواية الأحاديث التي كان يعرفها^(١).

ويمنح الشيخ الاجازة بطريقتين : أولهما الاجازة بالمشافهة ، وثانيهما الاجازة التحريرية ، وهي التي شاعت خلال فترة البحث . على أن الاجازة الشفهية أقدم من الاجازة التحريرية ، وقد اعتاد الشيخ أن يكتبوا اجازاتهم على الكتاب الذي درسه الطالب عليهم ، وتكون الاجازة عادة مقتضبة لا تحتوى طرق الرواية ، ولا أسماء الشيوخ الذين تلقى الشيخ المجيز معلوماته عنهم ، ثم حصل تطور في الاجازات التحريرية حيث أصبحت مستقلة عن الكتاب ، كما أصبحت مفصلة ، مشتملة على طرق الرواية^(٢) . وللاجازة أركان ذكرها المسقلاني هي : " المجيز ، والمجاز لـه ، والمجاز به ، ولفظ الاجازة "^(٣) ، ولقد فصل علماء الحديث في الاجازة، وجعلوها إحدى طرق تحمل الحديث ونقله^(٤) وقسموها الى أنواع منها :

النوع الأول : المناولة :

وهي أرفع ضروب الاجازة ، وصفتها أن يدفع المحدث الى الطالب أصلاً من أصول كتبه ، أو فرعاً قد كتبه بيده ويقول : هذا الكتاب سمعني من فلان وأنا أعلم بما فيه ، فحدث به عني . فانه يجوز للطالب روايته عنه ، وتعل تلك الاجازة محل السماع عند جماعة من أئمة الحديث^(٥) .

النوع الثاني :

وهو أن يدفع الطالب الى الراوي صحيفة قد كتب فيها : ان رأى الشيخ أن يجيز لي جميع ما يصح عندي من حديثه فعل ، فيقول له الراوي بلفظه : قد

(١) دائرة المعارف الإسلامية ج ١ / ص ٤٣٤ . عن الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٣

ص ٣٦٣ ، ابن الأبار : التكملة / ص ٦١٤ ، السيوطي : بغية الوعاة / ص ١٤ .

(٢) المسقلاني : نخبة الفكر / ص ٢١٦ .

(٣) ن ٢٠٠ ص / ص ٢١٦ .

(٤) السيوطي : تدريب الراوي ج ٢ / ص ٨ .

(٥) الخطيب : كتاب الكفاية في علم الرواية / ص ٤٦٦ .

أجزت لك كما سألت ، أو يكتب له ذلك تحت خطه في الصحيفة ^(١) .

النوع الثالث :

وهو أن يكتب الراوى بخطه جزءاً من سماعه أو حديثاً ، يكتب معه الى الطالب :
اني قد أجزت لك روايتك بعد أن صححته بأصلي ^(٢) .

النوع الرابع :

وهو أن يكتب المحدث الى الطالب : قد أجزت لك جميع ماصح ويصح عندك
من حديثي ^(٣) .

النوع الخامس :

وهو أن يأتي الطالب الى الراوى بخبر ، فيدفعه اليه ، ويقول له : أهذا من
حديثك ؟ فيتصفح الراوى أوراقه ، ثم يقول له : نعم : هو من حديثي
فيذهب به الطالب فيحدث به عنه من غير أن يستجيز منه ^(٤) .

ولم تكن الاجازات العلمية مقصورة على رواية الحديث وسماعه واملائه ، بل تعدته
الى العلوم الأخرى كالأدب والتاريخ وغيرها ^(٥) . هذا ولقد شاعت الاجازات العلمية

(١) الخطيب : كتاب الكفاية في علم الرواية / ص ٤٧٧ .

(٢) ن ٤٨٠ ص / ص ٤٨٠ .

(٣) ن ٤٩٢ ص / ص ٤٩٢ .

(٤) ن ٤٩٣ ص / ص ٤٩٣ . ومن صنف في علوم الحديث علماء قسموا الاجازة الى أنواع

تزيد عن ما ذكرناه من كتاب الخطيب البغدادي منهم : ابن كثير : الباعث

الحديث / ص ٩٩ - ١٠٠ . والعسقلاني : نخبة الفكر / ص ٢١٠ ، السيوطي :

تدريب الراوى ص ٢٩ - ٤٠ .

(٥) أحمد شلبي : التربية الاسلامية ج ٥ / ص ٢٦٤ .

في العصر السلجوقي في أصناف العلوم من حديث ولغة وأدب وتاريخ . ولقد نشر أحد الباحثين المعاصرين مصورا عن نسخة خطية لمقامات الحريري ، ظهرت وقد سجل عليها إحدى وعشرون اجازة كتب أولاها مؤلف المقامات نفسه^(١) ، ويذكر ياقوت : " أنه لم تكن تصدر من المقامات النسخة الأولى في بغداد حتى أقبل الوراقون على كتابتها ، والعلماء على قراءتها عليه من شتى الجهات ، ذكرروا أن الحريري وقع بخطه في شهر عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م على سبعمائة نسخة"^(٢).

أما السماع فهو " اللفظ الاصطلاحي الذي يطلق على الشهادات التي تمنح بعد أن يتم الاتصال بين المدرس والطالب فيسمع هذا من ذاك ، ويمنح سماعا يبيح المدرس فيه للطالب أن يروي عنه ما رواه له"^(٣).

ولقد قصد العراق عدد غير قليل من الطلبة والعلماء من البلدان الاسلامية لسماع الحديث من علمائه^(٤) هذا بالإضافة الى حضورهم مجالس العلم والأدب والتاريخ وعلم الكلام في مدارسها ، وسماع الفقه والأصول والتفسير في حلقات العلم بجامع المنصور وغيره من جوامع بغداد ، وكان هؤلاء الطلبة يمكنون زمنا طويلا في العراق للدراسة فلا يفادرونه حتى يحصلوا على الاجازات العلمية من رواة الحديث والأدب والتاريخ واللغة .

-
- (١) أحمد شلبي : التربية الاسلامية ج ٥ / ص ٢٦٤ .
(٢) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٦ / ص ٢٦٧ .
(٣) السيوطي : تدريب الراوي ج ٢ / ص ٤ ، أحمد شلبي : التربية الاسلامية ج ٥ / ص ٢٦٤ .
(٤) ابن الدبيثي : ذيل تاريخ مدينة السلام ج ١ / ص ٢١٨ .

ولعل من المناسب أن نعرض لنموذج من الاجازات التي منحت خلال فترة البحث من قبل الحريري صاحب المقامات ونصها كالاتي : " سمع عني المقامات الخمسين التي أنشأتها الشيخ أبو المعمر المبارك أحمد بن عبد العزيز الأنصاري أحسن الله توفيقه ، وكتب القاسم بن علي بن محمد بمدينة السلام في شعبان سنة ٥٠٤ هـ وقد أجزت له رواية جميع مالي من مسوع " (١).

وهناك نص اجازة آخر يعود الى القرن السادس الهجري يمكن ايراد على سبيل المثال وهو " أذنت للشيخ الجليل المقرئ الأديب أبي القاسم نصر بن سعيد بن أحمد بن سميع الموصلي أن يروي عني على سبيل الاجازة فأصبح عنده ما يضح من مقرواتي وسموعاتي التي أخذت روايتها عن المشايخ والثقات من الكتب الأدبية وكتب التفاسير والاعراب والمغازي وما أملتته وصنفته من المسائل النحوية واللغوية وغير ذلك من فنون العربية فليرو ذلك عني على طريقة الاجازة واني يرى من السهو والتعريف والغلط والتصحيح وكتب هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسيني في جمادى الآخرة من سنة أربعين وخمسة " (٢).

أما النعمان البغدادي (المتوفي عام ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ م) فقد أورد في مشيخته نماذج كثيرة لسماعاته من مشايخه هذا أحد نصوصها " أخبرنا أبو محمد اسماعيل بن محمد بن علي السمدى اجازة ، أنا أبو البدر ابراهيم بن محمد بن منصور الكرخي قراءة عليه وأنا أسمع سنة خمس وثلاثين وخمسة ندى القعدة بالكرخ " (٣).

-
- (١) أحمد شلبي : التهمة الاسلامية ج ٥ / ص ٢٦٤ .
 (٢) حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي / ص ٣٧٤ . عن ابن الشجري : أمالى الشجري . مخطوط في مكتبة الأوقاف ببغداد برقم ٥٦٦٢ .
 (٣) النعمان البغدادي : شيخة النعمان البغدادي / ص ١٢٥ . كما وأنظر النماذج الأخرى للاجازات ص ص ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٣ ، ١١٨ .
 كما أنظر : أبو اسحاق الشيرازي : طبقات الفقهاء من ص ١٨١ - ١٨٧ ، حسين أمين : الدراسة المستحصية ص ص ١٥٠ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ .

ثالثا : التعليم النظامي ومدارس العراق في العصر السلجوقي :

يعد العصر السلجوقي عصر انتشار المدارس في العالم الاسلامي وخصوصا
في العراق .^(١)

والذي تجدر الاشارة اليه هو أن المدارس في العراق خلال هذا العصر أصبحت
أهم وأعظم أماكن التعليم . فلقد غصت المدارس النظامية ومدرسة الامام أبي حنيفة
وغيرها من مدارس العراق في هذا العصر بالآلاف من طلاب العلم من مختلف أنحاء
العالم الاسلامي ، ممن كانوا يفدون للدراسة في هذه المدارس ، وخاصة نظامية
بغداد بما كانت توفر وتيسر لطلابها من وسائل الراحة وأسباب العلم .

وجد بالذکر أن المدرسة النظامية ببغداد لم تكن أول مدرسة أنشئت في ديار
الاسلام ، فقد أنشئت قبلها في المشرق الاسلامي مدارس أخرى ، يقول السبكي
في ترجمته لنظام الملك : " وشيخنا الذهبي زعم أنه أول من بنى المدارس ، وليس
كذلك ، فلقد كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك ، والمدرسة
السعدية بنيسابور أيضا ، بناها الأمير نصر بن سيكتكين أخو السلطان محمود ،
ومدرسة ثالثة بنيسابور بناها أبو سعد اسماعيل بن علي الاستراباذي الواعظ
الصوفي "^(٢)

(١) ذكر ابن جبير أن المدارس ببغداد وحدها خلال هذا العصر كانت نحو من
ثلاثين مدرسة . ابن جبير : الرحلة / ص ٢٠٥ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٣١٣-٣١٤ . وذكر المقرئ أن " . .
المدارس ما حدث في الاسلام ، ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين
وانما حدث عطفها بعد الأربعمئة من سني الهجرة ، وأول من حفظ عنه أنه
بنى مدرسة في الاسلام أهل نيسابور ، فبنيت المدرسة البيهقية ، وبنى بها
الأمير نصر بن سيكتكين مدرسة ، وبنى بها أيضا المدرسة السعدية ، وبنى بها
أيضا مدرسة رابعة . المقرئ : الخطط ج ٢ / ص ٣٦٣ على أن الصفدي يذكر أنه
بنيت في نيسابور مدرسة لأبي بكر محمد بن فورك المتوفى عام ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م =

على أن نظام الطك يعد أول من قدر المعاليم للطلبة^(١) إضافة الى توسعه الكبير في انشاء المدارس في عدد كبير من مدن العراق والمشرق الاسلامي ، ولم تكن المدارس التي أنشئت قبل ذلك تقدر لطلبته المعاليم^(٢) ، قال أبو الوفاء فسي الفنون : ان " أيامه التي شاهدناها تربي على كل أيام سمعنا بها فأبهرت العقول سيرته جودا وكرما وعدلا ، وأحياء لمعالم الدين ، بنى المدارس ، ووقف الوقوف وكانت سوق العلم في أيامه قائمة ، والنعم على أهلـه داره " .^(٣)

الصفدي : الوافي بالوفيات ج ٢ / ص ٣٤٤ ، كما يقول ناجي معروف : " كما يتبين بعد الدراسة أن النظامية مدرسة أبي حنيفة لم تكونا أول المدارس الاسلامية ، وإنما أنشئ قبلهما فيما وراء النهر وخراسان مدارس عديدة قبل النظامية بأكثر من ١٦٥ سنة ، فقد جاء في تاريخ بخاري (ص ١٢٨) أن اسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان (المتوفى عام ٢٩٢ هـ / ٩٠٧ م) كانت له مدرسة كان يقصدها طلاب العلم ليستكملوا دراستهم فيها ويبحثوا بدار كتبه التي وقف عليها الأوقاف " . كما أشار في كتابه مدارس قبل النظامية الى ٣٣ مدرسة أنشئت قبل النظامية في المشرق الاسلامي في نيسابور وخرارى وغزنة وطوس وموشنج ، أقدمها أنشئت سنة ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م وهي مدرسة حسان القرشي الأموي بنيسابور ، ولقد قام بإنشاء هذه المدارس العلماء العرب والمسلمون وأماؤهم في المشرق الاسلامي والذين شرعوا في انشاء المدارس المستقلة عن المساجد منذ أواخر القرن الثالث الهجري . أنظر :

ناجي معروف : مدارس قبل النظامية / ص ٨ - ٦٢ - ٦٧ .

(١) المعاليم : هي المرتبات أو الجرايات . ناجي معروف : التوقيعات التدريسية مقالة مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد - عدد (٦) ص ٢٧ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٣١٤ .

(٣) ن ٤٠٠ ص / ج ٤ / ص ٣١٨ .

ولقد انتشرت النظاميات في العراق والمشرق الاسلامي بعد انشاء نظامية بغداد ، يقول السبكي في حديثه عن نظام الملك " وني مدرسة ببغداد ، ومدرسة ببلخ ، ومدرسة بنيسابور ، ومدرسة بهراة ، ومدرسة بأصبهان ، ومدرسة بالبصرة ومدرسة بمرو ، ومدرسة بآمل طبرستان ، ومدرسة بالموصل . ويقال : ان لــــه في كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة " (١)

ولقد تعرض الكثير من الباحثين الى الأسباب التي دعت نظام الملك الى انشاء النظاميات (٢) كما ناقش الموضوع العديد من الباحثين المحدثين (٣)

ويمكن القول بأنه لم تقتصر دوافع انشاء المدارس النظامية على سبب واحد ، بل كانت هناك جملة أسباب مجتمعة دفعت نظام الملك الى الاقتناع بالفكرة والاسراع الى انشاء هذه المدارس في بغداد والمشرق الاسلامي . وهذه الأسباب كانت عقيدية بالدرجة الأولى ، اضافة الى أسباب سياسية وشخصية .

لاشك أن دخول السلاجقة بغداد كان انتصارا عظيما لمذاهب أهل السنة على المذهب الشيعي الاسماعيلي الذي كان مهيمناً على الحياة السياسية والدينية في العراق والمشرق الاسلامي في العصر البويهي ، فان الوضع السياسي والديني المضطرب الذي خلفه البويهيون بالعراق والمشرق الاسلامي أثناء سيطرتهم على

-
- (١) السبكي : طبقات الشافعية ج٤ / ص ٣١٣ .
(٢) الطرطوشي : سراج الملوك ص ٢٦٧ ، السيوطي : حسن المحاضرة ج٢ / ص ١٨٥ .
(٣) منهم ناجي معروف : علماء النظاميات / ص ١٦ ، مصطفى جواد : المدرسة النظامية ببغداد . مقالة مجلة سومر المجلد ٩ ج٢ / ص ٣١٧ ، معبوضه : الحركة العلمية في المائة الخامسة الهجرية مقالة مجلة الأستاذ المجلد ١١ ص ٣٥٦ . ويذكر مصطفى جواد أن الدكتور أسعد طلمس كان أفضل الباحثين ممن درسوا هذه المدرسة عن انشائها ووصفها ، ونظام التعليم بها . أنظر : مصطفى جواد : المدرسة النظامية ببغداد ، مقالة مجلة سومر المجلد ٩ / ص ٣٢٤ .

الخلافة العباسية ومحاولتهم القضاء عليها^(١) وعلى مذاهب أهل السلف ونشر المذهب الشيعي^(٢) قد دفع بالسلاجقة وعدد من العلماء الى الوقوف بوجه الدعاية الاسماعيلية، والدفاع عن صفاء العقيدة الاسلامية السلفية ، واعطاء الحرية لعلماء أهل السنة وفقهائهم للدفاع عن وجهات نظرهم والرد على خصومهم الذين كانوا قد ضيقوا عليهم كثيرا . فوجد السلاجقة خصوصا ، نظام الملك ، أنه لا مناص من القيام بعمل مضاد ومنظم من أجل القضاء على الأفكار التي نشرتها الباطنية ودعوتها السرية ، وذلك

(١) لقد سلك الشيعة مسالك سياسية ودينية باطنية في محاولة يائسة للقضاء على الخلافة العباسية السنية وابدأها بخلافة سياسية ودينية شيعية ، وقد حاول معز الدولة بن بويه نقل الخلافة الى أحد العلويين واقامة خلافة شيعية في بغداد والقضاء على الخلافة العباسية ، فحذره خواصه من سخط الناس ومخالفتهم فقالوا له " انك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ، ومستی أجلس بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته ، فلو أمرهم بقتلك لفعلوا " . أنظر : ابن الأثير : الكامل ج ٢ / ص ١٦٣ .

ولعل الذي كان يردعهم من تنفيذ ذلك اعتبارات سياسية فهم يعلمون تماما مدى ولائ الأمة الاسلامية للخليفة العباسي ومعاداتهم لمن يعتسدي عليه . أنظر :

الدوري : دراسات في العصور العباسية المتأخرة / ص ٢٤٨ .

(٢) يقول ابن الأثير في ذلك " وكان من أعظم الأسباب في ذلك أن الديلم كانوا يتشيعون ويغالون في التشيع ويعتقدون أن العباسيين قد غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها ، فلم يكن عندهم باعث ديني يحثهم على طاعة " . أنظر :

ابن الأثير : الكامل ج ٦ / ص ٣١٥ .

ليحرروا عقول الناس مما قد علق بها من مبادئ وأفكار مضللة من تأثير الدعوة الباطنية للمذهب الشيعي . ورأوا أن نشر العلم واستعمال المنطق وأساليب الجدل العقلي وعلم الكلام ، وهو السلاح الذي استخدمته الاسماعيلية ، خير طريق لذلك ، فإذا ما أُتيح للناس أن يتعلموا مبادئ الدين الحق فهم بلا شك سيعرفون الهدى من الضلال . ثم ان الدعوة الباطنية كانت قد انتشرت كما أسلفنا في العراق وبلاد الشام وخراسان وفارس وتسربت الى نفوس الكثير من العامة ، وظهر بوضوح أثر وخطورة جناحها الفعال " الحشاشون " بقيادة الحسن الصباح .

ان نظام الملك ، وهو المسئول الأول عن توجيه سياسة دولة السلاجقة ، والمؤثر الفعال في سياسة الدولة العباسية ، كان لابد له من أن يسلك طريقا مضمونا وملائما لمواجهة مثل هذه الحركات الهدامة ، ذلك انه لم يكن من السهل إيقاف الدعوة الباطنية من الانتشار ، ذلك أن جذورها قد تغلغلت في المجتمع الاسلامي ، وخاصة بين العامة وأصحاب الحرف والأصناف . وكان على نظام الملك أن يمنع هذه الحركة من بث سمومها وأفكارها في جسم الدولة الاسلامية . فحارب هذه الحركة بنفس سلاحها ، ذلك انه استهدف من وراء التوسع في بناء المدارس النظامية في العالم الاسلامي نشر علوم الشريعة وتصحيح العقيدة ومناقشة مسائل الخلاف بأساليب المنطق التي اقتصر استعمالها قبل ذلك على الشيعة .

وقد أدرك نظام الملك أن استخدام القوة والعنف لا يجدى نفعا في ذلك ، فالحجة لا تقنع الا بالحجة ، والعقل لا يقبل له مناظرا الا العقل ، لأن السيف لا يستطيع أن يمحو الفكرة الفاسدة ، بل ربما أدى الى حصول ردود فعل معاكسة .

لقد أدرك نظام الملك هذه الحقائق ، وتبين له أن ليس عليه الا أن يواجهه خصومه من السبيل الذي سلكوه ، ويفسد عليهم خططهم بتخريب جماعات مسلمة

متقفة ثقافة عالية ، ومزودة بسلاح العلم والايمان معا ، لذلك فانه ماكاد يتسلم منصبه في الوزارة حتى شرع في تأسيس مدارس النظامية في أمهات المدن وحواضر الأمصار ليحقق هذا الهدف النبيل ، وقد عهد بمناصب التدريس في مدارس هذه الى علماء فحول من كانت لهم مقدرتهم العلمية ، ومكانتهم الفكرية فحوى حواضرهم ، حتى يستطيعوا التأثير على العامة ، وحتى يتمكنوا من تخريج رجال مسلحين بسلاح العلم والايمان للوقوف أمام التشيع العلوي والدعوة الباطنية الباطلة ، التي أفسدت العقول ، وأذنت بحصية كاد أن يعم خبثها العالم الاسلامي .

على أن القزويني يسوق لنا خبرا عن فكرة انشاء النظاميات طرأت على ذهن نظام الملك وهو في مدينة نيسابور فيقول : " عندما دخل ملكشاه المدينة مسر بأحد المساجد ، ورأى مجموعة من طلاب الفقه وعلم الكلام فقراء ، وفي ملابس رثة ، لم يحيوه ، ولم يقدموا اليه أيا من فروض الاحترام عندما مر بهم ، فتعجب من هذا ، وسأل وزيره نظام الملك عن يكون هؤلاء ، فأجابه الوزير : انهم قوم طي قدر كبير من الذكاء العقلي ، ولكن تنقصهم الثروة ، وعرف نظام الملك أن كلماته مست شفاف قلب الملك ، واستمالته الى جانب هؤلاء الطلاب الفقراء " (١) ولقد ناقش رهبيرا هذا الخبر ، وجعله ضمن أسباب أخرى دفعت نظام الملك الى انشاء نظامياته وأضاف رهبيرا الى نص القزويني تكملة دون أن يوضح مصدرها " اذا سمح لي السلطان يمكن أن نقيم مبنى نزوده بما هو ضروري لكي يعيشوا فيه ، ثم يمكن أن ينصرفوا كلية الى الدرس والصلاة ، وأظهر السلطان موافقته ، واستغل نظام الملك استعداد السلطان ، فأصدر أمره بأن تقام المدارس في كسل أنحاء الدولة " (٢) . وليس لدينا في المصادر الموثقة عن الفترة ما يؤكد ما ذهب اليه

(١) القزويني : آثار البلاد / ص ٤١٢ .

(٢) خوليان رهبيرا : التربية الاسلامية في الأندلس / ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

القزويني ، أو ما يدعم اضافة ريبيرا أو مقترحاته بهذا الخصوص ، كما أن أحدا من المصادر التاريخية لم يذكر ان السلطان ملكشاه كان قد أمراً واستحسن أو أقر فكرة انشاء هذه المدارس ، بل ربما يكون العكس هو الصحيح ، فقد ذكرت بعض المصادر أن السلطان قد استجاب لوشاية البعض ، وعتب على نظام الملك بسبب انشائه لمدرسته وصرفه الأموال عليها^(١) . وعلى كل حال فان ريبيرا ينبغي أن تكون فكرة انشاء المدرسة النظامية قد جاءت وليدة أفكار الوزير نظام الملك وحده بل انه يعزو الفكرة الى من أشار عليه وساعده في ذلك . حيث ان انشاءها ووضع مناهجها وسير التعليم فيها يحتاج الى عدد من العلماء والمتخصصين في ذلك^(٢) . ومن المستطاع التفكير بوجود احتمال اضافي يمكن خلف انشاء النظاميات ، ذلك انه حينما ضعفت الخلافة العباسية ، وأصبحت مقاليد الأمور عمليا في يد السلاطين والأمراء من الديلم والترك ، أصبح هؤلاء في حاجة الى اكتساب قلوب العامة ، باعتبارهم ممثلين لحكومة الخلافة أمام الناس ، ورأوا أن أقرب السبل الى ذلك هو اكرام العلماء ، وفتح المدارس والربط ليظهروا أمام الرأي العام بأنهم رعاسة الشريعة وعلومها ، فيكسبون بذلك تأييد العامة ورضا الخاصة ، ولعل ذلك احتمال لا يستهان به عند محاولة استبطان الأسباب التي دفعت نظام الملك الى انشاء نظامياته .

لقد أنفق الوزير نظام الملك كثيرا من الأموال على المدارس ، وأغدق عليها الكثير منها فأكثر الواشون على السلطان ملكشاه بالوشاية عليه وقالوا : " ان الأموال التي ينفقها نظام الملك في ذلك تقيم جيشا يركز رايته في سور القسطنطينية " . وقد عاتب السلطان ملكشاه وزيره نظام الملك على ذلك فأجابه بقوله : " يابني ، أنا

(١) الطرطوشي : سراج الملك / ص ٢٦٧ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٢ / ص ٢٧٠ .

(٢) ريبيرا : التربية الاسلامية في الأندلس / ص ٢٥٨ .

شيخ أعجمي ، لو نودي على فيمن يزيد لم أحفظ خمسة دنانير وأنت غلام
تركي لو نودي عليك عساك تحفظ ثلاثين دينارا وأنت مشتغل بلذاتك ،
منهمك في شهواتك ، وأكثر ما يصعد الى الله معاصيك دون طاعتك ، وجيوشك
الذين تعدهم للنواب اذا احتشدوا كافحوا عنك بسيف طوله ذراعان ، وهم
مع ذلك مستغرقون في المعاصي والخمور والملاهي والطنبور وأنا أقمت
لك جيشا يسمى جيش الليل ، اذا قامت جيوشك ليلا قامت جيوش الليل على
أقدامها صفوفا بين يديهم ، فأرسلوا دموعهم ، وأطلقوا ألسنتهم ، ومدوا الى
الله أكفهم بالدعاء لك ولجيوشك ، فأنت وجيوشك في خفارتهم تعيشون ، ومدعائهم
تهمتون ، وهركاتهم تمطرون وترزقون ، فقبل ملكشاء وسكت" (١).

ولعل التعصب الديني ونصرة المذهب وتأيينه كان من الأسباب التي دفعت
نظام الملك الى انشاء نظامياته . فالسلاجقة كانوا متعصبين لمذهبهم الحنفي ضد
المذاهب الأخرى خصوصا الشافعية والأشاعرة ، وقد مر بنا الحديث عن فترة
الاضطهاد المذهبي التي تعرض لها كل من امام الحرمين الجويني ، وأبي القاسم
القشيري ، وجماعتهما من الشوافع بنيسابور ، والتي نتج عنها هجرة أعداد كبيرة
منهم الى العراق وايران والحجاز . وقد استقر الجويني بمكة المكرمة ، ولم يستطع
القشيري العودة الى نيسابور الا بعد عشر سنوات (٢).

هذه الحادثة كان لها أثر كبير على نفسية نظام الملك الشافعي الذي كان
يتدرج في المناصب حتى أصبح وزيرا للدولة السلجوقية ، وذلك بعد اعتقال أبي نصر
الكندري ثم وفاته سنة ٤٥٧ هـ / ١١٩٤ م (٣).

(١) الطرطوشي : سراج الملوك / ص ٢٦٧ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ١٥٨ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٢ / ص ٢٧٠ - ٢٧٨ .

(٣) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٣٢ .

ويحاول البعض اظهار نظام الملك يحظر المدافع عن المذهب الشافعي المتعصب له ، وأن محنة الشوافع في نيسابور كان لها عظيم الأثر في نفسيته كدافع من دوافع انشاء المدارس النظامية ، وجعل الدراسة فيها على مذهب الامام الشافعي ، تعصبا ونصرة له على المذاهب الأخرى ، يقول ابن العديم : " وكان نظام الملك يتعصب للشافعية كثيرا ، فكان يولي الحنفية القضا " ، ويولي الشافعية المدارس ، ويقصد بذلك أن يتوفر الشافعية على الاشتغال بالفقه ، فيكثر الفقهاء منهم ، ويستغل القضاة بالقضا فيقل اشتغالهم بالفقه ويتعطلون " (١) . على أنه مهما قيل عن التزام الوزير نظام الملك بوجهة نظر المذهب الشافعي ، ورغبته في نشره ، وبناء المدارس باسمه ، فإنه من غير المعقول أن يكون في موقف المتصارع مع وجهة السلطنة السلجوقية من جهة والخلافة العباسية من جهة أخرى ، وعلى حساب مصلحة الأمة وتنافس أصحاب المذاهب وإثارة الاضطراب بينها . أضف الى ذلك أن قبول هذه العقولة يدفع الى التناقض مع موقف نظام الملك من الدعوة الاسماعيلية ، وخطئه الواضحة في سبيل تحجيم خطرهما والاعداد للقضاء على خططهما وشروعهما . ويتضح ذلك تماما من خطاب نظام الملك الى مدرس النظامية أبي اسحاق الشيرازي اثر فتنة قامت بين الشوافع والحنابلة سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م فقد جاء فيه : " ورد كتابك بشرح أطلت فيه الخطاب ، وليس توجب سياسة السلطان وقضية العدالة الى أن نميل فــــى المذاهب الى جهة دون جهة ، ونحن بتأييد السنن أولى من تشييد الفتن ، ولم نتقدم ببناء هذه المدرسة الا لصيانة أهل العلم والصلحة لا الاختلاف وتغريب المسق الكلمة " (٢) .

وعلى كل حال فإن التزام الوزير نظام الملك بالمذهب الشافعي ربما كان من بين الأسباب التي دفعته الى انشاء المدارس النظامية ، والتي جعلها لهم أصلا وفرعا .

(١) ابن العديم : بغية الطلب / ص ٨٥ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٢ / ص ٢٢٠ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٣١٢ .

ومما يدعم هذا الاحتمال ما أقدم عليه أعيان الدولة السلجوقية الأحناف ، إذا ما
كاد يسمع العميد شرف الملك أبوسعبد محمد بن منصور الخوارزمي مستوفي مملكة
السلطان ألب أرسلان عن إنشاء نظام الملك مدرسة للشوافع ببغداد حتى قدم
اليها ، وأمر بإنشاء مدرسة للحنفية عند مشهد الامام أبي حنيفة النعمان ، فبنيت
وعين لها مدرس ، ورتب فيها الطلاب وافتتحت قبل النظامية بأربعة أشهر^(١) .

والحق أن إنشاء نظام الملك للمدارس النظامية وانتشارها في المشرق الاسلامي
قد حقق الفرض من ذلك ، وأثمر نتائج ايجابية حققت أهداف نظام الملك
والقائمين على السلطة في الدفاع عن الشريعة والعقيدة بوجه عام ضد الهجمات
الشرسة التي باشرها الباطنية بشكل منظم ، والذين استخدموا سلاح العلم فيها .

لقد أدرك نظام الملك أن استخدام القوة والعنف ضد العقل والقلم لا يجدى
نفعاً أمام موجة الخطر العارمة ، لذلك فانه صمم على تربية جيل من الدعاة
والعلماء المهيباً كل منهم لعملية الدفاع عن الفكر الاسلامي ، وصد قوى البغي
والضلال .

وقد ساعدت هذه المدارس على نشر الثقافة والعلم ، وأمدت أجهزة الدولة
بالعناصر المتعلمة المثقفة والتي كان لانضمامها الى جهاز الدولة آثاره البعيدة
على دقة التنظيم ، كما أن هذه المدارس قد أمدت المدارس التي أنشئت فيما بعد
بعناصر مؤهلة من العلماء والأساتذة الكبار ، قدم بعضهم من بلاد الأندلس
والمغرب حيث تلقوا علومهم في المدارس النظامية ، ثم رجعوا الى بلادهم
للتدريس في المساجد والمدارس التي ظهرت هناك . أضف الى ذلك أنه قد ظهر
من بين أساتذة النظاميات رجال فكر عظماء ، أثروا المكتبة الاسلامية بعدد كبير

(١) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٣٤ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص

من المؤلفات في علوم الشريعة واللغة والأدب والتاريخ والمنطق والجدل . وقد بقيت نظامية بغداد زهاء ثلاثة قرون منارا للعلم ومثالا لطلابه ومجما لرواد الفكر^(١).

انشاء المدرسة النظامية ببغداد ، شرطها ، موقعها :

ان أول مؤسسة علمية متخصصة في ديار الاسلام ، استهدفت غاية محسنة ، وأفردت لتدريس العلوم والشريعة والأدب ، وهيأت للطلاب أسباب العلم الميسرة ورفاهية العيش ، وأصبحت مثالا لما قام بعدها من دور العلم ، هي المدرسة النظامية التي بناها الوزير نظام الملك سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٤م^(٢).

ولقد تعرضت أغلب المصادر التاريخية المعاصرة لبناء هذه المدرسة وفتنح أبوابها لطلبة العلم والمعلومات التي تقدمها هذه المصادر عن هذا الحدث تكاد تكون متطابقة ، يقول سبط ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٥٩هـ / ١٠٦٦م : " وفي شهر ذي القعدة جمع أبو سعيد القابني الناس على طبقاتهم الى المدرسة النظامية التي كان نظام الملك قد بناها برسم أبي اسحاق الشيرازي ... " ^(٣).

- (١) ذكر ابن قاضي شهبدة في ذكره لغياث الدين محمد بن محمد بن عبد الله العاقولي الشافعي (المتوفى عام ٧٩٧هـ / ١٣٩٤م) أنه درس بالمدرسة النظامية . جواد : المدرسة النظامية ببغداد ، مقالة مجلة سومر - المجلد ٩ ج ٢ ص ٣٢٧ ، عن ابن قاضي شهبدة : ذيل تاريخ الذهبي - الورقة ١١١ نسخة دار الكتب الباريسية برقم ١٥٩٨ .
- (٢) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٣٢ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٠٣ ، المقرئ : الخطط ج ٢ / ص ٣٦٣ .
- (٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ١٣٥ ، وأنظر كذلك عن المدرسة وافتتاحها : الأصفهاني : خريدة القصر ج ٤ / ص ١٢٩ ، البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٣٥ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٠٣ ، الذهبي : تاريخ دول الاسلام ج ١ / ص ٢٦٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ١٢٨ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٣١١ ، ابن العديم : بغية الطلب / ص ٦١ ، ابن النظام الحسيني : العراضة في الحكاية السلجوقية / ص ٧٥ ، اليافعي : مرآة الجنان ج ٣ / ص ٨٣ ، ابن العماد : الشذرات ج ٣ / ص ٣٠٧ .

أما ابن الجوزي فقد أشار إلى شرط المدرسة النظامية خلال حديثه عن أخلاق وأعمال نظام الملوك فقال : " وكان له الحلم والوقار ، وأحسن خلاله مراعاة العلماء ، وترتيبه العلم ، وبناء المدارس والرباطات والوقوف عليها ، وأثره العجيب هذه المدرسة ووقوفها الموقوف عليها ، وفي كتاب شرطها أنها وقفت على أصحاب الشافعي أصلاً وفرعاً ، وكذلك الأملوك الموقوفة عليها شرط فيها أن تكون على أصحاب الشافعي أصلاً وفرعاً ، وكذلك شرط في المدرس الذي يكون بهما والواعظ الذي يعظ بهما ومتولي الكتب ، وشرط أن يكون فيها مقرر يقرأ القرآن ، ونحوه يدرس العربية " (١).

ومع الشهرة الكبيرة التي تمتعت بها المدرسة النظامية في بغداد نرى أن المصادر التاريخية المختلفة لم تحدد موقع هذه المدرسة تماماً (٢) إنما أوردت إشارات عابرة حول ذلك لم تؤد إلى تحديد موقع المدرسة (٣) وقد ذهب أحد الباحثين المعاصرين إلى أن المدرسة النظامية كانت تقع على شاطئ نهر دجلة فوق دار الخلافة العباسية ، بينها وبين المستنصرية ، وقد عمرت على جزء من دار مؤنس المقتدرى (٤) التي كانت على دجلة في الجانب الشرقي من بغداد (٥) . ويؤكد مصطفى جواد أن المدرسة النظامية لم تكن على دجلة ، وإنما كانت سوق النظامية وعمارات شاطئية تفصل بينهما (٦) .

-
- (١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٦٦ .
(٢) كتب مصطفى جواد بحثاً متعمقاً عن المدرسة النظامية ببغداد . مجلة سومر - المجلد ٩ ج ٢ ص ٣١٧ - ٣٤٢ .
(٣) الطرطوشي : سراج الملوك / ص ٢١٦ ، ابن الفوطي : مجمع الآداب ج ٥ / ترجمة ١٢٧٧ .
(٤) ابن الفوطي : مجمع الآداب ج ٥ / ترجمة ١٢٧٧ .
(٥) ناجي معروف : علماء النظاميات / ص ١٩ .
(٦) مصطفى جواد : المدرسة النظامية ببغداد ، مقالة مجلة سومر مجلد ٩ / ج ٢ / ص ٣٤٠ .

ولقد أشرف على بناء هذه المدرسة العميد أبو سعيد أحمد بن محمد النيسابوري الصوفي^(١) ويبدو أن بناء هذه المدرسة كان بناءً محكمًا ، قال ابن جبير عنها أثناء حديثه عن بغداد " والمدارس بها نحو الثلاثين وهي كلها بالشرقية ، وما منها مدرسة إلا وهي يقصر القصر البديع عنها ، وأعظمها وأشهرها النظامية^(٢) " ولقد شاهد ابن بطوطة المدرسة النظامية أثناء زيارته لبغداد سنة ٨٢٨ هـ / ١٤٢٤ م ، وقال " وأعظم أسواقها سوق يعرف بسوق الثلاثاء ، كل صناعة فيها على حده . وفي وسط هذا السوق المدرسة النظامية العجيبة التي صارت الأمثال تضرب بحسنها^(٣) .

أما هيكل البناء ومتانته والتخطيط واتقانه فيقول عنه الألويسي " ولا تسلم عما كانت عليه من الطافة الوضع واتقان الصنع . . . كانت مستطيلة البناء متناسبة الزوايا والأرجاء ، فيها محل واسع للدروس ، وآخر مثله معد للذاكرة ولترويح النفوس ، ومصلاها يسع من المصلين الألوف ، وفيها مواضع لرؤساء العلم والمدرسين وأئمة للذخائر وأدوات الطبائخين ، وكانت تشمل على طبقتين من البناء وفيها من الحجر والبيوت عدد كثير ، وقد أشار أحد الباحثين دون أن يحدد مصادر معلوماته إلى أن عدد غرفها التي كانت معدة للطلاب والمتعلمين لكل قسم من أقسام العلوم ثلاثمائة وخمس وستون غرفة ، هذا عدا قاعات التدريس ومحافل المطارحات العلمية وأماكن الراحة^(٤) " وكانت المدرسة مرفوعة الجدران مشيدة الأركان ، قد عقد فسي

(١) أبو سعيد أحمد بن محمد النيسابوري (المتوفى عام ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م) تولى بناء المدرسة النظامية مكان نظام الملك ، ويذكر أنه خان وتصرف في مال البناء ، وعلم بذلك نظام الملك ، وهرب أبو سعيد إلى البصرة ثم عاد إلى بغداد نادم على قراره واعتذر لنظام الملك فقال له النظام " ليس حزني على المال السذي اختنته أنت أو غيرك ، إنما آسني على الزمان الذي فات ولا أستطيع رده ، أردت أن يكون بناء المدرسة محكما مثل المسجد المنصوري والمارستان العضدي " أنظر: ابن الأثير: الكامل ج ٨ / ص ١٢٤ ، سعيد النفيسي : المدرسة النظامية في بغداد ج ١ م ٣ / ص ١٤٥ . عن هند وشاه : تجارب السلف .

(٢) ابن جبير: الرحلة / ص ٢٠٥ .

(٣) ابن بطوطة : الرحلة / ص ٢١٩ .

(٤) كرد علي : نظام الملك والمدرسة النظامية ، مقالة مجلة المقتطف مجلد ٢٧ سنة ١٩٠٢ م ص ٦٣٣ .

جوانبها طاقات مستديرة الشكل تنتهي الى ذلك البنيان المشيد ، وقد فرشست
ساحاتها بالمرمر وسورها مؤزر بمثله ^(١) .

أما مكتبة المدرسة فيبدو أنها كانت تتألف من مبنى كبير يضم خزانة حوت
على آلاف المجلدات ، بالإضافة الى صالات للقراءة والدروس ، ومن الجدير بالذكر
أن عمارة هذه المكتبة قد جددت في عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي وذلك
في عام ٥٨٩هـ / ١١٩٣م ^(٢) .

أوقاف المدرسة ونفقاتها :

ولقد أنفق نظام الملك على انشاء المدرسة النظامية ببغداد الكثير من الأموال ،
ويمكن تصور تلك المبالغ من خلال وشاية أعدائه لدى السلطان ملكشاه حين قالوا :
" ان الأموال التي ينفقها نظام الملك في ذلك تقيم جيشا يركز رايته في سـ
القسطنطينية " ^(٣) . على أن أحد الباحثين المحدثين ذكر أن ما أنفق على انشاء
المدرسة النظامية ببغداد يقدر بـ مائتي ألف دينار ^(٤) .

وبعد الانتهاء من عمارة المدرسة النظامية ببغداد أوقف نظام الملك وقوفاً
عظيمة محبسة لغرض الانفاق منها على عمارتها ودورها ، ومن أجل صرف
الجزايات على أربابها من المدرسين والعلماء والطلبة .

-
- (١) الألوسي : تاريخ ساجد بغداد وآثارها / ص ١٠٣ . دون أن يذكر مصادر
معلوماته .
(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٩ / ص ٢٢٩ .
(٣) الطرطوشي : سراج الملوك / ص ٢٦٧ .
(٤) الجامعة المصرية : مقالة مجلة المقتطف المجلد ٣١ ج ١١ / ص ٨٧٤ ،
سعيد نفيسي : المدرسة النظامية في بغداد ، مجلة المجمع العلمي العراقي
مجلد ٣ ج ١ / ص ١٤٧ .

وقد ذكر ابن الجوزي أخبار وقف المدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٦٩ م فقال : " ان الأمير العميد أبا نصر قد جمع " الوجوه الى المدرسة النظامية ، وقرئت كتب وقفيتها ووقف كتب فيها ووقف ضياع وأملاك وسوق ابتيت على بابها . . . (١) ، وقال الطرطوشي : " متى حولها أسواقا تكون محبسة عليها ، وابتاع ضياعا وحمامات ومخازن ودكاكين أوقفها عليها " (٢) .

وكان شيخ الشيخ أبو سعيد الصوفي النيسابوري (المتوفى عام ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م) هو الذي تولى بناء وقف النظامية ، بالإضافة الى إشرافه على بناء المدرسة . (٣) ولقد تولى أوقاف هذه المدرسة عدد من الأكابر والعلماء بعد أبي سعيد النيسابوري ، وكان هذا المنصب يوكل به عادة الى وجوه القوم ، فقد ذكر ابن الساعي في حوادث سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م " وفيه رد النظر في وقف المدارس جميعها والوقوف العامة الى قاضي القضاة " (٤) . ومن تولى أوقاف النظامية ابن السراج (المتوفى عام ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م) ، والحسن بن سعد بن حسن الخوجي (المتوفى عام ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م) ومحمد بن عبد اللطيف بن محمد الخجندی (المتوفى عام ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م) . (٥) (٦) (٧)

ولقد غدت المدرسة النظامية ببغداد واحدة من أعظم مآثر السلاجقة ، ومنارا لخدمة العلم والعلماء . ولقد طبقت شهرة هذه المدرسة الآفاق ، واشتهرت

-
- (١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٢٥٦ .
 - (٢) الطرطوشي : سراج الملوك / ص ١٢٨ .
 - (٣) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٤٤ .
 - (٤) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٢٠ .
 - (٥) ناجي معروف : علماء النظاميات / ص ٣٣ .
 - (٦) السبكي : طبقات الشافعية ج ٧ / ص ٦٠ .
 - (٧) ن ٢٠٠ م / ص ٦ / ١٣٤ ، الأشرف الفساني : العسجد السبوك ج ١ / ص ٢٣٧ .

بمكانتها العلمية ، وما تقدمه لمنسوبيها من أساتذة وتلامذة وإداريين من خدمات جليلة* فقد خصص منشؤها وظائف وجرايات لكل من أقام فيها من طلبة العلم ، وقام بمؤونة أطعمتهم وملابسهم وفرشهم وسرجهم وغير ذلك من ضروريات معاشهم^(١).

وكان نظام الملك ينفق على ذلك الكثير من الأموال ، فقد بلغت نفقاته على النظاميات والربط والتكيا من ماله الخاص مبلغ ستمائة ألف دينار^(٢).

وهكذا كانت المدرسة النظامية أولى المدارس في ديار الاسلام اهتماما بمنسوبيها في دراستهم وفي معاشهم وسكناهم ومتطلباتهم ، ومنذ عهده أصبحت عادة جارية^(٣) في أغلب المدارس ، فكان الطلبة يتسابقون الى الاقامة في المدرسة النظامية فسي بغداد^(٤) لما توفره من علم ميسر وانقطاع الى الدروس وجرايات دائمة* فقد خصص لطلاب العلم وظائف مرتبة^(٥) وأجرى على المتفهمة لكل واحد منهم أربعة أرطال خبز في كل يوم^(٦) ، وعليه فقد توافد الطلاب اليها من أرجاء العالم الاسلامي حتى بلغ عددهم الآلاف^(٧) وكان نظام الملك ينفق عليهم الكثير من الأموال

(١) الألوسي : تاريخ مساجد بغداد وآثارها / ص ١٠٣ .

(٢) الطرطوشي : سراج الملوك / ص ٢٣٨ .

(٣) ذكر ابن الفوطي في ترجمة كمال الأردبيلي المدرس بالنظامية ببغداد* وقدم بغداد واستوطن دار المدرسين بدهليز النظامية* مجمع الآداب ج ٥ / ص

١٣١ .

(٤) وكان لسكنى المدارس آداب خاصة مرعية يجب أن يلتزم بها ساكنوها . أنظر هذه الآداب في : ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم ص ص ١٩٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٩ ،

٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ .

(٥) ابن النظام الحسيني : العراضة في الحكاية السلجوقية / ص ٧٥ .

(٦) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ١٣٥ .

(٧) سعيد النفيس : المدرسة النظامية في بغداد ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ٣ ج ١ / ص ١٤٧ . دون أن يذكر مصادر معلوماته . ولقد أمدتنا بعض المصادر بأسماء بعض من أقام بالمدرسة النظامية ، منهم أبو اسحاق ابراهيم بن يحيى بن عثمان الكلي الشاعر ، رحل الى بغداد وأقام بالمدرسة النظامية سنين عديدة . ابن خلدان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ٥٨ ومنهم يعقوب =

" ففي سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م دخل نظام الطك مدرسته ، فجلس بها وأمسى الحديث وسمع عليه وسأل عن علماء بغداد فلم يبق من يشار اليه ، وفرق الخلع والمال في الفقهاء وأحسن اليهم ^(١) . وكان يهتم اهتماما كبيرا بالعلماء والمدرسين ، فقد أجرى عليهم وقرر لهم المشاهرات الدائمة ^(٢) .

ادارة المدرسة وسير العمل :

وكان يتولى مصالح المدرسة النظامية ببغداد ادارة خصصت لها ، وقسمت حدد لكل فرد من رجال ادارتها مهام عمله كما كان هناك من يتولى النظر فسي النظامية والاشراف على مصالحها وسير العمل فيها ^(٣) ، وكانت ادارة المدرسة تشرف أيضا على خزانة دار كتبها التي حوت نفائس الكتب ، وكانت مزودة بالحبر والسورق في قاعات رتبته بحيث تكون أفضل مكان للقراءة والاطلاع والنسخ . وقد سبقست الإشارة الى أنه قد جدت عمارة هذه المكتبة على عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م ^(٤) .

وقد تولى الاشراف على خزانة هذه المدرسة خلال عصورها المتتابعة عدد كبير من الخزنة كان الكثير منهم من العلماء المشهورين ^(٥) .

= الكاتب توفي سنة ٥٤٧ هـ . ابن الأثير : الكامل ج ٩ / ص ٣٧ وعل بن منصور بن عبد الله الخطيب اللغوي . ياقوت : معجم الأدباء ج ١٥ / ص ٨١ - ٨٣ ، ومنهم أبو الحناقب محمود الجوزي (توفي سنة ٦٠٥ هـ) . ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٢٧٢ . وأنظر أيضا : ناجي معروف : علماء النظاميات ص ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ .

- (١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٢٤٥ .
- (٢) كرد علي : نظام الطك والمدرسة النظامية . مقالة مجلة المقتطف . المجلد ٣٧ ص ٣٢٢ .
- (٣) تولي ادارة المدرسة النظامية ببغداد عدد من العلماء الكبار . أنظر عنهم : ناجي معروف : علماء النظاميات / ص ٣٣ .
- (٤) ابن الأثير : الكامل ج ٩ / ص ٢٢٩ .
- (٥) سبق الحديث عن خزنة هذه المدرسة في هذا البحث .

التعليم في المدرسة النظامية :

من التخصصات التي كانت تدرس في المدرسة النظامية يتبين أن التعليم فيها كان عدة أقسام ، فكان هناك قسم للاقراء ودراسة القرآن ، وقسم لتعليم الفقه والأصول ، وآخر لتدريس الحديث والوعظ ، وفرع لتدريس اللغة العربية وآدابها . وقد ذكر ابن الجوزي في شرط نظام الملك في مدرسته بحيث أوقفها على الشافعية وجعل ذلك شرطاً لمن ينتظم بها فقال " وكذلك شرط في المدرس الذي يكون بها ، والواعظ الذي يعظ بها وشرط أن يكون فيها مقرأ يقرأ القرآن ، ونحوه يدرس المربية " (١) .

ويستدل من أسماء كبار العلماء في النظامية أن المكلفين بالتدريس فيها كانوا ثلاث طبقات :

١ - المدرسون : (٢)

كان المدرسون في المدرسة النظامية يعينون بمرسوم خاص ، والظاهر أن هذا النوع من المراسيم أو التوقيعات التدريسية لم تظهر إلا بعد إنشاء المدارس في هذا العصر ، وبعد أن خصصت المعاليم للمدرسين ، وكانت هذه العناشير تصدر من الخلفاء أو السلاطين السلاجقة أو الوزراء بتعيين الأساتذة في المدرسة النظامية ، ولقد حفظ لنا القلقشندي نموذجاً لتوقيع تدريس كتب به عن الامام الناصر لدين الله للقاضي محي الدين محمد بسن فضلان ، بتدريس المدرسة النظامية ببغداد سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧م لعل من

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٦٦ .

(٢) حدد القلقشندي وظيفة المدرس بأنه " الذي يتصدى لتدريس العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه والنحو والتصريف ونحو ذلك " . أنظر القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ / ص ٤٦٤ .

المفيد ايراده ان يقول فيه " أحق من أقيضت عليه مجاسد النعم ، وجذب بصنيعه الى مقام التنويه وتقدم القدم ، من أسفر في أفضيه الفضائل صباحه ، وانتشر في العالم علمه وازدهر صباحه . ولما كان الأجل الأوحى العالم محي الدين حجة الاسلام رئيس الأصحاب مفتي الفريقين معبد العلم — أبو عبد الله محمد بن يحيى بن فضلان أدام الله رفعة من نظم فرائد المحامد ، وآوى من العلم والعمل الى ركن شديد ، وثبت قدمه في الديانة رؤى التعويل في تفويض التدريس بالمدرسة النظامية اليه " (١) . وفي سنة ٤٨٣ هـ / ١٠٩٤ م قدم الامام أبو عبد الله الطبري بغداد بتوقيع من نظام الملك بتوليته تدريس المدرسة النظامية ببغداد ، ثم ورد بعده في هذه السنة أبو محمد عبد الوهاب الشيرازي ومعه توقيع آخر بالتدريس في النظامية فاستقر الأمر بينهما أن يدرس الشيرازي يوما والطبري يوما (٢) ويقول ناجي معروف " ويمكننا أن نذكر أن هذه التوقيعات احتوت على أمور تتعلق بمنصب التدريس ، وأهمية المدرس حيث لم يكن يعين للتدريس الا من عرف بعلمه وسداد آرائه وتقواه ، كما أنها تبين للمدرس طريقة التدريس التي ينبغي اتباعها ، وكان يذكر فيها ما يخص للمدرس شهريا من جرايات عينية ومرتبات نقدية ، كما كان يشار في التوقيع الى الأمور الأخرى التي يكلف بالنظر فيها من غير الشؤون التدريسية كالنظر في الوقوف المحبسة على المدرسة التي عين فيها مدرسا " (٣)

-
- (١) القلقشندی : صبح الأعشى ج ١٠ / ص ٢٩٢ .
 (٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٥٢ ، البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ص ٧٨ - ٧٩ . ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٥٣ .
 (٣) ناجي معروف : التوقيعات التدريسية - مقالة مجلة كلية الآداب ببغداد عدد ٦ ص ص ٢٩ - ٣٠ . دون أن يذكر مصادر معلوماته .

وكان لتولية أحد العلماء التدريس بالدراسة النظامية مراسيم معينة تتبع بحيث تخلع عليه أهبة^(١) "سودا"، وطرحه كحلية، ويذهب في موكب إلى المدرسة ويحضر عنده أرباب الدولة، ويقوم بالقاء دروسه^(٢).

ولقد كان تولي التدريس بالدراسة النظامية بأي فرع من فروعها منصبا مرموقا، يطمح إليه الكثير من العلماء، حتى أن بعضهم كان يغير مذهبه إلى مذهب الإمام الشافعي ليحظى بمنصب التدريس بالدراسة النظامية، كما حصل للوجيه النحوي (المتوفى عام ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م) الذي كان من أتباع مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، والذي وافق على أن ينتقل إلى تبعية مذهب الإمام الشافعي حين اشترط عليه ذلك من أجل تعيينه مدرسا في الدراسة النظامية ببغداد^(٣).

٢ - المعيدون بالدراسة النظامية :

المعيد هو الذي يعيد المحاضرة بعد القاء المدرس لها على الطلبة^(٤). ووظيفة المعيد لم تظهر في تاريخ التعليم عند المسلمين إلا مع ظهور المدارس فالصادر التاريخية لم تورد ذكرا لهذه الوظيفة قبل منتصف القرن الخامس الهجري^(٥)، ولذلك فإن وظيفة (المعيد) ارتبطت غالبا بالمدارس التي ظهرت في هذه الفترة، فلقد ظهر عدد من الطلاب النابغين الذين برزوا في الحلقات في الدراسة النظامية وفي غيرها، وزاد ارتباطهم بمدرسيهم

-
- (١) الأهبة : العدة . ابن منظور : لسان العرب ج ١ / ص ٢١٢ .
 (٢) ابن السامي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٧٩ .
 (٣) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ / ص ١١١ .
 (٤) والمعيد دون المدرس وأرقى درجة من عامة الطلبة ، ذكر ابن جماعة عن المعيد "كانه معين الشيخ على الطلبة" تذكرة السامع والمتكلم / ص ١٥٠ .
 (٥) حسين أمين : المظاهر الحضارية للسلاجقة في العراق وآثارها - مقالة مجلة الأستاذ ، بكلية التربية ، المجلد ١٤ / ص ٣٦٣ .

وتخصصاتهم حتى أصبح لديهم الاستعداد لأن يقوموا بمساعدة أساتذتهم في
القاء الدروس بعدهم على التلاميذ .

وكان المعيدون في المدرسة النظامية يعينون من قبل ناظر المدرسة
وإدارتها ، وكان يشترط في المعيد بالمدرسة النظامية كما هو الحال مع
المدرسين ، أن يكون شافعي المذهب ^(١) . وما تجدر الإشارة إليه أن كثيرا
من المدرسين والأساتذة بالنظامية بدأوا حياتهم العلمية طلابا ثم تحولوا إلى
معيدين ، حيث أصبح لديهم ، بعد التدريب على القاء الدروس ، القدرة
الكافية على الإجابة على أسئلة الطلاب . كما أصبح لديهم من الكفاءة
العلمية ، ما أهلهم لأن يدرجوا على طريق التخصص بين أقرانهم ممن
يدرّسون بالمدرسة النظامية .

وقد ذكرت المصادر التاريخية عددا من أسماء المعيدين بالمدرسة
النظامية ببغداد دون أن تحدد اختصاصاتهم العلمية . والراجح أن
أغلب المعيدين كانوا يعملون مع علماء الفقه والأصول والعلوم الشرعية
بعمامة . فابو البركات عبدالرحمن بن محمد بن عميد الله الانباري النحوي
(المتوفى عام ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م) ^(٢) درس الفقه بالمدرسة النظامية حتى برع
وصار معيدا ، ثم أستاذا بالمدرسة . ومن معيدي المدرسة النظامية
مجد الدين أبو طي يحيى بن الربيع بن سليمان (المتوفى عام ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) ^(٣)
العالم الفقيه المتكلم ، الذي كان من أعلام عصره في الحديث والفقه وعلم

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٦٦ .

(٢) الكتبي : فوات الوفيات ج ٢ / ص ٢٩٢ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ / ص ١٦٥ ، ابن الساعي : الجامع المختصر

ج ٩ ص ٢٩٧ .

الكلام والأصول والخلاف والتفسير والحساب ، والذي كانت له مصنفات عديدة . أما محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الامام الكبير فخر الاسلام أبو بكر الشاشي (المتوفي عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م) فقد كان من أشهر معيدي المدرسة النظامية ، كان اماما جليلا عالما ، وكان يعيد محاضرات أبي اسحاق الشيرازي مدرس النظامية (١) .

ومن أشهر العلماء الذين تذكر المصادر أنهم بدأوا حياتهم العلمية في المدرسة النظامية ، أبو المعاسن يوسف بن رافع الأسدي المعروف بابن شداد (المتوفي عام ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) (٢) وقد رتب جمال الدين أبو اسحاق الشيرازي (المتوفي عام ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م) معيدا في حلقة الشيخ أبي طالب الطيب الطبري ، ثم أصبح بعد ذلك مدرسا للغة في المدرسة النظامية ببغداد .

٣ - الوعاظ بالمدرسة النظامية :

والطبقة الثالثة من المكلفين بالتدريس بالمدرسة النظامية هي وظيفة الوعاظ ، والذي اشترط فيه نظام الملك أن يكون شافعيًا (٤) . ولقد تناشرت أخبار الوعاظ بالمدرسة النظامية في تضاعيف الكتب والمصادر المختلفة ، وكان بالامكان أن يقوم بهذه الوظيفة بعض المدرسين لفروع أخرى ، فقد كان

-
- (١) السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ / ص ٧٠ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ٤٦٧ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ / ص ١١٥ ، أبو شامة : ذيل الروضتين / ص ١٦٣ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ٢٩ .
(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٦٦ .

الحسن بن سلمان الفقيه الشافعي (المتوفى ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م) يدرس الحديث ويأشر الوعظ بالنظامية ^(١) . كما كانت المدرسة النظامية ببغداد تستقبل كبار الوعاظ الشوافع للوعظ بها ، منهم أبو الحسين أردشير بن منصور العبادي (المتوفى عام ٤٩٦ هـ / ١١٠٢ م) ، وعبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري (المتوفى عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م) ، ومحمد بن عبد الكريم الشهرستاني (المتوفى عام ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م) وغيرهم كثيرون . ويسندو أن الواعظ بالمدرسة النظامية كان يعقد مجلس وعظه بعد أوقات الصلاة ^(٥) ولقد تولى الوعظ بالمدرسة النظامية عدد كبير من الوعاظ خلال فتراتها المتتابعة ، يطول الحديث بذكر أسمائهم .

طلاب المدرسة النظامية :

لقد درس بالمدرسة النظامية خلال فترة العصر السلجوقي الآلاف من التلاميذ والمتفقهة الذين كانوا يفدون إليها من سائر أنحاء العالم الاسلامي ، لما حصلت عليه المدرسة من شهرة علمية ، فقد ذاع صيتها وطبق الاتفاق ، ونظرا لما يتمتع به علماءها من سمعة علمية رصينة ، اضافة الى ما تقدمه المدرسة لطلابها من خدمات ووسائل وتسهيلات دراسية فقد كان يصرف عليها في كل عام

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٣٣٤ .

(٢) ن ٤٠٠ ص ٨ / ص ١٦٨ .

(٣) الخطيب : تاريخ بغداد ج ١ / ص ٢٧٤ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٣ / ص ٣٢٠ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٢٧٣ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٧٨ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ١٤٩ .

(٥) ابن جبير : الرحلة / ص ١٩٥ .

لنفقات الأساتذة والتلاميذ مائتا كراً^(١) وشمانية عشر ألف دينار^(٢). وقد أورد أحد الباحثين دون أن يذكر مصادر معلوماته أن المدرسة النظامية "كان فيها ستة آلاف تلميذ يتلقون فيها العلوم الدينية والفقه والتفسير والحديث والنحو والصرف واللغة والأدب"^(٣). وقد درس في المدرسة النظامية ببغداد عدد من الرجال صاروا من مشاهير علماء الاسلام، وقد برع كل واحد منهم في علم من العلوم، كما تخرج منها طلاب أصبحوا فيما بعد علماء، صنفوا العديد من الكتب، وشاركوا في رفع لواء النهضة العلمية والفكرية في هذا العصر ليس في العراق وحده بل في العالم الاسلامي على سعة، منهم أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج محمد بن حامد المعروف بالعماد الأصفهاني (المتوفي سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)^(٤) الذي تفقسه في المدرسة النظامية حتى تخرج منها وأصبح عالماً فاضلاً في فنون العلم. ومن فقهاء النظامية وعلماء محدثيها ومؤرخيها الحافظ ابن عساكر أبو القاسم بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الامام الجليل (المتوفي عام ٥٤١هـ / ١١٤٦م)^(٥) امام أهل الحديث في زمانه. ومن فقهاء النظامية بهاء الدين ابن شداد (المتوفى عام ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م). وأبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الانباري (المتوفى عام ٥٧٧هـ / ١١٨١م)، الذي برع في الأدب حتى صار شيخ العراق. كما تفقه في المدرسة النظامية أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن تومرت الداعية الاسلامي الكبير، والعالم الفاضل الذي رجع بعد دراسته بها الى المغرب، وقام بحركته الجبارة^(٦)، ومن الذين درسوا بالمدرسة النظامية

(١) الكثر : مكيال لأهل العراق، وهو عندهم ستون قفيزاً، ابن منظور: لسان العرب ج ٥ / ص ١٣٧.

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٦٦.

(٣) سعيد نفيسي : المدرسة النظامية في بغداد، مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ٣ ج ١ / ص ١٤٧.

(٤) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٩ / ص ١١، ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٦١.

(٥) السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

(٦) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٢٩٤.

ببغداد . من أبناء أرض الكنانة اسماعيل بن محمد ابن حسان أبو طاهر —
الأسواني ، الذي رحل الى بغداد وتفقّه بالمدرسة النظامية ، ورجع وأقام
بأسوان حاكماً ومدرساً ومات بالقاهرة سنة (٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م)^(١) ، ومن فقهاء
المدرسة ومشاهيرها موسى بن أبي الفضل يونس بن منعه أبو الفتح الموصلي
(ولد سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م)^(٢) الذي تفقه بالمدرسة النظامية ببغداد ، وعاد
الى الموصل حيث أصبح عالماً متبحراً في عدد من العلوم والفنون ، فلقد جمع من
العلوم ما لم يجمعه أحد ، وتفرّد بعلم الرياضة^(٣) وقال عنه السبكي " صاحب
التعليقة في الخلاف والزيج والتصانيف والله ما دخل بغداد مثل هذا الشيخ^(٤) .

الدراسة في المدرسة النظامية :

لقد جاء انشاء المدرسة النظامية في عصر كان يوج بالآراء المختلفة ، والأفكار
المتضاربة . التي كان لها أثر كبير في حالة الصراع الفكري وتأجيج حالة
التشتت والانقسام التي عاشها المجتمع الاسلامي ، ولعل ذلك ما دفع الوزير
نظام الملك الى انشاء مدرسته من أجل تحقيق حالة الانسجام في المجتمع
الاسلامي ، والغاء الفرقة ، والدفاع عن الأمة وعقيدتها ازاء ما يتهددها من
أخطار ، وذلك عن طريق تعليمهم أصول الدين الصحيحة .

والحق أن التعليم في المدارس النظامية أو غيرها من مدارس العصر لم يكن
الا امتداداً لحركة التعليم الاسلامي في المساجد ، وهكذا فان التعليم فسي

-
- (١) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ / ص ١٩٠ .
(٢) السبكي : طبقات الشافعية ج ٨ / ص ٣٧٨ ، اليافعي : مرآة الجنان
ج ٤ / ص ١٠١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٣٩٦ ، ابن
العماد : الشذرات ج ٥ / ص ٢٠٦ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٣٩٦ .
(٤) السبكي : طبقات الشافعية ج ٨ / ص ٣٧٨ .

المدرسة النظامية في مبدأ افتتاحها كان يركز على تدريس الفقه الاسلامي وأصول الدين والعقيدة .

ومن أهم ما يلاحظ في نظام التدريس في المدرسة النظامية ببغداد خاصة أنها عُنيت عناية كبيرة بموضوع التخصص ، ذلك أنه لم يعهد بالتدريس في أى قسم من الأقسام الدراسية فيها الا لمن عرف بفخزارة العلم والتخصص في ميدانه ، وهكذا لم يكن يعين فيها لتولي منصب التدريس سوى رؤوس العلماء المتخصصين ، وقد كان بالمدرسة النظامية كما أسلفنا أقساماً بتخصصات متنوعة وهي كما يلي :

١ - فرع الفقه وأصوله :

فلقد أنشئت هذه المدرسة أصلاً لتكون متخصصة في تدريس الفقه وأصوله ، ولذلك فانه حينما افتتحها نظام الملك عين فيها أبا اسحاق الشيرازي (المتوفى عام ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م) مدرسا وحيدا لتدريس الفقه على مذهب الامام الشافعي ، كما عين نظام الملك عبد الوهاب بن محمد الشيرازي (المتوفى عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م) مدرسا بها للحديث في سنة ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م) ويبدو أن هذه المدرسة قد اتسعت فروع التخصصات فيها حتى شملت الحديث والوعظ والتفسير وعلم الكلام ودراسات اللغة العربية والأدب ، وعين فيها مدرسون متخصصون .

ولقد أسندت مهمة التدريس في فرع الفقه وأصوله الى أعظم علماء العصر ، حيث تسلم هذا للفرع في نظامية بغداد علماء طبقت شهرتهم العالم الاسلامي ، وكان لهم مؤلفات ودراسات عظيمة في الفقه والأصول وعلم الشريعة ، سنقتصر على ذكر أشهرهم ، منهم الشيخ أبو اسحاق ابراهيم بن علي الشيرازي (المتوفى عام ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م) أحد الأعلام ،^(١)

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ٢٩ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٢١٥ . العباد الحنبلي : الشذرات ج ٣ / ص ٣٣٩ .

كان أنظر أهل زمانه وأفصحهم ، وانتهت اليه رئاسة المذهب الشافعي ، وحصل اليه الفقهاء من الأمصار. ^(١) كما تولى تدريس الفقه الشافعي بالمدرسة النظامية ببغداد أبو نصر عبد السلام بن محمد بن عبد الواحد الصباغ الفقيه الشافعي (المتوفى عام ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م) ^(٢) فقيه العراقيين في وقته الذي رحل اليه الطلاب من مختلف البلاد ، وقد فاق أبا إسحاق في المذهب. ^(٣) وقد تولى تدريس فرع الفقه بالمدرسة النظامية ببغداد أيضا حجة الاسلام محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي (المتوفى عام ٥٠٥هـ / ١١١١م) ^(٤) . كما تولى تدريس الفقه الشافعي بنظامية بغداد فخر الاسلام أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين شيخ الشافعية (المتوفى عام ٥٠٧هـ / ١١١٣م) ^(٥) والذي اشتهر ببغداد من المصنفات أهمها كتاب حلية العلماء في المذهب ، كما كان من مشاهير أساتذة نظامية بغداد أحمد بن علي بن برهان (المتوفى عام ٥٢٠هـ / ١١٢٦م) ^(٦) الذي برع في المذهب والخلاف .

٢ - فرع القرآن والحديث والتفسير والوعظ :

لقد كان من شرط المدرسة النظامية ببغداد أن يكون فيها مقرى يقرى القرآن ^(٧) ، وتجدر الإشارة الى أنه كان هناك عدد من أساتذة الفقه يقومون بتدريس الفقه والحديث وربما التفسير أيضا ، وقد برز منهم أساتذة متخصصون

- (١) السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٢١٥ .
- (٢) الخطيب : تاريخ بغداد ج ١١ / ص ٣١ ، ابن الأثير : الكامل : ج ٨ / ص ١٣٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٢١٨ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ / ص ١٢٢ .
- (٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٢١٨ .
- (٤) تناولت شخصية الإمام الغزالي بالترجمة والتحليل جميع المصادر والتراجم التاريخية وتناولته هذا البحث بالدراسة في مواضع عدة .
- (٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٢١٩ ، الكتبي : عيون التاريخ ج ١٢ / ص ٢٤ ، العماد الحنبل : الشذرات ج ٤ / ص ١٦ .
- (٦) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٣٢٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ٩٩ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٤٢ ، العماد الحنبل : الشذرات ج ٤ / ص ٦١ .
- (٧) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٦٦ .

درسوا هذه المواد ، منهم عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب أبو محمد الشيرازى الفارسي (المتوفى عام ٥٠٠ هـ / ١٠٦٠ م)^(١) وكان الوزير نظام الملك قد ولاه تدريس الحديث بالمدرسة النظامية سنة ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م . ومنهم^(٢) الحسن بن سلمان بن عبد الله أبو علي الفقيه الشافعي (المتوفى عام ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م)^(٣) الذى كان يدرس الحديث ويأشر الوعظ بالمدرسة النظامية . كما^(٤) درس بهذا الفرع عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله أبو النجيب السهروردى (المتوفى عام ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م)^(٥) .

٣ - فرع النحو واللغة والأدب :

وكان بالمدرسة النظامية فرع لتدريس النحو واللغة والأدب ، فقد كان من شروط نظام الملك عند تأسيس المدرسة وجود نحوى يدرس العربية^(٦) ، وتتحدث المصادر التاريخية وكتب التراجم عن علماء النحو واللغة والأدب الذين كانوا يدرسون بالمدرسة النظامية ، منهم أبو زكريا يحيى بن علي بن بسطام الشيبانى الخطيب التبريزى (المتوفى عام ٥٠٢ هـ / ١٠٩٠ م)^(٧) الذى كان أحد أئمة اللغة والنحو والذى صنف عددا من الصنفات القيمة فى العربية .

ومن درس فى النظامية أبو الحسن علي بن أبي زيد محمد الفصيحى

-
- (١) ابن الجوزى : المنتظم ج ٩ / ص ١٥٣ .
 - (٢) ن . م . س ج ٩ / ص ١٥٣ .
 - (٣) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٣٣٤ .
 - (٤) ن . م . س ج ٨ / ص ٣٣٤ .
 - (٥) الذهبى : تاريخ الاسلام ج ١٣ / وفيات سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م صور بمرکز البحث العلمى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة . المختصر المحتاج اليه ج ٣ / ص ٩٣
 - العماد الحنبلى : الذخائر ج ٤ / ص ٢٠٨ .
 - (٦) ابن الجوزى : المنتظم ج ٩ / ص ٦٦ .
 - (٧) ن . م . س ج ٩ / ص ٦٦ . ياقوت : معجم الأدباء ج ٢ / ص ٢٥ ، ابن الأنبارى : نزهة الألباء / ص ٢٧٠ .

(١) (المتوفى عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م) وكان عالماً في الأدب والنحو غير أنه اتهم بالتشيع فأبعد عن التدريس ، وانقطعت صلاته بالنظامية . ومع ذلك فقد كان طلبه العلم يأتون الى بيته ويدرسون عليه الأدب كما سبق أن أسلفنا . وقد درس بالمدرسة النظامية بعد ذلك أبو منصور بن أحمد الجواليقي (المتوفى عام ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) . وكان أبو البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله الأنباري (المتوفى عام ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م) من الأئمة المشار اليهم في علم النحو ، تفقه على مذهب الشافعي بنظامية بغداد وتصدر لاقراء النحو بها ، وتبحر في علم الأدب ، واشتغل عليه خلق كثير حتى صاروا علماء . ولقد انتقل المبارك بن المبارك بن سعيد بن الدهان الضرير المعروف بالوجيه (المتوفى عام ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م) من مذهبه الحنفي ليصبح من أتباع المذهب الشافعي من أجل أن يتولى تدريس النحو بالمدرسة النظامية ، وقد أشرنا الى ذلك آنفاً . وقد تخرج على يديه في النحو من نظامية بغداد جماعة كثيرة ، وكان يحسن اللغات الفارسية والتركية والحشيشية والرومية والأرمنية والزنجية (٦) فكان اذا قرأ عليه أعجبي واستغلق عليه المعنى بالعربية أفهمه اياه بلسانه ، وهذا يعد بحق تطوراً كبيراً في أساليب التدريس ومضامينه ، وكان حسن التعليم ، طويل النفس ، كثير الاحتمال للتلاميذ

-
- (١) ابن الأنباري : نزهة الألباء / ص ٢٧٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٣٣٧ ، القفطي : انباء الرواة ج ٢ / ص ٤٠٦ ، السيوطي : بغية الوعاة / ص ٣٥١ .
- (٢) ابن الأنباري : نزهة الألباء / ص ٢٧٤ .
- (٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ١٣٩ ، القفطي : انباء الرواة ج ٢ / ص ١٦٩ .
- (٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ١٣٩ .
- (٥) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٧ / ص ٥٨ .
- (٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ١٥٢ .

ما يشير الى كفاءة تربوية كبيرة مع استعداد فطري للتعليم .

ومن درّس الأدب بالنظامية أيضا أبوزكريا يحيى بن القاسم بن مفرج بن
درع الشعلبي اللغوي الأديب (المتوفى عام ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م)^(١) . كما درّس
الأدب بها كذلك الشيخ فتح بن موسى بن حماد بن عبدالله الجزري (المتوفى
عام ٦١٢ هـ / ١٢١٦ م)^(٢) الذي وصف بأنه كان أصوليا نحويا عارفا بالعروض .

وعلى كل حال فلقد كان افتتاح المدرسة النظامية ببغداد بداية جادة في الحياة
الثقافية والعلمية في ديار الاسلام ، حيث اتبع في هذه المدرسة تنظيم منهجي وتدريسي
كان له أكبر الأثر في ظهور نظام تعليمي جديد كانت معالمه البارزة في المنهج
العلمي والتعليمي في مدارس العراق والعالم الاسلامي .

ولقد لاحظنا أن التدريس في نظامية بغداد قد اتخذ مسارا خاصا به ، فقد
ظهرت التخصصات العلمية ، ووضع لكل قسم منهجه الخاص ، وكتبه المعينة فـ في
التدريس ، كما خصص للمادة العلمية مدرس مختص ، فقد عين لتدريس الفقه
وأصوله مدرس مختص ، وللحديث مدرس آخر ، ولتعليم القرآن والتفسير مدرس
ثالث ، وللنحو واللغة والأدب مدرس رابع ، كما اختص بالوعظ وتطبيقاته وتدريب
الطلاب على الخطابة والوعظ عالم مختص .

وقد منح الأساتذة حرية واستقلاا ضمن حدود معينة ، فقد ترك للمدرس حرية
اختيار الأسلوب أو الطريقة التي يفضلها في القاء محاضراته^(٣) كما كانت له حريته
في تحديد المواعيد التي يلقي فيها دروسه على الطلاب مع التنسيق مع زملائه .

(١) ياقوت : معجم الأدباء ج ٢٠ / ص ٢٩٠ .

(٢) السيوطي : بغية الوعاة ج ٢ / ص ٢٤٢ .

(٣) عبد الهادي محبوبة : الحركة العلمية في المائة الخامسة الهجرية ، مجلة الأستان
المجلد ١١ ص ٣٦٥ ، دون أن يحدد مصادره .

أما كيفية التدريس في النظامية فقد نقل لنا ابن جبير صورة واضحة عن ذلك ، ذلك أنه قد زار المدرسة النظامية سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م وحضر مجالس العلماء واطلع على طرائقهم المباركة الملتزمة^(١) فكتب يقول " وأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الامام رضي الدين القزويني رئيس الشافعية وفقه النظامية ، والمشار اليه بالتقدم في العلوم الأصولية ، حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة اثر صلاة العصر من يوم الجمعة " ^(٢) ، وطبيعي أن المدرس كان يجلس على مكان عال ، وكان الطالب يجلسون أمامه ، ويبدأ الطلاب بقراءة القرآن حيث " كانوا يقرأون بتلاحين معجبة ، ونغمات محرجة مطربة " ^(٣) . ثم يبدأ الشيخ بتفسير الدرس " ويتصرف في أفانين العلوم من تفسير كتاب الله عز وجل ، وإيراد حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام ، والتكلم على معانيه " ^(٤) .

إذا فالتدريس في المدرسة النظامية كان له أسلوب معين ، ويبدو أن الدروس التي حضرها ابن جبير في النظامية كانت دروسا في الوعظ والتفسير ، فالظاهر أن الأستاذ يبدأ بشرح ما قرأه الطلاب من القرآن الكريم مستعينا في ذلك بالأحاديث النبوية ، ومستشهدا بأراء السلف الصالح وكبار العلماء ، والتكلم على معانيها . وكانت المناقشة والمحاورة مفتوحة أمام الطلاب ، ان لم يكن الطالب ليقتنع في تعلمه بمجرد السماع ، بل كان يهتم كثيرا بالسؤال والمناقشة والمحاورة مع الأستاذ ليتمكن من فهم جميع الأمور التي تتصل بالموضوع . على أن المناقشة بين الطالب وأستاذه كانت لها آداب خاصة بها تكفل تحقيق الفائدة المرجسوة منها كما تكفل لكل من الأستاذ والطالب وقاره واحترامه ، فبعد القاء الشيخ

(١) ابن جبير : الرحلة / ص ١٩٥ .

(٢) ن ٥٠٠ س / ص ١٩٦ .

(٣) ن ٥٠٠ س / ص ١٩٥ .

(٤) ن ٥٠٠ س / ص ١٩٥ .

(٥) الزرنوجي : تعليم المتعلم طريق التعلم ص ١٨ - ١٩ .

محاضراته يبدأ الطلاب بتوجيه الأسئلة الشفوية ، وبعد الانتهاء من الإجابة عنها واستيفاء ما يتصل بها يبدأ الأستاذ في الإجابة على ما قدم إليه من الأسئلة التحريرية بقصاصات الورق ، إذ كان يجيب عليها الواحد تلو الآخر . يقول ابن جبير في حديثه عن مجلس درس رضي الدين القزويني " ثم رشقت شأبيب المسائل من كل جانب ، فأجاب وما قصر ، وتقدم وما تأخر ، ورفعت إليه عدة رقاع فيها فجمعها جملة في يده ، وجعل يجاوب على كل واحد منها وينبذ بها إلى أن فرغ منها ، وحن المساء فنزل واقترب الجمع فكان مجلسه مجلس علم ووعظ ظهرت منه البركة والسكينة " (١).

هكذا كانت المدرسة النظامية تؤدي رسالتها الثقافية في نشر العلوم والآداب والدفاع عن العقيدة ، وكانت خير نموذج للمدرسة ، حيث أصبحت كما أسلفنا مثالا يحتذى في إنشاء المدارس الإسلامية ، كما أصبحت نظمها التعليمية والتنظيمية تطبق في المدارس الأخرى التي أنشئت بعدها ، حيث إن المدرسة النظامية بهنداد بنظماها الإداري ومنهجها التعليمي تمثل تطورا كبيرا في النظام العلمي والثقافي في هذا العصر ، فقد عم نظامها سائر المدارس في العراق والمشرق الإسلامي بلاد الشام ومصر . هذا فضلا عن كونها حلقة وصل ثقافية بين المشرق والغرب من جراء التقاء طلبة المشرق والمغرب المسلمين في هذه المدرسة كما أسلفنا ، حيث احتضنت نخبة ممتازة منهم ، والذين كانوا مثالا ساميا في السعي والاجتهاد ، وأصبح لهم فضل كبير في نقل علوم هذه المدرسة ونظمها إلى بلدانهم . بالإضافة إلى تخريجها لعدد من العلماء الذين لعبوا دورا أساسيا في المجتمع ، وفي تطوير العلوم والثقافة في الحقبة التالية .

(١) ابن جبير : الرحلة / ص ١٩٥ .

مدرسة مشهد أبي حنيفة :

ويقع مشهد أبي حنيفة بجانب الرصافة من بغداد ، في محلة بابالطراق عند مقابر قريش الواقعة الى الشمال الغربي من مدينة المنصور ، يقول ابن جبير " وأعلى الشرقية خارج البلد محلة كبيرة بازا محلة الرصافة ، والرصافة كان بساب الطاق المشهور على الشط ، وفي تلك المحلة مشهد حفييل البنيان ، له قبسة بيضاء سامية في الهواء ، فيه قبر الامام أبو حنيفة " (١) ومدرسة مشهد أبي حنيفة أول مدرسة افتتحت في العراق ، فقد سبق أن ذكرنا أنه ما كادت تسع أخبار مشروع الوزير نظام الملك ومباشرة لأعمال بناء مدرسته ببغداد حتى سارع مستوفي المملكة شرف الملك أبوسعبد محمد بن منصور الخوارزمي (المتوفى عام ٤٩٥هـ / ١١٠١م) (٢) بالحضور الى بغداد عازما على انشاء مدرسة مماثلة فيها لأتباع المذهب الحنفي ، فاختار أن يكون موقعها بجوار تربة مشهد الامام أبي حنيفة النعمان امام المذهب ، فاشترى ما يحيط بالقبر من أبنية وأرض ، وأمر بهدم مسجد كان بجوار المقبرة فسوى أرضا فسيحة ، وجاء بالمهندسين والقطاعين ، وحفر أساسا لقبة كبيرة تقام فوق القبر ، (٣) وبعد أن تم بناء ذلك عمل بازائها مسجدًا جامعًا واسعًا ، ومدرسة عظمى لتدريس الفقه الحنفي ، وأنزلها الفقهاء ورتب لهم مدرسا (٤).

-
- (١) ابن جبير : الرحلة / ص ٢٠٢ .
 - (٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ١٢٨ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٢٠٥ .
 - (٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٢٤٤ .
 - (٤) بن ٠٤٠٠ ص ٨ / ص ٢٤٤ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٠٥ ، وأنظر البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٣٤ .

وقد استعجل مستوفي المملكة اتمام بنائها وافتتاحها ، فلقد كان حريصا على أن يتم ذلك كما يظهر قبل افتتاح المدرسة النظامية ، وقد تحقق له ذلك ، فقد افتتحت قبل افتتاح المدرسة النظامية بأربعة أشهر وثلاثة عشر يوما ^(١) وذلك في سنة ٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م .

ولقد أوقف مستوفي المملكة الوقوف على المسجد والمدرسة لأساتذتها وتلاميذها وخزانة كتبها قال ابن الجوزي مشيرا الى مشهد الامام أبي حنيفة " وعمل المدرسة بازائه وأنزلها الفقهاء ورتب لهم مدرسا " ^(٢) .

وفي سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م خلع على ضياء الدين أحمد بن مسعود التركستاني الحنفي وولي الاشراف على التدريس في مدرسة مشهد أبي حنيفة والنظر في وقوفها ، وكتب توقيعا جاء فيه " ولتتدى بعمارة المشهد والمدرسة المذكورين واصلاح فرشها ومهابيحها وأخذ القوام بالمواظبة على الخدمة بها ، والزام المتفقهة بملازمة الدروس وتكرارها واتقان المحفوظات واحكامها ... " ^(٣) وكان بالمدرسة خزانة كتب موقوفة على طلبة العلم ، اطلع ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م على ثمت الكتب الموجودة فيها ^(٤) . وكان من خزنتها ابن الازهاري (المتوفى سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) وعبد العزيز بن علي بن أبي سعيد الخوارزمي (المتوفى بعد سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) ، ولقد أورد ابن الساعي البغدادي نصا صريحا من التوقيع الذي تولى أحمد بن مسعود التركستاني الحنفي بمقتضاه تدريس المدرسة والشهيد

(١) مصطفى جواد : أول مدرسة في العراق مدرسة الامام أبي حنيفة (مقالة المعلم

مجلة المعلم الجديد) مجلد ٦ / ص ٤٢ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٢٤٥ .

(٣) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٢٣٦ .

(٤) ابن الجوزي : صيد الخاطر / ص ٣٦٧ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٢٤٨ .

(٦) مصطفى جواد : أول مدرسة في العراق مدرسة الامام أبي حنيفة (مقالة بمجلة

المعلم الجديد - مجلد ٦ / ص ٤٢ .

والوقوف على أوقافه تختص بالمهمة التي يتولاها بشأن خزانة كتب المدرسة سنة ٦٠٤هـ / ١٢٠٧ م جاء فيه : " وليثبت ما بخزانة الكتب من المجلدات وغيرها معارضا ذلك بغهرسته متطلبا ما عساه قد شذ منها ، وليأخذ خازنها بعد استصلاحه بمراعاتها ونقضها في كل وقت ومرة شعشها وأن لا يخرج شيئا منها الا الى ذى أمانة مستظهما بالرهن عن ذلك . . . " (١) ولقد أوقف على هذه الخزانة الكثير من الكتب والمكتبات الخاصة ، فمن أوقف عليها كتبه أبو يوسف عبد السلام بن بندار القزويني (٢) كما أن الطبيب ابن جزلة (المتوفى سنة ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م) أوقف كتبه على مكتبة مدرسة مشهد الامام أبي حنيفة (٣).

ولقد نيطت مهمة التدريس بمدرسة مشهد أبي حنيفة بعدد من العلماء المشاهير ، منهم أبو طاهر الياس بن ناصر بن ابراهيم الديلمي (المتوفى سنة ٤٦١ هـ / ١٠٩٨ م) وهو أول من درس بالمدرسة . كما درس فيها أبو طالس الحسين بن نظام بن الخضر الزينبي (المتوفى سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م) ، كان من أصحاب الدامغاني وتلاميذه ، وقد استمر في منصبه مدرسا في مدرسة مشهد أبي حنيفة خمسين سنة الى حين وفاته (٥) ومن تولى التدريس بها أبو القاسم خلف بن أحمد بن عبد الله الشلجي (المتوفى عام ٥١٥ هـ / ١١٢١) ، و ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الخزرجي (المتوفى عام ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م) ، وعلى بن الحسين بن محمد الزينبي (المتوفى سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م) ، وشرف الدين يوسف الدمشقي (٦) (٧) (٨)

-
- (١) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٢٣٦ .
 (٢) السبكي : طبقات الشافعية ج ٣ / ص ٢٣٠ .
 (٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١١٩ ، القفطي : أخبار العلماء / ص ٢٤٠ .
 (٤) القرشي : الجواهر المضية ج ١ / ص ١٦٣ .
 (٥) ن ٢٠٠ م / ج ١ / ص ٢١٩ .
 (٦) ن ٢٠٠ م / ج ١ / ص ٢٣١ .
 (٧) ن ٢٠٠ م / ج ١ / ص ٤٤ .
 (٨) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ١٣٥ .

على أن كثرة المدارس في العراق في هذا العصر ، والنفقات الهائلة التي صرفت عليها ، وسيل الناس وخاصة الأثرياء الى بناء مدارس جديدة ، أو اقدامهم على تحويل دورهم وقصورهم الى وقوف ، أو تحويلها الى مدارس ، هي أمور لها دلالتها وهي تشير الى نهضة ثقافية ووعي علمي لاشك فيهما . ولعل في ذلك ما يكفي للرد على الرأي القائل بتعويض الأعاجم السلاجقة بالمدارس ودور الحديث عن بيوت الحكمة ودور العلم التي أنشأها العرب إنما هي خطة رجعية تمثلت فسي إهمالهم المعاهد التي علمت العلوم الطبيعية ^(١) ، ويعلق أحد الباحثين على الرأي الأخير بقوله : انه مبالغ لا تخفى ، وأن هناك عناية بهذه العلوم في عهد الخليفة المستنصر ^(٢) . ولعل من المناسب أن نشير الى أن سياسة التعليم في العصر السلجوقي قد خدمت أغراض المجتمع الاسلامي وعقيدته التي تعرضت منذ الفترة السابقة لكثير من المخاطر ، كما أنها من جهة أخرى قد سارت في خطوط متميزة عنها في عصر الخليفة المستنصر بالله الذي يتصف عصره بنهضة علمية طموحة حيث نشطت الدراسات المختلفة العقلية والنقلية منها على السواء .

وتنعكس من خلال حركة تأسيس المدارس المستقلة وافرادها للتدريس وفق مذاهب مفردة حالة من حالات الصراع المذهبي المبرمج والصامت حيث حاول أتباع كل مذهب من المذاهب الاسلامية نشر تعاليم المذهب على نطاق واسع عن طريق التحكم في قبول الطلاب والمدرسين على السواء ، ولكن ينبغي ألا ننساق في مبالغات غير دقيقة ، ذلك أن المصادر المعتمدة عندما تتكلم عن المدارس فإنها تذكر بجانب المدارس التي أفردت لمذهب واحد ، مثل النظامية ، ومدرسة شهيد أبي حنيفة ، مدارس أخرى حصل فيها تعاون بين مذاهب أو أكثر ما يشير

(١) خليل طوطح : التربية عند العرب / ص ٢٢ .

(٢) عماد عبد السلام : مدارس بغداد في العصر العباسي / ص ١٢ .

(المتوفى عام ٥٥٧ هـ / ١١٦١ م) ، وسعود بن الحسين بن سعد الزبيدي^(١)
 (المتوفى عام ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) ، والفقيه أبو الغنائم شجاع بن الحسن بن
 الفضل البغدادي (المتوفى عام ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م) ، وأبو المحاسن الموفسق^(٢)
 عبد اللطيف بن نصر الله الكيال الواسطي (المتوفى عام ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م) ، والفقيه^(٣)
 ضياء الدين أحمد بن مسعود التركستاني الذي تولى التدريس بمدرسة المشهد سنة
 ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م^(٤) .

ولقد تولى إدارة الوقف بمدرسة مشهد الامام أبي حنيفة عدد من العلماء منهم
 أبو المحاسن عبد اللطيف بن نصر الله بن علي بن منصور الواسطي ، فقد فوض اليه
 النظر في الوقوف سنة ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م^(٥) .

المدارس الأخرى في بغداد ومن العراق :

لقد نشأ منذ أواسط القرن الرابع الهجري الكثير من المعاهد والمدارس
 الكبرى القائمة بذاتها ، التي استقلت عن المساجد الجامعة ، والتي كان لها
 مساجدها الخاصة بها ، فقد أشار ابن جبير الى مدارس بغداد عند زيارته لها
 سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م فقال " والمدارس بها نحو الثلاثين ، وهي كلها بالشرقية ،
 وما فيها مدرسة الا وهي يقصر القصر البديع عنها ولهذه المدارس أوقاف
 عظيمة وعقارات محيطة تنصير الى الفقهاء المدرسين بها ، ويجرون بها على الطلبة
 ما يقوم بهم ، ولهذه البلاد في أمر هذه المدارس والمارستانات شرف عظيم وفخسر
 مغلد " ^(٦) .

-
- (١) ابن الأثير: الكامل ج ٩ / ص ٨٠ .
 (٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٢٠٤ .
 (٣) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٢٨٠ ، القرشي : الجواهر المضية
 ج ١ / ص ٣٠١ .
 (٤) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٢٣٦ .
 (٥) ن ٢٠٠ ص ٩ / ص ٢٨٠ .
 (٦) ابن جبير : الرحلة / ص ٢٠٥ .

الى نمو حالة التسامح المذهبي من جهة ، وما يعكس في الوقت نفسه حالة التنسيق والتعاون من أجل الوصول الى تحقيق الهدف المشترك في نهضة معرفية شاملة سداها ولحمتها المقيدة الصافية .

وقد أشار أحد الباحثين المعاصرين الى ثنائي وثلاثين مدرسة متنوعة ، نشأت في بغداد خلال فترة البحث^(١) ، بعضها يمثل اتجاهها مذهبيا مفردا ، في حين أن كثيرا منها كانت تدرس على أساس نظام المذهبيين أو حتى المذاهب الأربعة^(٢) . ويمكن التمييز في هذا المجال بين مختلف المدارس بعدد الايوانات التي تحتويها كل منها ، ذلك أن الايوان الواحد يمثل المكان المخصص لمذهب معين^(٣) . وقد ذهب أحد الباحثين الى القول بأن دراسة القرآن الكريم قد استمرت تجرى في المساجد ، وأن ذلك قد استمر الى حين انشاء المدرسة المستنصرية حيث صارت دراسة القرآن الكريم ضمن مناهج المدارس^(٤) . غير أن ذلك يتعارض مع واقع الحال الذي نقل لنا ابن جبير صورته بدقة حينما وصف أحد مجالس الدراسة القرآنية في المدرسة النظامية^(٥) .

أما دور الحديث التي يراى بها أن تكون مؤسسات تعليمية متخصصة تفرد لدراسة الحديث مستقلة أو ملحقة بالمدارس ، فقد ذهب المرحوم الدكتور ناجي معروف الى القول بأنها " من مشتركات الشهيد نور الدين زنكي ، فقد ذكر ابن الأثير أنه أول من بنى دارا للحديث ، وذكر المقرئ أن أول من بنى دارا للحديث على وجه الأرض الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي " ، الى أن يقول " وقد

(١) ناجي معروف : نشأة المدارس المستقلة في الاسلام / ص ١٤ .

(٢) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة / ص ٥٨ - ٣٥٨ ، ناجي معروف : تاريخ علماء المستنصرية ج ١ / ص ٨١ ، أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ج ٢ / ص ١٦٧ .

(٣) ناجي معروف : نشأة المدارس المستقلة في الاسلام / ص ١٤ .

(٤) ن ٥٠٠ م / ص ١٤ .

(٥) ابن جبير : الرحلة / ص ١٩٥ .

ظلت دور الحديث على هذا النحو الى أن أنشئت المستنصرية حيث صارت دور الحديث على الأغلب تلحق بمدارس الفقه أسوة المستنصرية ^(١).

على أن ذلك لا يمنع أو ينفي ما مر ذكره من أن من بين الأقسام المتخصصة في المدرسة النظامية كان فرع القرآن والحديث . وسنتعرض الآن لذكر أهم المدارس الأخرى في بغداد .

المدارس الحنفية ببغداد :

مدرسة ترکان خاتون : (المتوفاة عام ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) ^(٢)

وكانت هذه المدرسة قد أسست باسم ابنة طراج زوجة السلطان ملكشاه السلجوقي بالجانب الشرقي من بغداد بباب الأزج (الرصافة) ^(٣) ومقيت عامرة حتى أواخر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) وقد أشار ابن الجوزي في حوادث عام ٤٦٩ هـ / ١١٠٣ م الى أنها كانت قائمة في هذه السنة " وتقدم بنقض السوق التي استجدها جلال الدولة ملكشاه بالمدينة المعروفة بطغرلبك ، وكانت مرسومة بالصباغين بعد خروجه من السوق ، والتي كان بها الجرازون أيام دخوله ، والمدرسة التي بنتها ترکان خاتون ^(٤) .

المدرسة التشيية :

من المدارس الحنفية ببغداد ، أنشأها الأمير خمارتكين بن عبد الله التشي في حدود سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م وقد ذكرها ياقوت الحموي عند ذكره مؤسسها بقوله " تتش : التان مضموتان والشين معجمة ، وهو اسم رجل تنسب اليه مواضع

(١) ناجي معروف : نشأة المدارس المستقلة في الاسلام ص ١٥ - ص ١٦ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٣٥ .

(٣) ن ٢٠٠ م / ص ٩ / ص ٢٢٢ .

(٤) ن ٢٠٠ م / ص ٩ / ص ١٣٥ .

ببغداد ، وهي سوق قرب المدرسة النظامية يقال لها العقار التشي ، ومدرسة بالقرب منه لأصحاب أبي حنيفة يقال لها التشية^(١)

وقد درس بهذه المدرسة عدد من علماء العصر منهم محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن الحسن اللمفاني الفقيه الحنفي (المتوفى عام ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م) حيث تفقه على مجموعة من علماء الحنفية حتى صار فقيها يشار اليه بين أضرابه من فقهاء المذهب . ويظهر أنه أكمل تحصيله على شيوخ المذهب في الكوفة ثم عاد الى بغداد ودرس بالمدرسة التشية^(٢) . وكان قد درس بهذه المدرسة سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م الشيخ ابن الشاشي المدرس بالمدرسة النظامية ، قال ابن الجوزي في حوادث هذه السنة " وجلس ابن الشاشي للتدريس بالمدرسة التشية على شاطئ نهر دجلة بساب الأرج " .^(٣)

المدرسة المغيشية :

أو المدرسة الفياثية ، وهي من المدارس الحنفية أيضا ، وسميت بذلك نسبة الى السلطان مغيث الدين محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي (المتوفى عام ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م) ، وقد درس بها عدد من علماء الحنفية ، منهم : محمد بن محمد بن الحسين بن صالح (المتوفى عام ٥٤٦ هـ / ١١٥١ م) ، ومحمد بن الحسين بن محمد ابن المعلم (المتوفى عام ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) وغيره من العلماء .^(٤)
^(٥)
^(٦)

-
- (١) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ / ص ٢٦٦ .
(٢) الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ٢ / ص ٣١٤ .
(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ١ / ص ٢٢٧ .
(٤) الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ٣ / ص ٦٩ .
(٥) القرشي : الجواهر المضية ج ٢ / ص ١١٥ .
(٦) ابن الدبيثي : ذيل تاريخ مدينة السلام ج ١ / ص ٢٣٢ .

مدرسة جامع السلطان :

بنى هذا الجامع والمدرسة الطحقة به السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م ، وقد ذكر ابن الجوزي في حوادث هذه السنة " فمن الحوادث فيها أن السلطان ملكشاه تقدم بينا سوق المدينة ، وسنى فيها خانات الباعة وسوقا عنده ودروب ، ونودى أن لا تعامل إلا بالدينار ، ثم بعمارة الجامع " (١) ، على أن وفاة السلطان ملكشاه في هذه السنة أوقف الأعمال حتى سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م فباشر أعمال انهاء عمارته بهروز بن عبدالله أبو الحسن الخادم الأبيضي الغياثي (المتوفى سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) ، وأنشأ فيه مدرسة كبرى لتدريس الفقه الحنفي . وقد درّس بهذه المدرسة عدد من علماء الحنيفة المشاهير ، منهم : مسعود بن الحسين بن سعد أبو الحسن اليزدي (المتوفى عام ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) قال ابن الجوزي في ترجمته " وتفقّه وأفتى وناب في القضاء ، ودرّس بمدرسة أبي حنيفة ومدرسة السلطان " (٢) ، ودرس بها أيضا أبو الحسن علي بن المرتضي بن محمد العلوي البغدادي سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م . (٤)

ومن درّس بهذه المدرسة يوسف بن اسماعيل بن عبدالرحمن بن الحسن اللعفاني (المتوفى عام ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) الذي كان عالما بالمذهب والخلاف وعلم الكلام ، وقد تولى التدريس بهذه المدرسة سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م . (٥)

-
- (١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٦٠ .
(٢) أبو الحسن الخادم ولي العراق نيفا وثلاثين عاما . ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ١١٧ .
(٣) ن ٥٠٠ م / ص ١٠ / ص ٢٦١ .
(٤) ن ٥٠٠ م / ص ١٠ / ص ٢٣٥ .
(٥) القرشي : الجواهر الخفية ج ٢ / ص ٢٢٤ .

المدرسة الموقية :

بنى هذه المدرسة الخادم موفق بن عبد الله الخاتوني خادم السيدة خاتون زوجة المستظهر بالله (المتوفى عام ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م) ، وقد أوقف عليها أبو عبد الله محمد بن الوزير أبو الفتح جميع أمواله ^(١) . ودّرس في هذه المدرسة عدد من العلماء منهم الحسن بن سلامة المنبجي (المتوفى عام ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م) وابنه أحمد أبو العباس ابن الحسن المنبجي (المتوفى عام ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) ^(٢) . كما دّرس بها أبو زكريا يحيى بن العظفر بن الحسن بن محرز البغدادي (المتوفى عام ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م) ^(٣) .

المدرسة الزيركية :

من مدارس الحنفية ببغداد كذلك ، وقد ورد ذكرها خلال أخبار ومعلومات أوردتها تراجم علماء الحنفية ، وتقع هذه المدرسة في سوق العميد بمنطقة سوق السلطان ، ولا يعرف الى من تنتسب هذه المدرسة ^(٤) وان كان الظاهر من الاسم نسبته الى زيرك وهو اسم شائع عند الأتراك . درس بها الفقيه محمد بن أحمد بن عبد الجبار أبو المظفر (المتوفى عام ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م) الذي سبق أن رحل في طلب العلم كثيرا ، وكان مناظرا موصوفا بسمعة العلم ^(٥) . كما دّرس بها عبد السلام بن اسماعيل بن عبد الرحمن اللمفاني (المتوفى عام ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م) ^(٦) .

-
- (١) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ١٧٨ .
 - (٢) الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ١ / ص ١٧٨ ، القرشي : الجواهر المضية ج ١ / ص ٦٤ .
 - (٣) ابن الفوطي : مجمع الاداب ج ٤ / ص ٦٣١ .
 - (٤) عماد عبد السلام : مدارس بغداد في العصر العباسي / ص ٧٣ .
 - (٥) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٢٧٩ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج ٢ ص ١٠٦ .
 - (٦) القرشي : الجواهر المضية ج ١ / ص ٣١٥ ، ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٢٧٦ .

المدارس الشافعية ببغداد :

المدرسة التاجية :

تنسب هذه المدرسة الى تاج الملك أبي الغنائم المرزيان بن خسرو فيروز (المتوفى عام ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م) والذي أوقفها سنة ٤٨٢ هـ / ١٠٨٩ م على أتباع المذهب الشافعي ، وتقع هذه المدرسة بباب أبرد من بغداد ^(١) ، درس بهذه المدرسة عدد من مشاهير علماء الشافعية ، منهم أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي (المتوفى عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م) ، وأبو محمد عبد الله بن فخر الاسلام الشاشي (المتوفى عام ٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م) . ^(٢) ^(٣) ^(٤)

مدرسة قراح ظفر : ^(٥)

من مدارس الشافعية ببغداد ، وقد بنى هذه المدرسة الفقيه أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين الشاشي فخر الاسلام (المتوفى عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م) ، درس بمدرسته هذه حتى سنة ٤٨٢ هـ / ١٠٨٩ م حين انتقل للتدريس في المدرسة التاجية . ^(٦)

المدرسة الثقتية :

أسس هذه المدرسة ثقة الدولة علي بن محمد بن يحيى بن الحسن الدريسي

-
- (١) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٦٣ - ١٦٥ .
 - (٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٤٦ .
 - (٣) ن ٤٠٠ ص ٩ / ص ٤٦ ، ص ١٢٩ .
 - (٤) ن ٤٠٠ ص ١٠ / ص ٣٨ .
 - (٥) قراح ظفر : محلة من عدة محال ببغداد ، وظفر : اسم رجل . ياقوت : معجم البلدان ج ٢ / ص ٤١ .
 - (٦) السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٥٧ .

وافتحها سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م^(١) ودرس بها أبو المحاسن يوسف بن عبد الله
الدمشقي (المتوفى عام ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م)^(٢) .

المدرسة الكالمية :

أسس هذه المدرسة كمال الدين أبو الفتوح حمزة بن علي بن طلحة الرازي
(المتوفى عام ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م)^(٣) ، وأفتحت سنة ٥٣٥ هـ / ١١٤٠ م^(٤) . وقد
درس بها أبو الحسن ابن الخل^(٥) ، والبارك بن المبارك الشافعي (المتوفى عام
٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م)^(٦) .

المدرسة البهائية :

من مدارس الشافعية ببغداد ، وكانت تقع بالقرب من المدرسة النظامية ،
ولا يعلم منشئها ، على أن ظاهر اسمها يدل على أنها منسوبة الى من اسمه
بهاء الملك^(٧) . ودرس بهذه المدرسة يوسف بن عبد الله الدمشقي (المتوفى عام
٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م) وداود بن بندار بن ابراهيم الجيلاني (المتوفى عام ٦١٨ هـ /
١٢٢١ م)^(٨) وغيرهما من علماء الشافعية .

-
- (١) الأصفهاني : خريدة القصر ج ١ / ص ١٤٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان
ج ٢ / ص ١١٥ .
(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ١١٥ .
(٣) كمال الدين أبو الفتوح من أعيان الدولة المسترشدية والمقتفية ، تولى الحجابة
ثم المخزن . ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٢٠٢ .
(٤) ن . م . ص ج ١٠ ص ٨٩ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٣٦٩ .
(٥) ن . م . ص ج ١٠ / ص ٨٩ .
(٦) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٧ / ص ٥٦ ، المنذرى : التكملة لوفيات النقلة
ج ١ / ص ١٢٢ .
(٧) عماد عبد السلام : مدارس بغداد في العصر العباسي / ص ١٠٣ .
(٨) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٦٤ .

المدرسة الفخرية (أو مدرسة دار الذهب) :

وهي المدرسة التي أنشأها فخر الدولة أبو المظفر الحسن بن هبة الله البغدادي الوزير الصوفي (المتوفى عام ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م)^(١) ، وكان قد افتتحها سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م^(٢) قال ابن الفوطي " كان من بيت الوزارة فأعرض عنها ، وجعل داره رابطاً للصوفية ، ومال إلى التصوف ، وعمر المدرسة الفخرية بالمأمونية ، وجعل فيها خزانة كتب جامعة لأنواع العلوم " .^(٣)

وكان أول من درس فيها أبو القاسم يحيى بن علي بن فضالان في سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م^(٤) . وغيره من علماء الشافعية .

المدرسة الأسبهذية :

لم تشر المصادر التي وصلنا إليها إلى من أنشأ هذه المدرسة ، وإن كانت المعلومات المتيسرة عن أسما^٥ مدرسيها تشير إلى أنها من مدارس الشافعية ببغداد . وقد درس بها الشيخ عاد الدين أبي بكر محمد بن يحيى السلامي (المتوفى عام ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م) فقد تولي التدريس فيها سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م^(٥) وغيره من علماء الشوافع .

مدرسة أبي النجيب السهروردي :

بناها أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه السهروردي (المتوفى عام ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م) الذي قال عنه السبكي " وكانت له خبرة على دجلة

-
- (١) ابن الأثير: الكامل ج ٩ / ص ١٦٠ .
 - (٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٢٤٠ .
 - (٣) ابن الفوطي : مجمع الآداب ج ٣ / ص ١٥٥ .
 - (٤) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٢٤٠ .
 - (٥) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٢١٩ .

بنى فيها رباطا ، وبنى الى جانبه مدرسة ^(١) .

مدرسة زمرد خاتون (أو مدرسة الأصحاب) :

أنشأت هذه المدرسة زمرد خاتون ابنة عبد الله التركية والدة الخليفة الناصر التي أشار المنذرى الى أنها " عمريت المدارس والربط والجوامع والمساجد ، وأوقعت وقوفا كثيرة وتوفيت سنة ٥٩٩ هـ / ٢٠٢ م ^(٢) . وقد افتتحت هذه المدرسة سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م وقد أشار سبط ابن الجوزى الى ذلك فى حوادث هذه السنة حيث قال " وفيها فتحت المدرسة التي الى جانب تربة والدة الخليفة " ^(٣) .

المدارس الحنبلية ببغداد :

مدرسة المخرمي :

من مدارس بغداد الحنبلية ، بناها القاضي أبو سعد المبارك المخرمي قاضي باب الأزج (المتوفى عام ٥١٣ هـ / ١١١٩ م) وقد درس بها الشيخ أبو محمد عبد القادر محي الدين ابن دوست ^(٤) (المتوفى عام ٥٦١ هـ / ١١٦٥ م) . كما درس بها أبو محمد عبد الوهاب المعروف بابن القدوة من فقهاء الحنابلة

- (١) السبكي : طبقات الشافعية ج ٢ / ص ١٧٣ .
(٢) المنذرى : التكملة لوفيات النقلة ج ١ / ص ٤٥١ .
(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٤٢٢ .
(٤) المخرمي : نسبة الى المخرم محلة شمال بغداد وصاحب المدرسة هو أبو سعد المبارك المخرمي قاضي باب الأزج ، كان حسن السيرة ، مداوما للصيام والتهجد بالليل ، فقيها فاضلا عالما ثقة . ابن القوطي : الحوادث الجامعة / ص ١٣٨ ، أبو يعلى : طبقات الحنابلة ج ٢ / ص ٢٥٨ ، ابن رجب : نزيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ١٦٦ .

المشاهير (المتوفى عام ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م)^(١) .

مدرسة أبي شجاع :

وهي المدرسة التي بناها بهرام بن بهرام أبو شجاع البيع (المتوفى عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م)^(٢) فقد ترجم له ابن الجوزي وقال بأنه " بنى مدرسة لأصحاب الامام أحمد بباب الأزج ووقف قطعة من أملاكه على الفقهاء " .^(٣)

مدرسة الأبرادى :

وقد قام بتأسيس هذه المدرسة الفقيه الحنبلي أحمد بن علي بن عبد الله الأبرادى أبو البركات (المتوفى عام ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م)^(٤) ، فقد أنشأها في محلة بالهدرية في شرقي بغداد^(٥) ، وتشير المصادر إلى أن مؤسسها هو أول من تولّى التدريس فيها^(٦) .

مدرسة ابن الشمعل :

وقد شيد أبو القاسم عمر بن ثابت ابن الشمعل هذه المدرسة سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م ، قال ابن الجوزي في أحداث سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م " وفتحت المدرسة التي بناها ابن الشمعل في المأمونية " .^(٧) وقد درس بها عند افتتاحها الشيخ أبو حكيم إبراهيم بن دينار^(٨) (المتوفى عام ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م) الذي قال عنه ابن الجوزي " كان عالماً بالمذهب والخلاف والفرائض ، وقرأ عليه خلق كثير ، ونفع به ،

(١) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ٣٨٩ ، سبط ابن الجوزي : سيرة

الزمان ج ٨ / ص ٤٥٤ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٢٦٢ .

(٣) ن ٢٠٠ م / ص ٢٦٢ .

(٤) ن ٢٠٠ م / ص ٧٠ ، ابن العماد : الشدرات ج ٤ / ص ٩٧ .

(٥) ابن القوطي : الحوادث الجامعة ص ٢٣٢ .

(٦) ن ٢٠٠ م / ص ٢٣٢ .

(٧) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٢٠٠ .

(٨) إبراهيم بن دينار أبو حكيم النهرواني ، كان عالماً بالمذهب والخلاف والفرائض ، كان زاهداً عابداً كثير الصوم . ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٢٠١ .

وأعطي المدرسة التي بناها ابن الشمعل بالمأمونية^(١).

مدرسة الوزير ابن هبيرة :

أنشأها الوزير العالم وزير الخليفة المعتز أبو المعظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني (المتوفى عام ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م) وهذه أول مدرسة يرد لها ذكر فسي المصادر تنهى في الجانب الغربي من بغداد (الكرخ) سنة ٥٥٧ هـ / ١١٦١ م^(٢) .
ودرس بهذه المدرسة علي بن محمد بن علي الزيتوني (المتوفى عام ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م) وغيره من علماء الحنابلة^(٣) .

مدرسة بن بكروس :

تقع ببغداد الشرقية ، شيدها أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن بكروس البغدادي (المتوفى عام ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م) الذي كان عالما زاهدا يتكلم في مسائل الخلاف^(٤) ، ودرس فيها أخوه أحمد بن بكروس (المتوفى عام ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م)^(٥) ، ودرس فيها أيضا إبراهيم بن علي بن محمد بن المبارك بن بكروس (المتوفى عام ٦١١ هـ / ١٢١٤ م)^(٦) .

-
- (١) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٢٠١ .
 - (٢) ن . م . س ج ١٠ / ص ٢٠٣ .
 - (٣) علي بن محمد الزيتوني فقيه حنبلي ثقة وأفتى وناظر ودرس وكان من أعيان الحنابلة في عصره . ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ٣٦٦ ،
العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٢٨٦ .
 - (٤) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٢٧٦ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ / ص ٣٤٤ .
 - (٥) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ٣٤٨ .
 - (٦) ن . م . س ج ٢ / ص ٧٠ .

مدرسة ابن الجوزي :

وتقع بدرب دينار في منطقة شرق بغداد ، شيدها العالم الفذ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (المتوفى عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) ، وقد تم افتتاحها سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م قال ابن الجوزي ، وهو يتحدث عن نفسه في أحداث هذه السنة " وفي المحرم ابتدأت بالقاء الدروس في مدرستي بدرب دينار " (١)

مدرسة بنفش الشاطئية :

تقع هذه المدرسة علي شاطئ نهر دجلة في محلة من محال بغداد الشرقية يقال لها باب العراب ، وهو أحد أبواب دار الخلافة ببغداد (٢) وقد بنيت علي نفقة السيدة بنفش بنت عبد الله الرومي (المتوفى عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م) ، قال سبط ابن الجوزي عنها " . . . وهي التي اشترت دار الوزير ابن جهير باب الأنج ، ووقفتها علي الحنابلة ، وفوضت نظرها الي جدي " (٣) وكانت هذه المدرسة قد افتتحت سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م (٤)

مدرسة ابن العطار :

وهي من مدارس الحنابلة بشرقي بغداد ، شيدها أبو القاسم نصر بن منصور بن الحسين بن أحمد بن العطار (المتوفى عام ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م) قال ابن الساعي عنه " بنى مدرسة للفقهاء الحنابلة بدرب القيار " (٥)

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٢٥٠ ، ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ /

ص ٦٥ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ج ١ / ص ٣١٢ .

(٣) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٨٩ .

(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٥١٠ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٢٥٣ .

(٦) ابن الفوطي : مجمع الآداب ج ٤ / ص ١٥٨ .

المدارس في مدن العراق الأخرى :

مدارس الموصل في العصر السلجوقي :

ازدهرت الحركة العلمية في الموصل في العصر السلجوقي بعد أن اتخذها الأتابكيون عاصمة لملكهم (٥٢١ - ٦٦٠ هـ / ١١٢٧ - ١٢٦١ م) ^(١) وقد امتاز حكمها بحبهم للعلم ونشر العلوم والمعارف ، فأسسوا معاهد علمية مختلفة ، من مدارس ، و دور حديث وقرآن ، ورياضات واستقدموا العلماء كما وفد عليهم عدد كبير منهم من أرجاء المشرق الاسلامي . وقد جعل الأتابكة من الموصل مدينسة مزدهرة بالعلم والأدب والفن . ولهذا فقد كانت سوق العلوم والآداب نافقة عند الأتابكيين لكثرة المدارس التي أنشأوها . وقد ذكر ابن جبير الذي زار الموصل سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م أن " في المدينة مدارس للعلم نحو الست أو أزيد على درجة " ويبدو أنها كانت مدارس كبيرة فقد وصفها بقوله : " كأنها القصور المشرفة " ^(٢) ، وأهم المدارس بالموصل في هذا العصر :

المدرسة النظامية :

وقد بناها الوزير نظام الملك السلجوقي . قال ابن الأثير عند كلامه عن القاضي أبي بكر محمد بن علي بن الحسن الخالدي المعروف بالسديد " وبنى له نظام الملك مدرسة بالموصل ، وهي الآن بالقرب من الجامع النوري " ^(٣) ، ومن المعلوم أن هذه

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر / ص ٣٤ ، وكلمة أتابك مركبة من لفظين تركيبين وهما : " أطا " بمعنى أب و " بك " بمعنى أمير . القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ / ص ٤٩١ . ولقد كانت مهمة الأتابك في نشأتها هي الحراسة على الأمير السلجوقي ، وتعهد تربيته وتعليمه ، إلا أنها شملت على مر السنين مهمات أخرى أدت في آخر الأمر إلى انقسام الدولة السلجوقية إلى ولايات يستقل بحكمها الأتابكة وأسره . حسن الباشا : الألقاب الإسلامية / ص ١٢٣ .

(٢) ابن جبير : الرحلة / ص ٢١١ .

(٣) ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ج ١ / ص ٣٩٩ .

المدرسة تلتزم بالتدريس على مذهب الامام الشافعي ، وقد درس بهذه المدرسة أبو حامد محمد بن القاضي كمال الدين الشهرزوري (المتوفى عام ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م) قال ابن خلدان عنه " تولي قضاء دمشق ، ثم عاد الى الموصل ، ودرس بمدرسة والده ، والمدرسة النظامية بالموصل " (١) كما درس بها محمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم الموصل (المتوفى عام ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م) وقد درس بها أيضا أحمد بن نصر بن الحسن أبو العباس الأنباري (المتوفى عام ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م) (٢)

المدرسة الأتابكية المعتيقة :

وهي المدرسة التي بناها سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي (المتوفى عام ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م) ، كان من خيرة الملوك الأتابكيين وكان محبا لأهل العلم مقربا لهم ، قال ابن الأثير " بنى بالموصل المدرسة الأتابكية المعتيقة ، وهي من أحسن المدارس وأوسعها ، وجعلها وقفا على الفقهاء الشافعية والحنفية نصفيين ، بنى رباطا للصوفية بالموصل ، وهو الرباط المجاور لباب المشرقة ، ووقف عليها الوقوف الكثيرة " (٤) وقد درس فيها أبو البركات عبد الله بن الحسين الشيرجسي (المتوفى سنة ٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م) (٥)

المدرسة الكمالية (الزينية) :

بناها زين الدين أبو الحسن علي بن بكتكين (المتوفى عام ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م) قال عنه ابن خلدان " ان له بالموصل أوقافا كثيرة مشهورة من مدارس وغيرها " (٦) وقد

-
- (١) ابن خلدان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٢٤٦ .
 - (٢) السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ / ص ١٨٥ .
 - (٣) ن . م . س ج ٦ / ص ٦٢ .
 - (٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل / ص ٩٣ ، وأنظر أيضا أبو شامة : الروضتين ج ١ / ص ٦٠ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٢٢٣ .
 - (٥) اليافعي : مرآة الجنان ج ٣ / ص ٢٨٤ .
 - (٦) ابن خلدان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ١١٤ .

عرفت بالمدرسة الزينية نسبة الى مؤسسها زين الدين ، كما عرفت بالكالمية نسبة الى مدرستها كمال الدين يونس بن منعه الحقيلى (المتوفى عام ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م) لطول اقامته بها^(١) وقد قال عنه ابن خلكان : " ولما اشتهر فضله انشال عليه الفقهاء ، وتبحر في جميع الفنون ، وجمع من العلوم ما لم يجمعه أحد ، وتفرّد بعلم الرياضة ، وكان يدري فن الحكمة : المنطق الطبيعى والالهى ، وكذلك الطب ... " .^(٢)

مدرسة الجامع النورى :

وقد بنى هذا الجامع نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي (المتوفى عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) حيث انتهى منه سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م ثم بنى بجانبه مدرسة وعين فيها الفقيه عماد الدين التوقاني وكتب له منشورا^(٣) .^(٤)

المدرسة الكالمية القضائية :

بناها العالم الوزير أبو الفضل محمد بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الملقب كمال الدين (المتوفى عام ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م) قال ابن خلكان " وكان فقيها أديبا شاعرا كاتباً ، يتكلم في الخلاف والأصولين كلاما حسنا^(٥) " وذكر ابن الجوزى " بأنه كان رئيس أهل بيته وبنى مدرسة بالموصل ونصيين وقف عليها وقوفاً^(٦) " .

- (١) ناجى معروف : علماء النظاميات ومدارس المشرق الاسلامى / ص ١٥٧ - ١٥٨ .
 (٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ٣١١ - ٣١٢ .
 (٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر / ص ١٦١ .
 (٤) سعيد الديوه جي : مدارس الموصل في العهد الأتابكي ، مجلة سومر ، مجلد ٥ / ص ١٧٦ .
 (٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٢٤١ ، ابن الجوزى : المنتظم ج ١٠ / ص ٢٦٨ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٣٤٠ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٧٤ .
 (٦) ابن الجوزى : المنتظم ج ١٠ / ص ٢٦٨ .

المدرسة العززية :

بناها أبو الفتح وأبو المظفر عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بسمن
عماد الدين زنكي (المتوفى عام ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م)^(١) قال ابن خلكان " وكان قد بنى
بالموصل مدرسة كبيرة وقفها على الفقهاء الشافعية والحنفية " ^(٢) وقد أشار إليه ابن
الأثير بقوله " وهو الذي ابتنى المدرسة الغربية بباب دار المظلة ، وهي مدرسة
حسنة جعلها للفريقين الحنفية والشافعية " ^(٣).

المدرسة النورية :

بناها نور الدين أرسلان شاه الأول بن عز الدين مسعود (سنة ٦٠٧ هـ /
١٢١٠ م) " ^(٤) وقد أشاد به ابن الأثير فقال : " من محاسن أعماله المدرسة السنية
أنشأها بباطن الموصل ، وهي من أحسن المدارس " ، ^(٥) وكان عدد فقهاء المدرسة
النورية ستين فقيها شافعيًا ، وقد أوقف عليها الأوقاف الكثيرة . ودرس بها عدد
من مشاهير علماء العصر ، منهم قاضي القضاة محمد بن كمال الدين الشهرزوري
(المتوفى عام ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م)^(٦) وأبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف
بإبن شداد الفقيه الشافعي ، صاحب التاليف الكثيرة في الفقه والتاريخ والحدِيث
(المتوفى عام ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م)^(٧).

- (١) ابن الأثير: التاريخ الباهر / ص ١٩٧ ، الكامل ج ٩ / ص ٢٢٨ ، ابن خلكان :
وفيات الأعيان ج ٥ / ص ٢٠٣ ، ابن تغري بريد : النجوم الزاهرة ج ٦ / ص ١٣٦ ،
العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٢٩٧ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ٢٠٧ .
(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر / ص ١٨٩ .
(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ١٩٣ ، ابن الأثير: التاريخ الباهر / ص ١٩٧ .
(٥) العماد الحنبلي : الشذرات ج ٥ / ص ٢٤ .
(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر / ص ١٩٨ .
(٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٢٤٦ .
(٧) ن ٢٠٠ م / ج ٧ / ص ٨٤ .

المدرسة المجاهدية :

(١) وقد بناها أبو منصور قايمار بن عبد الله الزيني (المتوفى عام ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م) الذي وصفه ابن الأثير بقوله : " كان عاقلاً دينا يعلم الفقه على مذهب أبي حنيفة ، ويحفظ من الأشعار والحكايات والنوادر والتواريخ شيئاً كثيراً وبنى عدة جوامع ، منها الذي بظاهر الموصل ، وبنى عدة خانقاهات ، منها التي بالموصل ، ومدارس " (٢)

المدرسة المهاجرية :

وهي المدرسة التي بناها علوان بن مهاجر بن علي بن مهاجر (المتوفى عام ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م) وقد ذكرها ابن الفوطي في ترجمته لحفيذه أحمد بن محمد بن علوان فقال " وبنى جده علوان بن مهاجر بالموصل مدرسة للفقهاء في سكة بني نجيج ، ووقف عليها وقفاً متوفراً الحاصل " (٣) والمدرسة المهاجرية من المدارس المعلقة ، لأنها كانت فوق دار الحديث المهاجرية التي كانت مبنية قبل سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م . (٤)

دار الحديث بالموصل :

وتعد دار الحديث من ممتلكات الشهير نور الدين زنكي (٥) فقد بنى دار السنسة النورية بالموصل . كما بنى أبو القاسم علي بن مهاجر داراً للحديث بالموصل . (٦) ذكرها

(١) ابن الأثير: التاريخ الباهر / ص ١٩٣ ، ابن الفوطي : مجمع الآداب ج ٤ / ص ٨٣ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٣٣٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ /

ص ٨٢ .

(٢) ابن الأثير: التاريخ الباهر ص ١٩٣ - ١٩٤ .

(٣) ابن الفوطي : مجمع الآداب ج ٤ / ص ٦٧٥ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٨ / ص ٨١ .

(٤) ابن الفوطي : مجمع الآداب ج ٤ / ص ٦٧٥ .

(٥) ابن العماد : الشذرات ج ٥ / ص ٩٩ .

(٦) ناجي معروف : نشأة المدارس المستقلة / ص ١٥ .

(٧) ن ٤٠٠ م / ص ١٦ .

(٨) ابن الفوطي : مجمع الآداب ج ٥ / ص ٦٢٩ .

ابن العماد في ترجمته لموفق الدين عبد اللطيف البغدادى حيث نقل عنه قولـه :
" فاخترت مدرسة ابن مهاجر المعلقة ، ودار الحديث التى تحتها " .^(١)

كما بنى مظفر الدين كوكبرى بن أبى الحسن على بن بكتكين (المتوفى عـسـام
٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)^(٢) بالموصل دارا للحديث ، وسميت دار الحديث المظفرية .^(٣)

مدارس واسط في العصر السلجوقي :

لقد زخرت مدينة واسط في العصر السلجوقي بعدد كبير من المدارس ، ودور
القرآن والمقرئين والمدرسين ، وأصبحت في هذا العصر من أهم المراكز لتدريس
القرآن والقراءات . . أما المدارس التى كانت بواسط خلال فترة البحث فهى كما يلى :

مدرسة خطلبرس :

من أقدم مدارس واسط في الجانب الشرقي من واسط على مقربة من دجلة ،
وتنسب هذه المدرسة الى خطلبرس (المتوفى عام ٥٦١ هـ / ١١٦٥ م)^(٤) .

مدرسة الغزنوى :

وهذه مدرسة منسوبة الى أبى الفضل الغزنوى ، وكانت تقع فى محلة تعمرف
بمحلة الوراقين فى مدينة واسط ، ذكرها القرشي في ترجمته لمحمد بن أحمد بن
عبد الرحمن الغزنوى بقوله " قدم بغداد سنة سبع وخمسين وخمسمائة ، وعقد مجلس
الوعظ بجامع القصر ، ثم انتقل الى واسط فسكنها الى حيث وفاته فى عام (٥٦٣ هـ /
١١٦٧ م) فى مدرسته بمحلة الوراقين " .^(٥)

-
- (١) العماد الحنبلي : الشذرات ج ٥ / ص ٩٩ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ١١٣ .
(٣) عصام الدين عبد الرؤوف : بلاد الجزيرة فى أواخر العصر العباسي / ص ٢٦٣-٢٦٤ .
(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ / ص ٥٢٠ ط بولاق .
(٥) القرشي : الجواهر النضية ج ٢ / ص ١٥٤ .

مدرسة ابن الكيال الواسطي :

وهذه المدرسة ذكرها القرشي عند إيراد ترجمة نصر الله بن علي بن منصور بن علي بن الحسين الواسطي حيث ذكر أنه " قدم بغداد في عام ٥٢٣ هـ / ١١٢٨ م) وهو شاب يطلب العلم ، ثم عاد إلى واسط ودرس بها في مدرسة تعرف به (١)

مدارس البصرة في العصر السلجوقي :

نشطت الحركة الثقافية والتعليمية في البصرة خلال العصر السلجوقي ، وكانت عامرة بالمدارس والمكتبات ، وظهر بها علماء كان لهم دراسات جيدة في العلوم والآداب . ومن أهم المدارس بها :

المدرسة النظامية :

وهي أكبر مدارس البصرة وأهمها في هذا العصر ، ويبدو أنها كانت عظمى البنيان حصينة ، فقد أشار ابن الأثير في حوادث عام ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م إلى أنه حينما نهبت البصرة خلال حصار سيف الدولة صدقه بأنه لم يسلم منها " إلا المحللة المجاورة لقبر طلحة والمريد " ، فان العباسيين دخلوا المدرسة النظامية واستمتعوا بها وحموا المريد " (٢) . وقد ذكر السبكي في ترجمته لمحمد بن قنان بن حامد الطيب ، أبي الفضل الأنباري (المتوفى عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م) أنه كان قد " تفقه على أبي إسحاق الشيرازي ، وكان من أعيان تلاميذه ، ولي قضاء البصرة ، ودرس بالمدرسة النظامية " (٣) . ويذكر النفيسي نقلا عن كتاب تجارب السلف (٤) أن المدرسة النظامية

(١) القرشي : الجواهر المضية ج ٢ / ص ١٩٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٢٣٢ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ / ص ١٢٥ .

(٤) تجارب السلف : لهند وشاه بن سنجر ألفه لنصرة أحمد الفضلوي (المتوفى عام ٥٢٠ هـ / ١٢٢٩ م) . حاجي خليفة : كشف الظنون ج ١ / ص ٣٤٤ ، البغدادي :

هدية المارفين ج ٢ / ص ٥١١ .

بالبصرة كانت أحسن وأكبر من نظامية بغداد ، وأنها استمرت الى أواخر أيام
ال خليفة المستعصم بالله .^(١)

ومن مدارس البصرة الأخرى مدرسة أبي العباس الجرجاني ، ومدرسة أبي
الفرج البصري ، ومدرسة الحنابلة ، ومدرسة الطب ، ومدرسة ابن دويرة .^(٢)

.....

(١) سعيد النفيسي : المدرسة النظامية في بغداد ، مجلة المجمع العلمي العراقي

ج ١ / مجلد ٣ / ص ١٤٤ .

(٢) ناجي معروف : طوائف النظاميات ص ص ١٤٢ - ١٤٦ .

الباب الثالث

دراسة للإنتاج المعاصر والأدبي
في العراق خلال العصر الساجوي

الباب الثالث

دراسة للانتاج العلمي والأدبي في العراق خلال العصر السلجوقي

اتسع أفق التفكير الاسلامي في عهد السلاجقة اتساعا كبيرا ، فلقد كانت ملكات علماء المسلمين في البحث والتأليف على درجة عظيمة من النضج ، كنتيجة طبيعية للنشاط العلمي وتطوره خلال القرون السابقة ، اضافة الى ما أحدثه التلاقح الفكري والاحتكاك بالثقافات الأخرى ، ولا سيما بعد نشاط حركة الترجمة في العصر العباسي الأول . ثم يأتي بعد ذلك دور المدارس والمعاهد العلمية التي ركزت وعقدت أساليب البحث ، وأبرزت التخصصات العلمية . كما ينبغي ألا نهمل أثر الرحلة في طلب العلم ، وما نجم عنها من شمول واتساق في السوية العلمية حيث كان رجال العلم والأدب يرتحلون بين مشارق العالم الاسلامي ومغاريه ، مروراً ببغداد مركز الاشعاع العلمي في هذا العصر . وهكذا نشطت الحركة الفكرية ، وراجت الثقافة ، وزخرت مجالس دار الخلافة وملاط السلاطين السلاجقة وغيرهم بالعلماء والأدباء . أضف الى ذلك أن ظهور الكثير من الفرق ، وتنافر المذاهب في هذا العصر قد أسهم بصورة غير مقصودة في تنشيط الحركة العلمية في البحث والتقصي ، ذلك أن هذه الفرق اتخذت من العلم وسيلة لتحقيق أهدافها المختلفة في الوصول الى عقول الناس واستمالتهم . كما كان للجدل الذي احتدم بين هذه الفرق أثر كبير في تنشيط النهضة العلمية . وقد تجلّى ذلك مثلاً في الآثار التي خلفها علماء المذاهب الاسلامية المختلفة . اضافة الى ما انعكس من أنشطة الفرق الاسلامية وصراعاتهم بعضهم مع بعض ، أومع أهل السنة ، أومع أصحاب العقائد

الباطلة ، من نشاط علمي مستمر ومتجدد .

ولقد نهج السلاجقة نهج الحكام المسلمين الذين سبقوهم أو الذين عاصروهم في رعايتهم للعلوم والآداب والفنون ، وتنافسوا في ذلك ، وخصصوا المدارس النظامية لتطوير وإثراء العلوم والآداب . ومع ذلك فقد كان سلاطين السلاجقة يقفون موقف الشدة والتصدي لمن يخالف آراءهم من العلماء ، أو من يتعرض لسلطانهم . وفي ذلك يذكر الداودي في ترجمته لعبد الله بن محمد بن أحمد شيخ الاسلام الهروي^(١) أنه كان " قائما بنصر السنة والدين من غير مداهنة ، ولا مراقبة لسلطان ولا غيره ، وقد تعرضوا بسبب ذلك الى هلاكه مرارا ، فكفاه الله شرهم ، قال ابن طاهر : سمعته يقول بهراة : " عرضت على السيف خمس مرات لا يقال لي : ارجع عن مذهبك ، ولكن يقال لي : أسكت عن خالفك ، فأقول : لا أسكت " .^(٢) ولعل في تاريخ عائلة العماد الأصبهاني (المتوفى عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) صاحب خريدة القصر ، وما تعرض له أعيانها من مطاردة ومصادرات خير مثال على هذه المواقف .^(٣)

ولقد ساد في أذهان الكثير من الباحثين فكرة مفادها أن نهاية القرن الرابع الهجري يمثل نهاية الحركة العلمية في المشرق الاسلامي ، كما يمثل عصر هبوط فسي المعارف الاسلامية والعلوم والآداب . ولعل الصواب قد جانبهم في هذا الرأي . ذلك أن العلوم البحتة ، كالفيزياء ، والكيمياء ، والرياضيات ، والفلسفة والمنطق

(١) شيخ الاسلام الهروي كان اماما في التفسير ، على حظ تام في معرفة العربية ، والحديث ، والتواريخ ، والانساب قائما بنصرة السنة له تصانيف منها ذم الكلام كتاب منازل السائرين في التصوف وغير ذلك (توفي عام ٤٨١ هـ / ١١٨٨ م) .
الداودي : طبقات المفسرين ج ١ / ص ٢٥٠ .

(٢) ن ٢٠٠ م / ص ٢٤٩ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ١٨٨ - ١٨٩ .

والحكمة ، وان لم تواكب حركة التطور والمتابعة في هذا العصر ، فان فروعاً معرفية كثيرة أخرى ، كالطب ، والعلوم الشرعية ، وعلوم اللغة العربية والآداب ، بلغت أوج قمتها في هذا العصر . فلقد قدم علماء هذا العصر دراسات وأبحاثاً رائدة . وظهر من بين المشتغلين بهذه التخصصات علماء كان لهم أثرهم الكبير في إثراء المكتبة العربية بتلك المؤلفات العظيمة .

وعلى كل حال فان تلك الفكرة التي سيطرت على أذهان البعض تعكس نقصاً كبيراً في الدراسات المتخصصة التي عالجت دراسة الحركة العلمية والثقافية خلال هذا العصر ، وربما تعكس ميولاً عاطفية معينة ، دفعت البعض منهم الى تبني مثل هذه الآراء ، وربما يعود بعض أسباب ذلك الى نقص في فهم طبيعة ما ساد العصر من غموض وصراع ، على أن المصادر المعاصرة المعتمدة تقدم دراسات مستقرة في أن العصر السلجوقي في العراق هو عصر قطاف ثمار المعارف ونتاج النهضة العلمية والأدبية والفنية ، إضافة الى أنه يمثل عصر تصنيف الموسوعات الإسلامية المختلفة .

ويحاول البعض من الباحثين المحدثين الربط بين الحالة السياسية والحركة العلمية في المشرق الإسلامي في هذا العصر ، فيرى أن الحركة العلمية تتوافق مع إيجابيات مع تحسن الحالة السياسية التي تعيشها الدولة والعكس بالعكس ، وأن المستوى الثقافي والعلمي في العراق خلال مرحلة البحث انما هبط بسبب ضعف الحكم وحالة الانقسام والتجزئة التي عاشتها الأمة الإسلامية في هذا العصر .

وهنا لابد من الرد على هذه المقولة بأن هذه الفرضية لا تنسجم أو تتوافق مع حقائق العصر الذهبي للحركة الثقافية والنشاط العلمي في المشرق الإسلامي . فعلى الرغم من أن أوضاع العراق السياسية والاقتصادية كانت في حالة مزرية خلال حكم البويهيين فان النشاط العلمي والثقافي قد بلغ شأواً بعيداً من التقدم والتطور .

ومع أن السيطرة السلجوقية تمثل في المنظور السياسي فترة ضعف سياسي للعراق ،
تقلبت خلاله عناصر خارجية أخرى على مقاليد الحكم فيه ، فإن الحركة العلمية قد
سارت في خطوط واتجاهات مفارقة ، فقد نشطت الحركة العلمية ، وحصل تركيز
كبير على الدراسات الشرعية واللغوية والآداب وعلم الكلام عن طريق المدارس السنية
المختلفة في محاولة لإثبات الوجود ، ومناصرة أهل السنة وأتباع السلف الصالح ،
وذلك يتوافق مع مصالح الأمة وعقيدتها .

ورغم حرص العناصر المتسلطة على ضمان مصالحها الذاتية المحدودة في كثير
من الأحيان ، فقد كانت حصيلة هذا النشاط إنتاجا علميا غزيرا ، سيكون مصدر
البحث في الفصول الأربعة التالية .

• • •

الفصل الأول

الدراسات التشريعية

- أولا : علم القراءات ٣١٠ - مشاهير علماء القراءات في هذا العصر ٣١١ .
- ثانيا : التفسير ٣١٦ - أشهر علماء التفسير في هذا العصر ٢١٧ .
- ثالثا : الحديث ٣٢٠ - عناية المسلمون بدراسة الحديث ٢٦٦ - مشاهير علماء الحديث في هذا العصر وانتاجهم العلمي ٣٢٠ .
- رابعا : الفقه والأصول ودراساتها وأوضاعها في هذا العصر ٣٣٢ - رواد الفقهاء والدراسات الفقهية ٣٣٧ .
-

الفصل الأول

الدراسات الشرعية

أولا : علم القراءات :

القرآن الذى أنزله الله على رسوله عليه الصلاة والسلام هو مصدر المعرفة لدى المسلمين . وقد تفرعت عن دراسة القرآن الكريم علوم عدة ، مثل قراءات القرآن وتجويده وتفسيره ، وأحكامه ، وأسباب نزوله ، وغيرها .

ولقد حرص المسلمون على تعليم أبنائهم القرآن على أن يداوموا على قراءته كل يوم حتى يحفظوه ، ويتقنوا قراءته وتجويده ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قال " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " ^(١) .

فكان تعليم القرآن من القربات التى يتقرب بها الفرد المسلم الى الله تعالى . وقد أوردت المصادر أن محمد بن أبي محمد بن أبي المعالي أبا شجاع البغدادي (المتوفى عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) الذى عرف بأنه شيخ مقرأ قد تصدر للآقراء ، وتعليم الأولاد والصبيان ستين سنة ، احتسابا لله تعالى ، فكان لا يأخذ شيئا ^(٢) .

ولقد اهتم علماء المسلمين بالقراءات القرآنية حتى أصبحت علما مهما بين علوم القرآن الكريم بخاصة والدراسات الشرعية بعمامة ، ولذلك ألغت فى هذا العلم عشرات الكتب نظما ونثرا ، يقول ابن خلدون " القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه

(١) البخارى : فتح البارى ج ٩ / ص ٧٤ . حديث رقم " ٥٠٢٧ " .

(٢) ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء ج ٢ / ص ٢٥٩ .

المكتوب بين دفتي الصحف ، وهو متواتر بين الأمة . الا أن الصحابة روه عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، على طرق مختلفة في بعض ألفاظه ، وكيفيات الحروف في آدائها ، وتتوغل ذلك واشتهر الى أن استقرت منها سبع طرق معينة ،^(١) تواتر نقلها أيضا بأدائها ، واختصت بالانتساب الى من أشتهر بروايتها من الجسم الخفير ، فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراءة ، وربما زيد بعد ذلك قراءات أخرى لحقت بالسبع ، الا أنها عند القراء لا تقوى قوتها في النقل .^(٢)

ولقد نشطت القراءات القرآنية في هذا العصر في العراق ، وظهر عدد من علماء القراءات الذين كانت اليهم رحلة طلاب العلم من أقطار العالم الاسلامي ، وكانت لهم مصنفات مهمة في القراءات ، أثرت هذا الفرع من فروع العلوم الشرعية في هذا العصر .

فكان من مشاهير قراء العصر محمد بن علي بن موسى أبو بكر الخياط القسري ،^(٣) البغدادي (المتوفى عام ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م)^(٤) مسند عصره في القراءات ، كـبـير القدر ، عديم النظير ، بصير بالقراءات . امام مسند ثقة .^(٥)

ومن أشهر قراء العصر أبو علي حسن بن القاسم بن علي الواسطي غـلام الهراس (المتوفى عام ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م) ، شيخ القراء ، ومسند العراق ،^(٥)

(١) في الحقيقة أن القراءات الصحيحة عشر ، وقد ألف ابن بندار الواسطي القلانسي كتابا في ذلك كما سيأتي ذكره . أنظر القلانسي : كتاب ارشاد البتدي ، وتذكره المنتهى في القراءات العشر . تحقيق ودراسة عمر حمدان الكبيسي ، جامعة ام القرى بمكة المكرمة ١٤٠٤ / ١٩٨٤ . كما ألف ابن الجزري كتابه الكبير " النشر في القراءات العشر " وكذلك منظومته " طيبة النشر " في القراءات العشر .

(٢) ابن خلدون : المقدمة / ص ٤٣٧ .

(٣) الذهبي : معرفة القراء الكبار ج ١ / ص ٣٤٣ ، ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات

القراء ج ٢ / ص ٢٠٩ .

(٤) ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ج ٢ / ص ٢٠٩ .

(٥) الذهبي : معرفة القراء الكبار ج ١ / ص ٣٤٤ ، ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات

القراء ج ١ / ص ٢٢٨ .

رحل في طلب القراءات الى بغداد ودمشق والبصرة وحران ومكة المكرمة والمدينتين
وواسط^(١) ورحل اليه الناس من الآفاق ، وقرأوا عليه بعد أن عي ، قال الذهبي :
" وسافر في طلب القراءات ، وأتعب نفسه في التجويد والتحقيق حتى صار من طبقة
العصر ، ورحل الناس اليه من الأقطار " ^(٢) ، وقال ابن الجزري " ورحل الناس اليه
من الشام ومصر والعراق للقراءة عليه " ^(٣) .

ومن مشاهير القراء أيضا الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البنا أبو علي العقري
الحنبلي المحدث (المتوفى عام ٤٧١ / ١٠٧٨ م) ، الذي صنف في عدد كبير من
العلوم والفنون ، حتى بلغت تصانيفه مائة وخمسين مصنفا ، في علوم القرآن والفقه
والأصول والفروع . ^(٥)

كما برز من مقرئي العصر بالعراق أبو منصور محمد بن أحمد بن عبد السزاق
البغدادي الحنبلي (المتوفى عام ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م) ، قرأ القراءات ، وسمع
الحديث من كثيرين ، وروى عنه كثيرون ، وكان أمارا بمسجد ابن جرادة ببغداد ،
اعتكف فيه مدة طويلة يعلم المميان القرآن لوجه الله تعالى ، ويسأل لهم وينفق
عليهم ، وقد ختم عليه القرآن ألوف من الناس ^(٨) ، قال عنه العماد الحنبلي " بلغ
عدد من أقرأهم أبو منصور القرآن سبعين ألف نفس ، وصنف في القراءات كتابه

-
- (١) الذهبي : معرفه القراء الكبار ج ١ / ص ٣٤٤ .
(٢) ن . م . س ج ١ / ص ٣٤٤ .
(٣) ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ / ص ٢٢٨ .
(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٣١٩ ، ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات
القراء ج ١ / ص ٢٠٦ .
(٥) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٣١٩ .
(٦) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٢٣٦ ، الذهبي : معرفه القراء الكبار ج ١ / ص ٣٧٠
تاريخ الاسلام ، مصور ج ١٢ / وفيات سنة ٤٩٩ هـ ، ابن الجزري : غاية النهاية
في طبقات القراء ج ٢ / ص ٧٤ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٣ / ص ٤٠٣ .
(٧) ببغداد بحريم دار الخلافة . الأصفهاني : الخريدة ج ٣ / ص ٢٥ حاشية رقم ٣ .
(٨) الذهبي : معرفه القراء الكبار ج ١ / ص ٣٧٠ .

المشهور المهذب في القراءات ^(١) . ومن القراء المعدودين في هذا العصر أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد أبو منصور البغدادي (المتوفى عام ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م) الذي صنف المستتير في القراءات العشر البواهر ، والفرد في القراءات ^(٢) . أما العلامة أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي (المتوفى عام ٥١٣ هـ / ١١١٩ م) ^(٣) المقرئ الأصولي المتكلم شيخ الحنابلة في عصره ، وصاحب كتاب الفنون ^(٤) ، فقد كان من مشاهير قراء العصر ، وكان اماما مبرزاً متبحراً في العلوم ، أنظر أهل زمانه قوي الحجة غزير العلم ^(٥) .

وهناك محمد بن الحسين بن بندار أبو نصر القلانسي شيخ العراق ومقرئ القراء بواسط ، وصاحب التصانيف المشهورة (المتوفى عام ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م) ^(٦) ، قرأ على عدد من مشاهير قراء العصر ، ورحل اليه الناس للقراءة عليه من نواحي العراق ، وكان بصيراً بالقراءات وعلمها وفوائدها ، عارفاً بطرقها ، عالي الاسناد ، له من المصنفات ارشاد المبتدئ ، ويقال له اختصارا الارشاد ، أو الارشاد في العشر ^(٧) وكتاب الكفاية الكبرى في القراءات العشر ، أو كفاية المبتدئ وتذكرة المنتهى ^(٨) .

-
- (١) الذهبي : معرفة القراء الكبار ج ١ / ص ٣٧٠ .
 - (٢) البغدادي : هدية العارفين ج ١ / ص ٨١ .
 - (٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٢١٢ ، الأصفهاني : الخريدة ج ٣ / ص ٢٩ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٨٣ - ٨٩ ، الذهبي : معرفة القراء الكبار ج ١ / ص ٣٨٠ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ١٤٢ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٣٥ .
 - (٤) طبع منه جزءان بتحقيق جورج المقدسي ، بيروت - دار الشروق ١٩٧٠ م .
 - (٥) الذهبي : معرفة القراء الكبار ج ١ / ص ٣٨٠ .
 - (٦) ن ٤٠٠ م / ج ١ / ص ٣٨٥ ، ابن الجوزي : غاية النهاية في طبقات القراء ج ٢ / ص ١٢٨ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ / ص ٩٧ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج ٣ / ص ٤ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٦٤ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٨ .
 - (٧) حققه عمر حمدان الكبسي ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ١٤٠٤ هـ .
 - (٨) العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٦٤ ، البغدادي : هدية العارفين ج ٢ / ص ٨٥ .

ومن قراء العصر الحسين بن محمد بن عبد الوهاب البكري الدباس أبو عبد الله البغدادي (المتوفى عام ٥٢٤ هـ / ١١٠٩ م)^(١) ، كان عالما في القراءات ، قرأها على عدد من العلماء المشاهير ، وأخذ الأدب واللغة عن جماعة ، صنف في القسرات الشمس المنيرة في التسعة الشهيرة .

وهناك محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون الدباس البغدادي (المتوفى عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م)^(٢) وقد كان ثقة صالحا رأسا في القراءات ملازما للآراء حتى وفاته ، صنف كتاب المفتاح في القراءات .

ومن أشهر قراء العصر عبد الله بن علي بن أحمد المقرئ النحوي (المتوفى عام ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م)^(٣) ، سبط أبي منصور الخياط ، قرأ القراءات والنحو ، وأقرأ الناس بمسجد ابن جرادة ببغداد ، دام به دهر ، وكان رئيس المقرئين فسي عصره ، وأحد الذين انتهت اليهم القراءة والتجويد علما وعملا ،^(٤) وختم عليه خلق كثير ، وكان اماما محققا ، واسع العلم ، قرأ بالروايات على عدد من مشاهير العلماء ، وكان الناس يحضرون مسجده في ليالي رمضان يستمعون الى قراءته وحسن صوته ، وصار أوحده وقته ، ونسيج وحده ، وكان يقول : لو قلت انه ليس مقرئ بالعراق الا وقد قرأ علي أو علي جدي ، أو قرأ علي من قرأ علينا لكنت أظنني

-
- (١) الذهبي : معرفة القراء الكبار ج ١ / ص ٣٨٧ ، ابن الجزري : غاية النهاية ج ١ / ص ٢٥١ ، البغدادي : هدية العارفين ج ١ / ص ٣١٢ .
- (٢) الذهبي : معرفة القراء الكبار ج ١ / ص ٣٩٩ ، ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ج ٢ / ص ١٩٢ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ١٢٥ .
- (٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ١٢٢ ، الأصفهاني : خريدة القصر ج ٣ / ص ٢٥ ، ابن الأثير : الكامل ج ٩ / ص ١٠٦ ، الذهبي : معرفة القراء الكبار ج ٢ / ص ٤٠٣ ، ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ / ص ٤٣٤ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ١٢٨ .
- (٤) ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ج ١ / ص ٤٣٤ .
- (٥) ن . م . س ج ١ / ص ٤٣٤ .

صادقا^(١) وصنف تصانيف كثيرة في علم القراءات منها المبهم ، وكتاب الروضة ، وكتاب الايجاز ، وكتاب التحصيرة في السبعة ، والكفاية في القراءات الست ، والموضحة في العشرة ، والقصيدة المنجدة في القراءات العشر.^(٢)

أما المبارك بن الحسن بن أحمد بن علي بن فتحان الأستاذ أبو الكرم الشهرزوري البغدادي (المتوفى عام ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م) فقد كان وحيد زمانه في القراءات ، قرأ بالروايات على الكبار ، وانتهت اليه مشيخة الاقراء بالعسراق بعد سبط الخياط ، وكان عارفا باختلاف الروايات والقراءات ، ومن أشهر مصنفاته الصباح الزاهر في العشر البواهر ، والذخائر في القراءات^(٣) ورز من قراء العصر نصر الله بن علي بن منصور أبو الفتح الكيال الواسطي المقرئ شيخ الاقراء بواسط (المتوفى عام ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م) ، صنف المغيدة في القراءات العشر .^(٤)

أما المبارك بن المبارك بن أحمد بن زريق الحداد الواسطي (المتوفى عام ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م) فقد كان أستاذا حاذقا قرأ الروايات على أبيه المبارك (المتوفى عام ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م) ثم رحل الى سبط الخياط ، وقرأ عليه وعلى غيره من طماء القراءات ، وكان هو وأبوه من مشاهير قراء العصر ، صنف الخيرة فـي القراءات العشر .^(٥)

-
- (١) القفطي : انباء الرواة ج ٢ / ص ١٢٢ .
 - (٢) الذهبي : معرفة القراء الكبار ج ٢ / ص ٤٠٣ .
 - (٣) بن ٠٠٠ م ج ٢ / ص ٤١٣ ، ابن الجزري : غاية النهاية ج ٢ / ص ٣٨ ، وأنظر أيضا : البغدادي : هدية العارفين ج ٢ / ص ٠٢ .
 - (٤) البغدادي : هدية العارفين ج ٢ / ص ٠٢ .
 - (٥) الذهبي : معرفة القراء الكبار ج ٢ / ص ٤٤٦ ، ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ج ٢ / ص ٣٣٩ .
 - (٦) الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ٣ / ص ١٦٦ ، ابن الجزري : غاية النهاية فـي طبقات القراء ج ٢ / ص ٤١ .
 - (٧) ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ج ٢ / ص ٣٧ .

ثانيا : التفسير :

يعرف علم التفسير بأنه " علم يعرف به نزول الآيات ، وشئونها ، وأقاصيصها ، والأسباب النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيتها ومدنيها ، ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها ، وخاصها ، وعامها ، ومطلقها ، ومقيدها ، ومجملها ومفسرهما ، وحلالها وحرامها ، ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها ، وأمثالها " (١).

ولقد ظهر في العراق خلال فترة البحث علماء أجلاء برزوا في علم التفسير ، على أنه من المناسب الإشارة الى امام كبير برز في العالم الاسلامي في هذا العصر في ميدان التفسير ، الا وهو محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (المتوفى عام ٥٣٨ هـ / ١١٤٤ م) الذي كان من أئمة العلم بالدين والتفسير ، وكتابه الموسوم بالكشاف في التفسير جديرا بالاهتمام ، لظهوره في هذا العصر في المشـرق الاسلامي ، مما يوضح مدى الاهتمام بهذا العلم في هذا العصر ، فقد بلغ كتابه من الأهمية هلغا عظيما ، اعترف به خصومه وأقرانه على السواء بأنه من كتب التفسير المهمة ، كما اعترف علماء السنة للزمخشري بريادته في هذا الميدان من خلال كتابه ، رغم موقفه الايجابي من الاعتزال ، ولقد استغاد مفسرو العصر من كتابه هذا كصدر من مصادر التفسير الذي يمثل وجهة محدودة ، وخصوصا حينما يتعارض في تفسيره مع ما ذهب اليه المفسرون من أهل السنة (٢).

- (١) التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ج ١ / ص ٢٤ .
 (٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ١٦٨ ، ابن حجر : لسان الميزان ج ٦ / ص ٤ .
 (٣) محمود بن عمر الزمخشري ، كان واسع العلم كثير الفضل غاية في الذكاء ، متقنا في كل علم ، معتزليا قويا في مذهبه ، مجاهرا به ، داعية اليه ، وكان امسما بالادب ، ونسابة العرب تضرب اليه أكباد الابل ، وله التصانيف البديعة منها الكشاف ، الغائث في غريب الحديث ، أساس البلاغة ، المفصل في النحو ، نصوص الأخبار ، أطواق الذهب ، صميم العربية وغيرها من المصنفات . أنظر :
 الداوودي : طبقات المفسرين ج ٢ / ص ٣١٤ ، ابن العماد : الشذرات ج ٤ / ص ١١٨ ، السيوطي : طبقات المفسرين / ص ٤١ .

وكان من مشاهير مفسري هذا العصر محمد بن الحسين بن محمد بن خلف أبو يعلي المعروف بالقراء الحنبلي (المتوفى عام ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م) وأبو يعلي ، رحمه الله ، الي جانب كونه مفسرا ، قد حفظ القرآن في سن مبكرة ، وقرأ بالقراءات العشر ، وأكثر من التصنيف في التفسير وعلوم القرآن ، ^(١) هذا بالإضافة الى أنه كان من رجال الحديث المحدثين ، وطاف الاقاص طلبا للاستناد العالي ، قال القاضي : " وكان يتقدم على أهل زمانه بكثرة سماعه للحديث وطو اسناده فـ... المرويات " ^(٢) ومن أهم مصنفاته في التفسير : أحكام القرآن ، نقل القرآن ، ايضاح البيان ، الاختلاف في الذبيحين . وصفه الذهبي بقوله " كان اماما لا يدرك قراره ، ولا يشق غباره " ^(٣) .

أما أبو الحسن طي بن فضال المجاشعي (المتوفى عام ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م) فقد عاش في بغداد ، وكان اماما بارزا في النحو واللغة والتصريف والتفسير والسير ، واسع العلم بالأدب والشعر ، ^(٤) صنف الكثير من المصنفات منها في التفسير كتاب ضخيم فسي عشرين مجلدا سماه البرهان العميد ولعله ما عناه ياقوت بقوله " وألف كتابا سماه الاكسير في علم التفسير في خمس وثلاثين مجلدا " ^(٥) وكتبها غيرها في فنون أخرى . ^(٦)

-
- (١) الداودي : طبقات المفسرين ج ١ / ص ٤٢٣
 - (٢) أبو يعلي : طبقات الحنابلة ج ٢ / ص ٢٠٠ .
 - (٣) الذهبي : العبر في خبر من غير ج ٣ / ص ٢٤٣ .
 - (٤) عنه أنظر ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٣٣ ، القفطي : انباء الرواة ج ٢ / ص ٢٩٩ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ٥ / ص ٢٨٩ ، السيوطي : بغية الوعاة ج ٢ / ص ١٨٣ ، ابن تفرى بردي : التجويد الزاهرة ج ٥ / ص ١٢٤ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٣ / ص ٣٦٣ .
 - (٥) السيوطي : طبقات المفسرين / ص ٨٢ .
 - (٦) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٤ / ص ٩٠ - ٩١ .
 - (٧) منها شرح عنوان الاعراب ، المقدمة في النحو ، معارف الأدب ، العروض ، اكسير الذهب في صناعة الأدب .

ومن أشهر المفسرين في العراق في العصر السلجوقي عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بendar القزويني شيخ المعتزلة ببغداد (المتوفى عام ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م) كان أحد المعمرين والفضلاء ، جمع التفسير الكبير ، الذي لم يرفي التفاسير أكبر منه ولا أجمع للفوائد ، وهو في ثلاثمائة مجلد ، منها سبع مجلدات في الفاتحة ، وقد أوقف تفسيره هذا كما مر معنا على خزانة كتب مشهد أبي حنيفة ، أقام بمصر سنين ، وأخذ العلم من كثير من العلماء منهم عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني (٢) وغيره ، ثم عاد إلى بغداد (٣) .

ومنهم أبو القاسم الحسين بن محمد بن مفضل الراغب الأصبهاني (المتوفى عام ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م) الذي كان له اليد الطولي في التفسير والدراسات القرآنية في هذا العصر ، ومن أشهر كتبه : محاضرات الأدباء ، ومن مؤلفاته في القرآن والتفسير : رسالة منبهة على فوائد القرآن ، وصنف معجماً قيماً للقرآن رتبته على حروف الهجاء ، وعنوانه كتاب مفردات ألفاظ القرآن ، وله كتاب في تفسير القرآن سماه جامع التفاسير ، وكتاب حل متشابه القرآن .

-
- (١) القرشي : الجواهر المضية ج ١ / ص ٣١٦ .
 (٢) توفي سنة ٤١٠ هـ / ١٠١٩ م ، تلقبه المعتزلة قاضي القضاة ، حيث كان امام أهل الاعتزال في زمانه ، سمع الحديث ورحل إليه طلاب العلم ، وصنف التصانيف الحسنة . الخطيب : تاريخ بغداد ج ١١ / ص ١١٣ ، العماد الحنبلي : الشذرا ج ٣ / ص ٢٠٢ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ / ص ٩٧ .
 (٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ١٢٠٨ ، القرشي : الجواهر المضية ج ١ / ص ٣١٦ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٣ / ص ٢٣ ، الداودي : طبقات المفسرين ج ١ / ص ٣٠١ ، السيوطي : طبقات المفسرين / ص ٦٨ .
 (٤) البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام / ص ١١٢ ، ابن العماد : الشذرات ج ٤ / ص ٣٤ ، القرشي : الجواهر المضية ج ١ / ص ٢١٩ . دائرة المعارف الاسلامية ج ٩ / ص ٤٧٢ .

ومن المفسرين المبرزين اسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي أبو القاسم التيمي الأصبهاني (المتوفى عام ٥٣٥ هـ / ١١٤٠ م) ، كان اماما في التفسير والحدیث واللغة والأدب ، صنف في التفسير ، التفسير الكبير في ثلاثين مجلدا سماه الجامع . وله كتاب الايضاح في التفسير عشر مجلدات ، وكتاب التفسير باللسان الأصبهاني . وكان أهل بغداد يقولون " ما دخل بغداد بعد أحمد بن حنبل أفضل ولا أحفظ منه " (١) .

أما العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (المتوفى عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم ، من الحديث والتاريخ والوعظ والفقه والتفسير ، فقد كان مبرزا في التفسير في هذا العصر بالعراق ، ومن مصنفاته في باب التفسير نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، و زاد المسير في علم التفسير (٢) .

وبرز من مفسري هذا العصر أبو السعادات مجد الدين المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري (المتوفى عام ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) كان من أشهر العلماء ذكرا ، وأكبر النبلاء قدرا ، وأحد الأفاضل المشار اليهم ، أخذ النحو وسمع الحديث وصنف الكثير من المصنفات ، أهمها في التفسير كتابه القيم الانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف .

(١) السيوطي : طبقات المفسرين / ص ٨٠ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ١٤٠ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٤٨١ ، السيوطي : طبقات المفسرين / ص ١٧ ، الداودي : طبقات المفسرين ج ١ / ص ٢٧٠ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ١٤١ ، القفطي : انباء الرواة ج ٣ / ص ٢٥٧ ، المنذري : التكملة لوفيات النقلة ج ٢ / ص ١٩١ ، الداودي : طبقات المفسرين ج ٢ / ص ٣٠٢ .

ومن مفسري العصر عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحسين الامام محاسب الدين العكبري البغدادي (المتوفى عام ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م) ^(١) المقرئ الفقيه المفسر ، الذي قرأ الروايات على اختلافها ، وتفقه ورع في المذهب والخلاف والأصول ، وأخذ اللغة من رواها ^(٢) ، أصيب في صباه بالجذري ، فكان اذا أراد التصنيف أحضرت اليه مصنفات ذلك الفن ، وقرئت عليه ، واذا حصل ما يريد في خاطره أملاه ، وكان لا تضي عليه ساعة من نهار أو ليل الا في العلم . ^(٣) صنف تفسير القرآن ، والتيهان في اعراب القرآن ، واعراب الشواذ ، ومتشابه القرآن ، وعدد الآي وغيرها من المصنفات في اللغة والنحو والفرائض والشعر والجبر والمقابلة . ^(٤)

وتشير كتب المصادر التاريخية وكتب التراجم الى ظهور عدد كبير آخر من علماء التفسير المبرزين في هذا العصر يطول البحث في احصائهم . ^(٥)

ثالثا : الحديث : ^(٦)

عنى المسلمون بالحديث النبوي عناية عظيمة بما وضعوا من قوانين للرواية هسي أصح وأدق طريق علمي في نقل الروايات واختيارها ، وكان من أهم هذه القوانين

(١) الداودي : طبقات المفسرين ج ١ / ص ٢٢٤ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٥ / ص ٦٧ .

(٢) الداودي : طبقات المفسرين ج ١ / ص ٢٢٥ .

(٣) ن ٤٠٠ م ج ١ / ص ٢٢٥ .

(٤) ابن العماد : الشذرات ج ٥ / ص ٦٧ .

(٥) ان طبيعة البحث لا تسمح باستعراض جميع أسمائهم ومؤلفاتهم ، ويمكن الاطلاع على بعضهم مثلاً في : السبكي : طبقات الشافعية ج ٧ / ص ٢٠٦ ، السيوطي : طبقات

المفسرين ص ٣ ، ص ١٠ ، ص ٢٢ ، ص ٣٣ ، ص ٤٤ ، ص ٩٣ ، ص ١٢٨ .

الداودي : طبقات المفسرين ج ١ / ص ٣٨ ، ص ٢١٩ ، ص ٢٥٥ ، ص ٢٧٤ ، ص

٢٩٨ ، ص ٤١١ ، ج ٢ / ص ١٠ ، ص ١٢٦ ، ص ٢٢٢ ، ص ٣٠٩ ، ص ٣٤٣ ، ص

٣٧٢ ، ص ٣٧٣ ، ص ٣٨٠ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٢٩٤ .

(٦) تحدثنا في الباب الثاني "الفصل الثاني" عن الرحلة في طلب العلم ، كما تحدثنا فيه أيضاً عن الإجازات العلمية ، وذلك باعتبار الرحلة والإجازة ، وإن كانت بدايتها خاصة بالحديث الشريف ، فإنها لم تغرد على الدوام ، له بل أصبحت فيما بعد عامة تشمل العلوم والآداب المختلفة .

البحث في اسناد الحديث ، وفحص أحوال الرواة ، وتمكنوا من تقسيم الأحاديث بحسب متونها من جهة ، وبحسب أسانيدھا من جهة أخرى ، واستنبطوا مصطلحات خاصة عرفوا بها ودققوا في الالتزام بها ، فأصبحت علما قائما بذاته ، قال السمعاني : " اعلم وفقك الله أن علم الحديث أشرف العلوم بعد العلم بكتاب الله سبحانه وتعالى ، إذ الأحكام مبنية عليها ومستنبطة منها ، والله سبحانه وتعالى شرف نبينا عليه السلام حيث قال : " وما ينطق عن الهوى ان هو الا وهي يوحى " (١) وألفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وأخبار ذلك لا بد لها من النقل ، ولا تعرف صحتها الا بالاسناد الصحيح " والصحة في الاسناد لا تعرف الا برواية الثقة عن الثقة والعدل عن العدل " (٢).

وقد ذكر السمعاني جملة آداب يجب أن يتحلى بها من يلى الحديث ، ولقد عدد هذه الصفات وهي خمسون صفة ، ودعمها بالأحاديث الصحيحة والأقوال المأثورة عن الصحابة ورجال الحديث (٣). ثم عرج بعد ذلك على صفات وشروط الاستملاء ، وعددھا وهي ثلاث عشرة صفة وشرطا ، يجب أن يتصف بها المستلي كآداب للاستملاء (٤). ثم تحدث عن آداب كتاب وطلاب علوم الحديث ، فذكر تسعة وعشرين شرطا ، عليهم أن يلتزموا بها في مجلس الحديث ، وأضاف في ختام ذلك قوله : " فهذه آداب حضور مجلس الاملاء ذكرتها في اختصار " (٥).

(١) سورة النجم آية (٤) .

(٢) السمعاني : آداب الاملاء والاستملاء / ص ٣ .

(٣) ن ٤٠٠ ص / من ص ٢٥ الى ص ٨٥ .

(٤) السمعاني : آداب الاملاء والاستملاء / من ص ٨٨ الى ص ١٠٨ .

(٥) ن ٤٠٠ ص / ص ١٤٦ .

أما فيما يحتاج فيه الى كتابة الاملاء وآلاتها وكيفية الكتابة^(١) فقد ذكر السمعاني القلم والمعبرة والمقلمة والسككين ، ضمن الآلات التي يجب على المستطلي أن يحضرها معه الى مجلس الحديث . فقال : " ينبغي ألا يكون قلم صاحب الحديث أصم صلباً ، وهذه الصفة تمنع سرعة الجري ، ولا يكون رخوا فيسرع اليه الخطأ ، ويتخذ ألسن العود مزال العقود ، وتوسع فتحته ، وتطال جلفته ، وتعرف قطته ، والمقلمة بحيث تكون دائما مع الأقلام في المقلمة ، والسككين ، وألا تستعمل الا لبري الأقلام ، أما الكاغد (الورق) فقد قال عنه : " انه ينبغي أن يكون القرطاس نقيا صافيا " ^(٢) ثم عرج بعد ذلك على ذكر أوصاف الخط وآدابه ^(٣) .

ولقد اهتم العلماء المسلمون في جميع العصور بالحديث منذ بدأ تدوينه وتنقيته ، وتميز صحيحه من حسنه ، وضعيفه من غريبه ، وقد تطور علم الحديث ، وتفرع عنه جملة من العلوم الخاصة بالمصطلح ، منها علم الرجال ، وعلم الناسخ والمنسوخ ، وعلم الاسناد ، ثم أتبعوا ذلك بكلام في ألفاظ تقع في فنون الحديث ، من غريب ومشكل ، أو مفترق ، أو مختلف . ولقد قام العلماء بنقد الحديث ، ونقد السند ، ودققوا في سير المحدثين وتراجمهم ، ووضعوا الجرح والتعديل على أصول معددة ، ووصلوا في ذلك الى غاية بعيدة . ثم ألف العلماء في علوم الحديث وأكثروا ، وانصرفت العناية بعد ذلك الى تصحيح الأمهات المكتوبة وضبطها بالرواية عن مصنفيهما ، والنظر في أسانيدھا الى مؤلفيهما ، وعرض ذلك على ما تقرّر بالرواية

(١) السمعاني : أدب الاملاء والاستملاء / ص ١٤٦ .

(٢) ن ٠٠٠ ص / ص ١٤٦ - ص ١٦٤ .

(٣) ن ٠٠٠ ص / ص ١٦٤ - ص ١٨٠ .

عن مصنفيهما من الشروط والأحكام لتتقل الأسانيد محكمة الى منتهاها^(١).

ويطالعنا في هذا العصر عدد عظيم من رجال الحديث الذين أفنوا أعمارهم في جمعه وتصنيفه وضبطه وتلقيحه . ومنهم علماء جمعوا تراجم مستفيضة لرجال الحديث في جميع العصور ، وكان لهؤلاء العلماء فضل لا ينكر في الكتابة والتصنيف في هذا الباب من أبواب العلوم الاسلامية . ولقد اهتم طلاب العلم والعلماء بالأجازات العلمية والحصول عليها من داخل العراق وخارجه ، وقد قصد العراق لهذا الغاية عدد ليس بالقليل من علماء البلدان الاسلامية ، وكذلك طلاب علم الحديث لسماع الحديث على علمائه^(٢) ، ان كان فيه عدد من العلماء المبرزين في هذا الميدان منهم : الامام المحدث العروخ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (المتوفى عام ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) الذي كان قد حفظ القرآن ، وتولى الامامة والخطابة ، وتعلم القراءات وسمع الحديث ، ثم انصرف الى الفقه بعد ذلك حيث درسه على كبار فقهاء الشافعية ، واكب على شيوخ الحديث ببغداد يكتب عنهم ، ولا يدع منهم أحدا ، ثم أخذ في الرحلة " فرحل الى البصرة ونيسابور وأصفهان والري وهمدان والحجاز والكوفة ، وسمع من علماء كثيرين ، ثم طاف على بلاد الشام وسمع بدمشق خلقا كثيرا وحج . ثم قدمها وأخذ يصنف كتبه ، ويحدث بتأليفه^(٣) " وعلى أثر عودة الخطيب البغدادي الى بغداد أذن له الخليفة أن يملئ الحديث بجامع المنصور ، فاجتمع عليه في المسجد خلق كثير يكتبون عنه ويسمعون^(٤) .

-
- (١) صنف في علم الحديث ومصطلحه مصنفات هامة يمكن الرجوع اليها ، أهمها ابن الصلاح : علوم الحديث ، والخطيب : الكفاية في علم الرواية ، وأنظر كذلك : أحمد محمد شاكر : دائرة المعارف الاسلامية من ص ٢٣٠ حتى ص ٢٤٦ (مادة حديث) .
- (٢) ابن الدبيثي : ذيل تاريخ مدينة السلام ج ١ / ص ٢١٨ .
- (٣) السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٢٩ .
- (٤) الخطيب : تاريخ بغداد ج ٣ / ص ١٠٨ ، ص ٣٣٦ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ٤ ص ١٦٠ .

ويعتبر الخطيب البغدادي واحداً من بقية العلماء الزهاد ، وقد تمكن من البروز أثناء حياته ما أن يترك أثراً ملحوظاً بين معاصريه ، ولكن أثره كان أعظم بعد وفاته ، لقد كان اهتمام الخطيب البغدادي منصباً على الحديث ، وتراجم العلماء طيلة حياته .

ولذلك فقد كان أغلب مصنفاته في هذين الموضوعين . أما كتبه في الحديث فقد احتلت مكانة مرموقة لدى المحدثين رغم أنها لم تكن أولى المصنفات التي عالجت أصول الحديث ، فلقد جاء الخطيب البغدادي بعد عدد كبير من أفاضل العلماء الذين سبقوه في التأليف في مختلف علوم الحديث ، وكانت مؤلفاتهم عملاً رائداً عند تقييمنا لتدوين العلوم ، ويمرر دور الخطيب البغدادي في أنه أكب على تلك المصنفات يدرسها بعين الناقد ، وأنه وجد الحاجة ماسة إلى تحرير المسائل واستيفاء مادتها ، فصنف في كل فن من فنون الحديث كتاباً جمع فيه ما سبقه إليه المؤلفون ، وأضاف إليه إضافات جادة وفوائد جمة . فضلاً عن ذلك فإنه هو نفسه كان من الرواد في بعض المجالات ، ذلك أنه ألف في فنون وموضوعات لم يسبقه إليها أحد . وجانب ذلك فقد كان الخطيب البغدادي ملتزماً بالسناد ، ذلك أنه أسند كل رأى إلى قائله بالسند المتصل إليه عند استفادته من مؤلفات من سبقه ، ولا شك في أن هذا اتجاه جديد في أساليب الاقتباس يمكن اعتباره خطوة تطوُّر ايجابية من بين خطوات تطور التأليف وما مرت به الحياة العلمية في هذا العصر . يقول ابن ماكولا : " كان أبو بكر آخر الأعيان من شاهدناه ، معرفة وحفظاً وإتقاناً ، وضبطاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتغننا في علمه وأسانيده ، وعلمنا بصحيحه وغيره ، وفردّه ومنكره ومطروحه " . وقال المؤتمن الساجي : " ما أخرجت بغداد بعد الدارقطني أحفظ من ابن الخطيب " . وقال أبو اسحاق الشيرازي : " الخطيب يشبه بالدارقطني ونظرائه في معرفة الحديث وحفظه " . وقال السمعاني : " كان وقوراً مهيباً ثقة متحريراً حاجة كثير الضبط ختم به الحفاظ " (١) . ويذكره ابن خلكان

فيقول : " ومن العجب أنه كان في وقته حافظ المشرق ، وأبو عمر يوسف بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب حافظ المغرب ، وماتا في سنة واحدة " (١) .
يشير ياقوت الى أنه قد " ختم به ديوان المحدثين " (٢) .

أما مصنفاته فيقول عنها ابن الجوزي " وصنف فأجاد ، فله ستة وخمسون مصنفا بعيدة المثل " (٣) . أما مصنفاته في الحديث فقد بلغت أكثر من أحد عشر كتابا أهمها الأمالي ، والكفاية في علم الرواية ، شرف أصحاب الحديث ، الموضح لأوهام الجميع ، والترقيق ، الرحلة في طلب الحديث ، تقييد العلم (٤) .

ومن علماء العصر المبرزين في الحديث أيضا محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد أبو يعلى المعروف بالفراء الحنبلي (المتوفى عام ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م ببغداد) وكان محدثا كثير السماع ، عدلا ثقة ، تتلمذ على يده الكثير من الناس في الحديث ، كما تتلمذ هو من قبل على شيوخ طبقوا الأفاق شهرة في عصرهم ، سمع الحديث في سنن مبركة وشغف بسماعه ، ورحل في طلب العلم الى مكة ودشق ، ثم عاد الى بغداد ، يملئ بجامع المنصور وكان يحضر مجلسه العديد من العلماء وصفه ابن رجب الحنبلي بقوله : " كان أكثرهم حفظا للحديث ، وأعلاهم به اسنادا ، يحضر مجلسه يوم الجمعة بجامع المنصور خلق لا يحصيهم الا الله " (٥) ، وتتلمذ على يده تلامذة أصبحوا علماء الزمان ، وكان فوق ما يتمتع به من قوة الذاكرة عالى الاسناد في رواياته ، قال عنه ابن رجب : " وكان يتقدم على أهل زمانه بكتيرة سماعه للحديث وعلو اسناده في الرويات " (٦) .

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ٩١ - ص ٩٣ .

(٢) ياقوت : معجم الأدباء ج ٤ / ص ٣٢ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٢٦٥ .

(٤) ن ٤٠٠ م / ص ٨ / ص ٢٦٥ .

(٥) المراغي : الفتح البين في طبقات الأصوليين ج ١ / ص ٢٦٠ .

(٦) ابن أبي يعلى : طبقات الحنابلة ج ٢ / ص ٢٠٠ .

الخطيب : تاريخ بغداد ج ٢ / ص ٢٥٦ .

أما الحميدى أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الأندلسي الميورقي الإمام الحافظ (المتوفى عام ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م)^(١) فقد كان من أئمة الحديث المعدودين ورجاله المشهورين في هذا العصر ،^(٢) إذ كان معروفاً في فضله ونبله وورعه وغيرة علمه وكثرة اطلاعه وحرصه على نشر العلم ، وامتاز بالدقة والانتقان والتحقيق ، ومن أبرز ما اشتهر به وعرف عنه معرفته لعلوم الحديث ،^(٣) على أنه كان ضليعا كذلك في التاريخ والأدب . سمع بالأندلس ومصر والشام والعراق ، وأهم مصنفاته جذوة المقتبس ، كتاب الجمع بين الصحيحين ، كتاب حفظ الجار جمع فيه بين الفقه والحديث والأدب .^(٤)

أما الشيخ أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج (المتوفى عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م)^(٥) فقد كان علامة زمانه في الحديث ، وسمع من أعيان المحدثين ورحل إلى مكة وسمع بها ، ودخل الشام وسمع بدمشق وطرابلس ، ودخل الديار المصرية فسمع بها^(٦) وخرج له الخطيب خمسة أجزاء تسمى السراجيات ، هذا بالإضافة إلى مصنفاته الأخرى منها كتاب مصارع العشاق ، مناقب السودان ، كتاب العرقى في فقه الحنابلة ، ومصنفات أخرى .

-
- (١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٩٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٢٨٢ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٢٨ ، الضبي : بغية الملتبس / ص ١٢٣ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٢ / ص ١٢١٨ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٣ / ص ٣٩٢ .
- (٢) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٢ / ص ١٢١٨ .
- (٣) ن . م . س ج ٢ / ص ١٢١٨ .
- (٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٢٨٢ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ١٢١٨ .
- (٥) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٥١ ، الأصفهاني : خريدة القصر ج ٣ / ص ٣٨٣ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ٧ / ص ١٥٣ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ١٢٣ .
- (٦) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ١٢٣ .

واشتهر في هذا العصر محمد بن طاهر بن أحمد الشيباني المقدسي الحافظ
(المتوفى عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م)^(١) . أحد العلماء الفضلاء ، رحل في طلب
الحديث الي مصر والشام ، والثغور ، والجزيرة ، والعراق ، وفارس ، والجبـال
وخوزستان وخراسان والحجاز^(٢) وكان فيه من الذكاء والقدرة على الحفظ الشيء الكثير
ومن مصنفاته كتاب أسماء رجال من الضعفاء ، التذكرة في غرائب الأحاديث والمنكرة ،
تراجم الجرح والتعديل للدارقطني ، كتاب السماع ، كتاب المنثور ، موافقات
البخاري وسلم ، الناسخ والمنسوخ .

(٣)
أما أبو البركات هبة الله بن المبارك السقطي (المتوفى عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م)
فقد رحل في طلب الحديث ، وجمع لنفسه معجما لشيوعه في ثمانية أجزاء ضخمة ،
وجمع تاريخا لبغداد ، ذيل به على تاريخ الخطيب البغدادي .

ونشير أيضا الي الشيخ عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه السهروردي
الزاهد (المتوفى عام ٥٦٣ هـ / ١١٦٢ م) الذي اشتغل بالتذكير ، وأمسلي
الحديث ، وقد صنف آداب المريدين في التصوف والأخلاق^(٤) .

ومن رجال الحديث المعدودين في هذا العصر أبو بكر محمد بن موسى بسن
عشان بن موسى الحازمي (المتوفى عام ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) ، أحد الحفاظ المتقنين

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٧٧ ، ابن الفوطي : مجمع الآداب ج ٢ / ص
٦٦٤ ، الكتب : عيون التواريخ ج ١٢ / ص ٢٥ ، البغدادي : هدية العارفين
ج ٢ / ص ٨٢ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ١٢٤٢ .

(٢) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ١٢٤٢ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٨٣ ، الأصفهاني : الخريدة ج ٣ / ص ٣٠٦ ،
ابن العماد : الشذرات ج ٤ / ص ٢٦ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ /
ص ١١٤ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج ١ / ص ٢٢٥ ، الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ٣ /
ص ٩٣ ، تاريخ الاسلام ج ١٣ وفيات سنة ٥٦٣ هـ ، مصر ، ابن العماد :
الشذرات ج ٤ / ص ٢٠٨ .

عنى بنفسه فارتحل في طلب الحديث الى الموصل والشام ولاد فارس وأصبهـسان
وهـمدان (١) وكتب عن أكثر شيوخ هذه البلاد ، وطلب عليه الحديث واشتهر به مرع فيه ،
وصنف فيه وفي غيره مصنفات حسنا ، منها : الناسخ والمنسوخ ، الفیصل ،
العجالة ، ما اتفق لفظه واختلفت مسماه ، سلسلة الذهب ، شروط الأئمة وغيرها من
المصنفات ، وكان قد استوطن بغداد مواظبا على الاشتغال بالعلم حتى وفاته . (٢)

ومن رجال الحديث في هذا العصر أبو يعقوب يوسف بن أحمد بن ابراهيم
الشيرازي (المتوفى عام ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م) سمعه أبوه منذ صغره من عدة شيوخ ،
ثم سمع بنفسه من آخرين ، وجال في الاقاصي ما بين خراسان وكرمان وفارس والجمال
والجزيرة والشام والحجاز (٣) ، وخرج الأحاديث للشيوخ ، وكتب كثيرا ، وجمع
" أحاديث أربعين بلدانية " ، أى أربعين حديثا من أربعين شيخا من بلدان
مختلفة غير العراق . (٤)

أما العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (المتوفى عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م)
الامام ، الحافظ ، عالم العراق وواعظه ، فقد كان من رجال الحديث والوعظ
المشهورين في هذا العصر . قال ابن الساعي ذاكرا فضله ومكانته : " قال
عبد الحميد ابن أبي الحديد : حدثني من أثق به من أهل العلم حديثا
قال : كان ببغداد في أيام الناصر لدين الله العباسي واعظ مشهور بالحذق ومعرفة
الحديث ، وكان يجتمع اليه وتحت منبره خلق عظيم من عوام بغداد وفضلائها . (٥)

-
- (١) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ١٣٦٣ .
(٢) ابن خلدان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٢٩٤ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ١٣٦٣ ،
السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ١٨٩ ، ابن العماد : الشذرات ج ٤ / ص ٢٨٢ ،
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٦ / ص ١٠٧ .
(٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ١٣٦٤ .
(٤) المنذرى : التكلمة لوفيات النقلة ج ١ / ص ١٢٩ ، ابن الفوطي : مجمع الاداب ج ١ /
ص ٤٦٠ ، الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ٣ / ص ٢٣١ .
(٥) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٣٢١ .

ولقد توفي أبوه وعمره ثلاث سنوات فنشأ يتيماً ، فأخذته عمته الى مسجد الحافظ محمد بن ناصر السلامي (المتوفي عام ٥٥٠هـ / ١١٥٥م) ^(١) محدث العراق فاعتنى به وأسمعه الحديث وحفظه القرآن ^(٢) . ولزم من الشيوخ أعلمهم ، ومن أرباب النقل أفهمهم ، وخرج لنفسه مشيخة عن سبعة وثلاثين عالماً ^(٣) .

وكان العلامة أبو الفرج ابن الجوزي كثير التصنيف والتأليف ، إذ لم يكن يضيع من وقته شيئاً سدى وكان يكتب في اليوم تسع كرايس ^(٤) ، وشارك في كل علم ، فالف في التفسير ، وطوم القرآن ، وفي الحديث ورجاله وفنونه ، وفي المذهب والأصول ، وفي الفقه والعقائد ، والوعظ والأخلاق ، والرياضيات ، والطب والشعر واللغة والتاريخ والجغرافيا والتراجم العامة والتراجم الخاصة .

ومن أهم مصنفاته تلقيح فهم الآثار في مختصر السير والأخبار ، صفوة الصفوة ، الأنكباء وأخبارهم ، مناقب عمر بن عبد العزيز ، الناسخ والمنسوخ ، تلبيس إبليس ، لقط المنافع في الطب والفراسة ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، الذهب المسبوك في سير الملوك ، كتاب الضعفاء والمتروكين في رجال الحديث المصطفى بأكف أهل الرسوخ في الناسخ والمنسوخ ، أسماء الضعفاء والواضعين شرح

(١) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ١٢٨٩ .

(٢) ن ٢٠٠ م / ج ٤ / ص ١٣٤٥ .

(٣) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ٤٠١ ، قال ابن الجوزي عن خاله ابن ناصر السلامي " حملني شيخنا ابن ناصر الى الأشياخ في الصفر ، وأسمعنني العوالي وأثبت سماعاتي كلها بخطه وأخذ لي إجازات منهم " أنظر :

ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ٤٠١ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ١٤١ .

مشكل الصحيحين ، وغير ذلك من المصنفات التي بلغت حوالي الثلاثمائة (١).

ومن علماء الحديث المبرزين في هذا العصر الشيخ أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجوزي قال عنه المنذري : " وهو من بيت الحديث هو وأبوه وجداه وعمه وعماه أبوه وابنه " (٢) ، وكان أشهر العلماء ذكرا ، وأحد الأفاضل المشار إليهم (المتوفى عام ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) ، ولد ابن الأثير هذا في الجزيرة وانتقل إلى الموصل ، وأخذ النحو وسمع الحديث ، وتنقل في الولايات وكتب في الانشاء لدى الأمير مجاهد الدين قيمان ، ثم عرض له مرض أقعده فانقطع في منزله يغشاه العلماء والأكابر والأدباء ، وصنف كتبه خلال فترة اعتزاله ، وكان عنده جماعة يعينونه في الاختيار والكتابة ، وقد صنف في سائر العلوم ، وخاصة الحديث مصنفات منها كتاب جامع الأصول لأحاديث الرسول ، الذي جمع فيه بين الصحاح الستة ، ورتبه ترتيبا موضوعيا في فصول مرتبه على حروف المعجم . وله كتاب النهاية في غريب الحديث ، وهو معجم للحديث في خمس مجلدات . وله كتاب المرصع وهو قاموس للكثير في رجال الحديث . هذا بالإضافة إلى كتبه الأخرى المختلفة (٣) .

- (١) الأصفهاني : خريدة القصر ج ٣ / ص ٢٦٠ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٤٨١ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ٣٩٩ ، أبو شامة : ذيل الروضتين ص ٢١ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ١٣٤٤ ، ابن الساعسي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٣٢١ ، ابن تغري بريد : النجوم الزاهرة ج ٦ / ص ١٧٤ ، ابن العماد : الشذرات ج ٤ / ص ٣٢٩ ، اليافعي : مرآة الجنان ج ٣ / ص ٢٨٩ ، البغدادي : هدية العارفين ج ١ / ص ٥٢٠ .
- (٢) المنذري : التكملة لوفيات النقلة ج ١ / ص ٦٦ .
- (٣) منها مناقب الأخيرا ، وهو تراجم لمشاهير المسلمين ، وكتاب تجريد أسماء الصحابة وكتب أخرى صنفها في فنون العلم المختلفة . عنه أنظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ١٤١ ، القفطي : إنباء الرواة ج ٣ / ص ٢٥٧ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ١٣٩٩ ، المختصر المحتاج إليه ج ٣ / ص ١٧٦ ، الداودي : طبقات المفسرين ج ٢ / ص ٣٠٢ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٥ / ص ٢٢ .

ولقد برز في آخر هذا العصر الجافظ مؤرخ العراق أبو عبد الله محمد بن سعيد بن يحيى الديلمي الواسطي (المتوفى عام ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) الذي عنى بالحدِيث ، وكتب العالي والنازل ، ورحل في طلبه سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م ، ولقد صنّف تاريخاً كبيراً لواسط ، وتاريخاً لبغداد ذيل به على تاريخ السمعاني ^(١) .

وتجدر الإشارة هنا الى أنه كان للنساء مشاركة فعالة في ميدان العلوم الدينية حيث ظهر في هذا العصر عالِمات أسهمن في احياء النهضة العلمية في شتى العلوم والآداب ، ولا سيما في ميدان الحديث والوعظ . وكانت الشيخة شهيدة بنت الابري البغدادية (المتوفى عام ٥٧٤ هـ / ١١٢٨ م) ^(٢) من أسند أهل زمانها ، فقد روت عن العلماء سوى الحديث كتباً في العلوم الاسلامية الأخرى ككتاب المعاني للزجاج ، والأموال لأبي عبيد ^(٣) .

(١) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ١٤١٤ .

ولقد ظهر في هذا العصر عدد كبير من علماء الحديث وموضوع البحث لا يسمح بحصرهم ، ويمكن الاطلاع عن بعضهم في : الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ٣ / ص ٨١ - ٩٠ - ١٨٠ ، تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ١٢٠٧ ، ١٢٢٤ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤٦ ، ١٢٦٣ ، ١٢٨٩ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٥ ، ١٣٨٣ ، ١٤١٢ . ابن النجار : ذيل تاريخ بغداد ج ١ / ص ٣٥٤ ، القفطي : انباء السرواة ج ٣ / ص ٢٢٢ ، ابن الفوطي : مجمع الآداب ج ١ / ص ٥٩٨ ، ج ٣ / ص ١٧٥ ، ٢٢٦ ، ٥٤٢ .

(٢) سبق الحديث عنها في هذا البحث .

(٣) الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ٣ / ص ٢٦٣ .

وفي ميدان الحديث والوعظ تطالعتنا المصادر بأسماء العشرات من عالِمات بغداد ، واللاتي كان لهن مشاركة واسعة فيه ، والبحث لا يسمح باستطراد أسمائهن ، ولكن يمكن الإشارة الى بعضهن ممن روين الحديث ، وروى عنهن العلماء وأجزن الكثير من علماء العصر بالرواية ، وحدثن ووعظن ، منهن : ستيته بنت القاضي عبد الواحد بن محمد (ت ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م) الخطيب : تاريخ بغداد ج ١٤ / ٤٤٦ - وخديجة بنت محمد بن علي بن عبد الله الواعظ - المعروفة بالشاهجانية (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م) ن ٥٠ م ج ١٤ / ص ٤٤٦ ، العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٣ / ص ٣٠٨ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٢٩ ، ج ١٠ / ص ١١٣ - والواعظة الماوردية (ت ٤٦٦ هـ / ١٠٧٣ م) =

رابعاً : الفقه والأصول :

يعتبر العصر السلجوقي امتداداً للعصر الذي سبقه فيما يختص بالدراسات الفقهية ، ذلك أن القرن الرابع الهجري يعد نقطة فاصلة في تاريخ التشريع الاسلامي ، حيث توقف الاجتهاد ، وأصبح الفقيه في هذا العصر لا يستطيع أن يجتهد الا في النادر من المسائل الصغيرة . يقول كحالة : " ويمكن القول أنه

 ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٢٠ - وحدة بنت رائق بن علي الههنية ، ولدت (سنة ٤٦٦ هـ / ١٠٧٣ م) ، كحالة : أعلام النساء ج ١ / ص ٢٩٤ وفاطمة بنت الحسين بن فضلويه الرازي (ت ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٧ - وفاطمة بنت الحافظ سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري (ت ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م) الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ٣ / ص ٢٦٩ ، الكشي : عيون التواريخ - ونورالعين بنت أبي بكر بن أحمد البغدادي الحربية (٥٨٧ هـ / ١١٩١ م) المنذري : التكملة لوفيات النقلة ج ١ / ص ١٥٧ - وست الدار بنست الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عبد الله البغدادي الحربية (ت ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م) ن ٥٠٠ م / ج ١ / ص ١٧٧ - وست الناس زينب بنت عبد الوهاب الصابوني (ت ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م) ن ٥٠٠ م / ج ١ / ص ١٧٦ - ولقيس بنت سليمان بن أحمد بن نظام الملك (ت ٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م) ن ٥٠٠ م / ج ١ / ص ٢٥٩ ، الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ٣ / ص ٢٥٨ - والشهيدة تنعي بنت عمر بن ابراهيم بن الحسين البغدادي الأزجي (ت ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م) المنذري : التكملة لوفيات النقلة ج ١ / ص ٣٠٤ - وفنون بنت أبي غالب بن سعود البغدادي الحربية (ت ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م) ن ٥٠٠ م / ج ١ / ص ٣٣٤ - وفخر النساء أم الحياء فرحة بنست قراطاش بن طغش العوني (ت ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م) ن ٥٠٠ م / ج ١ / ص ٤٣٥ ومريم بنت فائز اليازاري (ت ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م) الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ٣ / ص ٢٧٢ - وعزيرة بنت علي بن يحيى الطراح (ت ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م) ن ٥٠٠ م / ج ٣ / ص ٢٦٨ ، المنذري : التكملة لوفيات النقلة ج ٢ / ص ٣٤ - ودرة بنت عثمان بن منصور العلوي (ت ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م) الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ٣ / ص ٢٦١ - وعاتكة بنت الحافظ الحسن بن أحمد الهذلي (ت ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م) ن ٥٠٠ م / ج ٣ / ص ٢٦٨ - وصفية بنت أبي البركات بن أبي الحرب الواغظي (ت ٦١١ هـ / ١٢١٤ م) ن ٥٠٠ م / ج ٣ / ص ٢٦٦ - وحفصة بنت أحمد بن محمد الأزجي (ت ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م) ن ٥٠٠ م / ج ٣ / ص ٢٦٠

بعد محمد بن جرير الطبري^(١) لم نجد من سمت به نفسه الى مرتبة الاجتهاد ، يتخير لنفسه في الاستنباط والافتاء ، ويأخذ أحكامه من الكتاب والسنة غير متقيد بسرأي أحد الأئمة^(٢) .

وهكذا حصر جميع علماء الشريعة في هذا العصر أنفسهم حول مذاهبهم ، واستندوا في أحكامهم على ما يجدونه في مذاهب أئمتهم ، والتزم كل منهم مذهبا معيناً لا يتعداه ، ففترت هم الناس ، وضعفت عزائمهم ، واكتفوا بالمحاكاة والتقليد ، وتعصب كل واحد لمذهبه ، وأنزل قول امامه منزل القول الفصل . فلقد أقبل العلماء على المذاهب ، وانصرفوا عن الاجتهاد ، ووقفوا عند هذا الحد لا يستظهرون غير المتون ، واقتصر عليهم الفقهي على فهم كلام الأئمة ، أو تفريع قواعدهم ، وعمل الحواشي والتعليقات على كتبهم ، على الرغم من أنه قد ظهر في هذا العصر من علماء الفقه والأصول عدد من فحول الفقهاء ممن لا يقلون عن مرتبة الأئمة السابقين علما واستنباطا . مثل الامام الغزالي (المتوفى عام ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) والامام الماوردي (المتوفى عام ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) .

عمل العلماء في هذا العصر على جمع الآثار ، ورجحوا بين الروايات وخرجوا على الأحكام ، ومنوا فتاويهم على شتى المسائل والفروع من أصول أئمتهم وقواعدهم وفتاويهم . وتشددوا في الالتزام وكان من نتائج ذلك ظهور التمسك بالمذهب ، حيث خاضوا في ميدان الجدل والمناظرة في مجالس علمية ، كان يحضرها العلماء

(١) محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٣ م) أبو جعفر المؤرخ المفسر استوطن بغداد وها توفي ، له من الكتب : أخبار الرسل والطوك يعرف بتاريخ الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، اختلاف الفقهاء ، المسترشد في علوم الدين . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ١٩١ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٢ / ص ١٣٥ ، الخطيب : تاريخ بغداد ج ٢ / ص ١٦٢ .

(٢) كحالة : علوم الدين الاسلامي / ص ١٦٠ .

الأجلاء ، وأدلوها فيها بالبراهين والحجج ، وألقوا كتب الخلافات ، وجمعوا فيها أحكام الأئمة وأدلتهم ، ونصر كل امامه ، ودعم رأيه ، وخطأ أدلة مخالفه من علماء المذاهب الأخرى .

وأما تعليل الأحكام فقد تلقى علماء هذا العصر عن أئمتهم أحكاما كثيرة لمسائل قدروها وفرضوها قبل أن تقع ، واجتمع لديهم من ذلك عدد لا يحصى كثرة ، فأخذوا أنفسهم بضبطها ورد الأشباه والنظائر بعضها الى بعض ، وتعرف وجوه الفرق بين المسائل المختلفة ، وتخرج الأحكام ، حتى يتسنى لهم القياس عليها فيما لم يرد به نص أو رأى من امام المذهب أو فقهاءه .

وكان أكثر المشتغلين بذلك الحنفية ، لأن الكتب التي يعولون عليها هي كتب محمد بن الحسن الشيباني^(١) وكان أغلبها خاليا من التعليل ، وكان الحنفية أقران الشافعية في المناظرة ، فكان لابد لهم من تدعيم تلك الأحكام بأدلتها واطهار طلتها ، حتى يقووا على مواجهة مناظريهم ولا سيما أن الحنفية أكثر أخذاً بالقياس من غيرهم .

أما المالكية فقد كانوا أكثر بعداً عن مجالس المناظرة ، ولعل هذا ما دفع حجة الاسلام أبى حامد الغزالي (المتوفى عام ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) الى تأليف كتابه أحياء علوم الدين الذى يمثل حركة رد فعل للحالة التى كانت عليها العلوم

(١) محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني (ت ١٨٩ هـ / ٨٠٤ م) من تلاميذ أبى حنيفة النعمان ، وهو من أئمة أهل الرأى في الفقه الحنفي ، له كتب كثيرة في الفقه والأصول منها المبسوط ، الزيادات ، الجامع الكبير ، الجامع الصغير ، الآثار ، الأمالي وغيرها .

ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ١٨٤ ، الكوى : الفوائد البهية ص ١٦٣ ، القرشي : الجواهر الضية ج ٢ / ص ٤٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٢ / ص ١٣٠ ، الخطيب : تاريخ بغداد ج ٢ / ص ١٧٢ .

الاسلامية في هذا العصر. فقد ناقش الامام الغزالي في كتابه هذا الكثير من الأمور المتعلقة بواقع فهم المسلمين للدين الاسلامي ، كما أنه أفرد بابا لجملة من الأسور كان من ضمنها حديثه عن المناظرة ، وعن سبب اقبال الخلق على علم الخلاف . وقد فصل في بحثه آفات الجدل والمناظرة ، وحدد شروط ابحاثها ، وهو يسرى أن من آفات المناظرة في عصره " الحسد والترفع على الناس والغيبة والتجسس ، والنفاق والاصرار على الرأي مهما ظهر بطلانه " (١) ويبدو أن الجدل والمناظرة واختلاف المذاهب أصبحت من مظاهر العصر العلمية في ميدان العلوم الدينية ، وهي انعكاس لحالة التعصب والانتصار للمذهب ، فقد عمل كل فريق من العلماء في هذا العصر على نصرة مذهب الذي يعتنقه ، وتأييده بشتى الوسائل ومختلف الطرق ، كما أكثر علماء العصر من كتب المناقب ينشرون فيها ما كان عليه امام المذهب من سعة في العلم وكمال في الزهد ، وما كان يتحلى به من السورع الصادق ، وحسن الاستنباط ، ودقة النظر وقوة الحجة ، وكأنهم بذلك يريدون أن يحلوا الناس على أن يسلكوا مسالكهم ، وأن يعتنقوا مذهبهم حتي يكثروا عددهم فتقوى شوكتهم وتنغذ كلمتهم . ثم انهم تنبعثوا مواضع الخلاف ، وصنفوا فيها كتباً يذكرون فيها المسائل التي اختلف فيها الأئمة ، ويسوقون دليل كل امام وهم يرجعون في الغالب مذهب امامهم . ولم يقف الخلاف عند حد المذاهب فقط ، بل لقد احتدم الصراع بين الفقهاء وخاصة الحنابلة منهم ، وبين الحركيات الصوفية التي كانت من أهم ظواهر العصر البارزة . وقد استهدف الحنابلة القضاء

(١) الغزالي : احياء علوم الدين ج ١ / ص ٤١ - ٤٣ .

(٢) يقول الغزالي عن علماء العصر " وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان حتى ظل علم الدين مندوساً ، ولقد خيلوا الى الخلق ان لا علم الا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام ، أو الجدل يتذرع به طالب البهاه الى الغلبه والافحام ، أو سجع مزخرف يتوصل به الواقع الى استدراج العوام " الغزالي : احياء علوم الدين ج ١ / ص ٣ . طبع الحلبي .

على الصوفية ، كما قضا على المعتزلة من قبل ، غير أنهم لم يصلوا الى نتيجة حاسمة ،^(١) ومع أن اقدام أبي حامد الغزالي مع عظيم قدره على الالتزام بالتصوف يمثل محاولة جادة استهدفت فصل الخلاف بين الفقهاء والصوفية ، بقصد الجمع بينهما ، إلا أن الحنابلة لم يكن يروق لهم ذلك إذ وقفوا في وجه هذا الاتجاه ، وكثيرا ما احتدم الصراع بين الطرفين ، إذ استمر الحنابلة على ثبات موقفهم في معارضة الطرق الصوفية والقدح على أتباعها^(٢) .

ولقد تأثر الفقه في هذا العصر بالأحوال السياسية ولاسيما لدى سلاطين السلاجقة ، فالفقه مصدر التشريع ، والتشريع قد يمس الشئون الخاصة أو العامة للدولة من قريب أو بعيد ، وكثير من الفقهاء قد يقفون في كثير من المسائل موقفا لا يرون فيه إلا الحق ، فيكونون عرضة لغضب السلاطين وانتقامهم^(٣) ، ولهذا فقد أقدم الكثير من أكابر الفقهاء في هذا العصر على وضع مؤلفات في الأحكام السلطانية تعرضوا فيها لشرعية السلطة والادارة ، وتناولوا بذلك الامامة والخلافة والامارة والوزارة ، موضحين في ذلك مبدأ الاسلام وحكمه فيها . ومن هؤلاء العلماء أبو الحسن الماوردي (المتوفى عام ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) صنف في هذا كتابه الأحكام السلطانية ، وكتاب قوانين الوزارة وسياسة الملك ، وكتاب نصيحة الملوك ، وكتاب أدب القاضي . والفقيه أبو يعلى الفراء الحنبلي (المتوفى عام ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م) الذي صنف في ذلك كتابه الأحكام السلطانية .

(١) أنظر الباب الذي عقده ابن الجوزي حول الصوفية وموقفه منهم بالنقد والتهكم ، وأوضح فيه بطلان طريقتهم وغرائب سلوكهم وكذب ونفاق الكثير منهم . ابن الجوزي : تلخيص ابلين من ص ١٦٠ / ص ٣٩٣ .

(٢) ن ٢٤٥ ص ص ٢٤٥ .

(٣) مثال ذلك ماجرى لشيخ الاسلام الهروي ، وقد سبق الحديث عنه وعن موقف السلطان منه . الداودي : طبقات المفسرين ج ١ / ص ٢٤٩ ، وما جرى لأبي الوفاء علي بن عقيل العالم الحنبلي (ت ٥١٣ هـ / ١١١٩ م) من أذى وحبس وضرب . العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٤ / ص ٣٥ ، وما جرى لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي من اهانة وشتم وتشتيت لأسرته وحبسه بواسطة خمس سنوات ، كسان يغسل ثوبه ويطبخ بيده طوالها . الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ١٣٤٦ .

أما الامام أبو حامد الغزالي فلقد أتاحت له تجربة جيدة من خلال علاقته الحسنة بالوزير نظام الملك ، ما هياً له الفرصة للاطلاع على كثير من جوانب الحياة في الدولة السلجوقية ، وقد خرج من ذلك بانطباع نفسي تلمسه في بعض كتاباته ، فقد تحدث في مقدمة كتابه فاتحة العلوم عن الكثير من الأمور المتعلقة بالامامة وسياسة الحكم ، وعقد فصلاً عن الامامة في كتابه الاقتصاد في الاعتقادات ، وكتابه المستظهرى (أو فضائح الباطنية) تعرض فيه لمثل هذه الأمور ، أما كتابه التبر المسبوك في نصيحة الملوك فقد توصل فيه الى آراء وحقائق عن فن الحكم ومبادئه .

ويمكن القول اجمالاً أنه قد برز في العراق خلال العصر السلجوقي علماء أجلاء في الفقه وأصوله كان لبعضهم أبحاث رائعة ، ودراسات جلية ، ونظرات صائبة في دراسة الفقه الاسلامي وأصوله منهم :

الامام العلامة حجة الاسلام محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي أبو حامد الغزالي (المتوفي عام ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) ، صاحب البهجة العالية ، والفطرة الصائبة ، ولد بطوس من مدن خراسان ولم يك يبلغ أشده حتى تعلم القراءة والكتابة ، وأخذ يدرس العلوم الشرعية ، فأخذ طرفاً من الفقه ، ورحل الى جرجان حيث درس علي أبي نصر الاسماعيلي ثم الى نيسابور ، وهناك لازم امام الحرمين أبا المعالي الجويني ، وجد واجتهد حتى برع في المذهب الشافعي ، والخلاف والجدل والمنطق ، وقرأ الحكمة والفلسفة ، وأحكم ذلك كله ، وكان أنبغ تلاميذ الجويني حتى انه صنف في حياته كتابه السمي المنحول نظر الجويني فيه فقال " دفنتني وأنا حي هلاصرت حتى أموت " (١) . وبعد وفاة أستاذه الجويني خرج الغزالي قاصداً الوزير نظام الملك ، ان كان مجلسه مجمع أهل العلم ، فناظر الأئمة العلماء في مجلسه فبرّهم ، فأعجب به الوزير نظام الملك وعظمت منزلته عنده فندبه للتدريس في المدرسة النظامية ببغداد فتولاها سنة

(١) السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ / من ص ١٩١ / ص ٢٢٢ .

٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م . ولقد أعجب به الخلق علما وخلقا وفصاحة ، وأقام علي التدريس والتصنيف حتى سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م . ثم أقبل على العبادة والسياسة فخرج الى الحجاز مؤديا فريضة الحج ، ثم عاد الى دمشق فاستوطنها مدة ، وخرج منها الى بيت المقدس ثم الاسكندرية ، يجول في البلدان ويזור المشاهد ، ويأوي القفار ، ويروض نفسه ، ويكلفها مشاق العبادات ، ثم رجع الى بغداد ، ومن هناك توجه الى بلدة طوس . ثم ان الوزير فخر الدين بن نظام الملك طلبه السي نظامية نيسابور فأجاب الى ذلك ، ثم عاد الى وطنه ، وابتنى الى جواره خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين ، وظل بقية حياته بين التدريس والعبادة والتصنيف الى أن توفي .

يقول السبكي " مات ولم تر العيون مثله في القرون الماضية والتالية لسانا أوبيانا أو علما أو خاطرا وطبعيا ، نظر في علم الأصول وكان قد أحكمها فنصف فيها تصانيف ، وجدد المذهب في الفقه ، فنصف فيه تصانيف ، وسبك الخلاف فحسب فيه أيضا تصانيف جاوزت الثلاثمائة مصنف ، منها في المذهب الوسيط ، البسيط والوجيز في فروع الفقه الشافعي ، الخلاصة ، وفي سائر العلوم منها أحياء علوم الدين ، المستصفى في أصول الفقه ، بداية النهاية ، والمآخذ في الخلافات ، كيمياء السعادة (بالفارسية) ، المنقذ من الضلال ، اللباب المنتحل في الجدل ، تهافت الفلاسفة ، المقاصد في بيان اعتقاد الأوائل ، مقاصد الفلاسفة ، الجسام العوام عن علم الكلام ، معياري العلم . (١)

(١) تتحدث أغلب المصادر عن شخصية الامام الغزالي وفضله وعلمه ومصنفاته منها ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٥٥ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٢٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٢١٦ . السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ / ص ١٩١ - ٢٢٧ ، الذهبي : تاريخ الاسلام ج ١٢ / وفيات سنة ٥٠٥ هـ . مصور ابن الفوطي : مجمع الاداب ج ٣ / ص ٤٩٦ ، الكتبي : عيون التواريخ ، البغدادي : هدية العارفين ج ٢ / ص ٧٩ .

وهناك العشرات من الباحثين المحققين تناولوا شخصية الغزالي وكتبه بالدراسة والتحليل فيما يتعلق بالدراسات الدينية ، والانسانية من فلسفة وسياسة وتربية واخلاق وعلم نفس . . . الخ .

والغزالي يعد من أعظم مفكرى الاسلام ، وأقدرهم على الابتكار ، كان فقيها متكلما صوفيا ، وهو من علماء المسلمين المبرزين الذين جاهدوا في الله حق جهاد ، قال السبكي " جامع أشتات العلوم ، جاء والناس الي رد فرية الفلاسفة أحوج من الظلماء لمصاييح السماء ، فلم يزل يناضل عن الدين الحنيف بجلاد مقاله ، ويحمي حوزة الدين " (١) .

ولعل أبرز معالم شخصية الغزالي وصفاته المميزة حبه للحقيقة وتعلقه بالوصول اليها (٢) ، وسعيه للكشف عنها ، والتي قضي شطرا كبيرا من حياته ساعيا وراءها ، رغم كل ما واجهه من المشكلات والمصاعب ، فقد أثبت نفسه الكبيرة الا أن تسير الأغوار وقد تجرد في بحثه فكتابه المنقذ من الضلال ، والذي ألفه بعد الخمسين من عمره يعرض لنا فيه المنهج والطريق الذي سلكه في سبيل الوصول الى الحقيقة ، وهي معرفة الله ، بعد أن طوّف بجميع المذاهب ، ودرس مختلف العلوم من فقه وكلام وفلسفة ، واطلع على آراء أصحاب المل والنحل والفرق ، ودرسها جيدا ، فلم يرد أن أى طريق منها يوصل الي المعرفة الحقيقية بالله (٣) . ثم رجوعه الى القلب لينقذ الدين من المفاهيم الفاسدة والأفكار الخاطئة التي تهدده (٤) .

لقد أراد الغزالي هذا الدين خالسا من تأويلات أهل الباطن وجهل أهل الظاهر ومن أوهام الفلاسفة وتخيلاتهم (٥) مما جعله مجددا عظيما ، وصلحا كبيرا ، واماما بعيد الأثر ، وكان بالامكان أن تؤدي هذه التجربة المريرة مع ما يحيط به من صور الفكر المختلفة بعمق ، والمشتتة في شتى الاتجاهات في عصره ، السي أحداث الاضطراب في فكره . ولكنه ، وقد شبع قلبه وعقله بلباب القرآن والحديث ، حافظ علي ايمانه الذي لا يتزعزع ، وبذل جهدا خارقا في

(١) السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ / ص ١٩١ .

(٢) الغزالي : المنقذ من الضلال / ص ٣ .

(٣) ن ٠٠٠ ص / ص ٥٥ .

(٤) ن ٠٠٠ ص / ص ٢٣ - ٢٥ .

(٥) ن ٠٠٠ ص / ص ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ .

محاولته لوضع حد لمهزلة تناحر المذاهب والفرق ، ورد الأباطيل ، وردع أهمل الضلال . ومن مميزات الامام الغزالي أنه وهب نفسه للعلم فقال : * طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله *^(١) أضف الى ذلك أنه قد حرم نفسه الكثير من متاع الدنيا في سبيل بحثه عن الحقيقة ، والوصول اليها خلال مراحل رحلته في طلب العلم ، وتفرغه للبحث والتأليف والتدريس . وكان من نتيجة ذلك أن خلف الامام الجليل ارثا علميا ضخما ، يجد فيه الدارسون من أبناء الاسلام مشعلا يضيء لهم سهل البحث والابداع . أضف الى ذلك أن الغزالي قد كتب في مواضع شتى العديد من المؤلفات ، فتكلم في التفسير والحديث والفقه والأصول ، كما تحدث في أنواع أخرى من العلوم ، فقد كتب في تربية الأولاد والمتعلمين ، وفي علم النفس وبحث في السياسة والتصوف وعلم الكلام والفلسفة ، الى غير ذلك من أنواع العلوم ، حتى جاوزت مصنفاته الثلاثمائة مصنف .

ومن أهم مميزات الغزالي أنه أولي الجانب الأخلاقي والتربوي لدى الانسان جانبا عظيما من اهتمامه ، فكتب عن ذلك كثيرا في كتابه احياء علوم الدين ، بالإضافة الى رسالته : أيها الولد ، والرسالة اللدنية .

ولا غرو في ذلك فقد كان الغزالي واحدا من كبار الأساتذة والعلميين ، سواء في المدرسة النظامية أو خارجها ، وهو بحكم تعامله مع التلاميذ قد توصل الى الكثير من الأسس التربوية والقواعد العلمية والنفسية التي ينبغي ملاحظتها في التربية ، كما أنه قد تعرض للمصغات التي يجب أن يتصف بها الطالب ، وكذلك شروط المدرس الصالح وواجباته^(٢) .

(١) السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ / ص ١٩١ .

(٢) الغزالي : احياء علوم الدين ج ١ / من ص ١ الى ص ٨٢ ، الرسالة اللدنية ، أيها الولد مطبوعة ضمن رسائل الغزالي بعنوان القصور العوالي ج ١ / ص ٦٢-٢٣

ويتميز الامام الغزالي بأسلوبه الأدبي المشرق الذي يضعه في مرتبة كتب المسلمين الكبار ، فقد طوع اللغة العربية ، على الرغم من أعجميته ، للتعبير عن تجربته الانسانية العميقة ، ووصف العلوم الفلسفية بدقة ، بأسلوب ينطوي على السلاسة والقدرة على التعبير والابداع ، في الوقت الذي يوصف الكثير من مؤلفي عصره بجفاف الأسلوب .

وعند محاولة تقييم دور حجة الاسلام الغزالي ، ومدى تأثيره في حياة المسلمين العلمية والثقافية ، يمكن القول ، دون تردد ، بأن أثره كان كبيرا ، فهو بجانب دعوته الي العودة بالاسلام الي أصوله الأولى ، ومنابعه الصافية ، قد رفع مكانة الدين الي مستوى شامخ لاعهد للفقهاء والمتكلمين والفلاسفة به ، اضافة الي احيائه للعلوم الشرعية وحثه الجادة في اطار الدراسات النفسية والتربوية ، ونظريته في التعليم وأساليبه في نقد المتكلمين والفلاسفة ، والرد علي الرافضة والدهريين ، ومواقفه الصلبة في وجه أعداء الاسلام .

ومن علماء العصر المعدودين أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (المتوفي عام ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) الذي قال عنه السبكي " كان اماما جليلا رفيع الشأن له اليد الباسطة في المذهب ، والتغنن التام في سائر العلوم " (١).

نشأ في البصرة ، وتلقي تعليمه على عدد من شيوخها ، ثم رحل الي بغداد والتقي بعدد من شيوخها ودرس الفقه ، وتولي القضاء في بلدان كثيرة (٢) وامتياز في أحكامه القضائية بالحرونة والاجتهاد ، ولقد أكسبه توليه القضاء في كثير من البلاد

(١) السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ / ص ٢٦٧ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ١٩٩ .

خبرة عميقة بالبلاد والعباد ، حتى اذا ما عاد الى بغداد أخذ يباشر التدريس . وقد تخرج علي يده الكثير من أفاضل العلماء منهم الخطيب البغدادي (المتوفى عام ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) وغيره .^(١) وقد علت منزلته عند ملوك بني بويه أثناء اقامته في بغداد ، وكانت له مكانته الخاصة عند الخليفة العباسي ، وقد كان أمراء بسني بويه يرتضونه وسيطا بينهم وبين مناوئهم ، ويكلفونه بذلك ويلتزمون بتقاريراته .^(٢) ولقد أثبت الامام الماوردي شجاعته الأدبية في مناسبات متعددة ، فلم يكن يبالي بالوقوف حتى في وجه السلاطين ، اذا ما اقتنع بأن الحق يتطلب ذلك ، ولا أدل على ذلك من موقفه في معارضة الطلب الذي تقدم به الأمير البويهجي جلال الدولة الى الخليفة سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م باضافة لقب ملك الملوك الأعظم الى ألقابه . وعلى الرغم من أن أغلب فقهاء عصره قد أفتوا بجواز استعمال هذا اللقب ، مؤيدين بذلك موقف الأمير البويهجي ، فان الماوردي قد انفرد بموقف رافض ان أفتى بعدم جواز ذلك شرعا ، حيث ان هذه من الصفات الالهية ، رغم ادراكه مدى ضعف موقف الخليفة بازا الأمير البويهجي المتجبر المتفطرس ، ورغم ما كان يظهره الأمير البويهجي من اجلال وتكريم للماوردي .^(٣)

وامتاز الماوردي بفخزارة الانتاج ، قال السبكي : " وله اليد الباسطة فسي المذهب والتفنن التام في سائر العلوم " .^(٤) فكان له التصانيف الحسان في سائر العلوم منها تصانيف في الدراسات الشرعية ، مثل كتاب تفسير القرآن المعروف بكتاب النكت والعيون ، وانفرد في تفسيره ببعض النظرات الخاصة به ، والتي تدل على

(١) ياقوت : معجم الأدباء ج ٤ / ص ٣ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٥ / ص ٨٧

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٩ / ص ٥٢٢ ، ج ١٠ / ص ٤٣٧ طبعة بيروت .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٩٧ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٨ .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ / ص ٢٦٧ .

(٥) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٥ / ص ٥٢ .

الأصالة وعمق التفكير ، وقد صنف كذلك كتاب الحاوي الكبير ، وهو موسوعة ضخمة في فقه الشافعية ، قال الماوردي عنه " بسطت الفقه في أربعة آلاف ورقة ، واختصرته في أربعين " يريد بالمبسوط كتاب الحاوي والمختصر كتاب الاقتناع ^(١) . وقال ابن خلكان عنه " وكان حافظا للمذهب ، وله فيه كتاب الحاوي الذي لسم يطالعه أحد الا وشهد له بالتبحر والمعرفة التامة بالمذهب " ^(٢) ، ولقد تضمنت هذه الموسوعة الفقهية ، الى جانب العبادات ، وجميع فروع القانون العام والخاص ، فصولا في الزكاة والعشور والجزية والركاز ، كما تناول في بحثه القانون المدني من المعاملات ، والأحوال الشخصية في الميراث والطلاق والزواج والوصية ، كما بحث في القانون التجاري في باب الشركات والمضاربات ، وتضمن الكتاب أبحاثا عميقة في أصول الفقه ^(٣) ، ومن مؤلفات الماوردي كتاب أدب القاضي وكتاب أعلام النبوة ، الذي نحي فيه منحي خاصا ، ان حاول اثبات النبوات بأدلة عقلية ، وقد ألف الماوردي في الأدب واللغة أيضا ، فقد صنف كتاب الأمثال والحكم ^(٤) وكتاب العيون في اللغة قال عنه ياقوت " رأيته في حجم الايضاح أو أكبر " ^(٥) وكتاب البلغة المليا في أدب الدين والدنيا وهو من الكتب القيمة التي تهت في الاخلاق والفضائل الدينية والآداب الاجتماعية .

ولعل أهم جانب في مؤلفات الماوردي كتبه السياسية التي ضمنها الماوردي آراءه في أنواع الحكومات ونظم الحكم والادارة ، وغير ذلك من الموضوعات التي

(١) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٥ / ص ٥٢ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٢٨٢ .

(٣) الماوردي : قوانين الوزارة ، تحقيق فؤاد عبد النعم من ص ٥ الى ص ١٧ .

(٤) P.Voorhove: Codices Manuscripti VII hand lis arabic manuscripts in the library of the university of Lieden and the recollection in the Nether land (lugduni Batavoum 1957, p. 13.

(٥) ياقوت : معجم الأدباء ج ٥ / ص ٤٠٨ .

استرعت أنظار الدارسين ، منها كتاب الأحكام السلطانية الذي قال عنه البعض " انه قد حاز من الشهرة بين علماء المسلمين في المجالات السياسية الاسلامية حظا لا يحتاج معه الى تعريف أو تقديم " ^(١) والكتاب يعتبر من أهم مصادر النظر في الاسلام ، وله كتاب قوانين الوزارة ، وكتاب سياسة الملك ، وكتاب نصيحة الملوك ^(٢).

ومن علماء العصر طاهر بن عبد الله بن طاهر ، أبو الطيب الطبري (المتوفي عام ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) الذي درس الفقه ، وسمع بجرجان ونيسابور ، ثم جاء الى بغداد واستوطنها ، وسمع من علمائها وتولي القضاء ^(٣) ، وكان عارفا بأصول الفقه وفروعه ، ومحققا في علمه ، قال عنه أبو اسحاق الشيرازي : " ولم أر من رأيت أكمل اجتهادا ، وأشد تحقيقا منه ، شرح مختصر العزني ، وصنف في الخلاف والمذهب ، والأصول والجدل كتبا كثيرة ليس لأحد مثلها " ^(٤) ومن مصنفاته التعليقة الكبرى في الفروع ، والمخرج في الفروع . ومؤلفات أخرى ^(٥).

أما محمد بن الحسين بن محمد بن خلف أبو يعلى الفراء الحنبلي (المتوفي

-
- (١) هاملتون جيب : دراسات في حضارة الاسلام / ص ١٩٨ .
 (٢) عن الماوردي أنظر : ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ١٩٩ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٠٣ ، البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق / ص ٢٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٢٨٢ ، الخطيب : تاريخ بغداد ج ١٢ / ص ١٠٢ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ / ص ٢٦٧ ، الذهبي : تاريخ الاسلام حوادث سنة ٤٥٠ هـ . مصر ، ياقوت : معجم الأدباء ج ١٥ / ص ٥٢ ، ابن العماد : الشذرات ج ٣ / ص ٢٨٥ ، البغدادى : هدية العارفين ج ١ / ص ٦٨٩ .
 (٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ١٩٨ .
 (٤) الشيرازي : طبقات الفقهاء / ص ١٢٧ .
 (٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ٥١٢ ، البغدادى : هدية العارفين ج ١ / ص ٤٢٨ .

(١) عام ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م) فقد عاش معظم عمره في بغداد ، وكان عالم زمانه وفريد عصره ، له في الأصول والفروع القدم العالي ، وكان مقدم أصحاب الامام أحمد في عصره ، كانت له معرفة تامة بالقرآن وعلوم الحديث والفتاوى والجدل ، وكان اماما في الفقه ، وله فيه التصانيف الحسان ، ودرس وأفتى سنين ، وانتهى اليه المذهب وانتشرت تصانيفه^(٢) قال أبو يعلي " أما مصنفاته فتزيد علي الخمسين مابين كتاب ورسالة " وأهم هذه المصنفات كتاب الصفات الذي أتي فيه بكل عجيبة ، وأحكام القرآن ، وعيون المسائل ، المعدة في أصول الفقه ، ومقدمة في الأدب ، والمجرد في الفقه .^(٤)

أما ابراهيم بن علي بن يوسف أبو اسحاق الشيرازي (المتوفى عام ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م) فهو أحد أعلام الشافعية في هذا العصر ، قدم بغداد واستوطنها ، ولزم القاضي أبا الطيب الطبري الى أن صار معيده في حلقة^(٦) ، وكان أنظر أهل زمانه وأفصحهم ، وانتهت اليه رئاسة المذهب في الدنيا .^(٧) ورحل اليه الفقهاء ، وتخرج به أئمة كبار وتولي التدريس في النظامية سنة ٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م .^(٨) قال عنه أبو بكر الشاسي " الشيخ الشيرازي حجة الله على أئمة العصر " .^(٩) وقد نقل

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٢٤٣ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٠٦ ، الخطيب : تاريخ بغداد ج ٢ / ص ٢٥٦ ، ابن العماد : الشذرات ج ٣ / ص ٣٠٦ ، أبو يعلي : طبقات الحنابلة ج ٢ / ص ١٩٣ ، البغدادى : هدية العارفين ج ٢ / ص ٧٢ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٢٤٣ / ص ٢٤٤ .
(٣) أبو يعلي : طبقات الحنابلة ج ٢ / ص ٢٠٥ .
(٤) البغدادى : هدية العارفين ج ٢ / ص ٧٢ ، الزركلي : الأعلام ج ٦ / ص ١٠٠ .
(٥) أنظر عنه : ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ٢٩ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٣ / ص ٣٤٩ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٢١٥ ، البغدادى : هدية العارفين ج ١ / ص ٨ ، الزركلي : الأعلام ج ١ / ص ٥١ .

(٦) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٧ .
(٧) السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٢١٥ .
(٨) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٧ .
(٩) السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٢١٥ .

السبكي : " قال عنه الماوردي : ما رأيت كأبي اسحاق الشيرازي ، لوراءه الشافعي لتجمل به . وكان عميد الدولة ابن جبير الوزير يقول : " هو وحيد عصره وفريد دهره " (١) وقال أبو اسحاق الشيرازي يتحدث عن نفسه : " خرجت الى خراسان فما دخلت بلدة ولا قرية الا وكان قاضيها أو مفتيها أو خطيبها تلميذي أو من أصحابي " (٢) . وصنف الشيرازي عدة مصنفات في الفقه ، منها المهذب ، والتنبيه ، والنكت في الخلاف ، واللمع وشرحه ، والتبصرة في أصول الفقه ، وطبقات الفقهاء (٣) .

ومن علماء العصر الفقيه أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد الصباغ الفقيه الشافعي (المتوفى عام ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م) (٤) كان فقيه العراق في وقته وكان يضاوي الشيخ أبا اسحاق الشيرازي ، وتقدم عليه في معرفة المذهب (٥) وكانت الرحلة اليهما من البلدان في المذهب . كان فقيها محدثا أصوليا ، وكان أول مدرس بالنظامية عند افتتاحها سنة ٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م . (٦)

أما مصنفاته فأهمها : الشامل ، قال ابن خلكان " له كتاب الشامل ، أصح كتب أصحابنا وأتقنها أدلة " (٧) وله أيضا كتاب الكامل ، وكتاب تذكرة العالم والطريق السالم ، والعمدة في أصول الفقه .

-
- (١) السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٢١٥ .
 (٢) ن ٢٠٠ م / ص ٤٠٢ .
 (٣) البغدادي : هدية العارفين ج ١ / ص ٨ ، الزركلي : الأعلام ج ١ / ص ٥١ .
 (٤) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٢ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٢١٢ .
 الخطيب : تاريخ بغداد ج ١١ / ص ٣١ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ / ص ١٣٣ .
 العماد الحنبلي : الشذرات ج ٣ / ص ٣٥٥ ، ابن كثير : الهداية والنهاية ج ١٢ / ص ٢٢٢ .
 (٥) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٢ .
 (٦) ن ٢٠٠ م / ص ١٢٢ .
 (٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ١٣٣ .

أما الشيخ الامام أبو سعد المتولي عبد الرحمن بن محمد الفقيه الشافعي (المتوفي عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) ^(١) فقد كان جامعاً بين العلم والدين ، وتحقيق المناظرة ، له اليد الطولي في الأصول والفقه والخلاف ، تولى التدريس بالنظامية بعد أبي اسحاق الشيرازي ^(٢) وله من المصنفات تتمة الابانة ^(٣) ومصنف آخر في أصول الدين ^(٤) .

أما أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بالكيا الهراسي الفقيه الشافعي (المتوفي عام ٥٠٤ هـ / ١١١٠ م) والذي كان أحد فحول العلماء ورؤوس الأئمة ، فقهياً وأصولاً ، وجدلاً ، وحفظاً لمتون أحاديث الأحكام . فقد تفقه على امام الحرمين أبي المعالي الجويني ، وصار على رؤوس المعيدين هــو وأبو حامد الغزالي ^(٥) ، وكان مناظراً جليلاً القدر ، يستعمل الأحاديث في مناظراته ومجالسه مع الفقهاء وطلبة العلم بالمدرسة النظامية ببغداد حينما تولى التدريس بها ^(٦) ، له من المصنفات شفاء المسترشدين وأحكام القرآن ، وتعليق في الأصول ^(٧) لوامع الدلائل في زوايا المسائل ^(٨) .

-
- (١) السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ / ص ١٠٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٣٣ .
 (٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ١٣٣ .
 (٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٨ .
 (٤) أتم به الابانة كتاب شيخه القوراني وأتمه بعده جماعة من الفقهاء . السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ / ص ١٠٦ .
 (٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ١٣٣ .
 (٦) ن ٢٠٠ م : ج ٣ / ص ٢٨٧ .
 (٧) ن ٢٠٠ م : ج ٣ / ص ٢٨٦ .
 (٨) ن ٢٠٠ م : ج ٣ / ص ٢٨٦ .
 (٩) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٦٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٢٢٥ .
 ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٢٦٢ ، ابن النجار : ذيل تاريخ بغداد ج ١ / ص ١٢١ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٧ / ص ٢٣٢ ، ابن الفوطي : مجمع الآداب ج ٢ / ص ٧٩١ ، المنذرى : التكلمة لوفيات النقلة ج ٢ / ص ٤١٤ ، ابن العماد : الشدراة ج ٤ / ص ٨ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٣٨ ، البغدادي : هدية العارفين ج ١ / ص ٦٩٤ .

ومن علماء الفقه والأصول في هذا العصر فخر الاسلام أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي الفقيه الشافعي (المتوفى عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م) الذي دخل العراق ولازم الشيخ أبا اسحاق الشيرازي ، وصار معيدا بالنظامية^(٢) ، كان عالما جليلا تفقه على علماء عظام حتى أصبح فقيه وقته بالعراق بعد أستاذه^(٣) . وانتهت اليه رئاسة المذهب الشافعي ببغداد^(٤) . وقد تولي التدريس بالنظامية ببغداد^(٥) . وله مصنفات جليلة في الفقه والأصول منها كتاب حلية العلماء في المذهب ، ثم جمع آراء الشافعي في مسائل ، وضم الى كل مسألة اختلاف الأئمة فيها ، وجمع من ذلك شيئا كثيرا ، وسماه المستظهر لأنه صنعه للامام الخليفة المستظهر بالله^(٦) ، وله كتاب الشافعي في شرح الشامل ، في عشرين مجلدا ، وله كتاب العمدة ، وكتاب المعتد ، وكتاب الترغيب في المذهب ، والشافعي في شرح مختصر المزني^(٧) .

ومن أئمة الفقه الحنبلي في هذا العصر الامام أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلواني (المتوفى عام ٥١٠ هـ / ١١١٦ م)^(٨) قال ابن رجب " هو أحد أئمة المذهب وأعلامه وامام وقته ، وفريد عصره في الفقه درس وأفتى وقصده الطلبة وصنف كتباً حسناً في المذهب ، والأصول والخلاف ، وكانت له يد حسنة

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٢١٩ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ / ص ٢٠ ، ابن العماد : الشذرات ج ٤ / ص ١٦ ، البغدادى : هدية العارفين ج ٢ / ص ٧٦ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٢٢٠ .

(٣) ن ٥٠٠ م / ص ٢٢٠ .

(٤) ن ٥٠٠ م / ص ٢٢٠ .

(٥) ن ٥٠٠ م / ص ٢٢٠ .

(٦) ن ٥٠٠ م / ص ٢٢٠ .

(٧) البغدادى : هدية العارفين ج ٢ / ص ٧٦ .

(٨) أنظر عنه ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٩٠ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٢٨ ، الأصفهاني : خريدة القصر ج ٣ / ص ٣٨ ، ابن تفرى بـردى :

النجوم الزاهرة ج ٥ / ص ٢١٢ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٦٦ ،

البغدادى : هدية العارفين ج ٢ / ص ٦ .

في الأدب ، ومن أهم مؤلفاته الهداية في الفقه الحنبلي ، ادراك الغاية في اختصار الهداية ، والتمهيد في الأصول ، والانتصار في المسائل الكبار ، ورؤوس المسائل ، والتهذيب ، والخلاف الكبير ، والخلاف الصغير ، وغيرها من المصنفات .^(١)

ومن أجلاء علماء العصر في الفقه الحنبلي العلامة أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي (المتوفي عام ٥١٣ هـ / ١١١٩ م)^(٢) شيخ الحنابلة الذي كان اماماً مبرزاً في كثير من العلوم ، خارق الذكاء ، مكباً على الاشتغال والتصنيف ، عديم النظير . حفظ القرآن وقرأ القراءات^(٣) ، ودرس الأدب والنحو ودرس الفرائض والأصول علي عدد من مشايخ العصر ، وكذلك الفقه ، وكان شيخه في المناظرة أبا اسحاق الشيرازي^(٤) . قال ابن عقيل " وعانيت من الفقر والنسخ بالأجرة مع عفة وتقي ، ولا أراحم فقيها في حلقة ، ولا تطلب نفسي رتبة من رتب أهل العلم القاطعة لي عن الفائدة ، وتقلب على الدول ، فما أخذتني دولة سلطان ولا عامة عما اعتقد أنه الحق فأوديت من أصحابي وأوديت نفسي دولة النظام بالطلب والحبس ، فإيمان خفت الكل لأجله لا تخيب ظني فيك ، وعصمني الله في عنفوان شبابي بأنواع العصمة ، وقصر محبتي على العلم وأهله ، فما خالطت لعباء ولا عاشرت الا من أمثالي في طلبه " .^(٥) وقال ابن الجوزي عنه " وأفنتي ودرس وناظر الفحول ، واستفتي في الديوان في زمن القائم بأمر الله ، في زمرة من الكبار ، وجمع

-
- (١) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ١١٦ .
 (٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ١ / ص ٢١٣ ، ابن الفوطي : مجمع الآداب ج ٢ / ص ٨٤٧ ،
 العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٣٥ . البغدادي : هدية العارفين ج ٢ / ص ٨٦ .
 (٣) العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٣٥ .
 (٤) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٢١٢ - ٢١٣ . العماد الحنبلي : الشذرات ج ٩ / ص ٢١٣ .
 (٥) العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٣٥ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٢١٣ .

علم الفروع والأصول ، وصنف فيها الكتب ، وكان دائم التشاغل بالعلم حتي اني رأيت بخطه " أنه لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري ، حتي اذا انقطع لساني عن مذاكرة ومناظرة ومصرى عن مطالعة أعملت فكري في حال راحتي ، حتي وأنا منطرح فلا أنهض الا وقد خطر لي ما أسطره " (١) وكان بارعا في الفقه وأصوله ، له في ذلك استنباطات عظيمة ، وتحريرات كثيرة (٢) وله تصانيف كثيرة في أنواع العلوم ، وأكبر تصانيفه : الفنون ، وهو كبير جدا ، فيه فوائد كثيرة جلية في الوعظ ، والتفسير والفقه ، والأصول ، والنحو ، واللغة ، والشعر ، والتاريخ ، والحكايات . وفيه مناظراته التي وقعت له ، وخواطره ونتائج فكره التي بيد وأنه قد قيدها فيه . قال ابن رجب : " وهذا الكتاب مائتا مجلد ، وقع لي منه نحو مائة وخمسين مجلدا " (٣) ذكر ابن العماد " وقال الذهبي : لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب ، حدثني من رأى منه المجلد الفلاني بعد الأربعمائة ، وقال بعضهم هو ثمانمائة مجلد " (٤) وله في الفقه كتاب الفصول ، ويسمى كفاية المفتي في عشر مجلدات (٥) . وله كتاب الارشاد الى أصول الدين ، وكتاب عدة الأدلة ، وكتاب المفردات ، ومسألة في الحرف والصوت ، وتفضيل العبادات على نعيم الجنات ، وتهذيب النفس ، وشمائل الزهاد ، وكتاب المنثور وغيرها من المصنفات (٦) . قال العماد الحنبلي :

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٢١٢ .

(٢) العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٣٤ .

(٣) ن ٣٠٠ ص ٤ / ص ٣٨ .

(٤) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ١٤٢ .

(٥) العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٣٨ .

(٦) ن ٣٠٠ ص ٤ / ص ٣٨ .

(٧) البغدادى : هدية العارفين ج ٢ / ص ٦٩٥ .

قال السلفي : ما رأيت عيناى مثل الشيخ أبي الوفاء بن عقيل ، ما كان أحد يقدر أن يتكلم معه لغزارة علمه ، وحسن إirاده ، وبلاغته ، وقوة حجته ، ولقد تكلم يوما مع شيخنا أبي الحسن الكيا الهراسي في مسألة فقال له شيخنا ليس هـذا بمذهبك ، فقال أنا لي اجتهد ، متى طالبني خصمي بحجة كان له عندي ما أرفع به عن نفسي ^(١) .

ومن برز من فقهاء الحنابلة في هذا العصر الامام عماد الدين أبو الحسين محمد بن أبي يعلى محمد بن الحسين ابن خلف الفراء الحنبلي البغدادي (المتوفى سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م) ^(٢) القاضي شيخ الحنابلة بالعراق ، من بيت علم وفضل وحكمة وقضاء وفقه وتفسير ومعرفة الأصول والفروع ، كان فقيها مناظرا ، برع في المذهب والخلاف والأصول ^(٣) . وصنّف في الفقه تصانيف مفيدة ، منها : رؤوس المسائل ، والمفردات في الفقه ، والمفردات في أصول الفقه ، وايضاح الأدلة في الرد على الفرق الضالة والمضلة ، وشرح مختصر الخرقى في الفروع ، وطبقات الأصحاب ^(٤) .

أما الشيخ أبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر الزاغوني (المتوفى سنة ٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م) الفقيه الحنبلي ، وشيخ الحنابلة في عصره وأحد كبار أعيانهم فقد كان من معاصري ابن الفراء الحنبلي ^(٥) ، قرأ القرآن بالقراءات ^(٦) وطلب الحديث ، ودرس الكثير من كتب الفقه والنحو والفرائض ^(٧) وكان متقنا في علوم

-
- (١) العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٣٥ .
(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٢١٣ ، ابن الفوطي : مجمع الآداب ج ٢ / ص ٨٤٧ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٧٩ .
(٣) العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٧٩ .
(٤) البغدادي : هدية العارفين ج ٢ / ص ٧٩ .
(٥) العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٨٠ .
(٦) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٣٢ .
(٧) العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٨١ .

شتى من الأصول والفروع والوعظ والحديث^(١) ، وكان له في كل فن من العلم حظ وافر ، وكانت له حلقة بجامع المنصور يناظر فيها يوم الجمعة قبل الصلاة^(٢) . صنف الكثير من المصنفات ، منها في الفقه : الاقتناع في الفقه ، والإيضاح في الأصول ، والواضح والخلاف الكبير ، والمفردات^(٤) .

ومن علماء الحنابلة أيضا في هذا العصر العلامة الوزير أبو الطفر يحيى بن محمد بن هبيرة (المتوفي عام ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م) الذي كان عالما بالنحو واللغة والعروض ، وقد صنف في هذه العلوم^(٥) ، وصنف في الحديث والفقه كتابه —
الافصاح عن معاني الصحاح في عدة مجلدات ، وهو شرح صحيح البخاري ومسلم . قال صاحب الشذرات عنه * ولما بلغ فيه الى حديث (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) شرح الحديث وتكلم عن معنى الفقه ، وآل به الكلام الي ذكر مسائل الفقه المتفق عليها والمختلف فيها بين الأئمة الأربعة المشهورين ، وقد أفرد الناس من الكتاب وجعلوه بمفردة مجلدة ، وسموه بكتاب الافصاح واشتغل به الفقهاء في ذلك الزمان على اختلاف مذاهبهم *^(٦) وله في الفقه أيضا كتاب العبادات في المذهب^(٧) .

(١) العماد الحنبلي بالشذرات ج ٤ / ص ٨١ .

(٢) ن ٤٠٠ م ج ٤ / ص ٨١ .

(٣) ن ٤٠٠ م ج ٤ / ص ٨١ .

(٤) البغدادى : هدية العارفين ج ١ / ص ٦٩٦ .

(٥) العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ١٩٢ .

(٦) ن ٤٠٠ م ج ٤ / ص ١٩٢ .

(٧) ن ٤٠٠ م ج ٤ / ص ١٩٢ .

والحق أن علماء الفقه والأصول على مختلف المذاهب في هذا العصر كثيرون
جدا لا سبيل الي حصرهم .^(١)

.....

(١) ولعله من المفيد أن نحيل القارئ الى بعضهم لا علي سبيل الحصر ، — من
المصادر التالية :

ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ص ٢٤ ، ٢٧ ، ١٧٩ ، ١٨٧ ، ٢٣٩ .
ابن الأثير : الكامل ج ١ / ص ص ١٤٤ ، ٣٢٣ ، ٣٦٣ ، ج ٩ ص ص ١٠ ،
١٦ ، . الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ٣ / ص ص ١٨٤ ، ٢٤١ ،
ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ١٤٥ ، السبكي : طبقات الشافعية
ج ٣ / ص ٢٨٧ ، ج ٤ / ص ص ٤٢ ، ٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٢٥ ، ٣٢٣ ، ج ٦ /
ص ص ٣٠ ، ٩٤ ، ج ٧ / ص ص ٤٢ ، ٩٣ ، ج ٨ / ص ص ١٤٧ ، ٣٥٦ ،
ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ص ٩٩ - ٢٠٧ ، ج ٣ / ص ٢٥٩ ،
ج ٤ / ص ص ٢٢٥ ، ٢٢٧ . ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ص
٣٥ ، ١٩٠ ، ج ٢ / ص ٧٩ . العماد الحنبلي : الشذرات ج ٣ / ص ص
٣٢٣ ، ٣٣٦ ، ٤٠١ ، ج ٤ / ص ص ٦٠ ، ٦١ ، ٩٨ ، ١٦٤ ، ٢٢٥ ،
٢٤٤ ، ٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ٣٠٠ ، ج ٥ / ص ص ٣ ، ٧٠ ، ابن القوطي :
مجمع الآداب ج ١ / ص ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ج ٣ / ص ٥٤٨ ، سبط
ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٢٤٣ ، الكتبي : عيون التواريخ
ج ١٢ / ص ١٤٠ .

الفصل الثاني

علوم اللغة والنحو والأدب

أولا : اللغة العربية وازدهار الدراسات اللغوية خلال فترة البحث ٣٥٧ -
شاهير علماء اللغة ونشاطهم وآثارهم ٣٥٩ .

ثانيا : النحو وأبرز علماء النحو ومصنفاتهم ٣٦٢ - ٣٦٣ .

ثالثا : الأدب ونشاط الدراسات الأدبية ٣١٩ :

أولا : النشر ٣٧٢ وينقسم الي :

(١) نشر فني ٣٧٣ - ويشمل النشر الفني - الرسائل الديوانية

٣٧٦ - التوقيعات ٣٧٨ - الاخوانيات ٣٧٩ ، شاهير

كتاب العصر ومنشئهم ٣٨٠ - المقامات ونشاطها فني

هذا العصر ٣٨٩ .

(٢) نشر أدبي تأليف ٣٩٤ - رواد النشر التألفي خلال فترة

البحث ٣٩٥

ثانيا : الشعر وموقفه وميادينه خلال فترة البحث ٤٠١

دراسة موجزة لبعض شعراء العصر العبرزين ٤٠٨

الفصل الثاني

علوم اللغة والنحو والأدب

ظلت بغداد ومدن العراق خلال عصر السلاجقة نشطة في المباحث اللغوية والنحوية والبلاغية والنقدية ، واجتمع في العراق في هذا العصر طائفة كبيرة جلييلة القدر من اللغويين والنحاة والأدباء والشعراء ورجال البيان . وقد خلّفوا تراثاً أدبياً ضخماً .

والواقع أن مفكرى ومتأدبي هذا العصر كانوا معجبين أشد الإعجاب بأسلافهم فقد انكبوا على آثارهم بالتدليل والشرح ، والنقد ، كما أن بعضهم سار على نهج الأولين في الابداع ومحاولة ذلك على الأقل أحياناً .

فابن الدهان النحوى سعيد بن المبارك (المتوفى عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) يطالعنا وله رسالة في سرقات المتنبي ، سماها الرسالة السعيدية في المآخذ الكندية ^(١) . وقال علي بن الحسن المعروف بشميم الحلي (المتوفى عام ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م) " ان الأوائل جمعوا أقوال غيرهم وأشعارهم ومبهموها ، أما أنا فكسل ما عندي من نتائج أفكارى ، وكنت كلما رأيت الناس مجمعين على استحسان كتاب في نوع من الآداب استعملت فكرى وأنشأت من جنسه ما أدحض به المتقدم " ^(٢) .

ويعتبر كتاب اللمع لابن جني من أشهر الكتب التي اهتم بشرحها نحاة العصر السلجوقي في العراق ، فقد شرحه سعيد بن المبارك ابن الدهان في كتاب

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ٣٨٢ .

(٢) ياقوت : معجم الأدباء ج ٥ / ص ١٣٠ .

سماه الغرة^(١) كما شرحه أيضا أبو البقاء العكبري (المتوفي عام ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م)^(٢)
 وأبو محمد بن الخشاب (المتوفي عام ٥٦٧ هـ / ١١٦١ م)^(٣) ، وشميم الحلبي الشاعر^(٤)
 وهبة الله بن الشجري (المتوفي عام ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م)^(٥) ومحمد بن علي النحوي^(٦)
 المعروف بابن حميدة (المتوفي عام ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م) ، وعلى كل حال فقد
 نشطت في هذا العصر الدراسات اللغوية والنحوية والأدبية حيث قاد حركة
 النشاط هذه زمرة من أدباء العصر المشاهير ، الذين وضعوا مصنفات جليسة
 في اللغة والنحو والأدب . وسنلاحظ هذا أثناء استعراض فروع هذه الدراسات
 المختلفة :

أولا : اللغة :

يعتبر العصر السلجوقي في العراق من عصور الازدهار العلمي ، والعطاء
 والتطور في خدمة اللغة العربية وآدابها ، ذلك أن العلماء انطلقوا في مرحلة
 التفاعل الحضاري والنضج الي حيث أخرجوا الموسوعات الضخمة والمعاجم
 الجامعة . ولقد توسعت الدراسات اللغوية وازداد الاهتمام بها كثيرا لأسباب
 متعددة ومختلفة . واستيلاء السلاجقة على الحكم في خراسان حيث وصل
 الأتراك الذين ينتمون ثقافيا الى مناطق وسط آسيا الى السلطة والحكم ، وورثوا
 دولة السامانيين ، وحيث انهم كانوا أقل سوية حضارية من المناطق الجديدة التي
 وصلوا اليها فانهم اقتبسوا ، وتأثروا بثقافتها ونظمها ، وهكذا قدر للغة الفارسية

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ٣٨٣ .

(٢) ن . م . ص ج ٣ / ص ١٠٠ .

(٣) ن . م . ص ج ٣ / ص ١٠٣ .

(٤) ياقوت : معجم الأدباء ج ٥ / ص ١٣٨ .

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ٤٥ .

(٦) ياقوت : معجم الأدباء ج ٧ / ص ٤٠ .

أن تواصل سيادتها خلال الفترة السلجوقية إذ أصبحت لغة الحكم والسياسة والأدب^(١).

وقد استمر ذلك بعد وصول السلاجقة الى بغداد وسيطرتهم على الخلافة ومؤسساتها ، التي لم تفاجأ في الواقع بالوضع الجديد ، ذلك أن المجتمع سبق له أن واجه ضرباً مشابهاً تمثل في التسلط البويهى ، والذي كانت اللغة الفارسية والموروثات الفارسية عماد ثقافته ، وإزاء هذه التطورات فقد كان من المتوقع أن يحصل الصراع اللغوى والتأثيرات المتبادلة في الأثر اللغوى بالمفردات ، وأن يحصل الكثير من التسامح على حساب قواعد اللغة العربية وضبط ألفاظها والحديث بالفصحى ، فتكاثر الأخطاء النحوية الشائعة وظهر اللحن كما ظهر المولّد في الأدب^(٢). وإزاء هذا الوضع عمل الكثير من علماء اللغة ، كرد فعل على الوضع الجديد ، على جمع مصادر الكلمات ومفردات لغة العرب في معاجم خاصة ، تمثلت المرحلة الأولى من جهودهم في " جمع الكلمات حيثما اتفق ، ثم جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد ، والرسائل اللغوية على الموضوعات ، مثل غريب القرآن ، وغريب الحديث ، وغريب الفقه ، واللغات ، والعامي ، والمعرب ، ولحن العامة^(٣) .

(١) التونجي : حول الأدب في العصر السلجوقي ص ١٠٥ - ص ١١٣ . عن زبيح

الله صفا : تاريخ أدبيات در ايران ج ٢ / ص ٩٠ .

(٢) أنظر ترجمة أبي أحمد العسكري (ت سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م) صاحب التصانيف

في اللغة والأدب في : ابن الجوزي : المنتظم ج ٧ / ص ١٩١ ، ياقوت :

معجم الأدباء ج ٨ / ص ٢٣٣ . ونلاحظ أن اللغوى موهوب الجواليقي (ت سنة

٣٥٩ هـ / ١١٤٤ م) صنف في لحن العامة كتابه " التكلمة في ما يلحن فيه العامة "

ياقوت : معجم الأدباء ج ٧ / ص ١٩٧ .

(٣) سنتحدث في هذا الفصل عن المصنفات التي تناولت هذه الموضوعات . كماله :

سلسلة حضارة العرب والاسلام ج ٣ / ص ٢٠ .

ومن ألف في غريب القرآن أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل المشهور
بالراغب الأصفهاني (المتوفي عام ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م) ببغداد ، والذي صنّف
كتابه المفردات في غريب القرآن .^(١)^(٢)

ومن صنّف في غريب الحديث أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن
الشيحاني المعروف بالخطيب التبريزي (المتوفي عام ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م) ، حيث
ألف كتابه تهذيب غريب الحديث .^(٣)^(٤)

ومنهم أبو شجاع محمد بن علي بن شعيب بن الدهان (المتوفي عام ٥٩٠ هـ /
١١٩٣ م) الذي ألف كتابه غريب الحديث في ستة عشر مجلدًا .^(٥)^(٦)

أما أبو السعادات المبارك ابن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (المتوفي

(١) كان من حكماء الاسلام الذين جمعوا بين الشريعة والحكمة في تصانيفه ، وقد
اختلف في سنة وفاته ، وله مصنفات جليلة منها غرة التنزيل ودرة التأويل ، وكتاب
الذريعة . البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام / ص ١١٢ ، ابن كثير : البداية
والنهاية ج ١٢ / ص ١٨٣ ، القرشي : الجواهر النضية ج ١ / ص ٢١٩ .

(٢) العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٣٤ .
(٣) الخطيب التبريزي أحد أئمة اللغة والأدب والبلاغة في عصره ، له مصنفات فسي
اللغة والأدب والنحو . العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٥ ، ابن الجوزي :
المنتظم ج ٩ / ص ١٦١ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ٢ / ص ٢٥ ، ابن
الانباري : نزهة الألباء / ص ٢٧ .

(٤) العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٥٥ .
(٥) حاسب فرضي ترجمته في بغدادى : هدية العارفين ج ٢ / ص ١٠٢ .
(٦) ن ٢٠٠ م / ج ٢ / ص ١٠٣ ، وعقبه ابن الجوزي (ت سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) في
كتابه غريب الحديث . سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٤٨١ .

عام ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م^(١) فقد سمي كتابه النهاية في غريب الحديث والأثر الذي يعتبر الغاية فيما وصل اليه غريب الحديث مادة وترتيباً.^(٢)

أما المؤلفات التي تبحث في المعرب فإن أهم الكتب التي ظهرت في هذا العصر في هذا الفن هو كتاب المعرب لموهوب بن أحمد الجواليقي (المتوفي عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م)^(٣) شيخ أهل اللغة في هذا العصر ، قال ابن الأنباري : " لم يعمل في جنسه أكبر منه " .^(٤) وقد كان الجواليقي اماماً في اللغة في عصره ، فهو من بيت علم ومعرفة ، قال عنه ابن خلكان : " كان اباماً في فنون الأدب وهو من مفاخر بغداد " .^(٥) وله مصنفات أخرى في اللغة منها كتاب التكلمة فيما يلحن فيه العامة ، وهو تنمة درة الفواص في أوهام الخواص للحريري (المتوفي عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م)^(٦) .

ولقد ظهرت كتب لغوية في الأماكن والبقاع في هذا العصر ، ومن وضع

- (١) كان أشهر العلماء ذكراً وله المصنفات البديعة والرسائل الوسيمة منها جامع الأصول في أحاديث الرسول ، جمع فيه بين الصحاح الستة ، وكتاب النهاية في غريب الحديث ، والانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف وغيرها من المصنفات . ياقوت : معجم الأدباء ج ١٧ / ص ٧١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ١٤١ ، القفطي : انباء الرواة ج ٣ / ص ٢٥٧ ، البغدادي : هدية العارفين ج ٢ / ص ٢٠ .
- (٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ١٤١ .
- (٣) ابن الأنباري : نزهة الألباء ص ٤٧٣ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ١٩ / ص ٢٠٥ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ٧٨ ، ابن الأثير : اللباب ج ١ / ص ٢٤٥ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ١ / ص ١١٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ٣٤٣ ، القفطي : انباء الرواة ج ٣ / ص ٣٣٥ ، المعاد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ١٢٧ .
- (٤) ابن الأنباري : نزهة الألباء / ص ٤٧٣ .
- (٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ٣٤٢ .
- (٦) ن ٢٠٠ ص ج ٤ / ص ٦٣ .

مصنفا في هذا الفن محمد بن موسى الحازمي (المتوفي عام ٥٨٤هـ / ١١٨٨م) الذي
صنف كتابه بعنوان ما اتفق لفظه واختلف سماه في الأماكن والبلدان المشبهة فسي
الخط ^(٢).

ومن كتب في لحن العامة أبو محمد القاسم بن علي الحريري (المتوفي عام
٥١٦ هـ / ١١٢٢م) الذي صنف في اللغة كتابه درة الفواص في أوهام الخواص ،
نبه فيه على كلمات يستعملها الكتاب في غير مواضعها .

ومن علماء اللغة والبلاغة في هذا العصر سلمان بن عبد الله النهرواني (المتوفي
عام ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩م) الذي برع في اللغة والنحو بعد أن كان قد درس علي ابن
الدهان ، وقد ألف كتابه القانون في اللغة عشر مجلدات لم يصنف مثله ^(٤) .

ومن البلاغيين في هذا العصر الراغب الأصفهاني المتقدم ذكره ، ذلك انه
صنف في اللغة أيضا كتاب تحقيق البيان في اللغة والحكم ، وكتاب أفانين البلاغة ^(٥) .

(١) محمد بن موسى الحازمي نزيل بغداد ، رحل في طلب العلم الى بلدان كثيرة ،
وصنف كتبها جليلة ، منها الناسخ والنسخ ، الفصل ، العجالة ، سلسلة
الذهب . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٢٩٤ ، أبو شامة : الروضتين
ج ٢ / ص ١٣٧ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ١٨٩ ، العماد الحنبلي :
الشدرات ج ٤ / ص ٢٨٢ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٢٩٥ .

(٣) أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري صاحب المقامات ، وأحد أئمة العصر
في اللغة ، له مصنوعات عديدة هي المقامات ، ودرة الفواص في أوهام الخواص
ولحة الأعراب ، وديوان رسائل . ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٢٤١ ،
القفطي : انباء الرواة ج ٣ / ص ٢٣ ، ابن الأنباري : نزهة الألباء / ص ٣٧٩ ،
ياقوت : معجم الأدباء ج ١٦ / ص ٢٦١ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ /

(٤) ياقوت : معجم الأدباء ج ١١ / ص ٢٣٤ .

(٥) البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام / ص ١١٢ ، العماد الحنبلي : الشدرات ج ٢ /
ص ٣٤ ، القرشي : الجواهر النضية ج ١ / ص ٢١٩ .

برز في هذا العصر من اللغويين والأدباء أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد الشيباني ابن الأثير الجزري (المتوفي عام ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) ^(١) وله كتب كثيرة أهمها ما صنفه في البلاغة والبيان ، وهو كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، الذي تغلب عليه النزعة البلاغية ^(٢) .

ثانيا : النحو :

ولقد حفل العصر السلجوقي في العراق بظهور طائفة كبيرة من علماء النحو ، وهو أمر متوقع مع تسلط الأعاجم وشيوخ لغتهم الفارسية ومزاحمتها للغة العربية ، نخص بالذكر منهم أبا الحسن علي بن فضال المجاشعي (المتوفي عام ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م) ^(٣) والذي قد هجر مسقط رأسه القيروان ، واستقر به المقام في بغداد ، يدرس النحو واللغة . وكان من أكابر أئمة النحو واللغة والتصريف والتفسير . ^(٤) له من المصنفات البرهان العميد ، كتاب أكسير الذهب في صناعة الأدب والنحو وله الدول في التاريخ قال عنه ياقوت : " رأيت في الوقف السلجوقي منه ثلاثين مجلداً ^(٥) وكتاب معارف الأدب شاني مجلدات وغيرها من الكتب .

-
- (١) ابن الأثير ضياء الدين كان عالماً بالنحو واللغة والبيان ، صنف فيها مصنفات عديدة . وانتهت إليه كتابة الانشاء والترسل . أبو شامة : ذيل الروضتين / ص ١٦٩ ، ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ص ١٣٦ ، اليافعي : مرآة الجنان ، ج ٤ / ص ٩٧ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٥ / ص ١٨٧ ، ابن خلكسان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ٣٨٩ .
- (٢) وكتابه هذا في مجلدين جمع فأوعب ، ولم يترك شيئاً يتعلق بغن الكتابة الا ذكره ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ٣٩١ ، الفاخوري : تاريخ الأدب العربي ، ص ٧٥١ ، شوقي ضيف : البلاغة تطور ومنهج / ص ٣٢٣ .
- (٣) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٤ / ص ٩٠ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٢٠٤ . القفطي : انباء الرواة ج ٣ / ص ٢٩٩ . البغدادى : هدية العارفين ج ١ / ص ٦٠٦ .
- (٤) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٤ / ص ٩٠ .
- (٥) ن . م . س ج ١٤ / ص ٩٠ ، البغدادى : هدية العارفين ج ١ / ص ٦٠٦ .

ومن أئمة النحوي في هذا العصر ، يحيى بن علي بن محمد بن بسطام الشيباني أبو زكريا ابن الخطيب التبريزي (المتوفي عام ٥٠٢ هـ / ١١٠٩ م) كان اماما فسي النحو واللغة والأدب ، حجة صدوقا ثبتا ، رحل الي أبي العلا المعري وأخذ عنه ^(١) وأخذ عن غيره من علماء العراق ، ودخل مصر وقرأ بها النحو ثم عاد الي ^(٢) بغداد ، وولي التدريس بالنظامية ، والاشراف على خزانتها حتى وفاته ، ومن أهم مصنفاته أسرار الصنعة في النحو ، تهذيب اصلاح المنطق ، تهذيب غريب الحديث ، شرح الحامسة ، شرح ديوان المتنبي ، الكافي في علم العروض والقوافي ^(٣) وغيرها من الكتب .

(٥) أما أبو منصور موهوب بن أحمد الجوالقي (المتوفي عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م) فقد كان له علم واسع بالنحو مع ما عرف به من تخصصه في اللغة والأدب . ^(٦)

ومن رجال النحو المبرزين في هذا العصر أبو السعادات هبة الله بن علسي بن محمد المعروف بابن الشجري البغدادي (المتوفي عام ٥٤٢ هـ / ١١٤٨ م) ، وكان ^(٧) أوجد زمانه وفرد أوانه في علم اللغة ، فقد كان اماما في النحو له مصنفات كثيرة ^(٨)

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ١٩١ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٦١ .

(٢) ياقوت : معجم الأدباء ج ٢٠ / ص ٢٥ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ١٩١ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٦١ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ١٩٢ .

(٥) سبق أن تعرض البحث لترجمته .

(٦) له مصنفات في الأدب وردت في باب الأدب .

(٧) حيث ان تخصصه الرئيسي هو الأدب فقد اجتهدنا أن نتوسع في الكلام عنه

هناك . أنظر : ابن الجوزي : المنتظم ج ١ / ص ١٣٠ ، ابن خلكان : وفيات

الأعيان ج ٦ / ص ٤٥ ، ابن الانباري : نزهة الألباء / ص ٢٩٩ ، ياقوت : معجم

الأدباء ج ١٩ / ص ٢٨٢ ، ابن العماد : الشذرات ج ٤ / ص ١٣٢ ، الأصفهاني :

الخريدة ج ٣ / ص ٥٢ .

(٨) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ١٣٠ .

منها : ما اتفق لفظه واتفق معناه ، شرح اللع لابن جني ، شرح التصريف
الطوكي (١).

وكان الوزير عون الدين أبو المعطري يحيى بن هبيرة الشيباني (المتوفي عام ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) من رمي بسهم في النحو في هذا العصر ، قال عنه ابن الجوزي : " وكانت له معرفة حسنة بالنحو واللغة والعروض " (٢) وصنف مصنفات حسنة منها : اختلاف العلماء ، الافصاح عن معاني الصحاح ، واختصر اصلاح المنطق لابن السكيت ، الطامس والطالس في علم السيمياء (٣) ، كتاب المقصود والممدود (٤).

ومن نعاة العصر الممدودين بالعراق أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن الخشاب البغدادي (المتوفي عام ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م) الذي كان أعلم أهل زمانه بالنحو ، قال ابن العماد : " وانتهت إليه الامامة في النحو " (٥) وقال ابن النجار : " كان أعلم أهل زمانه بالنحو حتي يقال : انه

-
- (١) ابن خلدان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ٤٥٠ .
 - (٢) سبقت ترجمته .
 - (٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ١ / ص ٢١٤ .
 - (٤) السيمياء أو علم معاني الألفاظ : يبحث من مجاهد علم اللغة ، يبحث في المنطق واللغة وأساليب التعبير ، كلمة يونانية معربة أصلها (سيما) ومعناها العلاقة أو الرمز . الموسوعة العربية الميسرة / ص ١٠٥٦ .
 - (٥) ابن العماد : الشذرات ج ٤ / ص ٢٢٠ .
 - (٦) ابن الجوزي : المنتظم ج ١ / ص ٢٣٨ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ٣١٦ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ١٢ / ص ٤٧ ، القفطي : انباء الرواة ج ٢ / ص ٩٩ ، الذهبي : المختصر المحتاج إليه ج ٢ / ص ١٢٧ ، ابن العماد : الشذرات ج ٤ / ص ٢٢٠ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٢٨٨ ، وكانت لابن الجوزي خزانة كتب عظيمة اطلع عليها ابن الجوزي وقال : انها كانت أحمالا .
 - ابن الجوزي : صيد الخاطر / ص ٣٦٧ .
 - (٧) ابن العماد : الشذرات ج ٤ / ص ٢٢٠ .

كان في درجة أبي علي الفارسي^(١) وتحدث عنه ياقوت فقال : " رأيت قوما من نحاة بغداد يفضلونه علي أبي علي الفارسي^(٢) ، هذا وقد برع ابن الخشاب في علوم كثيرة بجانب النحو ، فكان له اطلاع واسع في علوم التفسير ، والحديث ، واللغة والأدب ، والحساب ، والهندسة ، والمنطق ، والفلسفة^(٣) . وقد بالغ ابن العماد الحنبلي حين قال عنه : " وما من علم من العلوم الا وكانت له فيه يد حسنة^(٤) . أما صاحب الخريدة فقد أثني عليه قائلا : " شيخنا في علم الأدب ، أعلم الناس بكلام العرب ، وأعرفهم بعلوم شتى في النحو واللغة والتفسير والحديث والنسب ، وكان فضله علي أفاضل الزمان^(٥) ، وقرأ الأدب علي عدد من أفاضل علماء بغداد^(٦) ، وكانت له مصنفات حسان أهمها : المرتجل في شرح الجمل للجرجاني ، شرح اللمع لابن جني ، الرد علي التبريزي في تهذيب الاصلاح ، شرح مقدمة الوزير ابن هبيرة فسي النحو ، الرد علي الحريري في مقاماته ، أسئلة في البلاغة ، وغريب اللغة ، وغيرها من المصنفات^(٧) .

ومن المعروفين في النحو في العراق خلال فترة البحث أبو نزار الحسن بن صافي البغدادي (المتوفي عام ٥٦٨هـ / ١١٧٢م)^(٨) الفقيه الأصولي المصنف فسي

-
- (١) ابن العماد : الشذرات ج ٤ / ص ٢٢٠ .
 (٢) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٢ / ص ٤٧ .
 (٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ١٠٢ .
 (٤) ابن العماد : الشذرات ج ٤ / ص ٢٢٠ .
 (٥) العماد الأصفهاني : خريدة القصر ج ٣ / ص ٧ - ١٨ .
 (٦) العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٢٢١ .
 (٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ١٠٣ .
 (٨) ياقوت : معجم الأدباء ج ٨ / ص ١٢٢ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٢٩٥ ، القفطي : انباء الرواة ج ١ / ص ٣٠٥ ، ابن العماد : الشذرات ج ٤ / ص ٢٢٨ ، الياقعي : مرآة الجنان ج ٣ / ص ٣٨٦ .

الأصليين والنحو وفنون الأدب^(١)، له ديوان شعر، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة مشهورة^(٢)، واتفق أهل عصره على فضله حيث كان نحوياً بارعاً، وأصولياً متكماً، وفصيحا مفوهاً^(٣)، ويبدو أنه قد أصابه نوع من الغرور حتى لقب نفسه بملك النحاة^(٤)، وكان يقول: "هل سيويه إلا من رعيتي وحاشيتي"، ولو عاش ابن جني لم يسمعه إلا حمل غاشيتي^(٥)، صنف مصنغات مهمة، منها: الحاوي في النحو، والعمدة في النحو، والمنتخب في النحو، والمقتصد في التصريف، والتذكرة السفيرية، والمسائل العشر المتحات إلى الحشر، وهي عشر مسائل استشكلهم في العربية، وكتاب المقامات الذي حذا فيه حذو الحريري^(٦)، قال صاحب الخريدة: "ولم لك النحاة خمس مقامات ابتداء فيها بخطبة فصيحة وكلمات بدعية"^(٨)، وكانت له مخاطبات، ومعاتبات، ومكاتبات مع العباد الأصفهاني^(٩).

برز في علم النحو في هذا العصر أبو محمد سعيد بن علي بن الدهان (المتوفي عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٧ م)^(١٠). ويعتبر ابن الدهان سيويه عصره، ووحيد دهره، وكان من أعيان النحاة وأفاضل اللغويين^(١١). وقد قيل حينئذ: النحويون

-
- (١) العباد الحنبلي: الشذرات ج ٤ / ص ٢٢٧.
 (٢) ن ٠ م ٠ س ج ٤ / ص ٢٢٧.
 (٣) ن ٠ م ٠ س ج ٤ / ص ٢٢٧.
 (٤) ن ٠ م ٠ س ج ٤ / ص ٢٢٧.
 (٥) الغاشية: السؤال الذين يرجون، ابن منظور: لسان العرب ج ١ / ص ١٢٦.
 (٦) العباد الأصفهاني: الخريدة ج ٣ / ص ٨٩.
 (٧) القفطي: انباء الرواة ج ١ / ص ٣٠٥.
 (٨) الأصفهاني: الخريدة ج ٣ / ص ٨٩.
 (٩) ياقوت: معجم الأدباء ج ٨ / ص ١٢٢.
 (١٠) الأصفهاني: الخريدة ج ٣ / ص ١٩، ياقوت: معجم الأدباء ج ١١ / ص ٢١٩،
 القفطي: انباء الرواة ج ٢ / ص ٤٧، السيوطي: بغية الوعاة / ص ٢٥٦،
 اليافعي: مرآة الجنان ج ٣ / ص ٣٩٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٢ / ص ٣٨٢.
 (١١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٢ / ص ٣٨٢.

أربعة ببغداد : ابن الجواليقي ، وابن الشجري ، وابن الخشاب ، وابن الدهان^(١)
درس ابن الدهان العربية والنحو على علماء أجلاء ، ثم سافر إلى أصبهان ، وأخذ
من علمائها ، ثم عاد إلى بغداد ، وأخذ الناس عنه كتابه : شرح الايضاح في النحو
لأبي علي الفارسي^(٢) . ثم رحل عن بغداد إلى الموصل ، وهناك تصدر للاقتسراء
والتدريس ، وقد فرقت كتبه فتغير لونها ، فأشير عليه أن ييخرها باللادن فيخرها
فأصيب بالمعوى^(٣) . وقد صنف تصانيف كثيرة في النحو وفي غيره من العلوم أهمها :
شرح الايضاح لأبي علي الفارسي (ثلاثة وأربعون مجلدا) ، شرح اللمع لابن جني ،
والدروس ، والفصول ، والرياضة في النكت النحوية ، وتفسير القرآن ، والمختصر
في القوافي ، والنكت والاشارات على السنة الحيوانات ، وديان الشعر ، ورسائل ،
وزهر الرياضي (سبع مجلدات) وغيرها^(٤) .

ومن أئمة النحو في هذا العصر ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن —
حميد الله بن أبي سعيد الأنباري الطلقب كمال الدين النحوي (المتوفي عام ٥٧٧ هـ /
١١٨١ م)^(٥) الذي كان من الأئمة المشار اليهم في علم النحو . تفقه في المدرسة
النظامية ببغداد ، وقرأ اللغة علي أبي منصور الجواليقي ، ثم تصدر لاقراء النحو
فيها^(٦) وصحب أبا السعادات ابن الشجري وأخذ عنه^(٧) . وقد تبحر في علم الأدب
واشتغل عليه خلق كثير حتى صاروا علماء^(٨) ، ومن أهم مصنفاته ، نزهة الألباء

-
- (١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ٣٨٢ .
(٢) القفطي : انباء الرواة ج ٢ / ص ٤٧ .
(٣) ياقوت : معجم الأدباء ج ٨ / ص ١٢٢ .
(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ٣٨٢ .
(٥) ن ٠ م ٠ ص ج ٢ / ص ١٣٩ ، ابن الديبشي : المختصر المحتاج إليه ج ٢ / ص ٢١٠ ،
الكتبي : قوات الوفيات ج ٢ / ص ٢٩٢ ، القفطي : انباء الرواة ج ٢ / ص ١٧١ ،
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٦ / ص ٩٠ ، البغدادى : هدية العارفين ج ١
ص ٥١٩ .
(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ١٣٩ .
(٧) ن ٠ م ٠ ص ج ٣ / ص ١٣٩ .
(٨) ن ٠ م ٠ ص ج ٣ / ص ١٣٩ .

في طبقات الأدباء بحث فيه تاريخ النحويين واللغويين منذ العصور الأولى حتى عصره ، كتاب أسرار العربية في النحو ، كتاب الانصاف في مسائل الخلاف بسنن النحويين البصريين والكوفيين ، ألفه طلبية لرغبة تلاميذه في المدرسة النظامية ، كتاب لمع الأدلة في أصول النحو ، كتاب الاغراب في جدل الاعراب ، البيان في غريب اعراب القرآن وغيرها من الكتب .^(١)

أما المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ابن الأثير الجـزري (المتوفي عام ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م)^(٢) فقد كان عالماً فاضلاً ، جمع بين علم العربية والقرآن والنحو والحديث ، وصنف في ذلك التصانيف المشهورة ، قرأ النحو والأدب علي أبي محمد سعيد بن المبارك الدهان .^(٣) من مصنفاته كتاب الهدى في النحو ، كتاب الباهر في الفروق ، في النحو ، وكتاب تهذيب فصول ابن الدهان ، كما صنف كتباً أخرى في الحديث وغريب الحديث .^(٤)

ومن برز في هذا العصر في علم النحو عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء العكبري البغدادي النحوي الضرير (المتوفي عام ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م)^(٥) الذي أخذ النحو عن أبي محمد بن الخشاب وعن غيره من مشايخ العصر . ولم يكن في آخر عمره

-
- (١) البغدادي : هدية العارفين ج١ / ص ٥١٩ .
 (٢) ياقوت : معجم الأدباء ج١٧ / ص ٧١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٤ / ص ١٤١ ، القفطي : انباء الرواة ج٣ / ص ٢٥٧ ، البغدادي : هدية العارفين ج٢ / ص ٢ .
 (٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٤٠ / ص ١٤١ .
 (٤) ن . م . س ج٤ / ص ١٤١ .
 (٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٣ / ص ١٠٠ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج٢ / ص ١٠٩ ، ابن الانباري : نزهة الألباء / ص ٢٦٠ ، الكتبي : فوات الوفيات ج٢ / ص ٤١٤ ، المنذرى : التكملة لوفيات النقلة ج٢ / ص ٤٦١ ، ابن العماد : الشذرات ج٥ / ص ٦٢ .
 (٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٣ / ص ١٠٠ .

في عصره مثله في فنونه ، وكان الغالب عليه علم النحو ^(١) وقد برع في فنون عديدة ، قال عنه صاحب الشذرات : " كان اماما في علوم القرآن ، اماما في الفقه ، اماما في اللغة ، اماما في النحو ، اماما في العروض ، اماما في الفرائض ، اماما في معرفة المذهب ^(٢) ، صنف التصانيف الجليلة ، منها اعراب القرآن ، شرح الايضاح ، اعراب الحديث ، شرح اللمع لابن جني ، كتاب اللباب في علل النحو ، شرح الفصل للزمخشري ، اعراب شعر الحماسة ، شرح ديوان المتنبى ^(٣) .

ولقد كان هذا العصر عصر بركة ونماء للأدب واللغة والنحو ، وبرز فيه من علماءها أعداد كبيرة لا يمكن حصر مجموعهم . ^(٤)

ثالثا : الأدب :

لقد عظم حظ الأدب والشعر في هذا العصر ، فقد حفل هذا العصر بأدباء أجلاء وشعراء فعول في العراق ، عنوا بتدوين المأثور من شعر ونثر ، بروايت واختياره ونقده ، كما ألفوا في فنون الأدب وملاغته وتاريخه وطبقات رجاله .

-
- (١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ١٠٠ .
 (٢) العماد الحنبلي : الشذرات ج ٥ / ص ٦٧ .
 (٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ١٠٠ ، الفغدادى : هدية المارفين ج ١ / ص ٥٩ .
 (٤) ولعل من المفيد أن نحيل الى المصادر التي تحدثت عنهم :
 الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ٣ / ص ٩٣٣ ، ص ١٧٩ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٣ / ص ٤١٢ ، ج ٤ / ص ٧٣ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ٤ / ص ١٧٥ ، ج ٥ / ص ٨٤ ، ج ٧ / ص ٤٥ ، ج ٨ / ص ٢١٤ ، ج ٨ / ص ٥٤ ، ١٢٢ - ج ٩ / ص ١٩٨ ، ج ١٠ / ص ١٠ ، ١٤٧ ، ج ١١ / ص ١٧١ ، ١٧٨ ، ٢٥١ ، ج ١٥ / ص ٦٦ ، ج ١٧ / ص ٥٤ ، ٥٨ ، ٢٧٠ ، ج ٨ / ص ٢٥٥ ، ٢٥٢ ، ج ١٩ / ص ١٠٦ ، ج ٢٠ / ص ١٩ ، القفطي : انباء الرواة ج ١ / ص ١٣٨ ، ٢٧٦ ، ٣٢٨ ، ج ٢ / ص ١٢٢ ، ٢٤٢ ، ٣٠٦ ، ٣٢٤ ، ج ٣ / ص ١٢٣ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ٢١١ ، ٢١١ ، ٢٢٧ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ابن الأنبارى : نزهة الألباء ص ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٤ ، ٢٨١ ، ٣١٩ .

ولقد تعددت اتجاهات المؤلفين في الكتابة ، وتتنوع مذاهبهم فيها ، وأصبح كثير من مؤلفاتهم من أمهات كتب الأدب التي استوفت حظها من الجمع والاستيعاب والشمول .

ومن ينظر الى المصادر الأدبية ، التي كتبت خلال العصر السلجوقي فسي العراق ، في فهارس دور الكتب في الشرق والغرب ، أو يقف على هذه المؤلفات يأخذه المجدب العجيب من ضخامة النتاج الغزير ، والسوية الأدبية العالية التي هي الصفة المشتركة بين علماء وأدباء العصر .

لقد كان النتاج الأدبي في العصر السلجوقي المرآة التي عكست الوضع الاجتماعي والفكري ، ويصدق هذا على الأدب بكافة صوره ، من خطابة وكتابة وقصص وشعر .

ولقد كان الانتاج غزيرا بشكل لم يسبق له مثيل ، ذلك أننا اذا استعرضنا مقومات الانتاج الأدبي في القرنين الخامس والسادس الهجريين لوجدنا أنفسنا أمام تراث ضخم ، ليس فقط في مجال الشعر والنثر ، بل في كل ما يمكن الوضع الثقافي والعلمي والأدبي على السواء ، ذلك أن الأدب في هذا العصر لم يتأثر بالحالة السياسية المضطربة ، بل ظل ، على الرغم من تأثره بالأوضاع المختلفة ، فعلا معبرا عن أحاسيس الأمة ، راجعا ومتداولا ، ولعل ذلك نتيجة لأسباب عديدة متداخلة ، منها ظهور حركة انشاء المدارس ، وتركيزها على الاهتمام بجوانب مختلفة متنوعة من العلوم ، كان لعلوم العربية مكانها المرموق بينها ، حيث ان اللغة العربية لفئة القرآن والشريعة والمجتمع ، أضف الى ذلك أن شيوع المكتبات ، وما أوقف للانفاق عليها في أغلب مدن العراق يعد عاملا هاما من عوامل تشجيع الدارسين ، وهذا يشمل دور الثقافة والتعليم بعامة . وكان حظ الأدب منها كبيرا ، نتيجة لطبيعة التطور العام الذي سارت فيه الحياة الثقافية في عصورها السابقة ، وقد يضاف الي ذلك ظهور طبقة ذواقة ومتعمكة في الوقت نفسه ، احتضنت الشعر والأدباء وعلماء

اللغة والبلاغة ، والنحو ، وتمثلت في الخلفاء والسلاطين والأمراء والوزراء ، بل حتى الموسرين من أفراد المجتمع الذين كانوا يتنافسون على احتضان الأدباء والشعراء للاستمتاع بجلساتهم الأدبية والشعرية . وقد يكون ذلك بسبب من الانسجام مع بعض أغراض الشعر ، وبخاصة شعر المديح .

والحق أن السلاطين السلاجقة الأوائل لم يكونوا يتذوقون الأدب العربي بعامة لأنهم أعاجم من جهة ، كما أنهم لم يكونوا على حظ وافر من الثقافة من جهة^(١) أخرى ، غير أن ذلك لم يستمر طويلا ، إذ سرعان ما حصل التأثير الحضاري بثقافات المناطق التي حكموها ، وبدأت منذ عصر السلطان ألب أرسلان ومن جاء بعده ، مرحلة الاهتمام المتزايد بالعلوم والآداب ، ولهذا فانهم شجعوا العلماء ، وأنفقوا على الطلاب ، وأغروا بالتكليف ، وكان من نتيجة ذلك أن برز في عصرهم الكثير من الأدباء العرب والفرس ، وحتى المبرزون في اللغتين ، أمثال الشاعر فخر الدين الكركاني (المتوفي عام ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م) والأديب الشعالبي (المتوفي عام ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م)^(٢) والوطواط (المتوفي عام ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م)^(٣) والباخرزي صاحب دمية القصر (المتوفي عام ٤٦٧ هـ / ١٠٧٥ م)^(٤) وغيرهم ممن تشيد بذكرهم ومكانتهم في فنههم كتب التراجم ومصادر الفترة التاريخية .

وفي العراق اجتهد الولاة في جمع الشعراء والكتاب حولهم في بغداد وواسط والبصرة والحلة وسائر مدن العراق ، حتى يظفروا بمدحهم والتفني بفضائلهم ، غير

(١) الراوندي : راحة الصدور / ص ٤٠ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ١٢٨ ، ابن الأنباري : نزهة الألباء ص ٢٤٩ ، العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٣ / ص ٢٤٦ .

(٣) ياقوت : معجم الأدباء ج ٧ / ص ٩١ - ٩٥ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ٣٨٧ .

أن التقاليد العامة كانت خاضعة لتأثير البلاط العباسي والسلجوقي ، فكان أن شاع أسلوب موحد كان الشعراء يستعملونه بصورة عامة ، سواء في مدح السلاطين أو الولاة أو غيرهم من أصحاب الجاه ، على أن مآثر المدنية وما فيها من عادات وتقاليـد كانت تظهر في قصائد شعرائها وكتابات كتابها بين الحين والآخر^(١).

وحيث ان البحث قد ركز هنا على الأدب في العراق خلال فترة البحث فان بالامكان القول بأن الأدب قد تمايزت أنواعه ، وتعددت فنونه ، وبرز فيه عدد كبير من المبرزين من الشعراء الكبار ، واشتمل على حركة أدبية شاملة ، ازدهرت في العراق في أثناء القرن الخامس والقرن السادس ، اتصلت شعلتها بأضواء النهضة العظيمة التي بلغت الذروة في القرن الرابع ، وامت مدنه الكبار كبغداد وواسط والبصرة ، وشمط النواحي ، وتغلغل في أحشاء القرى من سواد بغداد وأعمالها ، وشرقيها وغربيها ، وأعمال الفرات أعلاه وأسفله ، واتصلت من الشمال الي الجنوب من الحديثة وهيت والأنبار الى الحلة والكوفة وقرى واسط ، وشارك فيها الخلفاء والأمراء والوزراء وأعيان البلاد^(٢).

وسوف يعالج البحث النثر الفنى ، وأقسامه وأنواعه ، في البداية قبل أن ينتقل الى الشعر والشعراء .

أولا : النثر :

النثر هو الأسلوب المتبع في التعبير ، ويكون النثر لغة مكتوبة أو منطوقة ، منطويا على معنى ، وخاضعا لأصول اللغة ، كما يرتفع النثر الى ما فوق مستوى

(١) عبد النعيم حسنين : نظامي الكنجوى / ص ٨٣ ، طبع القاهرة سنة ١٩٥٤ م .

(٢) الأصقهاني : الخريدة ج ١ / ص ص ١٠٣ - ١٠٤ .

التأليف العادي ، باستخدامه السجع والجناس والطباق^(١) وبلا مكان أن نصنف النثر الى صنفين : النثر الفني . والنثر الأدبي التأليفي .

١ - النثر الفني :

وهو ما يرتفع به أصحابه من لغة الحديث العادية ، ولغة العلم الجافة ، الى لغة فيها فن ومهارة وروية ، ويوفرون له ضروها من التسيق والتنميق والزخرف ، فيختارون الفاظه وينسقون جملة^(٢) .

فالنثر الفني في هذا العصر يشمل الخطابة ، والرسائل الديوانية والتوقيعات ، والاخوانيات ، والقصص والمقامات . والخطبة كلمة عربية معناها الخطاب يجاهر به الخطيب^(٣) . ولقد نشأت منذ أوائل هذا العصر طبقة جديدة من الخطباء الوعاظ ، وهم من كانوا يعرفون بالمذكرين . وكانت الغالبية العظمى منهم من الصوفية^(٤) . وهكذا شاع في هذا العصر القصص والوعظ والتذكير بالآخرة ، والتخويف من النار فكثرت الوعاظ وامتلأت بهسم المساجد والطرقات ، ونجد أن أخبار هذا الوعظ مستفيضة في كتب الأدب العربي ، ذلك أن هذا اللون من الأدب لم تقتصر أهميته وآثاره على الجوانب الروحية والدينية ، بل انها امتدت لتشغل كذلك ميدان الأدب ، فكان ذلك عاملا بالغا الأثر في مقومات عناصر القصة الأدبية التي أئمنت وآتت ثمارها ، بعد أن انصهرت فيها ثقافات الأمم الأخرى^(٥) .

(١) الموسوعة الاسلامية الميسرة / ص ١٨٢٣ .

(٢) حنا الفاخوري : تاريخ الأدب العربي / ص ٣١٦ . عبد الحكيم بليغ : النثر الفني ص ١١ .

(٣) أحمد محمد شاكر : دائرة المعارف الاسلامية ج ٨ / ص ٣٧٠ .

(٤) ابن الجوزي : تبيين ابليس ص ١٢٣ ، ص ٣٩٣ .

(٥) بليغ : المسجد والقصص والمذكرون . مجلة عالم الفكر ، المجلد ١٢ / ص ١٣٢٣ ، عن وديعة نجم : القصص والقصص في الأدب الاسلامي / ص ٤٠ .

ولاشك في ان الوعظ شكل من أشكال الخطابة^(١) ، له كل مظاهرها من الارتجال والمشافهة وقوة التأثير ، والحرص على سلامة التعبير وهو نمط طغي في هــنـدـه المرحلة على أنواع الخطابة المختلفة ، وهذا ما عناه ابن الجوزي في قوله عـنـ الخطيب : " فاذا كانت له صناعة في انشاء الخطبة أو كان يحفظ خطبة ذكرها"^(٢) .

وقد أوكلت الخطابة في أيام الجمع والأعياد والمناسبات الدينية الى علماء الدين ، حيث كانوا يخطبون في المساجد والمدارس ، وكان الواحد منهم يخطب لا مبتذلاً للقول ولا مستأنفاً له ، بل يلقيه ارتجالاً عن خبرة وسابق تصور . غير أن ذلك لم يستمر طويلاً ، فقد تردت أحوال الخطباء ، وظهر بينهم العجز والاضطراب ، مما دعاهم الى الحاجة للنظر في قصاصات أوراق يعدونها مسبقاً لهذا الغرض . ثم تدهور الحال الي درجة لم يسبق لها نظير ، ان لم يأنفوا أن يخطبوا بكلام غيرهم المهيأ لمثل هذه المناسبات ، والموزع علي أيام السنة ومواسمها^(٣) .

وقد شاع في خطابة هذا العصر السجع المعروف لدى أهل الأدب والذي طبع خطباء هذا العصر . ويوضح ذلك ابن جبير في قوله عند حديثه عن مجلس

(١) قال ابن جبير عن الامام رضي الدين القزويني تحت عنوانه " مجالس علم ووعظ " " ثم اندفع الشيخ الامام المذكور فخطب خطبه سكون ووقار وتصرف في أفانسين من العلوم " ابن جبير : الرحلة ص ١٩٥ .

(٢) ابن الجوزي : كتاب القصص والمذكرين / ص ١٣٧ .

(٣) كتلك الخطب التي ألفها جمال الدين أبوبكر محمد بن محمد بن الحسن ابن نياته المصري (المتوفي عام ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م) للسلطان الناصر حسن (المتوفي عام ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م) السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ / ص ص ٩٤ - ١٠٣ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ١١ / ص ٩٥ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج ١ / ص ٣١١ .

وعظ ابن الجوزي بأنه " شئ الخطبة على فقره آخر آية منها في الترتيب الى أن أكملها، وكانت الآية (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار حمرا ان الله للذي فضل على الناس) فتبادى على هذا السين " (١) .

وقد كان من أدباء العصر ووعاظه وخطبائه من يمتلك من روعة البيان وقوة التأثير ما يأسر به القلوب ، ويمتلك به زمام جمهور المستمعين . فكان أبو الفرج ابن الجوزي من أشهر مذكرى العصر وخطبائه ، وقد أوضح ابن جبير ما كان عليه الرجل من قوة في البيان ، وروعة في التأثير على عواطف الناس وأفكارهم . كما أنه وصف مشاعر الناس ، وما فعلوه من شدة الوجد ، وعظيم التأثير بتلك الخطبة حيث كانوا " يجهشون بالبكاء " ، حتى ارتفع أصوات نحيبهم ، بل وحتى سقط بعضهم على الأرض فاقدين لوعيهم من شدة التأثر والوجد . (٢)

وهكذا يتبين لنا رسوخ قدم ابن الجوزي وعلو كعبه في هذا الفن ، فلا غرابة من أن يذيع صيته ، وترتفع منزلته ، ويترفع بحق وجدارة ، على عرش صناعات الخطابة في هذا العصر . (٣)

والإضافة الى ابن الجوزي ظهر في هذا العصر أبو القاسم القشيري (٤) وأبو الحسن أردشير بن منصور العبادي الذي افتتن الناس بخطابته ، وعقدت له مجالس للوعظ بالمدرسة النظامية ببغداد ، كان يحضرها الأئمة والمشايع ، ومن بينهم حجة الاسلام الامام الغزالي ، حيث تكاثرت الناس على مجالسه ، وازدهرت حلقاته بشكل منقطع النظير . (٥)

(١) سورة غافر ، آية (٦١) .

(٢) ابن جبير : الرحلة / ص ١٩٨ .

(٣) ن ٠ م ٠ م / ص ١٩٩ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج ١ / ص ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١١٨ .

(٦) ن ٠ م ٠ م / ص ١٨ / ص ١٦٨ .

الكتابة وديوان الرسائل :

يقول ابن خلدون " وهذه الوظيفة غير ضرورية في الملك لاستغناء كثير من الدول عنها وانما أكد الحاجة اليها في الدول الاسلامية شأن اللسان العربي والبلاغة في العبارة عن المقاصد ، فصار الكاتب يؤدي كنه الحاجة بأبلغ العبارة اللسانية في الأكثر وكان الكاتب يصدر السجلات مطلقة ويكتب فسي آخرها اسمه ويختتم عليها بخاتم السلطان " (١).

ولقد سارت الكتابة في العصر السلجوقي في اتجاهات تمثل الاستمرارية والتطور ، غير أنها أخذت تتدرج الي منحى خاص بها حيث يلاحظ تخصيص عبارات معلومة تختطف باختلاف المناسبات والموضوعات ، كما يلاحظ غلبة الاطناب والتفضيل فيها والاهتمام باللفظ على المعنى^(٢) بعد أن نضجت العلوم ، ووضعت اصطلاحاتها ، وتميزت مسائلها ، واضطلع بها كثير من الناشئة الأعاجم . ونفسي أواخر العصر العباسي استقلت الكتابة ، وعهد بها الى غير الوزراء وظهر ببغداد عدد من كتاب الانشاء^(٣) من شغلوا مناصب في ديوان الانشاء ، ويترأسهم عادة رئيس يعرف بمحتولي الديوان أو صاحب الديوان ، وربما يعرف بكاتب السر ، غير أن الاشراف العام على هذا الديوان وغيره من الدواوين الادارية والمالية يعود السي ديوان الدار الذي يترأسه الوزير عادة ، والذي توجه اليه مراسلات الملوك فسي مكاتبتهم الى الخلفاء^(٤).

ولقد تنوعت أساليب كتابة الاستهلال والخاتمة بحسب مقام المرسل اليه ، فقد وزنوا الألفاظ وقدروها بشكل دقيق ، وظهرت أساليب مختلفة في المراسلات ،

(١) ابن خلدون : المقدمة / ص ٢٤٦ .

(٢) أحمد الاسكندري : تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي ص ٢١٢-٢١٣ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة / ص ٢٤٧ .

(٤) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ج ١ / ص ٢٤٥ .

مابين أسلوب وآخر ، حيث وضعت فروق ، وطولب الكتاب بضرورة الالتزام بها
(١) وعابوا من خالفها .

والراجح أن كتاب الدواوين كانوا من ذوى الثقافة الواسعة مما أعانهم على تعميق
الأفكار وترتيب المعاني بشكل دقيق (٢) وعنوا أيضا بالفاظهم عناية قد تفوق عنايتهم
بمعانيهم ، فكانوا ينقلون حرفة الكتابة من أسلوب الصنعة الى أسلوب جديد من
التصنيع (٣) .

وكان لهؤلاء الكتاب أثر كبير في نشر نوع خاص من الثقافة ، ذلك أن ثقافتهم
أوسع من ثقافة غيرهم ، حيث كانت معارفهم ودائرة اطلاعهم واسعة شاملة ، لأنهم
بحكم عملهم مضطرون الى أن يعرفوا أحوال الناس الاجتماعية ، وتقاليدهم ، وأن
يعرفوا من اللغة والأدب ، وعلوم الدين ، والفلسفة والجغرافيا . والتاريخ طرفا ،
لأن طبيعة أعمالهم تقتضي ذلك .

فهؤلاء الكتاب نشروا الثقافة العامة ، وضموا الى الآداب العربية الآداب
الفارسية ، وأصبح ما يتطلب منصب الكاتب في هذه الفترة التعرف على تاريخ
العرب والفرس وأقوال الخلفاء وملوك الفرس . وقد أشار ابن خلدون الى الشروط
التي ينبغي توفرها في الكاتب وهي " الشروط المعتمدة في صاحب هذه الرتبة التي
يلاحظها السلطان في اختياره وانتقائه من أصناف الناس فهي كثيرة ، وأحسن مسن
استوعبها عبد الحميد الكاتب في رسالته الى الكتاب " (٤) .

(١) كحالة : الأدب العربي في الجاهلية والاسلام ص ١٩٤ - ١٩٥ .

(٢) شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي / ص ١٩٥ .

(٣) ن . م . س / ص ١٩٥ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة / ص ٢٤٨ .

وما يرتبط بالرسائل الديوانية ، التوقيع وهو " اصطلاح يطلق علي نسخة أمر أو تشريف خليفتي ، أو ملكي ، أو أميري يرسم بتعيين موظف أو ترتيب مستخدم في احدى الوظائف الهامة كترتيب مدرس ، أو تعيين نقيب أو محتسب أو قاضي ، أو قاضي قضاة وقد يسمي التوقيع (فرمانا) ، ويقرأ بحضور الأعيان في الجوامع والمدارس ، ويتلي فوق المنابر " (١).

والتوقيع يشمل بالإضافة الى ذلك : ما يعلقه الخليفة على القصص أو الرقاع المعروضة عليه لطلب أو شكوى أو نحو ذلك فيكتب عليها بما يجب اجراؤه . (٢) وذلك من واجبات صاحب ديوان الانشاء أو من يتمين للتوقيع خاصة ، فيجلس الكاتب بين يدي الخليفة أو السلطان في مجالس حكمه أو فصله ، فاذا نظر الخليفة في الرقاع أمر الكاتب أن يوقع عليها ، فيتوخي الكاتب أبلغ ما يستطيعه . ولهذا فقد كان يختار لهذا المنصب رجل من أهل البلاغة ليستقيم توقيعه . (٣)

ولقد أصبحت التوقيعات بعد تطورها فنا أدبيا ، وصنعة يلتزم بها ، وهي جزء من تقاليد الانشاء في هذا العصر ، كان يجيدها كتاب مروفون ، اختص كل منهم بفن من فنون الانشاء . فكان التوقيع يحرر بأمر الخليفة ، ويمرض عليه فيشرفه بالامضاء ، وأحيانا يكتب بعضه بخطه ، وقد نقل ابن الجوزي أن الخليفة القائم بأمر الله (المتوفي عام ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م) عندما عهد الي حفيده بولاية العهد قال " اشهدوا بما تضمنته هذه الرقعة التي كتبت فيها سطرين بخطي " . (٤)

(١) ناجي معروف : التوقيعات التدريسية ، مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد عدد

٥٧ / ٦

(٢) عرف فوخ : تاريخ الأدب العربي في العصر العباسية ج ٢ / ص ٤٥ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٧ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٢٩٠ .

وكما ازدهرت التوقيعات السلطانية ازدهرت أيضا الرسائل الإخوانية ،
وتعددت أغراضها وتنوعت . والإخوانيات رسائل يتبادلها الإخوان ، وقد تكتب
نشرا أو شعرا على حد سواء ولكنها في النشر أكثر . وهي تدور حول معاني أغراض
وجدانية خاصة بالمتراسلين من شوق وعتاب وشكر ولوم ، واستنجاز وعد ، وغير
ذلك من الأغراض . على أنها أحيانا قد تتناول بحثا أدبيا أو جدلا نظريا أو نقدا
اجتماعيا كتلك المراسلات التي كانت بين المختار بن بطلان^(١) وعلي بن رضوان^(٢)
بصر . يقول ابن أبي أصيبعة : " ولم يكن أحد منهم يؤلف كتابا ولا يبتدع رأيا
الا ويرد الآخر عليه ويسفه رأيه فيه " .^(٣)

والمهم أن هذه الرسائل الإخوانية كانت تصاغ صياغة أنيقة مثقلة بأوجه البلاغة
من موازنة وسجع واستعارة وتورية ، مع التضمين والاقتباس من القرآن الكريم
والحديث الشريف والأمثال والشعر والأقوال ، مما يدل على مقدرة لغوية ورعاية
أدبية واحاطة بعدد من وجوه المعرفة .^(٤)

ومن رسائل ابن بطلان إلى علي بن رضوان بصر رسالة يفصح فيها ، ويذكر
معانيه ، ويشير إلى جهله بما يدعيه من علم الأوائل صدر بهذه الديباجة الانتساب
إلى الصنائع والاشتراك في البضائع موخاة وذم ، وحرمان وعصم ، أدنى حقوقها

(١) المختار بن حسن بن عدي بن بطلان طبيب باحث من أهل بغداد ، سافر في
رحلة علمية إلى الشام ثم مصر ثم القسطنطينية ، له مصنفات طبية منها " تقويم
الصحة ، الأمراض العارضة ، المدخل إلى الطب ، كناش الأديرة و الرهبان ،
وغيرها من الكتب (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٣٢٥ .

(٢) علي بن رضوان بن جعفر أبو الحسن الطبيب (ت ٤٥٣ هـ / ١٠٦٠ م) كان من كبار
الفلاسفة في الإسلام ، له تصانيف كثيرة ، منها حل شكوك الرازي على كتيب
جالينوس ، التوسط بين أرسطو وخصومه ، كفاية الطبيب . ابن أبي أصيبعة :
عيون الأنباء / ص ٥٦١ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٥ / ص ٦٥ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٢٦ .

(٤) شوقي ضيف : العصر العباسي الثاني / ص ٥٦٢ .

بذل الانصاف ، وأحد فروضها اجتناب الحيف والاسراف ، ويتصل بي عن الشيخ
أدام الله توفيقه ، وأوضح الى الحق طريقه ، بلاغات اذا قابستها بما ألفيته من حدة
طباعه كدت أصدق بها ، وان عزوته الى ما خصه الله بن من العلم قطعت بكذبتها ،
وفي كلا الحالين فأننى أرى الاغضاء عما أمضى من كلامه ، وأرفض من فعاله من الفعال
الواجب ، والفروض اللازم ، اذ كنت أثق برجوعه الى الحق وان مال في شعب
الباطل ، لاسيما أني لم أوجده سبيلا الى المأينة ، ولا سعيدة الا فيما أكسدت
أسباب المودة والمحافظة ، ولم أتخذ به مسألة سهلة ولا صعبة ، وهو أدام الله
توفيقه جهينتى في هذه الدعوى ^(١).

ولقد امتازت كتابة الرسائل في العصر السلجوقي ، ولا سيما الرسائل الديوانية
بلزوم السجع القصير الفقرات ، واستعمال الجناس ، ومضى أنواع البديع ، واستخدام
معاني الشعر ، والفاظه فيها ، والحكم الماثورة ، وازدادت فيها عبارات التعظيم
والتضخيم للملوك والأمراء ، والتحويل بشأنهم والاقتباس من كلام البلغاء ^(٢).

ولقد ظهر في العراق خلال فترة البحث هذا عدد كبير من كتاب الدواوين ،
وكتاب ومنشئين متأدين منهم :

أبو عبد الله عماد الدين محمد بن صفى الدين أبو الفرج المشهور بالعماد
الأصبهاني الكاتب (المتوفى عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) ^(٣) ، وكان من بيوت الرئاسة
والسؤدد والفضل والكتابة في القرنين الخامس والسادس ^(٤) ، ولقد تأثر كثيرا بالبيئة
العلمية السائدة في كل من أصفهان والعراق والشام ومصر . انتقل به أبوه وهو شاب

(١) القفطي : أخبار العلماء / ص ١٩٥ - ١٩٦ .

(٢) ابن خلدان : وفیات الأعيان ج ٥ / ص ١٤٧ ، أبو شامة : الروضتين ج ١ / ص ١٤٤ ،

ياقوت : معجم الأدباء ج ١٩ / ص ١١ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٩٤ ،

ابن العماد : الشذرات ج ٤ / ص ٣٣٢ ، ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ١٦ .

(٣) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٩ / ص ١١ .

(٤) ن ٢٠٠ م ج ١٩ / ص ١١ .

الى بغداد ، وهناك تلقى دروس في النحو واللغة والأدب والحديث ، ووعي الفقه والأصول والخلاف ، ودرس العلم الرياضي واشتغل بحل أقليدس^(١) ، وانتظم بالمدرسة النظامية ، وكان يشهد باستمرار حلقات المناظرة ، ويستفيد من العلم والجدل ، ثم انصرف كلياً الى العناية بالأدب ، يعالجه شعراً ونثراً حيث دأب على تجويدهما طوال حياته ، ولقد اشتهر العماد بالكتابة . ذلك لأنه خدم طويلاً في ديوان الانشاء^(٢) فكانت له خلفية ، علمية وأدبية خصبة في الثقافتين العربية والفارسية ، تبسط ذراعيه في أسباب القول البارع ، وتتهيأ له حظوظا عظيمة في الأدب ، ومجانب ذلك فقد كان رصيده ضخماً من العلوم الاسلامية ومعرفة التواريخ وأيام النساس^(٣) ، مما أعانه في تميزه في فنه الكتابي ، ورفع منزلته عند أعلام عصره من خلفاء وأمراء ووزراء وكتاب وعلماء^(٤) . ولقد أشاد الذين ترجموا للعماد الأصفهاني ، وسلوكه في فصحاء العرب والعجم وأرباب الفضل والبلاغة والمعرفة . قال ابن الفوطي " كان من فصحاء العرب والعجم كاتباً سديداً " ، وقال ابن الساعي : " كان سمح القريحة جيد النظم كثير القول ، له الترسل الطليح والكتابة البليغة . وذكره القاضي عمر القرشي في مشايخه الذين روى عنهم ، وأثنى عليه بالفضل والبلاغة والمعرفة " .^(٥)

ولقد نهج العماد في كتاباته منهجاً فنياً خالياً من كل تعقيد ، وكتب به التاريخ السياسي والحربي والثقافي لعصره ، فسجع ورصع ، وجانس وطابق ، وقابل

-
- (١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ١٦١ .
 (٢) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٩ / ص ١١ ، ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٦١ .
 (٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ١٤٧ .
 (٤) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٦١ .
 (٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ١٤٧ ، أبو شامة : الروستين ج ١ / ص ١٤٤ .
 (٦) ابن الفوطي : مجمع الآداب ج ١ / ص ١٦٦ / ص ١٦٧ .
 (٧) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٦٣ - ٦٤ .
 (٨) أنظر مصنفاته " خريدة القصر و جريدة العصر ، نصرة الفترة و عصرة الفطرة ، البرق الشامي .

وقارن وافتن العماد في هذا كله افتنانا عجيبا ، والتزمه حتى في عناوين كتبه ، وقد ظفر العماد من تقدير العلماء لفته بالاطراء الكثير . قال عنه صاحب الشذرات " وتعاني الكتابة والترسل والنظم ففاق الأقران وصنف التصانيف الأدبية وختم به هذا الشأن " (١) وقال عنه ياقوت الحموي : " وسافر الى أصبهان ثم عاد الى بغداد ، واشتغل بصناعة الكتابة فبرع فيها ونبع ، ولاء الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة النظر بالبصرة وواسط " (٢) . ومعهذا يذكر ابن خلدان بأنه : " انتقل الى دمشق سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م وسلطانها يومئذ الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمد بن أتابك زنكي ، وعمل كاتباً لديه ، وأجاد فيها وأتسي فيها بالفرائب ، وكان ينشئ الرسائل باللغة الأعجمية " (٣) . وقد صنف العماد الأصفهاني عدداً من التصانيف النافعة منها كتاب خريدة القصر وجريدة العصر (٤) ، الذي جعله ذيلاً على كتاب زينة الدهر لأبي المعالي سعد بن علي السـوراق الحظيري (المتوفي عام ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م) ، والذي كان هو الآخر قد جعل كتابه هذا ذيلاً على كتاب دمية القصر وعصر أهل العصر للباخرزي (المتوفي عام ٤٦٧ هـ / ١٠٧٥ م) الذي ذيل به على كتاب بيتية الدهر للشمالي (المتوفي عام ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) (٥) . ولقد ذكر العماد في خريدته ، الشعراء والأدباء الذين عاشوا بعد المائة الخامسة حتى سنة ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م فاستوفي التراجم لشعراء وأدباء العراق ، والعجم ، والشام ، وصر ، والمغرب ، ولم يترك أحداً إلا الخامل النادر . وله كتاب السيل وهو ذيل لكتابه خريدة القصر . وله كتاب نصرة الفترة وعصرة القطرة (٦) في تاريخ الدولة السلجوقية وزرائها وأكابر دولتها . وقد كتبـه

(١) العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٣٣٢ .

(٢) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٩ / ص ١١ .

(٣) ابن خلدان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ١٤٧ .

(٤) مطبوع بتحقيق ، محمد بهجة الأثري ، والدكتور جميل سعيد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م .

(٥) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٣ / ص ٣٣ ، حاجي خليفة : كشف الظنون ج ١ / ص ٧٠٢ .

(٦) ابن خلدان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ١٤٧ .

بالفارسية ثم نقله الى العربية ^(١) . كما وصف كتاب البرق الشامى ^(٢) ، الذى قال عنه
ياقوت " وهو تاريخ بدأ فيه بذكر نفسه ونشأته ورحلته من العراق الى الشام ^(٣) ، وله
أيضا كتاب الفتح القدسي ^(٤) الذى أرخ فيه فتوحات صلاح الدين الأيوبي ، وبدأه
بتاريخ ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م . ^(٥) وذكرت له الصادر ديوان شعريقع في مجلد ^(٦)
وقيل في أربع مجلدات ^(٧) . وله أيضا ديوان رسائل قال ياقوت : " في مجلدات " ^(٨) .

ومن رواد الأدب وكتابه المعدودين المنشئ الحسين بن علي بن محمد
المعروف بمؤيد الدين أبو اسماعيل الطغرائي (المتوفي عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م) ^(٩) .
يرجع به نسيه الى أبي الأسود الدؤلي وقد قال عنه ياقوت : انه " كان آية في الكتابة
والشعر " ^(١٠) . بدأ حياته كاتباً في أربل عاصمة اقليم الجبال ، ثم انتقل الى خدمة
السلطان العادل ملكشاه بن ألب أرسلان . وكان منشئ السلطان محمد بن ملكشاه

-
- (١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ١٤١ .
(٢) تاريخ العصرة في سبع مجلدات ، هناك مجلدات منه في بودليانا ١ / ٧٦١ . اختصره
الفتح بن علي البنداري وسماه سنا البرق الشامى ، مطبوع بتحقيق فتحية النبراوى
- مكتبة الخانجي - مصر سنة ١٩٧٩ م .
(٣) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٩ / ص ١٩ .
(٤) طبع بالقاهرة سنة ١٣٢١ هـ / ثم سنة ١٣٢٢ هـ . ونسخة المخطوطة موزعة في برلين
٩٧٩٤ ليدن ، ٩٦٣ ، ٩٦٥ ، بروكلمان ج : تاريخ الأدب العربي ج ٦ / ص ٦ .
(٥) الأصفهاني : خريدة القصر ج ١ / ص ٧٦ .
(٦) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٩ / ص ٢٠ .
(٧) الصفي : الوافي بالوفيات ج ١ / ص ١٣٥ .
(٨) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٩ / ص ٢٠ .
(٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ١٨٢ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ١ / ص ٥٦ - ٧٩ .
العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٤١ - ٤٣ ، ابن العديم : بغية الطلب / ص
١٨٧ ، الصفي : الوافي بالوفيات ج ١١ / ص ٩٣ - ٩٦ ، ابن كثير : البداية
والنهاية ج ١٢ / ص ١٩٠ ، اليافعي : مرآة الجنان ج ٣ / ص ٢١٠ ، العاطسي :
أعيان الشيعة ص ٢٧ - ٢٦ - ٨٨ ، السامرائي : الفهرست الجديد ج ١ / ص ١٤٢ .
(١٠) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٠ / ص ٥٦ .

مدة حكمه ومتولي ديوان الطغراء^(١) ، ومالك قلم الانشاء ، وقد تشرفت به الدولة السلجوقية ، وتنقل في المناصب وتولي الاستيفاء ، كما رشح للوزارة^(٢) . قال ابن العديم : " لم يكن للدولتين الامامية والسلجوقية من يضاھيه في الترسل والانشاء^(٣) . ولقد حل به وهو بمدينة السلام خطب عظيم ، فقد عزل عن منصبه وعلاه من دولته وكان أبي النفس فضاقت عليه بغداد بما رحبت فنظم لاميته المشهورة بلامية العجم^(٤) ، ورحل الى الموصل حيث استقر به المقام فيها لدى الملك سعود بن السلطان محمود يدبر له الملك^(٥) حتى شهد جماعة لدى السلطان محمود بأنه زنديق لا يتدين بدين الاسلام ، فأمر بقتله ، فذبح بين يديه صبرا سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١ م ، وله مجموعة من الكتب^(٦) .

ومن أدباء العصر ومنشئهم أمين الدولة أبو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا (المتوفي عام ٤٩٢ هـ / ١١٠٣ م) أحد مشاهير الكتاب والمنشئين في هذا العصر ، ومن كان يضرب به المثل في الفصاحة وحسن العبارة . فلقد بهر الناس بأدبه ، وخدم دار الخلافة منشئا وكاتبا خمسا وستين سنة

(١) الطغراء : هي الطرة التي تكتب في أعلى المناشير ، فوق البسطة تتضمن الملك وألقابه وهي كلمة أعجمية معرفة من الطرة . ياقوت : معجم الأدباء ج ١٠ / ص ٥٦ .

(٢) ن . م . س ج ١٠ / ص ٥٦ .

(٣) ابن العديم : بغية الطلب / ص ١٨٧ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ١٨٢ .

(٥) ياقوت : معجم الأدباء ج ٤ / ص ٥١ - ٦٠ ، الصفدي : الغنيك المسبحم

ج ١ / ص ٦ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ٣٠٢ .

(٧) أغلب مصنفاة في الكيمياء ، ولقد تحدثنا عنها في هذا الميدان .

أما أدبه وشعره فستعرض له عند الحديث عن شعراء العصر .

(٨) الأصفهاني : خريدة القصر ج ١ / ص ١٢٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ /

ص ٤٨٠ ، الصفدي : نكت الهميان / ص ٢٠١ .

في عهد حكم الخلفاء القائم والمقتدى والمستظهر^(١) . وكان بليغ الانشاء سديداً
الآراء ، وتعتبر رسائله عن كبير فضله ووفور وغزارة علمه^(٢) . وقد حفظ لنا القلقشندي
في صبح الأعشي ثلاث رسائل كتبها أبو سعد العلاء بن الموصلايا منها رسالة
كتبها عن الخليفة القائم بأمر الله موجهة الى وزيره جاء فيها " لما خص الله تعالى
الدولة القاهرة العباسية باستداد الرواق في العز ، واتساع النطاق ، وأجرى لها
الأقدار بما يجمع شمل الحق ، ويمنع من نفاق النفاق ، وأقر أياها بالبهاء المنير
الأعلام ، والانتباه في قوة الأمر الى ما يتأوى في طاعتها بين اليقظات والأحلام ،
وجعل الزمان واقفا عند حدها في النقض والابرار ، ومتصرفا على حكمها في كسل
ما حاول من حال ورام ، ومكن لها في الأرض حتى أذلت نواحي الأعداء^(٣) قهرا
وقسرا ، فان الله تعالى لم يخلها كل وقت من قائل في نصرتها فاعل " .

وكان العلاء بن الموصلايا يعمل في ديوان الانشاء مع ابن أخته هبة الله بسن
الحسن أبو نصر ابن الموصلايا (المتوفي عام ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م) الذي قال عنه
الأصفهاني : " وكان لا يقاربه أحد في الانشاء والمباراة ، ولم يكتب كتابا قط فرجع
فيه الى مبيضة " .^(٤)

وكان تاج الرؤساء هبة الله بن الحسن بن علي ابن الأصباغي (المتوفي عام
٤٩٨ هـ / ١٢٠١ م) من كتاب العصر المشهورين كتب بديوان الزمام^(٥) في بعض

-
- (١) الأصفهاني : خريدة القصر ج ١ / ص ١٢٣ .
(٢) ن ٢٠٠ ص ١ / ص ١٢٤ .
(٣) القلقشندي : صبح الأعشي ج ٦ / ص ص ٤١٥ - ٤١٦ .
(٤) الأصفهاني : خريدة القصر ج ١ / ص ١٣٢ .
(٥) ن ٢٠٠ ص ١ / ص ١٣٣ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ١٢ / ص ١٩٤ .
(٦) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٦١ ، الأصفهاني : الخريدة ج ١ / ص ١٣٥ ، الزركلي :
الأعلام ج ٨ / ص ٢١ .
(٧) الزمام : لفظة عربية معناها الخيط الذي يشد في البرء أو في الخشخاش ثم
يشد في طرفه المقود ، وقد عرف الزمام كاسم وظيفة ظهرت منذ العصر العباسي
والفاطمي والملوكي . حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ج ٢ / ص ٥٦٦ .

الأيام المستظهيرية ، وله تصنيف في علم الكتابة ^(١) .

ومن الكتاب المنشئين في هذا العصر أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الانباري (المتوفي عام ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م) ^(٢) منشئ ديوان الخلافة وهو من بيت سؤدد وكسرم وفضل ، كتب لخسة من الخلفاء ^(٣) وهم المستظهر ، والمسترشد ، والراشد ، والمقتفي ، والمستنجد .

وكان رائق الخط واللفظ ، وكانت له مكانة كبيرة عند أغلب شعراء العصر حيث لم يكن يخل ديوان من دواوينهم من قصيدة في مدحه . قال عنه الأصفهاني " منشئ بالحقيقة لأبكار الأفكار ، عارف بنقد الشعر " ^(٤) .

ومن كتاب العصر المبرزين في العراق أبو المعالي كافي الكفاة بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي (المتوفي عام ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م) ^(٥) أديب شاعر كاتب مؤرخ ، اختص بالخليفة المستنجد بالله ، وناديه فولاه ديوان

-
- (١) الأصفهاني : خريدة القصر ج ١ / ص ١٣٥ .
 (٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ١ / ص ٢٠٦ ، الأصفهاني : الخريدة ج ١ / ص ١٤٠ ، ابن الأثير : الكامل ج ٩ / ص ٨٤ ، العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٤ / ص ١٨٤ .
 ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٥ / ص ٣٧٤ .
 (٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ١ / ص ٢٠٦ ، الأصفهاني : الخريدة ج ١ / ص ١٤١ .
 (٤) الأصفهاني : الخريدة ج ١ / ص ١٤١ .
 (٥) وأبو المعالي هذا يبدو أن لا علاقة له ولأسرته بأسرة حمدون النديم الذي كان هو وأبناءؤه ندماً لعدد من خلفاء بني العباس ، أنظر ياقوت : معجم الأدباء ج ١ / ص ٢٠٤ ، ص ٢٠٩ ، وابن النديم : الفهرست ص ٢٦١ - ص ٢٥٤ ، وقد التمس الأمر على الدكتور قاسم السامرائي فخلط بين صاحب التذكرة وسين أحمد بن حمدون النديم . أنظر ابن العمري : الأنباء في تاريخ الخلفاء ص ٣٩ - ٤٠ . وترجمة صاحب التذكرة تجددها في . ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ ص ٢٢١ - ٢٢٢ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٣٠٨ ، الكتبي : وفات الوفيات ج ٢ / ص ١٨٦ - ١٨٧ ، اليافعي : مرآة الجنان ج ٣ / ص ٣٧٠ - ٣٧١ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج ٢ / ص ٣٥٧ ، ابن العماد : الشذرات ج ٤ / ص ٢٠٦ .

الزمام ، ولقبه كافي الكفاة^(١) ، وقد عرف ابن حمدون بالفصاحة والمعرفة التامة بالكتابة والأدب^(٢) ، وقد ذكر الأصفهاني أنه كان يقرب أهل الأدب ويشطهم بمطفه^(٣) ، وله كتاب التذكرة الحمدونية^(٤) وتدل التذكرة على أنه كان شغوفاً بالأدب والتاريخ الى جانب ما يحتاج اليه الكاتب من فروع الثقافة الأخرى ، وذكر ابن خلكان عن الكتاب أنه " من أحسن المجاميع يشتمل على التاريخ والأدب والنوادر والأشعار لم يجمع أحد من المتأخرين مثله وهو مشهور بأيدي الناس كثير الوجود ، وهو من الكتب الممتعة"^(٥) وذكره الصغدي فقال : " انه في اثني عشر مجلداً"^(٦) .

وكان أبو البدر الحسن بن علي بن المعمر بن عبد الملك الاسكافي البغدادي (المتوفي عام ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م) كان من الكتاب النصرفين لخدمة الديوان الامامي ، وكان فيه فضل وأدب ، وعربية وتصرف في فنونها ، وصنف عدة تصانيف حسنة في الأدب ، وتنقل في الولايات حتى أصبح مشرفاً في الديوان العزيز سنة ٥٨٨ هـ . قال عنه ياقوت : " ورأيت بخطه تعاليق في حلب واختيارات ونظماً ونشراً تدل على قريحة سالمة ، ونفس عالمة ، قليلة النظر ، وتؤذن بالعلم الغزير"^(٧) ، وكان شديد البلاغة ، ويدل على ذلك كتاباته ونثره وشعره ، فمن رسالة أرسلها الى القاضي الفاضل يقول فيها : " لو كانت المودات أطال الله بقائها المجلس السامي في نعمة خصية المرتع وعيشة عذبة المنبع ، وأدام الله علاه فسي سعادة لا تتطرق الى ضافي برديها السايغ حوادث الأقدار ، ولا يتطرق صافي

(١) ابن الديلمي : ذيل تاريخ بغداد ج ١ / ص ٢٠٥ ، ج ٢ / ص ٩٠ .

(٢) ن ٢٠٠ م / ج ١ / ص ٢٠٥ .

(٣) الأصفهاني : الخريدة ج ١ / ص ١٨٤ .

(٤) التذكرة الحمدونية : طبع منها المجلد الأول ، تحقيق احسان عباس ، الطبعة الأولى بمعهد الانماء العربي - بيروت - سنة ١٩٨٣ م .

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٣٠٨ .

(٦) الصغدي : الوافي بالوفيات ج ٢ / ص ٣٥٧ .

(٧) ياقوت : معجم الأدباء ج ٩ / ص ٧٠-١١٧ ، السيوطي : بغية الوعاة / ص ٢٢٥ .

(٨) ياقوت : معجم الأدباء ج ٩ / ص ٧٠ .

(٩) ن ٢٠٠ م / ج ٩ / ص ٧٠ .

وردها السائق بحوادث الأكدار وحرس مواهبه لديه مالزم السكون أول الشدد يس
..... (١)

ومن كتاب العصر المشهورين أيضا أبو الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن
محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير الجزري (المتوفي عام ٦٣٧هـ /
٢٣٩م) صاحب الانشاء ، وزير للملك الأفضل الملك الناصر صلاح الدين ، وقد
استقل بالوزارة ، وردت اليه أمور الناس . وصار الاعتماد في جميع الأحوال عليه . وقد
تنقل بعد أن عزل عن الوزارة في الشام والعراق واستقر به المقام في بغداد حتي
وفاته (٢) . له من المصنفات كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (٤) ، وكتاب
المعاني المختصرة في صناعة الانشاء ، وكتاب كنز البلاغة ، وديوان شعر الوشى
المرقوم في حل المنظوم ، وديوان رسائل ، و المفتاح المنشأ في صناعة الانشاء .

برز في هذا العصر كثيرون من الكتاب والمنشئين غير هؤلاء كان لهم فضل كبير
على الكتابة والانشاء . (٥)

- (١) ياقوت : معجم الأدباء ج ٩ / ص ٧٧ ، وللمزيد من الاطلاع على رسائله أنظر:
ياقوت : معجم الأدباء ج ٩ / ص ٧٧ .
- (٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ٣٨٩ ، ابن الفوطي : الحوادث الجامعة
ص ١٣٦ ، الذهبي : سير النبلاء ج ١٣ / ص ٢٣٧ ، تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ٢٠١ ،
ابن العماد : الشذرات ج ٥ / ص ١٥٦ .
- (٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ٣٨٩ .
- (٤) منشور حققه أحمد الحوفي ، القاهرة : مكتبة نهضة مصر ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م .
- (٥) أنظر عن بعضهم في : ياقوت : معجم الأدباء ج ١ / ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ج ٢ / ص ٢٣١ ،
ج ٧ / ص ٢٣ - ٧٠ ، ج ١٦ / ص ١٩٢ ، ٢٠٤ ، ج ١٧ / ص ٢٣٤ ، ج ٢٠ / ص ١٦ ،
ابن الفوطي : معجم الآداب ج ٤ / ص ٦٢٣ - ٨٧٢ ، القفطي : انباء الرواة ج ٢
/ ص ١٣٣ ، الداودي : طبقات المفسرين ج ١ / ص ٢٥٥ ، الكتبي : عيون التواريخ
ج ١٢ / ص ٣٩٧ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٧٤ ، ابن العماد :
الشذرات ج ٤ / ص ٢٣١ ، ج ٥ / ص ١٢ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ٢٤٤ ،
الأصفهاني : الغريدة ج ٣ / ص ٣٤٣ ، السيوطي : بغية الوعاة ص ٢٧٣ ، اليافعي :
مرآة الجنان ج ٣ / ص ٤٧٧ .

المقامات :

ومن ألوان الكتابة الانشائية في هذا العصر المقامات . والراجع أن هذه الكلمة اسم مكان من (أقام) ، والمعنى أنها موضع للإقامة ، ثم النقل من هذا المعنى إلى الكلام الذي يملأ به المجلس فتكون من إطلاق المحل على الحال ، وقد صارت المقامة تطلق ويراد بها تلك الجحلة من القول المروية على لسان امرئ خيالي، يحكي قصة وقعت لانسان آخر أو أكثر تخيلهم الكاتب ، ويضع على ألسنتهم عبارات يتفصح فيها ما شاء^(١) .

وبناءً على ما تقدم فإن المقامات هي أحد ألوان النثر الفني ، يمتاز بما يكون فيه من الأناقة اللفظية والروعة البليانية ، والمفردات اللغوية ، والتأليف الذي يدل على احتفال الكاتب واهتمامه ، وكذده وعناشه ، وقصده إلى تخير اللفظ واحتشاد الخيال ، وطنين العبارات ، وسبك الأسلوب ، وصياغة الكلام^(٢) . ومن مستلزمات المقامة أن يضع فيها الكاتب غرائب اللغة ، وشواردها ، ويذكر فيها حظاً وافراً من الكلمات ، فيكثر عدد الألفاظ ، ويهذل همته في تزيينها وتحسينها ، ويأتي بنوادير التركيب ، ويبالغ في الصناعة اللفظية والمعنوية ، ويزينها بما استطاع من الحكم والأمثال ، ويرى البعض أن " الكتابة القصصية أو المقامات كانت مظهراً من مظاهر تدارك الخطر المحدق بالكتابة ، والضعف الذي كان موشكاً أن يأتي عليها ، أراد بها أصحابها أن يشتغل الناس من جديد بالأدب وأن يلتفتوا إليه التفاتاً جاداً ، وأن يسلكوا سبيله سلوكاً صحيحاً^(٣) .

(١) أبو الخشب : تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني / ص ٣٧٥ ، شوقي

ضيف : تاريخ الأدب العربي ج ٥ / ص ٤٧٢ ، المقامة ص ٦٦ . أنيس المقدسي :

تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي / ص ٣٦٠ .

(٢) أبو الخشب : تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني / ص ٣٩٠ .

(٣) ن ٢٠٠ ص / ص ٣٧٥ .

وكان أول من عمل المقامات أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفي عام ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م) ^(١) . ثم جاء بعده أبو الحسن أحمد بن فارس اللفوي (المتوفي عام ٣٩٠ هـ / ٩٩٩ م) ^(٢) فعمل مقامات ، ثم جاء بديع الزمان الهمداني واضع المقامات (المتوفي عام ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م) ^(٣) فألمى بهمدان أربعمئة مقامة ^(٤) لم يعثر منها الا على خمسين . ثم وضع بعد ذلك أبو القاسم ابن نايقا البغدادي (المتوفي عام ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م) ^(٥) مقامات اشتهرت في أيامه . ثم وضع أبو محمد القاسم بن علي الحريري (المتوفي عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م) مقامات بلغت الخمسين مقامة . وقد عاصر الحريري يحيى بن سلام الحصفكي (المتوفي عام ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م) ^(٦) وعمل مقامات ، كما كان من معاصري الحريري عبد الله بن محمد الخوارزمي الذي قال عنه الأصفهاني " كان من أضراب الحريري ومعاصريه ، وكما كان للحريري المقامات فله الرحل ، بنى كل رحلة منها على حادثة تمت وندارة اتفقت له ، أولولده ، وأودعها غرائب الاستعارات ، وبديع الألفاظ وأبكار المعاني " ^(٧) ، ثم ظهرت المقامة

- (١) كان ابن دريد من أئمة اللغة والأدب ، وكان كما يقولون أشعر العلماء ، وأعلم الشعراء ، صنف مصنفات أشهرها الاشتقاق ، المقصود والممدود ، الجمهرة .. الخ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٣٢٣ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٢ / ص ١٤٥ ، ابن الأنباري : نزهة الألباء / ص ٣٢٢ ، الخطيب : تاريخ بغداد ج ٢ / ص ١٩٥ .
- (٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ١١٨ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ٤ / ص ٨٠ . القفطي : انباء الرواة ج ١ / ص ٩٢ ، الثعالبي : بيتية الدهر ج ٣ / ص ٤٠٢ ، ابن الأنباري : نزهة الألباء ص ٢١٩ .
- (٣) الثعالبي : بيتية الدهر ج ٤ / ص ١٦٨ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ٢ / ص ١٧٣ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ١٢٧ .
- (٤) الثعالبي : بيتية الدهر ج ٤ / ص ١٦٨ .
- (٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٦٨ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٦٨ ، القرشي : الجواهر المضية ج ١ / ص ٢٨٣ .
- (٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ٢٠٥ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ١٨٣ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٣٢٢ .
- (٧) الأصفهاني : الخريدة ج ٤ / ص ٧٨٦ ، ولم يذكر سنة وفاته .

(١) المسيحية ليحيى بن سعيد النصراني الطبيب (المتوفي سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) ،
والمقامة الجوزية لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (المتوفي عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) .

على أن أعظم من عمل المقامات كان أبا محمد القاسم بن علي الحريري (المتوفي عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م) من أهل بلد قريب من البصرة يسمى المشان^(٣) ، سكن البصرة وقرأ الأدب بها على عدد من الأدباء^(٢) . كان الحريري غاية في الذكاء والفصاحة والبلاغة ، أقام في بغداد زمنا^(٤) وعمل بصناعة الانشاء مع الكتاب في باب الخليفة ، كان أحد أئمة الأدب في هذا العصر^(٥) ورزق الخطوة التامة في عمل المقامات^(٦) التي اشتملت علي كثير من كلام العرب عن لغاتها وأمثالها ورموز أسرار كلامها ، تسدل على غزارة علم الرجل واطلاعه ووفرة مادته . يقول ياقوت " ولقد وافق كتاب المقامات من السعد مالم يوافق مثله كتاب ، فانه جمع بين حقيقة الجودة والبلاغة ، واتسعت له الألفاظ ، وانقادت اليه وفود البراعة حتى أخذ بأزمته ، وملك ريقتهما ، فاختار ألفاظها ، وأحسن نسقها ، حتى لو ادعي بها الاعجاز لما وجد من يدفع

(١) ياقوت : معجم الأدباء ج٢ / ص ٢٩٥ ، ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج٥ / ص ٣٦٤ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ / ص ٢٤٦ .
(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج٩ / ص ٢٤١ ، ابن الأثير : الكامل ج٨ / ص ٣٠٥ ، ياقوت : معجم الأدباء ج١٦ / ص ٢٦١ ، القفطي : انباء الرواة ج٣ / ص ٥٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٤ / ص ٦٣ ، ابن العماد : الشذرات ج٤ / ص ٥٠ ، اليافعي : مرآة الزمان ج٣ / ص ٢١٣ ، السبكي : طبقات الشافعية ج٤ / ص ٢٩٥ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨ / ص ١٠٩ ، ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج٥ / ص ٢٢٥ ، الكتبي : عيون التواريخ ج١٢ / ص ١٣٣-١٣٩ ، الذهبي : تاريخ دول الاسلام (مخطوط) ج١٢ وفيات سنة ٥١٦ هـ ، الأصفهاني الخريدة ج٤ / ص ٥٩٩ .

(٣) المشان : بليدة فوق البصرة كثيرة النخل . ياقوت : معجم البلدان ج٥ / ص ١٣١ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٤ / ص ٦٣ .

(٥) ن . م . ص ج٤ / ص ٦٣ .

(٦) ن . م . ص ج٤ / ص ٦٣ .

في صدره ، ولا يرد قوله ، ولا يأتي بما يقاربها فضلا عن أن يأتي بمثلها^(١) . فلم يبلغ كتاب من كتب الأدب في هذا العصر ما بلغت المقامات الحريري ، فانه لم تذكر في بغداد النسخة الأولى منه وتعرف حتى باشر النساخون نسخها ، والعلماء قراءتها عليه من شتي الجهات ، فيذكر ياقوت أن الحريري وقع بخطه في شهر سنة ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م على سبعمئة نسخة^(٢) . كما أن العلماء وطلاب العلم في شتي أنحاء العالم الاسلامي أخذوا يتدارسونها في المدارس والمعاهد ، ويقرأونها في الأندية والمحافل ، بل ان شهرتها في حياتها امتدت الى بلاد الأندلس ، فوفد فريق من علمائها على الحريري الى بغداد ، وقرأوا عليه بمنزله هذه المقامات ثم عادوا الى بلادهم حيث تلقاها عنهم العلماء والأدباء ، وتناولوها رواية وحفظا ، ومدارسة وشرحا^(٣) .

وما يدل على منزلتها الأدبية الفائقة اهتمام الأدباء بها قديما وحديثا بالشروح ، فقد أحصى ثمانية وعشرون أدبيا قاموا بشرح المقامات^(٤) .

على أن شهرتها لم تنحصر في العالم العربي فقد ترجمت قديما الى السريانية والعبرية^(٥) ، كما نقلت الى اللاتينية في القرن الثامن عشر ، وترجمت الى لغات أوروبية وغير أوروبية في العصر الحديث^(٦) .

ويمكن القول بأن مقامات الحريري تعد من أهم الأنشطة الأدبية التي ظهرت

(١) ياقوت : معجم الأدباء ج ٦ / ص ١٧٠ .

(٢) ن م . س ج ١٦ / ص ٢٦٧ .

(٣) الشريشي : شرح مقامات الحريري ج ١ / ص ٥ - ٦ .

(٤) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج ٥ / ص ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ .

(٥) ن م . س ج ٥ / ص ١٤٧ - ١٥٠ .

(٦) ن م . س ج ٥ / ص ١٤٦ - ١٤٧ .

في العصر العباسي بعد نتاج أبي العلاء ، وهذا يبرر قول الزمخشري :

أقسم بالله وآياتهـــــــــــــــــه ومشعر الحج ومقاتـــــــــــــــــه
أن الحريري حري بأن تكتب بالتبر مقاماتـــــــــــــــــه (١)

ويرى أحد الباحثين المعاصرين أن المقامات " قد ظلت حتى عهد قريب تعد من أمتع كنوز الأدب والصناعة عند العرب ، ومنذ أيام الهمداني والحريري أصبحت المقامات أكمل مظاهر الانشاء الأدبي والروائع في اللغة العربية " (٢).

لم يخرج الحريري في أسلوبه الانشائي عن أسلوب العصر الذي نشأ فيه ، ولعله كان أكثر المنشئين ميلا الى التصنيع في رسائله ، واطهارا لطول باعـــــــــــــــــه وسعة معرفته ، ليخرج مقاماته على شكل عمل فني رائع منقطع النظير ، يحتوى على الكثير من متخير الألفاظ وفخامة الأسلوب . مع احكام السبك واشراقه الديباجة ، والبعد عن الركاقة والابتذال ، مما جعلها في مستوى قمة الاداب العربية فـــــــــــــــــي العصر (٣).

صاغ الحريري مقاماته على هيئة مجالس متنوعة تختلف موضوعاتها باختلاف البلاد التي تخيل أنه زارها ورحل اليها ، مابين فرغانة وغانة ، حيث أفرغ ذلك في قوالب طريفة في الأدب والنقد والوعظ والفكاهة ، يتخللها وصف للمجتمع وأحوال الناس . وكما يقول الحريري في صدر مقاماته : " أنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة ، وفطنة خامدة ، خمسين مقامة تحتوى على جد القول وهزله ، ورقيق اللفظ وجزله ، وغرر البيان ودرره ، وطيح الأدب ونوادره ، الى ما وشحتها به من الآيات

(١) شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي / ص ٢٦٨ . وجد ير بالذكر أن ابن الخشاب النحوي المعروف نقد مقامات الحريري يقول في مقدمة نقده (أما بعد : فهذه حروف وقعت في المقامات التي أنشأها أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري ، ينكرها العالمون بالعربية بما تنطق به صنفاتهم وتتفق عليه مؤلفاتهم . الشريش : ملحق شرح مقامات الحريري / ص ١ ، طبعة دار التراث . بيروت .

(٢) حتى : تاريخ العرب ج ٢ / ص ٤٩١ .

(٣) الشريش : شرح مقامات الحريري / ص ٦ - ٧ .

ومحاسن الكتابات ، ورصعته فيها من الأمثال العربية ، واللطائف الأدبية ،
والأحاجي النحوية ، والفتاوى اللغوية ، والرسائل المبتكرة ، والخطب المحيرة ،
والمواعظ المبكية ، والأضاحيك الطهية ^(١) .

وللحريري مصنفات أخرى غير كتابه " المقامات " : وهي ملحة الاعراب ،
ودرة الغواص في أوهام الغواص ^(٢) ، وله ديوان رسائل ، وكتاب الفرق بين الضاد
والظاء ^(٣) ، وله الرسالة السينية والرسالة الشينية ^(٤) .

٢ - النشر الأدبي التأليفي :

" وهو أسلوب من نشر الكتابة ، يصور المعاني الذهنية ، متأثرة بعواطف
الكاتب ، ومن أهم خصائصه الفكرة الجيدة المتأثرة بالتجربة الذاتية ، والمترجمة
بالعاطفة ، وغايته نقل الحقائق في أسلوب جميل رائع قصد الافادة والتأثير معا ،
وأظهر سمياته الجمال ، ومنشأ جماله ما فيه من خيال بديع ، وتصوير دقيق ، وكلمات
توهي وتؤثر " ^(٥) . والكتابة كما هو معروف أداة المؤلف في التعبير عن آرائه وأفكاره ،
وسلاحه في حشد معلوماته على صفحة الكتاب .

- (١) الشريشي : شرح مقامات الحريري ص ٦ - ٧ .
(٢) الكتاب طبع عدة طبعات في بولاق سنة ١٢٩٢ هـ ، والقاهرة سنة ١٢٩٣ هـ ، ١٣٠٠ هـ
و ١٣٠٣ هـ ، ١٣٤٥ هـ ، وداهلي سنة ١٣١٢ هـ ، كما نشره بنتو كذلك في باريس
سنة ١٩٠٤ م . بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج ٥ / ص ١٥٢ .
(٣) والكتاب مرتب أبجدياً منه نسخة في برلين برقم ٧٦٧٤ .
(٤) كتبها على لسان بعض الأفراد الى بعض أصدقائه عتاباً ، والرسالة الشينية تتضمن
مدح بعض أصدقائه نسخها في برلين برقم ٨٦١٠ ، ليدن ص ٤٢٤ - ٤٢٥ .
الشريشي : شرح مقامات الحريري / ص ٦٠٤ - ٦٠٧ ، بروكلمان : تاريخ
الأدب العربي ج ٥ / ص ١٥٠ - ١٥١ .
(٥) أشرف محمد موسى : الكتابة العربية الأدبية والعلمية / ص ١٠٤ .

ولقد نمت الكتابة الأدبية المنهجية التأليفية في هذا العصر ، واكتملت أسباب نضجها ، وتميز الكثير من الكتب التأليفية في هذا العصر بأسلوب العصر الذي لم يكن يخلو من موجة التصنيع والسجع والبديع بأنواعه المختلفة ، فقد كثر أصحاب التصنيف في هذا العصر من لغويين ومؤرخين ورحالة ومتأدبين ، وكان أسلوب الكثير منهم في كتاباته قد خضع لأسلوب العصر^(١) .

ومن رواد النشر التأليفية في هذا العصر عماد الدين الأصفهاني (المتوفي عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) الذي نهج في كتاباته التأليفية منهجا فنيا خالصا من التعقيد وكتب التاريخ الثقافي والسياسي والعربي لعصره . فرّص وجانس ، وطابق وقابل ووازن . وقد ظفر العماد بتقدير علماء عصره في ذلك ، فلقد أثنوا عليه فقال عنه ابن السامي " كان سمح القريحة ، جيد النظم كثير القول له الترسل الطبع والكتابة البليغة " ^(٢) ، ولقد قدم الأصفهاني ذلك العمل الأدبي الكبير المتمثل في كتابه خريدة القصر وجريدة العصر الذي يشتمل على تراجم الشعراء والأدباء الذين عاشوا بعد المائة الخامسة وحتى سنة ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م . وهي السنة التي انتهى فيها العماد من تأليف كتابه ، فغطى بذلك هذه الفترة الزمنية في مساحة واسعة مسن ديار الاسلام تشمل بلاد فارس والعراق والشام و مصر والمغرب^(٣) . وقد أفرد العماد قسما من مؤلفه لكل قطر من أقطار العالم الاسلامي التي اخص بالكتابة عنها ، فهناك قسم خاص بالعراق ، وآخر لبلاد المعجم فارس وخراسان ، وثالث لبلاد الشام ، وقسم رابع لمصر وصقلية والمغرب والأندلس^(٤) .

(١) كحالة : الأدب العربي في الجاهلية والاسلام ص ١٦٤ - ص ١٦٥ . أبو الخشب :

تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني / ص ٣٢٣ .

(٢) ابن السامي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٦١ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ١٤٢ - ١٥٣ .

(٤) ن ٢٠٠ م ج ٥ / ص ١٤٢ - ١٥٣ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ١٩ / ص ١٩ ،

حاجي خليفة : كشف الظنون ج ١ / ص ٧٠١ .

(٥) الأصفهاني : خريدة القصر ج ١ / ص ١٠١ .

أما سبب تأليفه للخريدة فيقول العماد : " لما رأيت الفضل في عصرنا هذا ، وان ضاع عرفه قد ضاع عرفه ، كما انه ، وان زان ضعفه ، فقد زاد ضعفه ، لفساد أمره وكساد شعره ، وهبوط نجمه ، وسقوط رسمه ، وحط حظه وقلة عناية أهله بحفظه ، أثرت أن أثر من مآثر أهل العصر ما يخلد آثارهم ، ويجدد منارهم ، فأننى الفيت أبكار أفكارهم قد عنست والبواعث قلت بل عدت ، والحوادث جلست بل عظمت ، وكنت منذ شمت بارقة الأدب ، وركبت في استفادة العلم صهوة الطلب وأنا أحب أن أجمع معاسن من معاسنهم الدهر السني " (١) وقد ظلت هذه الموسوعة الأدبية منتدى للأدباء ، ومرجعا للعلماء ، وطبقات تراجم أهل الأدب والشعر يعتمدون عليها اعتمادا كبيرا في مؤلفاتهم وأبحاثهم . (٢) علي أن الخريدة لم تكن العمل الأدبي الفنى الوحيد لعماد الدين الأصفهاني ، بل كانت له مؤلفات عديدة قيمة أخذت شكل الموسوعات . (٣)

أما أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل المشهور بالراغب الأصفهاني (المتوفي عام ٥٠٢ هـ / ١١٠٩ م) فقد كان من أدباء العصر المشهورين ، وكان واسع الاطلاع ، حسن التصنيف ، تمتاز كتبه بالجمع الواسع ، وحسن الاختيار ، والدق الرفيع ، ودقة الملاحظة وحضور البديهة والنكتة . (٤) وأشهر كتب الراغب

(١) الأصفهاني : الخريدة ج ١ / ص ٣ - ٨ .
(٢) كان كتابه هذا مصدرا رئيسيا لمعلومات المتأخرين من كتاب الطبقات والتواريخ مثل ياقوت الحموى في كتابه معجم الأدباء ، أو ارشاد الأريب ، وابن خلكان : في وفيات الأعيان ، والكتبي في فوات الوفيات ، والصفدى في الوافى بالوفيات ، والسبكي في طبقات الشافعية ، وابن الفوطي في مجمع الآداب ، وسيط ابن الجوزى في سراة الزمان ، وأبو شامة في الروضتين ، والعماد الحنبلي في الشذرات ، وجلال الدين السيوطي : في حسن المحاضرة . الأصفهاني : الخريدة ج ١ / ص ٩٣ - ٩٤ .
(٣) سبق ذكرها .
(٤) سبق ترجمته ومصادره .

(٥) البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام ص ١١٢ ، حاجي خليفة : كشف الظنون ج ١ / ص ٣٦ .

وأهمها وهو ما يعنينا في هذا البحث كتاب محاضرات الأدباء^(١) ، الذي ضمنه الكثير من الآيات والأحاديث والأقوال والأشعار والقصص والفكاهات في مختلف وجوه الحياة جدها وهزلها ورفيعها ووضيعها في العلم والسياسة والعدل والظلم والصناعات والعطاء والاستعطاء ، والضيافة والشراب ، والغزل والشجاعة والمجون . وهو يتعرض لأخلاق الناس ، والديانات والمذاهب ومظاهر الطبيعة ، والملائكة والجن ، كل ذلك كتبه بأسلوب أدبي مشرق يبين لنا من خلاله جوانب الحياة والبيئة التي عاش فيها الراغب الأصفهاني ، حيث يقول في مقدمة كتابه " ومعد فان سيدنا عمر الله مكانه بمرايح الكرم، ومجامع النعم، أحب أن أختار له ما صُنفت من نكت الأخبار ومن عيون الأشعار ، ومن غيرها من الكتب فصولا في محاضرات الأدباء ومعاورات الشعراء والبلغاء يجعله صيقل الفهم ومادة العلم ، ففعلت ذلك ايجابا له ، ان قد جعل مراعاة الأدب شعاره وداره . . . ، وقد ضمننت ذلك طرفا من الأبيات الرائعة ، والأخبار الشائقة ، وأوردت فيه ما اذا قيس بمعناه فانه ظرف ملو طرفا ، ووعاء حشبي جدا وسخفا من شاء وجد منه ناسكا يعظه ويبيكه ، ومن شاء صادف منه فاتكا يضحكه ويلهيه " ^(٢)

ومن أدباء العصر أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد السراج ،
(المتوفي عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م) ^(٣) الذي طاف البلاد طلبا للعلم ، وكان محباً

(١) منشور . بيروت ، دار مكتبة الحياة عام ١٩٦١ م.

(٢) الراغب الأصفهاني : محاضرات الأدباء / ص ٢ .

(٣) أنظره في ياقوت : معجم الأدباء ج ٧ / ص ١٥٣ ، الأصفهاني : الخريدة

ج ٣ / ص ٢٨٣ ، ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ١٠٠ ،

ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٥١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ /

ص ٣٥٧ ، ابن العماد : الشذرات ج ٣ / ص ٤١١ .

للعلم والأدب ، عارفاً بالقراءة والحديث والفقه واللغة والنحو والعروض ^(١) ، ولله تصانيف عدة منها حكم الصبيان ، مناقب السودان ، كتاب المبتدأ ، كتاب الخرقي وغيرها من الكتب ^(٢) . على أنه اشتهر بكتابه مصارع العشاق ^(٣) ، وهو مجموعة روايات وحكايات وأشعار تتعلق بالعشاق مأخوذة من الأدب الجاهلي والأدب الإسلامي ويستهدف المؤلف في كتابه هذا المعبرة والطرقة . وهو من أهم كتب الأدب التي ظهرت في عصره ، فقد تسابق أهل الأدب وطلابه على قراءته وأخذوا بالرواية والسماع . وقد مررنا كيف أن شهادة بنت الأبرى العالمية المشهورة كانت تحفظ كتابه هذا ^(٤) ، كما فعل ذلك كثيرون غيرها . وكان السراج قد قسم كتابه مصارع العشاق إلى أجزاء ، وكتب على كل جزء أبياتاً من الشعر ، فقد كتب على الجزء الأول :

هذا كتاب مصارع العشاق صرعتهم أيدي نسوى وفراق
تصنيف من لدغ الفراق فؤاده وتطلب الراقي فعز الراقي ^(٥)

أما أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسيني البغدادى المعروف بابن الشجرى (المتوفى عام ٥٤٢ هـ / ١١٤٨ م) فيعد من أديباء العصر المعدودين . وكان نحواً صرفياً عالماً بأحوال العرب وأيامها ، وصفه ياقوت بقوله : " أوجد زمانه ، وفرد أوانه في علم العربية ومعرفة اللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها ^(٦) " وقد أقرأ النحوفى بغداد سبعين سنة ، وولي نقابسة

(١) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ١٠٠ .

(٢) ن ٤٠٠ ص ١ / ص ١٠٠ ، الأصغهانى : خريدة القصر ج ٣ / ص ١٨٣ .

(٣) منشور : بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر ، دار صادر للطباعة والنشر - عام ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ج ٩ / ص ١٥١ .

(٥) ياقوت : معجم الأدباء ج ٧ / ص ١٥٣ .

(٦) سبق الحديث عنه

(٧) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٩ ص ٢٨٢ - ٢٨٤ .

الطالبين بالكرخ^(١) وهو بعد ذلك شاعر أديب فصيح حلوا الكلام حسن البيان ،
امام من أئمة أهل الأدب ، وكان امتدادا للدوحة الأدبية من أصحاب الأماشي كآبي
علي القالي^(٢) والشريف المرتضى^(٣) ، وهو من أشهر كتاب الحماسات بعد البحتري
وأبي تمام . وله كتب كثيرة في الأدب منها كتاب الحماسة^(٤) ، وكتاب الانتصار^(٥)
الذي رد فيه على ابن الخشاب الذي كان قد انتقد كتاب الأماشي وهو كتاب مفيد
على صغر حجمه^(٦) . وله كتاب شرح اللمع لابن جني ، وشرح التصريف الملوكي .
على أن شهرته كانت فيما بلغه من مرتبة كبيرة لدى أهل الأدب في كتابه الأماشي^(٧)
الذي يعد من أنفس كتبه ، فهو من الكتب الممتعة أملاء في أربعة وثمانين مجلسا ،
ونهج فيه نهج الشريف الرضي في أماليه ، وطرق موضوعات القرآن والحديث
والأخبار والشعر والنثر وأخبار الشعراء والخطباء وطرزه بكثير من الحكم والطرف والملاح^(٨)
ويتضح للمتتبع لأماله أنه كان يجلس لكي يملأ ما عنده من مادة في موضوع بذاته^(٩)

-
- (١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ٤٧ .
(٢) أبو طي اسماعيل بن القاسم بن عيذون القالي اللخوي (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م) ،
كتاب الأماشي ، وكتاب البارع ، وكتاب المقصود والمدود ، وكتاب في الابستل
ونتاجها ، وكتاب مقاتل الفرسان وغيرها . الحميدى : جذوة المقتبس / ص ١٥٤ .
ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ٢٢٦ ، القفطي : أنباء الرواة ج ١ / ص ٢٠٤ ،
ياقوت : معجم الأدباء ج ٧ / ص ٢٥ .
(٣) أبو القاسم علي بن الطاهر بن الحسين بن موسى (ت ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م) كان نقيب
الطالبين وكان اماما في الكلام والأدب والشعر ، أهم كتبه كتاب نهج البلاغة ،
وكتاب الغرر والدرر ، وهي مجالس أملاء في فنون الأدب واللغة . ابن خلكان :
وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٣١٣ ، القفطي : أنباء الرواة ج ٢ / ص ٢٤٩ .
(٤) مطبوع في حيدرآباد ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٤٥هـ .
(٥) الكتاب مطبوع في حيدرآباد سنة ١٣٤٩هـ - جزآن .
(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ٤٥ .
(٧) نشر مرتين . بيروت ، دار المعرفة .
(٨) وحيدرآباد - الدكن - مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٤٩هـ .
(٩) الشكعة : مناهج التأليف عند العلماء العرب (قسم الأدب) ص ص ٣٨٩-٣٩٨ .

ولكنه مع ذلك لا يتقيد بالعديت في موضوعه ، بل يتصرف في مجلسه ويستطرد ويتنوع ، فيجمع في مجلس النحو مثلا طرائف وأخبارا ، وفي حديث الشعر قضايا نحوية ونكتا لغوية وأسمارا ، وهو يتناول موضوعاته برشاقة وعمق في نفس الوقت ، فكان فيها فياض العلم وافر المعرفة كثير المحفوظ واسع الاطلاع ^(١) . ومن الأحداث الطريفة التي حصلت له بسبب أماليه في إحدى المناسبات ما ذكره ابن خلدان بقوله : "ولما فرغ من أماليه حضر اليه أبو محمد عبد الله المعروف بابن الخشاب ، والتس منه سماعه عليه فلم يجيبه الى ذلك ، فعاداء ورد عليه في مواضع من الكتاب ونسبه فيها الى الخطأ . فوقف أبو السعادات على ذلك الرد ، فرد عليه في رده وبين وجوه غلطه " ^(٢) . وأما كتابه الثاني فهو الحماسة . وكتابه هذا امتداد لسلسلة كتسب الحماسة التي بدأ أبو تمام بتصنيفها ، ثم هذا حذوه تلميذه البحتري ، ومن الطبيعي أن يتأثر ابن الشجري بمنهج كل من سبقه ، ثم يزيد على منهجهما ما أطلته طبيعة مسيرة الزمن وتطور فن الشعر ^(٣) . وبعد كتابه هذا واحدا من أنفس كتب الحماسة في الأدب العربي وأثنى عليها قيمة ، وأرفعها قدرا . وقد قرظه ابن خلدان بقوله : " وكتاب الحماسة ، ضاهي به حماسة أبي تمام الطائي ، وهو كتاب غريب مليح أحسن فيه " ^(٤) .

ولا يفوتنا هنا ذكر العلامة أبي الوفاء علي بن عقيل (المتوفي عام ٥١٣ هـ / ١١١٩ م) ^(٥) الذي نهغ في كثير من الفنون ، وبرز في الأدب وعلوم الدين ، قال

(١) الشكوة : مناهج التأليف عند العلماء العرب ص ٣٨٩ - ٣٩٨ .

(٢) ابن خلدان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ٤٥٥ .

(٣) الشكوة : مناهج التأليف عند العلماء العرب ص ٣٨٩ - ٣٩٨ .

(٤) ابن خلدان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ٤٥٥ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ١٩ /

ص ٢٨٢ .

(٥) سبقت ترجمته .

الأصفهاني : " علقت من مناظراته التي جرت بينه وبين الكيا الهراسي فوائد كثيرة ،^(١) ونكتا غريبة ، ووجدت كلاما جزلا وأسلوبا بديعا رائقا " ^(٢) ، وقد صنف أبو الوفاء كتبها كثيرة أهمها وأعظمها قدرا كتابه المرسوم بـ (الفنون) الذي أجمع المؤرخون المعاصرون على ضخامته ، قال ابن رجب : " وأكبر تصانيفه كتاب الفنون ، كتاب كبير جدا فيه فوائد كثيرة جدا في الوعظ ، والتفسير ، والفقه ، والأصليين ، والنحو واللغة ، والشعر ، والتاريخ ، والحكايات ، وفيه مناظراته ومجالسه التي وقعت ، وخواتمه ، ونتاج فكره ، قال ابن الجوزي : " وهذا الكتاب مائتا مجلدة ، وقع لي منه نحو مائة وخمسين مجلدة ، وقال الحافظ الذهبي : " لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب " ^(٣) . أما حاجي خليفة فقد ذكر أنه " جمع فيه أزيد من أربع مائة فن " ^(٤) .

ثانيا : الشعر :

يكاد الدارسون يجمعون على أن الشعر العربي دخل منذ القرن الرابع في مرحلة الجمود والركود ، إذ قلما وجد ابتكار أو تجديد يمكن أن يشار إليه ، اللهم

-
- (١) أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري الفقيه الشافعي تولي تدريس نظامية بغداد واستقر بها الي أن توفي سنة ٥٠٤ هـ / ١١١٠ م - ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٦٧ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٣٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٣٨٦ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٢٨١ .
- (٢) الأصفهاني : الخريدة ج ٣ / ص ٣٩ .
- (٣) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ١٤٢ .
- (٤) حاجي خليفة : كشف الظنون ج ٢ / ص ١٤٤٧ . ومن المحزن أن تذهب هذه الثروة العلمية والعقلية الجليلة بددا بين سمع الأمة وصرها ، حيث لا يعرف اليوم من هذا الكتاب غير مجلد واحد في مكتبة أحمد تيمور باشا المطبعة بدار الكتب المصرية ، ومجلد آخر بدار الكتب الوطنية بباريس . الأصفهاني : الخريدة ج ٣ / ص ٣٩ (الحاشية) .

الا ما عرف به (الدوييت) ^(١) أو الرباعية التي تعتبر التطور الوحيد الذي ظهر في الشعر خلال العصر السلجوقي ، فقد شاع ذلك وذاع في هذه الفترة ، بعد أن أخذ شعراء العراق عن الفرس ، ثم انتشر من العراق الى الأقطار الأخرى من العالم الإسلامي ^(٢) .

على أن الدوييت لم يكن سمة للشعراء الكبار في العراق في هذا العصر كابن التعاويذي ، والأبله ، وابن المعلم ، والحيص بيص ، بل أولع به الأغنياء المترفون على سبيل الهواية وقضاء أوقات الفراغ ، ومن هؤلاء وزير المسترشد بالله الحسن بن علي بن صدقة (المتوفي عام ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م) ^(٣) ، وأبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (المتوفي عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) وغيرهما ^(٤) .

ومع أن هذه الفترة تمثل مرحلة التأثير الحضاري والامتزاج الثقافي المتبادل مع الأخذ بنظر الاعتبار للدوافع التي عصفت بالمجتمع ، وأثرت بالتالي على الشعراء وأحاسيسهم ونتائجهم ، فإن الحياة الأدبية في العراق قد أفرزت خلال فترة الدراسة العديد من الشعراء لا يمكن رفعهم الى درجة فعول الشعراء كما لا يمكن اعتبارهم عمالا على الشعر ^(٥) . ولعل من الأسباب التي أدت الى هذا الموضع

(١) الدوييت : لفظ مركب من كلمتين أولاهما دو ، فارسية بمعنى اثنين ، وثانيهما عربية تعني الوحدة الشعرية ، ويسميه العرب بذلك لأن وزنه شطر البيت فيه أربعة تغاعيل مختلفة ، وإذا شطر كان البيت فيه أيضا رباعي الأجزاء ، وهو ضرب من الشعر استحدثه العرب المولدون على وزن الشعر الفارسي المسمى دوييت على وزن فعلن متفاعن فعولن فعلن ، وقد يتساوى عروضه وضربه في الوزن وروى القافيمة . الموسوعة الإسلامية الميسرة / ص ٨٠٩ .

(٢) الشيبني : ديوان الدوييت في الشعر العربي / ص ٣٠ .
(٣) الحسن بن علي بن صدقة أبو علي عميد الدولة جلال الدين استوزره المسترشد بالله وظل في وزارته الى أن توفي . ابن الجوزي : المنتظم ج ١ / ص ٩ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٥ / ص ٢٢٣ .

(٤) الشيبني : ديوان الدوييت / ص ١٨٩ .
(٥) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ج ٥ / ص ٣٢٣ .

الوسط بين الجودة والتردى ضخامة الانتاج^(١) ذلك أن الشاعر الذي يعالج الشعر بكثرة ، غالبا ما يهبط انتاجه من ناحية الجودة ، ثم ان التكسب بالشعر واحساس الشاعر بالعوز والفاقة أحيانا قد تكون من جملة أسباب التدهور والتردى^(٢) . فاذا أضفنا الى ذلك الصراعات المذهبية التي شغلت أذهان الناس ، اضافة الى عدم تذوق القارئ على الأمر للشعر ، وبالتالي احتضانهم لعدد محدود من الأدباء تطمينا للأغراض الخاصة ، فان ذلك في مجموعه قد أسهم في وصول الشعر الى السوية التي هو عليها .

ومجال البحث هنا لا يسمح بتقصي الشعر وأغراضه ، والشعراء وأصنافهم وطبقاتهم ، حيث برز عدد عظيم من الشعراء في العراق في هذا العصر ، نلمس في شعرهم صدى للأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، بل وحتى العقائدية ، وهذه ملاحظة هامة يجدر بنا الحديث عنها .

فالشاعر مرجي بن بتاه البطاحمي كان من أبرز الشعراء وأعيان الفضلاء الذين يتسم أدبهم وشعرهم بشي من واقع الحياة آنذاك^(٣) ، كما أن التيار أو الاتجاه

(١) لقد كان الانتاج في هذا العصر غزيرا من حيث الكمية بشكل لم يسبق له مثيل ولا أدل على ذلك ما حفظته لنا كتب تراجم الشعراء في هذا العصر كـ تيمية الدهر للشعالي ، و دمية القصر للهاجرى ، و زينة الدهر للحظيري ، و خريدة القصر للأصفهاني .

(٢) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ج ٥ / ص ٢٢٦ - ٢٢٩ .

(٣) الأصفهاني : الخريدة ج ٤ / ص ٥٣٢ ، ذكر الأصفهاني في خريدته الكثير من أشعاره من ص ٥٣٤ - ص ٥٤٦ ومن قول هذا الشاعر يرثي حال عصره :

يادولة الترك لا رجعت	ولا طلت يادولة العرب
كلاكما واحد وغيركما	شر زمان للناس منقلب
خليفة الله فيك محتجب	فكيف يرجي خلاص محتجب
واستنقذ المسلمين انهم	قد أشرقوا بعدكم على العطب

أنظر :

الأصفهاني : الخريدة ج ٤ / ص ٥٣٢ . ولم يذكر سنة وفاته .

العقيدى في شعر العصر السلجوقي ، تيار كبير واسع يمثل مساحة واسعة من الحياة الأدبية على اختلاف فنونها ، ذلك أن الخلافة العباسية كانت قد اكتسبت شرعيتها واحترام الناس لها وحرصهم على طاعتها من الدين وتعاليم الاسلام . ولذلك فقد حرص الخلفاء على الالتزام بأحكام الشريعة وحماية العقيدة والدفاع عن بيضة الاسلام وحراسة الدين ، وأعلى الأقل الظهور بهذا المظهر أمام الرأى العام ليرد عنهم كيد الأعداء ويحميهم من سهام النقد ، ولهذا فان شعراء الاستجداء ، وخصوصا شعراء البلاط العباسي قد حرصوا على أن يصوروا الخلفاء رغم الدور المحدود الذى كانوا يلعبونه في الحياة السياسية خلال هذه الفترة بصورة براققة تتسجم مع هذا الخط ، فالأبيوردى محمد بن أبي العباس (المتوفى عام ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م)^(١) ، يضمن ديوانه إحدى عشرة قصيدة يصور فيها الخليفة المعتدى (المتوفى عام ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) حاكما عادلا يحمي رعيته ، ويطلقا شجاعا يذود عن الاسلام ، ويخيف الأعداء وهي صورة تختلف كثيرا عن الواقع التاريخي الذى يشير الى أنه لم يكن للمعتدى من الأمر الا الاسم ، وأن حكمه لا يتعدى بابا ولا يتجاوز جناحه . وكان الشعراء يصورونه في صورة الامر وهو أمور وفي حليه المستولي علي الامر وهو مغلوب^(٢) . فمن شعره في مدح الخليفة المعتدى يقول :

(١) أبوالمظفر محمد بن أحمد بن محمد الأبيوردى ، أقام ببغداد زمنا طويلا ، وكان من شعراء بلاط الخلافة ، وله اليد الباسطة في الانشاء والبلاغه . له عدد من المصنفات منها تاريخ أبيوردونسا ، كتاب المختف والمؤلف ، كتاب الطبقات ابن الجوزى : المنتظم ج ٩ / ص ١٧٦ - ١٧٧ . ياقوت : معجم الأدباء ج ٦ / ص ٣٤١ ، ٣٥٨ ، القفطي : انباء الرواة ج ٣ / ص ٤٩ - ٥٢ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٤٤٤ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٦٢ .

(٢) طبع ديوان الأبيوردى بالمطبعة العثمانية في لبنان سنة ١٣١٧ هـ ، والمطبعة الانسية ببيروت سنة ١٣٢٧ هـ .

(٣) ابن دحية : النبراس / ص ١٤٤ .

حمى بيضة الاسلام فاستحكمت به	عراة وقد شدت اليه بأمراس
يلوذ الرهايا آمنين بظلمته	لياذ عتاق الطير بالجبل الراسي
تسير الملوك الصيد تحت لوائه	ويسرى الى أعدائه قبله الرعب ^(١)

وها هو ذا الأبيوردى يمدح الخليفة المستظهر ، ويرى أنه خير بنى العباس
كلهم ، وأنه أخذ من كل خليفة أفضل ماله ، وأنه حامي ديار الاسلام ، وأن
خيله تحمل رايات الاسلام تقاتل الأعداء^(٢) ، في حين لم يكن في مقدور الخليفة فسي
الواقع أن ينجذ المستجدين به الذين جاءوا من الشام الى بغداد سنة ٤٩٢ هـ /
١٠٩٨ م^(٣) يستغيثون به من الافرنج الصليبيين الذين هجموا عليهم بعد أن ملك
الافرنج بيت المقدس ، وقتلوا سبعين ألف مسلم صبرا ، بينهم جماعة من أئمة
المسلمين^(٤) . وما هو جد ير بالملاحظة أن الأبيوردى نفسه كان عارفا بعجز الخليفة.

وقد شارك عدد من شعراء العراق في شعر الحروب الصليبية ، وهو شعور
أساسه الدين ، لأن الحرب كلها كانت حربا عقائدية خالصة . ويحدثنا التاريخ بأن
الصليبيين حين دخلوا بيت المقدس ، وأعطوا السيف في المسلمين ، هاج المسلمون
في مختلف البلدان ، واتجه جماعة من بلاد الشام فيهم القضاة والعلماء الى بغداد
ليستجذوا الخليفة العباسي ، وحضروا في الديوان الخلفي ، وقطموا شعورهم ،

(١) الأبيوردى : ديوانه / ص ٢٠ .

(٢) ن ٢٠٠ م / ص ٣٣٢ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٠٩ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٨٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ٩ / ص ١٨٩ .

واستغاثوا ^(١) وركبوا كل ذلك والخليفة العباسي لم يحرك ساكنا ^(٢) .

وحين وحد المسلمون صفوفهم ، واستردوا بلاد الشام ، وكللت مساعيهم باسترجاع بيت المقدس ^(٣) عبر الشعراء بالعراق عن مدى فرحتهم بهذه الانتصارات ، بل انهم عبروا عن مشاعر الأمة وارادتها ، ولذلك نظموا الكثير من القصائد في تخليد ذلك العمل البطولي المجيد ، منها قول الشاعر نجم الدين محمود بن الحسن بن نيهان من الحلة المزيدية ^(٤) :

- (١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، حوادث سنة ٤٩٢ هـ .
(٢) وقد قال الأبيوردى شعرا في عدم اكترات حكام المسلمين ازا هذه الحرب واعتماد المسلمين عندئذ على البكا والنحيب :

مزجنا دماء بالدموع السواجم	ولم يبق منا عرضه للمراحم
وشر سلاح المرء مع يفيضه	اذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فايها بني الاسلام ان وراءكم	وقائع يلحقن الذرى بالمناسم
وكيف تنام العين مل جفونها	على هفوات أيقظت كل نائم
واخوانكم بالشام أضحى مقلهم	ظهور المذاكي أو بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وأنستم	تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
أرى أمتي لا يشرعون الى العدى	رماحهم والدين واهي الدعائم
ويجتنبون النار خوفا من الردى	ولا يحسبون العار ضربة لازم
أترضي صناديد الأعراب بالأذى	ويغفني على ذل كرامة الأعاجم

ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٨٩ - ١٩٠ .

- (٣) ن ٢٠٠ ص ٩ / ص ١٨٢ ، أبو شامة : الروضتين ج ٢ / ص ١١٤ ، ابن واصل :
مفرج الكروب ج ٢ / ص ٢١٤ .

- (٤) أبو شامة : الروضتين ج ٢ / ص ١٢ ، ولم أعر لهذا الشاعر على ترجمة فني
المصادر المتوفرة .

هنيئاً صلاح الدين بالفتح والنصر ونيل الأمانى الغر والفتكة البكر
وما حزت فيها من فخار ومن علا وحسن ثني يبقى الى آخر الدهر
سموت لها بالمشرقية والقنـ سمو أبى لا ينـام على وتـ^(١)

ولقد كان للمعارك الدامية وحالة الصراع المستمرة التي عاشها المجتمع الاسلامي وللاحساس بعدم وجود سلطة مركزية قوية وفعالة وقادرة على حماية الأمة وتوفير الأمن والاستقرار ، كما كان للكوارث الطبيعية كالفيضانات المدمرة والأمطار والزلازل أثر لا يستهان به في تردى حياة الناس الاقتصادية والنفسية ، فكثر الشكوى وساد القلق والخوف ، وضعف الشعور بالأمن ، وعرفت الفوضى طريقها الي حياة الناس ، حتى نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، وتوهوا ألا منقذ لهم ما هم فيه الا التشكي الي الرسول صلى الله عليه وسلم . وهكذا نظم الشعراء المدايح النبوية في النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، فأبو نزار الحسن بن أبي الحسن الشاعر البغدادي (المتوفي عام ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م) نظم قصيدة في مدح الرسول عليه السلام .^(٢)

(١) أبو شامة : الروضتين ج ٢ / ص ١٢٠
(٢) قال في هذه القصيدة :

يا قاصدا يثرب الفيحاء مرتجيا	أن يستجير بعليا خاتم الرسل
خذ عن أخيك مقالا ان صدعت به	مدحت في آخر الأعصار والأول
قل يا من الفخر موقوف عليه ، فان	تذكر الفخر لم يصدف ولم يحل
أنتك غرقوا في المدح خاضعة	لديك فاقبل ثناء غير منتحل

ياقوت : معجم الأدباء ج ٨ / ص ١٢٣ - ١٢٥ ، وله غير هذه القصيدة
قصائد أخرى في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

ويطالعنا هذا العصر بعدد كبير من الشعراء كان لكل منهم مركزه ودوره فسي الحياة الأدبية في المجتمع ، كان منهم شعراء راسيون وشعبيون ومحافظون ومجددون وشعراء علماء ومستوفى ، ولعل من المناسب أن نشير في هذه العجالة الى نماذج منهم ومن أشعارهم .

كان الأمير أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد التميمي الملقب بحيص بيهي (المتوفي عام ٥٧٤ هـ / ١١٧٩ م)^(١) واحدا من الشعراء المحافظين العديدين الذين تفاوتت حظوظهم من الجودة ، واختلفت ثقافتهم ومكانتهم الاجتماعية ، والشعر المحافظ بالعراق في العصر السلجوقي يعد من أبرز الاتجاهات الشعرية التي شاعت في العراق خلال هذه الفترة ، بل هو أكبرها على الإطلاق اذا أخذنا بالاعتبار الكمية الشعرية التي وصلتنا عن طريق الخريدة وبعض دواوين شعراء العصر. والحيص بيهي يعد شخصية أدبية نموذجية لشعراء عصره من حيث محافظته وتعلقه بالقديم ، فهو واحد من فقهاء الشافعية المتكلمين في الخلاف^(٢) وكان يعد ذلك عالما بالنحو واللغة خبيرا بأشعار العرب^(٣) غلب عليه المدح والفخر^(٤) . ولم يكن الحيص بيهي شاعرا متكسبا مثل غيره من الشعراء ، بل انه كان يخاطب الملوك والوزراء

- (١) حيص بيهي تعلم ورحل في طلب العلم وانكب على العلوم ، كان عالما له معرفة حسنة باللغة وأشعار العرب ، بل كان لغويا متضلعا باللغة من أعلم الناس بأخبار العرب ولغاتهم وأشعارهم ، وذكر بعضهم أنه كان صدرا في كل علم ، ولكن الأدب والشعر هما اللذان غلبا عليه . الأصفهاني : الخريدة ج ١ / ص ٢٥٠ الى ص ٣٥٠ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ١ / ص ٢٨٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ٣٦٢ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ١١ / ص ١٩٩ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٢٢١ ، الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ٢ / ص ٨٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٦ / ص ٦٣ .
- (٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ٣٦٢ ، الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ٢ / ص ٨٢ .
- (٣) ياقوت : معجم الأدباء ج ١١ / ص ١٩٩ .
- (٤) الأصفهاني : الخريدة ج ١ / ص ٢٠٥ - ٣٥٠ .

في عصره مخاطبة الند للند ، ويرسل نفسه على سجيتها مفتخرا بنفسه وقومه ، حتى اذا شعر أنه أخذ حصة الأسد من القصيدة التفت الى المدح . وله رسائل^(١) وديوان شعر^(٢) .

ومن شعراء العصر أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن التعاودي (المتوفي عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٢ م)^(٣) الذي كان شاعر العراق في عصره ، عمل في أوائل أمره كاتباً في ديوان الاقطاع^(٤) . وقد جمع شعره بين جزالة اللفاظ وعذوبتها ، ورقة المعاني ودقتها ، وكان في غاية الحسن والحلاوة^(٥) . أما قصائده في النسب والمدح فانها في غاية الحسن^(٦) ، وقد زاد من شهرته اتصاله ببعض المقربين من رجال الدولة ، فقد ذكر البعض أنه " كان يصحب حاجب الباب " ويقول^(٧)

- (١) له رسائل ذكرها الأصفهاني : الخريدة من ص ٣٥١ / ص ٣٦٦ .
 (٢) ديوانه مطبوع في جزئين ، سلسلة كتب التراث ، بتحقيق مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر ، من مطبوعات وزارة الاعلام العراقية سنة ١٩٧٤ م .
 (٣) ويعرف أيضاً بسبط التعاودي ، أديب شاعر ، من مؤلفاته : الحجة والحجاب وله ديوان شعر في مجلدين بتحقيق د . من ماركليوت ، مطبعة المقتطف ، القاهرة سنة ١٩٠٣ م . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٤٦٦ ، أبي الفدا : المختصر ج ٣ / ص ٨٠ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ١٨ / ص ٢٣٥ ، نكت الهميان / ص ٢٥٩ ز ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٦ / ص ١٠٥ - ١٠٦ ، أبوشامة : الروضتين ج ٢ / ص ١٢٣ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج ٤ / ص ١١ - ١٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ / ص ٣٢٩ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ١٤٣ ، اليافعي : مرآة الجنان ج ٣ / ص ٣٠٤ - ٣٠٦ . وأنظر السامرائي : الفهرست الجديد ج ١ / ص ٨ .
 (٤) ياقوت : معجم الأدباء ج ٨ / ص ١٣٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٤٦٦ .
 (٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٤٦٦ .
 (٦) ن ٤٠٠ م / ص ٤٦٦ .
 (٧) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٣٧٩ .

ابن التعاويذي في مقدمة ديوانه : " انه أفرد مدائحه في بني المظفرين رئيس
الرؤساء لكثرتها ، ولأنه نشأ فيهم واتصل بهم وصحبهم ، ونو المظفر هؤلاء منهم
الوزير محمد بن رئيس الرؤساء الذي استوزر سنة ٥٦٦ هـ / ١١٢٠ م وكان أستاذ
الدار في أيام الخليفة المستنجد بالله ^(١) ، ويمثل شعرا ابن التعاويذي الروح الأدبية
لهذا العصر وخاصة في قصائد المدح التي كان يستدر بها الأموال والعطايا . ومثله
في ذلك مثل معظم شعراء العصر حيث كان يحشو قصائده بكل مالددين من أساليب
لغوية ، وألفاظ وعبارات . قال عنه ابن خلكان : " وفيما أعتقده لم يكن قبله بمائتي سنة
من يضاويه " ^(٢) .

وعاصر سبط التعاويذي شاعران اتفقا معه في أسلوب التجديد والتأثر بأسلوب
العصر الأدبي ، أحدهما أبو عبد الله محمد بن بختيار بن عبد الله الأبله البغدادى
(المتوفى عام ٥٢٩ هـ / ١١٨٣ م) ^(٣) الذي تفرد بخبرته وطول بابه في موسيقى
الألفاظ ، فراح يحشد قصائده بالقدر المستطاع من الكلمات والألفاظ ويلجأ إلى

(١) سبط التعاويذي : ديوانه / ص ١٣ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٤٦٦ ، وذكر ابن خلكان من قصائده في
مدح الخليفة الناصر لدين الله يسأله فيها أن يحدد له راتبا مدة حياته منها :

خليفة الله أنت بالدين والدني	يا وأمر الاسلام مضطرب
أنت لما سنه الأئمة أع	لام الهدى مقتف ومتبع
قد عدم العدم في زمانك وال	جور معا والخلاف والبعد
فالناس في الشرع والسياسة	والاحسان والعدل كلهم شرع
يا ملوكا يردع الحسودات	والأيام عن ظلمها فترتدع
	الخ

ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٤٦٢ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٤٦٣ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ /

ص ٣٢٩ ، ابن العماد : الشذرات ج ٤ / ص ٢٦٦ ، الصغدي : الوافي بالوفيات

ج ٢ / ص ٢٤٤ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٦ / ص ٩٥ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٤٦٣ .

جميع ما يعرفه الشعر العربي من مؤثرات لفظية وصوتية ، وصفه ابن خلكان بأنه كسان " رقيق أسلوب الشعر حلو الصناعة رائق البراعة عذب اللفظ ، أرق من النسيم السحري . . . والمفنون يفتنون برائقات أبياته عن أصوات القدماء " (١) وكان أحد الشعراء المتأخرين المجيدين جمع في شعره بين الصناعة والرقّة ، وأجاد كل الاجادة فسي الغزل والمدح . (٢)

أما ثانيهما فهو أبو الغنائم محمد بن علي بن فارس ابن المعلم الواسطي (المتوفي عام ٥٩٢ هـ / ١١٩٦ م) الذي اشتهر وذاع صيته في الغزل والمدح وفنون المقاصد ، قال عنه الذهبي " هو أحد من سار شعره ، وانتشر ذكره ، ونبه بالشعر قدره ، وحسن باب حاله وأمره ، أكثر القول في الغزل والمدح وفنون المقاصد " (٤) وقال عنه سبط ابن الجوزي " مدح الرؤساء والأمراء والأعيان " (٥) وقال ابن خلكان عن شعره : " ان شعر ابن المعلم لا يسمعه من عنده أدني هوى الا افتتن وهاج

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٤٦٣ .

(٢) ن.م.س ج ٤ / ص ٤٦٥ ، يذكر ابن خلكان نماذج من أشعاره كلها في الغزل وواحدة منها في المدح قصيدة من خير ما قاله الشاعر في مدح الوزير يحيى بن هبيرة مطلعها :

ولع النسيم وبانه الجرعـ	وصفاك الا الحلـى والودعـ
يادمية ضاقت خلاخلهـ	عنها وضقت بحبها ذرعـ
قد كنت ذا دم مع وذا جلسـ	فبقيت لاجلدا ولا دمـ

... الخ .

ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ٢٣٧ .

(٣) ابن المعلم الواسطي . شاعر رقيق الشعر لطيف حاشية الطبع ، يكاد شعره يذوب من رفته . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ٥ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٤٥١ ، أبو شامة : ذيل الروضتين / ص ٩ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج ٤ / ص ١٦٥ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج ٤ / ص ٣١٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٦ / ص ١٠٢ .

(٤) الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ١ / ص ٩٩ .

(٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٤٥١ .

غرامه^(١) . ولقد فضله صاحب الخريدة ، وهو الأديب الكاتب الشاعر المشهور ، على مهيار الديلمي^(٢) وابن هاني الأندلسي^(٣) . وقال عنه الصفدي : " انتهت اليه رئاسة الشعر في زمانه " وقال ابن كثير عن شعره " ولطف مكانه عند أكثر الناس ، ومالوا اليه وتحفظوه وتداولوه بينهم واستشهد به الوعاظ واستملاء السامعون " .^(٤)

وكان للصوفية في هذا العصر أدب خاص يختلف في خصائصه عن خصائص غيره ، ولعل أبرز خصائصه السمو الروحي ، والمعاني النفسية العميقة والخضوع التام للقدر ، وهما يتضمن في الأعم الأظب منه الغموض والمعاني الرمزية^(٥) . ولقد برز في العراق خلال هذه الفترة عدد من الشعراء المعروفين كان لهم قصائد في الزهد والتصوف ، بالإضافة الى المتصوفة أنفسهم الذين كان لهم شعر لـ

- (١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ٩ - ٩٠ .
 (٢) أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي (ت ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٩٤ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ٣٥٩ ، الخطيب : تاريخ بغداد ج ١٣ / ص ٢٧٦ ، ابن الأثير : الكامل ج ٩ / ص ١٥٧ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٥ / ص ٢٦ - ٢٧ . ابن العماد : الشذرات ج ٣ / ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .
 (٣) محمد بن هاني بن محمد بن سعدون الأزدي الأندلسي (ت ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م) . الأصفهاني : الخريدة ج ١ / ص ٢٤٨ - ٢٨١ ، الضبي : بغية الملتنس ص ١٣٠ - ١٣١ ، ابن الأبار : تكملة الصلة ص ١٠٣ ، الذهبي : سير النبلاء ج ١٠ / ص ١٧٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٤٢١ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٤ / ص ٦٧ - ٦٨ ، ابن العماد : الشذرات ج ٣ / ص ٤١ - ٤٤ ، المقرئ : نفع الطيب ج ٢ / ص ٣٦٤ - ٣٧٢ ، اليافعي : مرآة الجنان ج ٢ / ص ٣٧٥ - ٣٧٩ .

- (٤) الصفدي : الوافي بالوفيات ج ٤ / ص ٦٥ .
 (٥) ابن كثير : الهداية والنهاية ج ١٣ / ص ١٣ .
 (٦) أحمد أمين : ظهر الاسلام ج ٤ / ص ١٧٠ .

أغراضه ومعانيه ، وكان من شعرائهم الشيخ أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد
الرفاعي (المتوفي عام ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م)^(١) فمن قوله في التصوف :

إذا جن ليلى هام قلبي بذكركم أنوح كما نوح الحمام المطوق
وفوقي سحاب يطرر الهم والأسى وتحتي بحار بالأسى تتدفق^(٢)

ومنهم شهاب الدين السهروردي (المتوفي عام ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م)^(٣) من
قريضه في الزهد قوله :

لا تسقني وحدي فما عود تنني أني أشيخ بها على جلاسي
أنت الكريم ولا يليق تكرما أن يعبر الندما دور الكاس^(٤)

قال ابن خلكان : " فتواجد الناس لذلك ، وقطعت شعور كثيرة وتاب جمع
كبير " ^(٥) ومن غزله الصوفي أيضا :

تصرمت وحشة الليالي وأقبلت دولة الوصال
وصار بالوصل لي حسودا من كان في هجركم رثي لسي^(٦)

(١) ترجمة ابن الرفاعي في السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٤٠ ، سبط ابن الجوزي :
مرآة الزمان ج ٨ / ص ٣٧٠ ، ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ١١٢ ،
والعماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٢٥٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١
ص ١٢١ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ١٢١ .

(٣) أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي الصوفي . ابن خلكان : وفيات الأعيان
ج ٣ / ص ٤٤٦ ، أبو شامة : ذيل الروضتين / ص ١٦٣ ، السبكي : طبقات الشافعية
ج ٥ / ص ١٤٣ ، ابن الغوطي : الحوادث الجامعة / ص ٧٤ ، سبط ابن الجوزي :
مرآة الزمان ج ٨ / ص ٦٢٩ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٥ / ص ١٥٣ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٤٤٦ .

(٥) ن ٢٠٠ م ج ٣ / ص ٤٤٦ .

(٦) ن ٢٠٠ م ج ٣ / ص ٤٤٧ .

وكان هناك شعراء من العلماء لهم صلات وروابط بالمتصوفة توزعت قصائدهم في بطون المصادر المختلفة ، منهم محمد بن الحسين بن عبد الله بن أحمد بسن الشبل الشاعر (المتوفي عام ٤٧٣ هـ / ١٠٨٠ م) الحكيم الفيلسوف القائل :
خرجنا من قضا الله خوفاً فكان فرارنا منه اليه^(٢)

ومن شعراء الصوفية أيضا سعد الله بن نصر بن سعيد الدجاني (أبو الحسين)
(المتوفي عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م)^(٣) الذي كان واعظا يخالط الصوفية ويحضر معهم
السماعات فمن قوله :

لي لذة في ذلتي وخضوعي
وتضرمي في رأى عينك راحة
ما الذل للمحبوب في شرع الهوى
هبني أسأت فأين غفوك سيدي

وأحب بين يدك سفك دموعي
لي من جوى قد كن بين ضلوعي
عار ولا جور الهوى بهد يسع
ثم رجاك لقلبه الموجهوع^(١)

وهناك الصوفي قوام الدين أبو الفرج هبة الله بن أحمد الاعرابي البغدادي
(المتوفي عام ٥٧٦ هـ / ١١٨٠م) القائل :

من كان متفردا في هذا الزمان فقد
تزوجنا كركوب البحر ثم اذا

نجامن الذل والأحزان والقلق
صرنا الى ولد صرنا الى الفرق^(٦)

- (١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٣٢٨ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٣٣٣ ،
 ياقوت : معجم الأدباء ج ١٠ / ص ٢٣ ، ابن الأثير : الكامل ج ١ / ص ٤٤ ، ابن
 خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ٥٢١ .
 (٢) ابن الأثير : الكامل ج ١ / ص ٤٤ .
 (٣) الذهبي : المختصر المحتاج إليه ج ٤ / ص ٧٧ ، الكتبي : قوات الوفيات ج ١ / ص ٣٤١ .
 (٤) الذهبي : المختصر المحتاج إليه ج ٤ / ص ٧٧ ، الصدي : الوافي بالوفيات ج ١٣ / ص ١٤٠ .
 (٥) ابن الفوطي : مجمع الآداب ج ٤ / ص ٨٦٥ .
 (٦) ن . م . ص ج ٤ / ص ٨٦٥ .

والامام أبو حامد الغزالي (المتوفي عام ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) قال في الأحياء :
 " أما الشعر فكلام حسنه حسن ، وقبيحه قبيح ، الا أن التجرد له مذموم " ^(١) ومن
 مشاركاته ذات الطابع الصوفي قوله :

سقي في الحب عافيتي	ووجودي في الهوى عدي
وعذاب يرتضون به	في فمي أحلى من النغم
ما لضر في مجيئك	عندنا والله من أكرم ^(٢)

وابن السراج جعفر بن أحمد بن الحسين المقرئ المحدث الأديب
 (المتوفي عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م) صاحب كتاب مصارع العشاق في أخبار العباد
 والنسك ، وله أشعار كثيرة تفيض بالوجد ، فمن شعره الذي يفيض بالوجد قوله :

بان الخليط دمعني	وجداء عليهم تستهمل
وحدا بهم حادي الفسرا	ق عن المنازل فاستقلوا
قل للذين ترحلوا	عن ناظري والقلب خلوا
ما ضرهم لو أنهلوا	من ماء وصلهم وطوا ^(٣)

وخير ما يمكن أن يوضح الشعر الصوفي قصيدة المرتضي الشهرزوري (المتوفي
 عام ٥١١ هـ / ١١١٧ م) وهي علي طريقة الصوفية : ^(٤)

-
- (١) الغزالي : أحياء علوم الدين ج ٣ / ص ١٢١ .
 - (٢) السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ١٥ .
 - (٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ٣٥٧ .
 - (٤) هو أبو محمد عبد الله بن القاسم بن المطهر الشهرزوري ، اشتغل بالحدیث والفقه وتولي القضاء والوعظ بالموصل ، وكان صالحاً تقياً متعبداً . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٤٩ ، الأصفهاني : الخريدة (قسم الشام) ج ٢ / ص ٣٠٨ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ١٢٤ ، ابن تغري مردی : النجوم الزاهرة ج ٥ / ص ٢٣١ ، المحمد الحنبلي : الشدرات ج ٤ / ص ١٢٤ .

لمعت نارهم وقد عسعس الليلى
فتأملت بها وقلت لصبحى
وهي تعلو ونحن ندنو الى أن
فدنونا من الطلول فحالت
قلت : من بالديار ؟ قالوا جريح . وأسير مكبل وقتيل^(١)
ل ول الحادى وحار الدليل
هذه النار نار ليلى فملىوا
حجرت دونها طلول معلول
زفرت من دونها وعليل

ولقد برز في هذا العصر عدد من العلماء الشعراء ، وهؤلاء كانوا يمثلون الطبقة المثقفة في العصر السلجوقي ، كان منهم الطبيب ، والنحوى اللغوى ، وعالم الفلك والهيئة والنجوم والرياضيات ، وعالم الكيمياء .

وتقدم لنا كتب التراجم والطبقات معلومات وافرة عن الانتاج الشعرى وأسماء المؤلفات والداوين لهؤلاء العلماء ، ويبدو أن شعر هؤلاء قد تفرق وضاع وتشتت في مرحلة مبكرة جدا ، ولعل السبب في ذلك يعود الى أن شعر هؤلاء العلماء كان يمثل شعر المثقفين الواقعي ، والذي يختلف في وصف الواقع لحياة ذلك العصر عن شعر شعراء الاستجداء والكذب ، وخاصة شعراء المديح للخلفاء أو الأمراء ، فمثلا هبة الله بن الفضل بن القطان (المتوفى عام ٥٥٨ هـ / ١١٠٤ م) لم يسلم من لسانه أحد من الكبراء حتى الخليفة ، ولذلك قال عنه الأصفهاني : " له شعر كثير لسم يدون " .^(٢) ولقد انتهالت المدائح على الخليفة المسترشد بالله بعد معركة الخاسرة مع السلطان مسعود . وتضمنت إحدى قصائد هبة الله بن الفضل سخيرة مريرة من عدد كبير من العشوليين ، وهي قصيدته الرائية المشهورة التى يقول فيها :

- (١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٤٩٠ .
(٢) هبة الله بن الفضل البغدادي درس الحديث ثم اتجه الى الطب فأتقنه حتى عد من أطباء بغداد ، غلب عليه الشعر وكان خبيث اللسان هجاء . حتى لم يسلم منه الأعيان وكبار رجال الدولة . ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٢٠٧ ، الأصفهاني : الخريدة ج ٢ / ص ٢٧٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ٥٣ ، الكتبي : فوات الوفيات ج ٢ / ص ٦١٧ ، اليافعي : مرآة الجنان ج ٣ / ص ٣١٥ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ١٨٧ .
(٣) الأصفهاني : خريدة القصر ج ٢ / ص ٢٧٠ .

(١) تكريت تعجزنا ونحن بجهلنا نضي لناخذ ترمذا من سنجس

وممن برز من الشعراء العلماء في هذا العصر أمين الدولة هبة الله بن التلميز (المتوفي عام ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م) الذي كان بارعا في الطب والموسيقى والعريضة ، حكيماً أدبياً شاعراً ، من ذلك قوله :

إذا وجد الشيخ في نفسه نشاطاً ، فذلك موت خفي
أنت ترى أن ضوء السراج له لهب قبل أن ينطفئ

(٢) وكان هبة الله بن الحسين الاسطرلابي (المتوفي عام ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م) متقناً لعلم النجوم والفلك ، بارعاً في علم الاسطرلاب وصناعته ، أدبياً فيلسوفاً ، له الشعر الطبع ، يستخدم فيه الألفاظ والمصطلحات العلمية الفلكية ، منها قوله :

تقسم قلبي في محبة معشر بكل فتى منهم ، هواي منوط
كان فؤادي مركز وهم لسه محيط وأهوائي اليه خطوط

- (١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ٦٠ .
- (٢) هبة الله بن صاعد بن هبة الله البغدادي ، طبيب حكيم شاعر خلف من الآثار شرح مسائل حنين بن اسحاق ، الرسالة الأمينية في الفصد ، ديوان شعر ، ديوان رسائل . عنه أنظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ٦٩ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٤٩ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ١٩ / ص ٢٧٦ ، ٢٨٢ ، الذهبي : سير النبلاء ج ١٢ / ص ٢٢٧ ، أبو الفدا : المختصر ج ٣ / ص ٤٥ ، ابن العماد : الشذرات ج ٤ / ص ١٩٠ ، البغدادي : هدية العارفين ج ٢ / ص ٥٥٥ .
- (٣) ياقوت : معجم الأدباء ج ٧ / ص ٢٤٦ .
- (٤) وكان الاسطرلابي أدبياً فاضلاً قال الشعر الرائق الكثير ، وقد جمع ديوانه بنفسه ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ٥٠ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ١٩ / ص ٢٧٣ ، اليافعي : مرآة الجنان ج ٣ / ص ٢٦١ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ١٨٤ ، القفطي : أخبار العلماء ص ٢٢٢ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٣٧٦ ، ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ / ص ٢٧٥ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج ٩ / ص ١٨٤ .
- (٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٣٧٨ .

ومن فلاسفة العلماء الشعراء ابن الشبل أبو علي حسين بن عبد الله البغدادي
(المتوفي عام ٤٧٣ هـ / ١٠٨٠ م) ^(١) الذي كان حكيما فيلسوفا متكلماً ، وكانت قضايا
الوجود تشغل فكره ، فنظم قصيدته المشهورة :

بريك أيها الفلك المسندار أقصد ذا السير أم اضطرار
مدارك قل لنا في أي شيءي* ففي أفهامنا منك انبهــــــــــــــــار
وفيك نرى الفضاء وهل فضــــــــــــــــاء سوى هذا الفضاء به تــــــــــــــــدار
الخب. ^(٢)

ولا ننسى العالم الكيميائي أبا اسماعيل الحسين بن علي الطبرائي (المتوفي
عام ٥١٣ هـ / ١١١٩ م) الكاتب الشهير ، الذي كان أدبياً فيلسوفاً بليغاً شاعراً
مجيداً ، شعره يغلب عليه أسلوب شعراء العرب الأوائل ، سهل عذب وله ديوان
شعر جيد ^(٣) ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية المعجم ، وقد سبقــــــــــــــــت
الإشارة الى أنه حل به خطب عظيم وهو بمدينة السلام ، حيث عزل من منصبه
وعلاه من دونه ، وضاعت عليه بغداد فنظم لاميته المشهورة :

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل
مجدى أخيراً ومجدى أولاً شرع والشمس رأد الضحي كالشمس في الطفل
فيم الإقامة بالزوراء لا ســــــــــــــــكني بها ولا ناقتي فيها ولا جــــــــــــــــلي
ناء عن الأهل صغر الكف منفرد كالسيف عرى متناه عن الخلل
فلا صديق اليه مشتكي حزنــــــــــــــــي ولا أنيس اليه منتهى جــــــــــــــــلي ^(٤)

(١) سبقت ترجمته ومبادئه .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ٥٢١ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٣٣٣ .

(٣) توجد مخطوطات ديوانه في أكثر مكتبات العالم ، منها مخطوط دار الكتب بالقاهرة
رقم ٧٩١٧ ، ومخطوط لندن رقم ٧٥٥٨ ، كما طبع ديوانه في القسطنطينية سنة

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ١٨٥ .

الفصل الثالث

الدراسات الإنسانية

أولا : التاريخ ٤٢١ - نظرة الى التاريخ وأحواله في هذا العصر ٤٢١ -
مبادئ الدراسات التاريخية في هذا العصر ٤٢٦ - التراجم ٤٢٦ -
طبقات الفقهاء ٤٣٠ - تراجم اللغويين والنحاة والأدباء ٤٣١ -
التاريخ المحلي ٤٣٣ - التاريخ العام ٤٣٤ - مشاهير المؤرخين في
هذا العصر ٤٣٨ - كتب الادارة والسياسة في هذا العصر ٤٤٤ .

ثانيا : الجغرافيا والرحلات الجغرافية ٤٤٧ - أهمية دراسة الجغرافيا لدى
علماء المسلمين ٤٤٧ - رواد الدراسات الجغرافية في هذا العصر
٤٤٨ - الرحلات الجغرافية ٤٤٩ .

ثالثا : الدراسات التربوية ومن أسهم فيها من علماء العصر ٤٥٦ - الفزائلي
٤٥٦ - الخطيب البغدادي ٤٦٢ - أبو الحسن الماوردي ٤٦٣ -
أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ٤٦٤ .

رابعا : علم الكلام وموقفه في هذا العصر ٤٦٦ .

خامسا : دراسة الفلسفة وعلم المنطق ٤٧٢ - موقف الامام الفزائلي منها ٤٧٣ -
علماء الفلسفة في هذا العصر وأنشطتهم ٤٧٥ .

الفصل الثالث

العلوم الانسانية

كان للعراق في هذا العصر دور بارز في جملة فروع الدراسات الانسانية المختلفة وخاصة في نطاق الدراسات التاريخية ، حيث أنجب العراق في هذا العصر عددا كبيرا من علماء التاريخ البارزين من تناولوا فروع الدراسات التاريخية المختلفة بالدراسة والتأليف . كما أنجب علماء جغرافيين وفلكيين كانت لهم دراسات وتأليف في ميادين الجغرافيا المتعددة والبلديات ، أضفت الى الدراسات الجغرافية الاسلامية معلومات جديدة ، وازادت جادة . ولا ننسى ما كان لعلماء هذا العصر التربويين من فضل كبير في الدراسات التربوية والنفسية ، ونشير في هذا المجال الى ما قام به كل من الامام حجة الاسلام أبي حامد الغزالي ، والعلامة عبد الرحمن بن الجوزي ، والامام الماوردي .

أما في اطار دراسة الفلسفة وعلم الكلام فقد كان لهذه الدراسات شأن آخر في هذا العصر ، فلقد أصابهما الكساد ، ولاسيما بعد شيوع مؤلفات حجة الاسلام الغزالي ، وموقفه من علم الكلام والدراسات الفلسفية . وفي الصفحات التالية محاولة جادة لاستقصاء متابعة التطورات الايجابية التي قدمتها الدراسات الانسانية في العراق خلال العصر السلجوقي .

أولا : التاريخ :

لا مراة في أن الفكر التاريخي كانت له أهميته الخاصة في العالم الاسلامي . ذلك أن علم التاريخ الذي لعب دورا محدودا في اطار حضارات عصور ما قبل الاسلام قد حظى بمكانة بارزة في الحضارة الاسلامية ، كما لعب دورا رئيسيا في تكوين الثقافة

الدينية التي هي من مرتكزات الحياة العقيدية للمجتمع الاسلامي ، فضلا عن دوره في الحياة الاجتماعية وفنون الأدب ، وفي النشاطات السياسية والادارية للدولة الاسلامية . وليس أدل على المكانة الكبيرة التي يحتلها علم التاريخ في الثقافة الاسلامية من ظهور تلك المصنفات والموسوعات التي تعد بالآلاف ، والتي بلغت مرحلة النضج والعطاء في نهاية القرن الثاني وطوال القرن الثالث الهجريين ، ثم كانت مرحلة الاستثمار في القرون التالية لها ، والتي تعتبر وحتى العصر الحديث قمة ما وصلت اليه جهود العلماء المسلمين في هذا الاطار . وهكذا كان التاريخ جزءا أساسيا من ثقافة المجتمع في القرون الاسلامية الأولى ، ظل يتبوأ نفس المكانة فيما يلي ذلك من عصور .

ومن الجدير بالملاحظة أن الفكر التاريخي الاسلامي يختلف اختلافا بينا من ناحيتي الهدف والمنهج عما كان معروفا عن ذلك في عصور ما قبل الاسلام ، ولعل أبرز ذلك الاختلاف يمكن في تأثير العقيدة الاسلامية في التركيز على الهدف أو الغاية من وجود الانسان من ناحية ، والأغراض التي استهدفتها النظرة التاريخية الاسلامية من ناحية أخرى .

هذا إضافة الى الاختلاف الجذري في الناحية المنهجية التي التزمت بأساليب المحدثين ، وكتاب السيرة النبوية ، في كتابة أحداث السيرة النبوية ، أو تاريخ الخلافة أو الفتوحات الاسلامية أو تطور الأوضاع في المجتمع الاسلامي .

قال ابن خلدون عن مؤرخي الاسلام : " فيجلبون الأخبار عن الدول وحكايات الوقائع في العصور الأول ، صورا قد تجردت عن موادها ، وصفاها انتزعت من أغمارها ، ومعارف تستنكر للجهل بطارفها وتلاذها ، وانما هي حوادث لم تعلم أصولها ، وأنواع لم تعتبر أجناسها ولا تحققت فصولها ، يكررون في موضوعاتها الأخبار المتداولة بأعيانها ، اتباعا لمن عني من المتقدمين بشأنها ، ويغفلون أمر

الأجيال الناشئة في ديوانها^(١)

ان البحث عن الحقيقة يبقى الهدف الأول لدى أفضل المؤرخين ، غير أن النقد والتحليل والبحث عن الحقيقة ظلت جزئية بشكل ليس بالقليل في التاريخ الاسلامي ، لأسباب مختلفة ، منها ما يتعلق بالتاريخ كمنهج وغرض ، ومنها ما يتعلق بالأوضاع السياسية ، فلاشك أن التاريخ هو من أكثر العلوم ارتباطا بالسياسة ، فكثيرا ما كان التاريخ يضم الى وسائل الدعوة .

وفي الفترات المتأخرة ظهر بعض المؤرخين ممن تقرّبوا من الخلفاء والأمراء والسلاطين والوزراء ، بانتقاء الأخبار التي تنسجم مع اتجاهاتهم وأهوائهم دون تحقيق أو تمحيص . ويشير ابن خلدون الى هؤلاء بقوله : انهم " اذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا أخبارها نسقا ، معافظين على نقلها وهما أصدقاء ، ولا يتعرضون لبدائها ، ولا يذكرون السبب الذي رفع من رايها ثم جاء آخرون بافراط الاختصار ، وذهبوا الى الاكتفاء بأسماء الملوك " الى أن يقول : " لأن الأخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الانساني فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والعيد عن جادة الصدق ، وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ، ولم يعرضوها على أصولها ولا سيروها بمعيار الحكمة " .^(٢)

ان الغرض من دراسة التاريخ هو معرفة الوقائع البشرية ، والأحداث التاريخية والظروف التي حدثت فيها ، وأسبابها على وجه الحقيقة ، والفكر التاريخي لكسي يتطور يتطلب اتباع منهج النقد والتحليل ، غير أن الكتابة التاريخية لا تخلو عادة

(١) ابن خلدون : المقدمة / ص ٥ .

(٢) ن ٤٠٠ ص / ص ٥ - ٩ .

من الغرض أو الوقوع تحت المؤثرات ، دينية كانت أو شخصية أو سياسية ، غير أن ذلك يجرى بدرجات متفاوتة ، تخضع لمدى وضوح الهدف ، وقوة ووضوح شخصية الباحث ، وقدرته على الالتزام بموقف الحياد .

ومن الملاحظ أن المنهج المتبع في دراسة التاريخ في العراق في هذا العصر هو استمرار ذلك المنهج التقليدي المتبع قبله في العصور السابقة ، إلا أن التجديد قد يجد مجالا في بعض الأحيان ، وينعكس مثل هذا مثلا فيما ذكره ابن الديلمي في ترجمته ليحيى بن محمد بن محمد بن جعفر العلوي (المتوفي عام ١٢١٦/٦١٣م) حيث يقول عنه " وأفضى الى تلميذه بأسرار من التاريخ الاسلامي عجيبة ، تقوم على التحليل والتحليل والاستنتاج ، وهي مذكورة في شرح نهج البلاغة " (١).

فالعراق في هذا العصر تميز بالتوسع في المعاجم والتراجم التاريخية ، والاهتمام بالوقائع التاريخية والتاريخ السياسي للدول ، كما جرى الاهتمام بالتاريخ المحلي ، وذلك نتيجة لكثرة المعارف وتفرعها ، وتنوع الفنون ، ووفرة الكتب ، واتصال العلماء بعضهم ببعض ، وتوفير ثقافة علمية واسعة .

وقد تميزت هذه المعاجم التاريخية بجمع التفاصيل المنثورة في تضاعف الكتب ، وتنسيقها وترتيبها . وربما كان بعض مؤرخي الفترة محدودى النظر بالاطار السياسي الذى يعمش فيه ، ولذلك يندر أن يتمكن أحدهم من تناول أحداث الأقاليم القاصية ، نتيجة لما حدث من فقدان الوحدة السياسية ، الأمر الذى أثر بدوره على الحياة الفكرية .

ثم ان التاريخ السياسي أصبح في الغالب مهمة الموظفين والمقربين من السلطة وقد أثر ذلك بدوره على الكتابة التاريخية في هذا العصر في المنهج والموضوع على حد سواء .

(١) الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ٣ / ص ٢٤٩ .

وكانت المصادر التي يستقون منها أخبارهم هي الوثائق الرسمية التي تتهيأ لهم بسبب العلاقات الشخصية ، أو سماع ما يدور بين الموظفين وكبار المسئولين والعاملين والجلساء من حديث^(١) . كما أن المؤلفات التاريخية في هذه الفترة لم تكن تخلو من التعصب ، سواء كان ذلك التعصب مذهبياً أو قبطياً ، أو حتى اتخذ موقفاً معيذاً من الخلفاء .

كما يلاحظ في الكثير من المصادر التاريخية لهذا العصر أنها أهملت الناحية الوصفية لحضارة الشعوب وإنجازاتها ، غير أن هذه العيوب تكاد لا تذكر إذا ما استعرضنا ما تركه مؤرخو الفترة من تراث تاريخي ضخم ، على الرغم من الظروف المحيطة بهم ، ذلك أنهم لم يدخروا وسعاً في سبيل تسجيل أحداث التاريخ ، وضبط مواقيت حدوثها ، وإعطاء معلومات وصفية واسعة النطاق عن دقائقها ، ولا سيما في هذا العصر الذي آتت الحضارة فيه أكلها ضعفين .

لقد عكف المؤرخون ، وما كان أكثرهم في هذا العصر ، على دراسة أحداث التاريخ الإسلامي المختلفة ، وأخذوا في تدوينها وترتيبها إما على صيغة حوادث مختلفة ، أو كتب جامعة متخصصة ، وأظهروا مهارة فائقة في تقسيم بحوثهم الواسعة إلى أقسام متعددة .

كما اتسعت الدراسات التاريخية ، فصار موضوع التاريخ في هذا العصر شاملاً للحياة السياسية والعقلية والعقائد والأخلاق والأدب وسائر العلوم . ويمكن أن يتبين ذلك من خلال النظرة إلى تنوع الدراسات التاريخية في هذا العصر

(١) نلاحظ أن العماد الأصفهاني الكاتب المؤرخ (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) في كتابه "البرق الشامي" قد ألفه على صورة مذكرات مرتبة حسب السنين ، صنعه في الغالب من وثائق ورسائل ومنشورات . كما يلاحظ ذلك في كتاب التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل لابن الأثير ، وكذلك كتاب ذيل تجارب الأمم لوزير الخليفة المستظهر أبي شجاع محمد بن الحسين (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) .

والتي احتوتها كتب التراجم ، التي تعتبر من أهم أنواع الكتابة التاريخية في هذه المرحلة^(١) ، فقد عني بها المؤرخون المسلمون في هذا العصر عناية فائقة ، فما ان يظهر أحد من المتخصصين في أى فرع من فروع العلم والمعرفة الا وتناولته كتب التراجم بالكتابة عن تفاصيل حياته ودراسته وتخصصه واسهاماته العلمية وشيوخه وتلامذته .

ويرجع الفضل في نشأة هذا النوع من الكتابة التاريخية أصلا الى الرواد الأوائل في علم الحديث في فترة صدر الاسلام ، حيث بدأوا بتصنيف الكتب في الرجال وعدالتهم ، ومعاصريهم ، ومن أخذ عنهم ، ومن لقيهم . والذي أدى في آخر المطاف الى ظهور ما يعرف بعلم الرجال أو الطبقات ، وقد عم ذلك فيما بعد ، فشمّل الأدباء واللغويين والمؤرخين والجغرافيين والأطباء ، وسائر المتخصصين في فروع المعرفة الأخرى . فقد أسهمت تراجمهم هذه في إثراء المادة العلمية لكتابة التاريخ الاسلامي منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة ، ثم التابعين وتابعيهم ، ثم الطبقات التالية واحدة تلو الأخرى^(٢) .

ويعتبر الحافظ أبو بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب (المتوفي عام ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) من أبرز العلماء في هذا العصر ، ان كان اهتمامه منصبا على الحديث وتراجم العلماء ، وخاصة رجال الحديث ، طوال حياته . ومع ان كتابه تاريخ بغداد قد شمل التاريخ العلمي والثقافي لمدينة بغداد فانه يعد واحدا من أشهر كتب

(١) يقول المستشرق مارتن بلسنر : " أنشأ المسلمون علما خاصا بالتراجم وأسماء المؤلفات التي وضعها علماءهم في مختلف العلوم . وهو تقليد يمتنى المرء لو أن غيرهم من الأمم وأصحاب الثقافات الأخرى اتبعوه " . أنظر :

بلسنر : تراث الاسلام - قسم ٣ / طبعة الكويت / ص ١٤١ .

(٢) كحالة : التاريخ والجغرافية في العصور الاسلامية / ص ٦٥ .

(٣) سبقت ترجمته .

التراجم لرجال الحديث . فقد أصبح هذا الكتاب مثالا يحتذى في التأليف ، لا في الكتب التي أرخت لبغداد فحسب ، بل سار على نهجه المؤلفون في كتاباتهم تواريخ كثيرة ، صنف في القرون اللاحقة . على أن الخطيب البغدادي يعتبر في الوقت نفسه رائدا للمدرسة التي تنهج الترجمة لأعيان مدينة بعينها ، بل يمكن عدّه في هذا المقام رأس أساتذة هذه المدرسة جميعا . فتاريخ بغداد هو مجموعة تراجم للعلماء الذين عاشوا في بغداد وما حولها منذ تأسيسها الى زمانه ، ولمن زارها وعرف بالرواية فيها في خلال تلك الزيارة ، فهو تاريخ محلي لمدينة بغداد ، وهذا ما أكد عليه المؤرخ في مقدمته للكتاب ، وتتضمن هذه المقدمة أحسن وصف جغرافي وطبوغرافي لمدينة السلام ^(١) .

وهكذا فإن هذا الكتاب أصبح المادة الأساسية التي اعتمدها من جاء بعده من المؤرخين لتاريخ المدينة ودراسة طبوغرافيتها ، أضاف الى ذلك أن هناك الكثير من المعلومات المهمة التي قد يذكرها المؤلف في ثنايا تراجمه الكثيرة عن جوانب متعددة من تاريخ المدينة ، مثل مواقع المساجد والقصور ، ومنازل العلماء وأماكن اجتماعاتهم وغير ذلك ^(٢) .

ولما كان كتاب تاريخ بغداد كتابا اختص بتراجم رجال الحديث ، فقد اهتم به علماء الحديث بعده ، وآلفوا كتبها على منواله ، وجعلوها ديولا عليه ، منهم

(١) الطبوغرافيا : هي الوصف التفصيلي للمكان ، بما في ذلك تضاريسه ، وأى ظاهرات دائما نسبية ، سواء أكانت طبيعية أم من صنع الانسان . أنظر :

يوسف تويني : معجم المصطلحات الجغرافية / ص ٣٣٠ .

(٢) منير الدين : تاريخ التعليم عند المسلمين ص ١٧ عن :

- Salmon, Geogres: Histoire de Baghdad.

- Le strange, G.: Baghdad during the Abbasid caliphate
P.381.

أبو البركات هبة الله بن المبارك بن موسى بن علي السقطي الرّحال (المتوفي عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م)^(١) الذي جمع تاريخاً لبغداد ، وذيّل به على تاريخ الخطيب^(٢) . كما ذيل على تاريخ الخطيب أيضا ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد المروزي التميمي السمعاني (المتوفي عام ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م)^(٣) والذي يبد وأنه كان بحجم تاريخـ بخـ بغداد أو أقل قليلا^(٤) . وكان أبو عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الديلمي (المتوفي عام ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م)^(٥) قد وضع تاريخاً لبغداد ، وذيّل به على ذيّل السمعاني ، وسماه ذيّل تاريخ بغداد تجاوزا^(٦) ، وقد ذيل عليه أيضا محمد بن أحمد القطيعي (المتوفي عام ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م)^(٧) . ولحمب الدين محمد بن محمود

(١) هبة الله بن المبارك السقطي ، مؤرخ محدث رّحال ، ولد ببغداد ورحل الى عدد من البلدان ، وجمع معجما لشيوخه وتوفي ببغداد . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ١٨٦ ، اليافعي : مرآة الجنان ج ٣ / ص ٣١٥ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ١٨٧ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٨٣ .
(٢) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١٨٣ ، ابن رجب : الذيل ج ١ / ص ١١٤ ، ابن العماد : الشذرات ج ٤ / ص ٢٦ ، الديلمي : ذيّل تاريخ مدينة السلام ج ١ / ص ١٤٠ .

(٣) عبد الكريم السمعاني مؤرخ محدث رحالة ، مولد ، ووفاته بمرو ، له الكثير من المصنفات منها الأنساب ، تاريخ مرو ، أدب الاملاء والاستملاء وغيرها من الكتب . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٢٠٩ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٢٥٩ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٥ / ص ٥٦٣ .
(٤) السخاوي : الاعلان بالتوسيع / ص ٦٢٢ .

(٥) محمد بن سعيد الديلمي مؤرخ من حفاظ الحديث ولد بواسط وتوفي ببغداد له من المصنفات ذيّل تاريخ بغداد ، تاريخ واسط . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٣٩٤ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ / ص ٢٦ ، ابن العماد : الشذرات ج ٥ / ص ٥٨١ ، حاجي خليفة : كشف الظنون ج ١ / ص ٢٨٨ .

(٦) السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ / ص ١٠٢ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٥ / ص ٥٨٨ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ١٤١٤ ترجمة ١١٣٤ .

(٧) محمد بن أحمد القطيعي البغدادي ، فاضل مؤرخ من أهل بغداد ، لازم ابن الحوزي مدة ، وقرأ عليه تصانيفه . المنذري : التكملة لوفيات النقلة ج ٣ / ص ٤٤٢ ، ابن رجب : ذيّل طبقات الحنابلة ج ٢ / ص ٢١٤ ، الزركلي : الاعلام ج ٥ / ص ٣٢١ .

(١) ابن النجار (المتوفي عام ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م) ذيل عظيم على تاريخ بغداد للخطيب وهو تاريخ حافل دل على تبحره في التاريخ ، وسعة حفظه للتراجم والأخبار .
(٢) وقد ذيل على تاريخ ابن النجار مؤرخ العراق ابن الساعي البغدادي (المتوفي عام ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م) كما ذيل عليه أخيراً أبو المعالي محمد بن رافع بن هجرس السلامي (المتوفي عام ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) بكتابه الموسوم (بالمنتخب المختار) .
(٣) (٤) (٥)

ومن كتب في تراجم القضاة والحكام القاضي أبو العباس أحمد بن بختيار الواسطي (المتوفي عام ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م) الأديب المؤرخ الذي ألف كتاباً سماه تاريخ القضاة والحكام . وكتب أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي (المتوفي عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) كتابه صفوة الصفوة ، مختصر الحلية الأولياء في تراجم الحكماء والأطباء والمتكلمين والصوفية .
(٦) (٧) (٨)

- (١) محمد بن محمود بن النجار ، مؤرخ حافظ رجال ، له من الكتب الكمال في معرفة الرجال ذيل تاريخ بغداد ، الدرة الثمينة في أخبار المدينة ، وغيرها من الكتب . أنظر :
الكتبي : فوات الوفيات ج ٢ / ص ٢٦٤ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ / ص ٤١ ،
ابن العماد : الشذرات ج ٥ / ص ٢٢٦ .
- (٢) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٩ / ص ٤٩ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٨ / ص ٩٨ ،
الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ١٤٢٨ .
- (٣) ابن الديلمي : ذيل تاريخ مدينة السلام ج ١ / ص ١٩ ، وابن الساعي هو طي بسن أنجب بن عثمان بن عبدالله ، من كبار المصنفين في التاريخ ، توفي ببغداد وتولي خزانة كتب المستنصرية وصنف الجامع المختصر ، أخبار الخلفاء ، تاريخ الشعراء ، أخبار قضاة بغداد ، أخبار الوزراء وغيرها . ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ص ٣٨٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ / ص ٢٧٠ ، القرشي : الجواهر المضية ج ١ / ص ٣٥٤ ، الزركلي : الأعلام ج ٤ / ص ٢٦٥ .
- (٤) محمد بن رافع السلامي أبو المعالي مؤرخ فقيه ، من حفاظ الحديث ، من تصانيفه معجم لشيوعه ، ذيل تاريخ بغداد ، الوفيات ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٣ / ص ٤٣٩ ، ابن العماد : الشذرات ج ٦ / ص ٢٣٤ .
- (٥) تاريخ علماء بغداد المسمى بالمنتخب المختار لابن رافع السلامي مطبوع بتعليق المحامي عباس الفراوي ، مطبعة الأهالي ، بغداد سنة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .
- (٦) أحمد بن بختيار الواسطي المندائي ، كان عالماً بالفقه والأدب ، رحل إلى بغداد وولي قضاء واسط . البغدادي : هدية العارفين ج ١ / ص ٨٦ .
- (٧) طبع كتاب صفوة الصفوة بحيدر آباد الدكن سنة ١٩٣٦ م / ١٩٣٧ م .
- (٨) مطبوع . القاهرة . مكتبة الخانجي ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .

الحنبلي (المتوفي عام ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م)^(١) الذى وضع مصنفاً في طبقات الفقهاء^(٢).

أما أبو اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفي عام ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م) فقد صنف كتاب طبقات الفقهاء الشافعية^(٣) في حين صنف أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن ابراهيم الهمداني المؤرخ الفرضي (المتوفي عام ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م)^(٤) كتاب طبقات الفقهاء^(٥).

ومن المصنفات المهمة التي ظهرت في هذا العصر في طبقات الفقهاء كتاب طبقات الحنابلة^(٦) لأبي يعلي محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء البغدادي الحنبلي (المتوفي عام ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م) الذى كان من رؤوس الحنابلة في زمانه ، وقد جعل كتابه هذا على ست طبقات ، الأولى والثانية على حسروف المعجم ، وما بعدهما على تقديم العمر والوفاة ، وانتهى فيه الى سنة (٥١٢ هـ / ١١١٨ م) .

(١) الحسن بن أحمد بن عبد الله ابن البنا البغدادي الامام المقرئ المحدث الفقيه الواعظ صاحب التصانيف ، صنف كتاباً في الفقه والحديث والفرائض وأصول الدين . ابن العماد : الشذرات ج ٣ / ص ٣٣٨ . بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج ٦ / ص ٦٣ .

(٢) ابن العماد : الشذرات ج ٣ / ص ٣٣٨ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية ج ٣ / ص ٨٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ٢٦ ، والكتاب مطبوع بتحقيق علي محمد عمر ، مكتبة وهبة ، سنة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م القاهرة .

(٤) محمد بن عبد الملك بن ابراهيم الهمداني ، من كبار المؤرخين ، سكن بغداد وتوفي بها ، صنف أخبار الوزراء ، عنوان السير ، طبقات الفقهاء ، ذيل على تاريخ الطبرى ، ذيل على تاريخ أبي شجاع . ابن القوطي : مجمع الآداب ج ١ / ص ٢٨ - ٢٩ ، البغدادي : هدية العارفين ج ٢ / ص ٨٥ .

(٥) ابن القوطي : مجمع الآداب ج ١ / ص ٢٨ - ٢٩ ، البغدادي : هدية العارفين ج ٢ / ص ٨٥ .

(٦) منشور . القاهرة ١٩٥٢ م .

وقد ذيل عليه زين الدين عبد الرحمن بن أحمد المعروف بابن رجب (المتوفي عام ٧٩٥ هـ / ١٣٩٣ م) حيث غطي تراجم الفترة بين سنتي ٥١٢ هـ / ١١١٨ م وسنة ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م .

ثم ذيل عليه يوسف بن حسن بن أحمد المقدسي (المتوفي عام ٩٠٩ هـ / ١٥٠٣ م) بكتاب سماه الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد ^(٢) مرتباً على الحروف الأبجدية .

وفي طبقات الشافعية صنف الامام أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردي المحدث الفقيه (المتوفي عام ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م) كتاباً في طبقات الشافعية ^(٤) .

أما كتب تراجم الأدباء والشعراء واللغويين والنحاة ، فمن كتب في هذا الفن في العراق خلال هذه الفترة عبد الرحمن بن محمد الانباري النحوي (المتوفي عام ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م) الذي ألف كتابه الموسوم بـ " نزهة الألباء في طبقات الأدباء " ^(٥) ،

(١) عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب ، ولد ببغداد ، ومن العلماء الحفاظ ، من كتبه : شرح جامع الترمذي ، جامع العلوم والحكم ، الاستخراج في أحكام الخراج وغيرها العماد الحنبلي : الشذرات ج ٦ / ص ٣٣٩ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٢ / ص ٣٢١ وكتابه الذيل . مطبوع . القاهرة ١٩٥٢ م .

(٢) يوسف بن حسن المقدسي ، من كبار فقهاء الحنابلة ، مصنفاته تزيد على الخمسين العماد الحنبلي : الشذرات ج ٨ / ص ٤٣ ، السخاوي : الضوء اللامع ج ١٠ / ص ٣٠٨ .

(٣) ابن العماد : الشذرات ج ٨ / ص ٤٣ ، البغدادى : هدية العارفين ج ٦ / ص ٥٦٠ .

(٤) عبد القاهر السهروردي سكن بغداد ، وتولي المدرسة النظامية ، وتوفي ببغداد صنف آداب المريدين وغيره من الكتب . ياقوت : معجم البلدان ج ٣ / ص ٢٨٩ . السبكي : طبقات الشافعية ج ٤ / ص ٢٥٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٢٠٤ .

(٥) سبقت ترجمته .

(٦) نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري مطبوع بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .

هذا بالإضافة الى تلك الموسوعة العظيمة عن أدباء وشعراء العصر التي وصفها
 العماد الكاتب الأصفهاني (المتوفى عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) ، أعني بهـ
خريدة القصر . أما الكتب التي تبحث في التراجم العامة فأهمها كتاب أعيان
الأعيان ^(١) لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (المتوفى عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) ،
 وكتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة ^(٢) للمؤرخ عز الدين علي بن محمد بن الأثير
 الجزري (المتوفى عام ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) الذي أورد فيه ما يربو على سبعة آلاف
 وخمسمائة ترجمة ، واستدرك على ما فات من تقدمه من مؤلفي التراجم وبين أوهامهم .
 أما الحسين بن نصر بن أحمد المعروف بابن خميس الموصلي الفقيه (المتوفى عام
 ٥٥٢ هـ / ١١٥٢ م) فقد كتب في المناقب ، حيث ألف كتاب مناقب الأئمة ^(٣)
ومحاسن الأخيار . وفي هذا الفن لابد أن نشير أيضا لأبي الفرج عبد الرحمن بن
 الجوزي وكتابه مناقب عربين الخطاب ^(٤) الذي رتبته على ثمانين بابا ، وكذلك السي

(١) سبقت ترجمته .

(٢) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ١ / ص ٤١٩ ، وللكاتب نسخة خطية بمكتبة
 الغازي خسرو بك بسراييفو في يوغسلافيا ضمن مجموع رقم ٣٠٠ ، أنظر : دوابراجا :
فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٣) طبع بالقاهرة في خمسة أجزاء سنة ١٢٨٥ هـ ومخطوطاته في برلين ٩٩٥١ ، ليدن
 ١٠٩١ ، آبا صوفيا ٣٣٧٩ ، القاهرة ثان ٦٨ / ١ . بروكلمان : تاريخ الأدب

العربي ج ٦ / ص ١٣٨ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ٣٤٨ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ / ص

١٢٢٧ . الحسين بن نصر بن أحمد من فقهاء الشافعية ، سكن بغداد ، له مصنفات
 عديدة منها الموضح ، أخبار النمامات ، طبقات الأولياء . ابن خلكان : وفيات
الأعيان ج ٢ / ص ١٣٩ .

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ١٣٩ ، وللكاتب نسخة مخطوطة بخزانة
 الرباط (١٠٢٧) .

(٧) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٣١١ ، الذهبي : تاريخ الاسلام
 مصور ج ١٤ وفيات سنة ٥٩٧ هـ ، والكتاب مطبوع ، دمشق ، دار احياء علوم
 الدين ١٣٩٤ هـ .

كتاب المختار في مناقب الأبرار للمبارك بن محمد الشيباني ابن الأثير الجوزي
(المتوفي عام ٦٠٦ هـ / ١٠٢٩ م) .

وفي التاريخ المحلي ظهر عدد من المؤلفات المهمة ، منها كتاب تاريخ الموصل^(٢)
وهو خاص باستعراض تاريخ الموصل السياسي لعز الدين ابن الأثير الجوزي
(المتوفي عام ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) ، وكتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي^(٣)
الذي مر ذكره ، والذي أتى فيه مؤلفه بأخبار طبوغرافية وحضارية وتاريخية عن
بغداد ، وكذلك كتاب تاريخ واسط^(٤) الذي وضعه محمد بن سعيد الديهشي
(المتوفي عام ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) . وهناك من مؤرخي هذا العصر من كتب في
مواضيع إدارية وسياسية عامة ، مثل تواريخ الدول والطق والوزراء والولاة ، منهم محمد
بن محمد العماد الأصفهاني (المتوفي عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) الذي ألف كتاب
نصرة الفترة وعصرة الفطرة^(٥) في أخبار الدولة السلجوقية ووزرائها ، وابن الجوزي
(المتوفي عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) الذي ألف مناقب عمر بن الخطاب - وقد سبق
الإشارة إليه آنفا - وكتاب مناقب عمر بن عبد العزيز^(٦) ، وكتاب أخبار البرامكة ،
وكتاب سيرة المستضي ، ومنهم حميد الله بن علي البغدادي المعروف بابن

-
- (١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ١٤١ ، والكتاب تراجم لشاهير المسلمين ،
نسخ مخطوطة في ليدن (١٠٩٠) . بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج ٦ / ص ١٩٣ .
- (٢) وهو كتابه الموسوم بـ " التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية " مطبوع بتحقيق
عبد القادر طليبات ، دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، ومكتبة المثنى ببغداد .
- (٣) سبق ذكره .
- (٤) ذكره السخاوي : الاعلان بالتصحيح ص ١٣٤ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ /
ص ٣٩٤ .
- (٥) سبق ذكره ترجمته .
- (٦) طبع بالقاهرة سنة ١٣١٨ هـ ، ومنه نسخة بالمكتبة الوطنية بباريس برقم ٢١٤٦ .
- (٧) مطبوع . القاهرة ، مطبعة المؤيد ، مكتبة المنار سنة ١٣٣١ هـ .

المارستانية (المتوفي عام ٩٩ هـ / ١٢٠٢ م) الذي ألف كتابا في سيرة الوزير
ابن هبيرة .^(٢)

أما التاريخ العام فلقد وجد من مؤرخي هذا العصر كل عناية واهتمام ، وظهرت كتب مهمة في هذا الاطار ، اعتمد عليها المؤرخون اللاحقون كثيرا ، لعل أهمها كتاب الكامل في التاريخ^(٣) لعز الدين علي بن محمد الجزري (المتوفي عام ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) . فلقد نال ابن الأثير شهرته كمؤرخ من بين مؤرخي القرن السادس الهجري بسبب تأليفه لهذا الكتاب ، فلقد تحرى الدقة وبحث عن الحقيقة فيما كتب ، وحاول الابتعاد عن الاسباب والروايات المكررة . ثم انه راعي التوازن فسي كتابته لتاريخه بين أقاليم العالم الاسلامي ، فلم تصرفه الحوادث التي ألت بالشرق عما كان يجري بالمغرب من تطورات ، ولهذا فهو يعيب هذا النقص على المؤرخين ، ويقول : ان " الشرقي منهم قد أخل بذكر أخبار الغرب ، والغربي قد أهمل أحوال الشرق ، فكان الطالب اذا أراد ان يطالع تاريخا احتاج السي مجلدات كثيرة ، وكتب متعددة ، مع ما فيها من الاخلال والاملال ، فلما رأيت الأمر كذلك شرعت في تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما وآتي فيه بالحوادث والكائنات من أول الزمان " .^(٤) ولقد انتقي ابن الأثير

(١) أبو بكر محمد الدين عبيد الله بن علي البغدادي التميمي ، كان بارعا في الطب ، وتولي المارستان العضدي ، صنف : ديوان الاسلام في تاريخ مدينة السلام . ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٩٨ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٤٠٧ ، العماد الحنبلي : الشدرات ج ٤ / ص ٣٣٩ . الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ٢ / ص ١٨٨ .

(٢) كحالة : التاريخ والجغرافية في العصور الاسلامية / ص ١٤٠ .

(٣) وهو تاريخ للعالم الى سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م ، طبع عدة طبعات ونسخة المخطوطة بالمتحف البريطاني ثان ٦٤٢ - ٦٤٤ ، بني جامع ٢ / ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، باريس أول ٥٩١٠ . وأول طبعة سنة ١٨٥١ م في لايدن . كما نشرته دار الكتاب العربي ببيروت وعنى بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م وكذلك دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج ١ / ص ٥٥ .

من كتابات السابقين ، فلم يكن مجرد جماع للروايات ، أولما يصادفه من أخبار ، بل انه كان ينتقي المادة التي يمتدجد وادها ، ويختار منها ما يوافق العقل والمنطق ، فيقول في ذلك عن نفسه : " ولم أكن كالحابط في ظلماء الليالي ، ولا كمن يجمع الحصباء واللاكي " (١) . ولقد اعتمد ابن الأثير في جمع مادته على أدق المصادر وأوثق الكتب ، وفي ذلك يقول عن نفسه : " على أنني لم أنقل الا من التواريخ المذكورة ، والكتب المشهورة ممن يعلم بمدقهم فيها نقلوه ، وصحة ما دونوه " (٢) . والحقيقة أن ابن الأثير قد تابع في كتابه المعلومات التاريخية التي أوردها الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري متابعة دقيقة الى حد بعيد فلهذا شام اضاف اليها الكثير من المعلومات ، وخاصة تلك التي تتعلق بالفترة التالية لتوقف الطبري عن الكتابة . وذلك احتل ابن الأثير بكتابه هذا مكانة مرموقة بين فطاحل المؤرخين المسلمين ، فكتابه هذا يعد دائرة معارف ضخمة عن التاريخ الاسلامي حتى سنة (٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م) (٣) .

ومن مؤرخي التاريخ العام في هذا العصر أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (المتوفى عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) الذي وضع كتابه المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٤) الذي قال عنه مؤلفه : " لما جمعت كتابي المسمى بالمنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، اطلعت على سير الخلق من الملوك والوزراء ، والعلماء والأدباء ، والفقهــــــــــــــــاء

(١) ابن الأثير : الكامل ج ١ / ص ٥٠ .

(٢) ن . م . م . ج ١ / ص ٥٥ .

(٣) سعيد عاشور : بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى / ص ٤١٤ .

(٤) طبع من الكتاب الأجزاء من السادس حتى العاشر ، طبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد الدكن ١٣٥٨ هـ على اعتبار ان الأجزاء الخمسة الأولى مفقودة ، وقد عثر عليها مؤخرا وهي قيد النشر .

والمحدثين ، والزهاد وغيرهم^(١) ويتضح من كلامه هذا ما يشتمل عليه الكتاب من أخبار أصناف متعددة من الناس ، من ملوك ووزراء وفقهاء وعلماء وزهاد ، وقد وضع ابن الجوزي كتابه هذا على أساس السنين أو الحوليات ، ذلك أنه يذكر أخبار السنين وما كان بها من أحداث ، ثم يعقب ذلك بأسماء المشهورين من توفوا في كل سنة مرتبة أسماؤهم على حروف المعجم^(٢) .

يقول حاجي خليفة عن المنتظم : انه " تاريخ كبير فيه نهد من الفوائد الحديثة وتراجم الملوك والأعيان ، قال المولى على بن الحناني : وفيه أوهام كثيرة وأغسلات صريحة"^(٣) على أن ابن الأثير الجزري قد اعتمد معلومات ابن الجوزي في المنتظم ، ولخصها في كتابه الكامل ، حيث وثق أخباره ونقل عنه أخبار عصره . وللكتاب أهمية أخرى تظهر من خلال ما يقدمه من معلومات قيمة عن خطط بغداد وأسواقها وأزقتها ، وساجدها وقصورها ومدارسها في عصر المؤلف^(٤) ، بالإضافة الى المعلومات الاجتماعية المهمة التي يذكرها ابن الجوزي عن أحوال المجتمع في عصره ، والتي ترد مختلطة بغيرها من المعلومات ، موزعة على مختلف أجزاء هذا الكتاب^(٥) .

ولابن الجوزي كتب أخرى في التاريخ العام منها كتاب الذهب السبوك فسي سیر الملوك^(٦) ، وشذور العقود في تاريخ المهود^(٧) .

(١) ابن الجوزي : صيد الخاطر / ص ٣٧٩ .

(٢) أنظر كتابه : المنتظم .

(٣) حاجي خليفة : كشف الظنون ج ٢ / ص ١٨٥١ .

(٤) ، (٥) نجد أن ابن الجوزي في كتابه هذا أورد فيه في أغلب صفحاته صورا طبوغرافية لمدينة بغداد . بالإضافة الى المعلومات الاجتماعية لبغداد والتي يذكرها بين العيين والآخر .

(٦) الزركلي : الأعلام ج ٣ / ص ٣١٦ .

(٧) ن ٢٠٠ ص ج ٣ / ص ٣١٦ .

ومن مؤرخي التاريخ العام في هذا العصر هلال بن الحسن الصابي الكاتب
(المتوفي عام ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) حيث كتب تاريخاً عاماً ذيل به على تاريخ ثابت
بن سنان الطبيب المؤرخ (المتوفي عام ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م) وانتهى فيه إلى سنة
٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م^(١) وقد ذيل ابنه غرس النعمة محمد بن هلال (المتوفي عام
٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م) ولم يتمه^(٢) ثم ذيل المؤرخ محمد بن عبد الملك الهذلي
(المتوفي عام ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م) فأتم المعلومات التالية له حتى سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م^(٣)
وقد ذيل عليه صدقة بن الحسين بن الحسن بن حداد (المتوفي عام ٥٧٣ هـ /
١١٧٧ م) فواصل تأريخ هذا الكتاب إلى سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م^(٤)

(١) هلال بن الحسن بن هلال الصابي الحوراني ، مؤرخ كاتب من أهل بغداد ، ولي
ديوان الانشاء ببغداد زماناً ، له من الكتب تحفة الأمراء ، غرر البلاغة ، رسوم
دار الخلافة ، أخبار بغداد ، السياسة . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص
١٠١ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ١٧٦ ، الخطيب : تاريخ بغداد ج ١٤ /
ص ٧٦ .

(٢) سبق ترجمته .

(٣) الخطيب : تاريخ بغداد ج ١٤ / ص ٧٦ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ١٧٦ ،
ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ١٠١ .

(٤) محمد بن هلال بن الحسن بن ابراهيم الصابي ، الملقب بغرس النعمة ، له من
الكتب الهفوات النادرة ، وكتاب الربيع . ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٤٢ ،
سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ٢٤٧ ، المنذري : التكملة لوفيات النقلة
ج ٣ / ص ٨٢ .

(٥) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٥ / ص ١٢٦ ، حاجي خليفة : كشف الظنون
ج ٢ / ص ٢٠٤٥ .

(٦) سبق ترجمته .

(٧) البغدادي : هدية العارفين ج ٢ / ص ٨٥ .

(٨) صدقة بن الحسين بن حداد البغدادي ، مؤرخ أدبي فيلسوف ، كان يعيش من
نسخ الكتب ببغداد . ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٢٧٦ ، ابن الأثير : الكامل
ج ٩ / ص ١٤٣ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٢٤٥ .

(٩) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ / ص ٢٧٦ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ٢٤٥ .

ومن كتب في التاريخ العام في هذا العصر أبو شجاع محمد بن الحسين
(المتوفي عام ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م) ^(١) وزير الخليفة المستظهر ، فقد كتب ذيلًا على
كتاب ابن مسكويه (المتوفي عام ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م) الموسوم بـ "تجارب الأسماء
وتعاقب الهمم" ^(٢).

ولعل من المفيد أن يتعرض البحث لذكر مشاهير المؤرخين في هذا العصر ،
وما خلفوه من تراث تاريخي ضخم ، فقد برز عدد منهم كان لآثارهم مكانة مرموقة
بين كتب التاريخ الاسلامي .

ويأتي في مقدمة هؤلاء جميعا المؤرخ المشهور عزالدین أبو الحسن علي بن محمد
بن عبد الكريم الشيباني ، الذي عاش بين سنتي (٥٥٥ هـ / ٦٣٠ هـ : ١١٦٠ م / ١٢٣٢ م) ^(٤)
وأحد الأخوة الثلاثة من أسرة آل الأثير ، التي اشتهرت بالعلم والفضل ، مما خلّد
أسماءهم بين أعلام العرب ، وأعظم مؤلفيهم وعلمائهم .

ولقد شب عزالدین ابن الأثير في بيئة علمية عريقة فقد جلس الى العلماء
والشيوخ يتلقى عليهم العلم ، فدرس الحساب واللغة والفقه والحديث ، وغيرهما
من العلوم ، ولم يلبث أن عرف بالعلم والفضل ، فأصبح له خطوة تامة لدى صاحب

(١) محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله أبو شجاع ، الملقب بظهير الدين ،
وزير من العلماء ، كان وافر العقل عالما بالأدب . ابن خلکان : وفيات الأعيان
ج ٥ / ص ١٣٤ . ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٩٠ ، السبكي : طبقات
الشافعية ج ٣ / ص ٥٦ ، وكتابه ذيل تاريخ مسكويه مطبوع نشره أمدرود ، مطبعة
التمدن ١٣٣٤ هـ / ١٩١٦ م .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٩٠ ، ابن خلکان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ١٣٤ ،
السبكي : طبقات الشافعية ج ٣ / ص ٥٦ . والكتاب مطبوع نشره أمدرود سنة
١٩١٤ م .

(٤) ابن خلکان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٣٤٨ ، أبو شامة : ذيل الروضتين / ص ١٦٢
السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ / ص ١٢٧ ، العماد الحنبلي : شذرات الذهب =

الموصل^(١). وجد ابن الأثير لديه في الموصل مجالا واسعا لنشاطه ، والتزود من العلم والمعرفة . كما أتاحت له الفرصة لمباشرة رحلته في طلب العلم فرحل إلى بغداد وبلاد الشام ، حيث تردد على دمشق وحلب والقدس^(٢) يسمع ويجتمع بالعلماء^(٣). وهكذا عاش حياته منقطعا إلى العلم والاستزادة ، فسمع العالي والنازل^(٤) ، قال عنه ابن خلكان الذي اجتمع به كثيرا : " ان بيته كان مجمع الفضل لأهل الموصل والواردين عليها ، وكان اماما في حفظ الحديث ومعرفة ، وما يتعلق به ، وحافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة ، وخبيرا بأنساب العرب ووقائعهم وأخبارهم^(٥) .

وابن الأثير هذا كانت وجهته تاريخية ، كما ينعكس من حياته العلمية ومن مؤلفاته ، ولا شك في أنه قد شغف بالتاريخ فقد غلب عليه واستهواه ، فأكب على قراءة كتب التاريخ ، ولذلك فهو يقول عن نفسه في مقدمة كتابه الكامل : " أما بعد فاني لم أزل محبا لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها ، مؤثرا على الاطلاع على الجلي من حوادثها وخافيتها " ^(٦) ولهذا فقد كان ابن الأثير مؤلفا نشيطا بارعا ، استطاع أن يخلد اسمه بين كبار فطاحل المؤرخين ، من طريق مصنفاته التي من أشهرها كتابه : الكامل في التاريخ^(٧) ، واللباب^(٨) ، وهو مختصر لكتاب الأنساب للسمعاني ، الذي استدرك عليه فيه في مواضع ونبه إلى أغلاط وأخطاء فيه . كما ألف ابن الأثير تاريخا للموصل في عهد أسرة عماد الدين زنكي ، وقد

== ج ٥ / ص ١٣٧ ، المنذرى : التكملة لوفيات النقلة ج ٣ / ص ٣٤٧ ، حاجي خليفة :

كشف الظنون ج ١ / ص ٨٢ ، ج ٢ / ص ١٣٨٠ ، الزركلي : الأعلام ج ٤ / ص ٣٣١ .

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٣٤٨ ، اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج ١ / ص

^{٦٤} (٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٣٤٨ .

(٣) ن ٣٠٠ ص ٣ / ص ٣٤٨ .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ / ص ١٢٧ .

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ٣٤٨ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ج ١ / ص ٤ .

(٧) سبق الحديث عنه في هذا البحث .

(٨) اللباب في تهذيب الأنساب ، نشر دار صادر بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

سمي هذا الكتاب التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ، حيث بدأ فيه بسرد أخبارهم وعالج فيه تاريخ الزنكيين وامتداد نفوذهم الى الشام في عصر الحروب الصليبية .

ومن مشاهير مؤرخي العصر أيضا أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (المتوفي عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) وتصانيفه كثيرة ، ويتمتع بعقلية جيدة أهله لاخراج ثبت طويل من التأليف التي سئل عنها فقال : " زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفا منها ما هو مشهور مجلدا ، ومنها ما هو كرامس^(١) " وقال الذهبي : " ما علمت أحدا من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل " .^(٢)

وكان الخطيب البغدادي (المتوفي عام ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) من برز من مؤرخي التراجم في هذا العصر ، وهو ، وإن غلب عليه الحديث ، إلا أن كتابه تاريخ بغداد يعد من أفضل الكتب التاريخية التي ظهرت في جميع العصور في فنه .^(٣)

ومن مشاهير المؤرخين المتأخرين في هذا العصر جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن العجاج الواسطي المعروف بابن الديلمي ، ولد بواسط سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م) وتوفي سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م ، درس الفقه والأدب ، وكان في الحديث وأسماء رجاله والتاريخ من الحفاظ المشهورين ، ولي أوقاف النظامية سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م ، وقضى ردا طويلا من حياته في التأليف والتدريس والتحديث والتصنيف ، ولم يسل

(١) ابن رجب : الذيل ج ١ / ص ٤١٣ .

(٢) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ١٣٤٤ ، وسبق أن تحدثنا عن مصنفاتـــــه التاريخية في هذا البحث ، على أن أهمها المنتظم ، أما مصنفاتـــــه بوجه عام فقد ذكرها سبطه في كتابه مرآة الزمان ج ٨ / ص ٣١١ ، والذهبي : تاريخ الاسلام ج ١٤ وفيما سنة ٥٩٧ هـ وأنظر أيضا عنها ناجية عبد الله ابراهيم : ابن الجوزي فهرست كتبه (مقالة مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ٣١ / ص ١٩٣) .

(٣) سبق الحديث من كتاب تاريخ بغداد في هذا البحث مادة حديث .

(٤) سبق ترجمته .

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٣٩٤ .

(٦) ن ٤٠٠ م ج ٤ / ص ٣٩٤ .

أشهر كتبه تاريخ بغداد^(١) الذي سار فيه على طريقة الخطيب البغدادي ومن بعده السمعاني وذيّل به على تاريخهما^(٢) ، واحتوى تاريخه على عدد ضخم من تراجم الرجال الذين نسبوا إلى بغداد ، من خلفاء وملوك ، ووزراء وقضاة ، وفقهاء ومدرسين ، ومحدثين وشعراء وأطباء ، ممن عاش في بغداد ، أو قدم إليها وتعلم في مدارسها ، ودرس على شيوخها ، في الفترة ما بين سنتي ٥٦٢هـ / ٦٢١هـ هذا بالإضافة إلى أن كتابه هذا يتعرض إلى ذكر أهم المراكز العلمية في ذلك العصر ، من ربط ومساجد ومدارس وجوامع ، فضلا عن ذكره جملة كبيرة من الأساتذة والمدرسين ، والمعيدّين والشيخ في مختلف العلوم^(٣) .

والكتاب أيضا يحتوي على مادة غنية مهمة لدراسة النظم الإدارية للدولة العباسية خلال هذه الفترة ، ومعرفة مؤسساتها وتنظيماتها ، وذلك من استقراء النصوص الواردة عن الوزراء والخلفاء ، والكتاب ورواها الدواوين وموظفي الدولة^(٤) . ومن صفاته أيضا تاريخ واسط ، وقد وصفه المؤرخون بأنه كبير جدا^(٥) .

ومن مؤرخي العصر أيضا أبو عبد الله محمد بن أبي نصر عبد الله الحميري الأندلسي الحافظ (المتوفي عام ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م) الذي اشتهر بالحديث رواية

(١) ذيّل تاريخ بغداد ، تنمة لذيّل تاريخ بغداد للسمعاني ، نسخة المخطوطة بالمتحف البريطاني Add ٢٥٢٤ ، واريين أول ٢١٣٣ ، ٥٩٢١ ، ٥٩٢٢ ، القاهرة أول ١٤٥/٥ ، القاهرة ثان ٣٣٥/٥ ، والكتاب مطبوع بتحقيق بشار عواد معروف ، مطبعة دار السلام - بغداد سنة ١٩٧٤ م .

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون ج ٢ / ص ٢٨٨ .

(٣) ابن الديبشي : ذيّل تاريخ بغداد ج ١ / ص ١٦ - ١٧ .

(٤) ن ٢٠٠ م ج ١ / ص ١٦ - ١٧ .

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٣٩٤ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ / ص ٢٦ .

(٦) الشدرات ج ٥ / ص ٥٨١ .

(٦) سبقت ترجمته .

وحفظا ، فروى عن علي بن حزم الظاهري ^(١) ، وأكثر من الأخذ عنه ، وأخذ عن أبيي
عمر يوسف بن عبد البر ^(٢) صاحب الاستيعاب ^(٣) .

ولقد رحل الى المشرق حاجا وسمع في مصر وشمال أفريقيا والشام ومكة ^(٤) ،
واستقر به المقام في العراق ببغداد ^(٥) واشتهر بين أضرابه من العلماء شهرة
واسعة ، ورع في علوم الحديث ^(٦) على أنه كان ضليعا في التاريخ والآداب ^(٧) أشهر
مصنفاته في التاريخ والتراجم والذي نال به الشهرة كتابه جذوة المقتبس وهو
تراجم لأشهر علماء الأندلس ، وقد أحسن فيه غاية الاحسان ، كما صنف بلغية
المستعجل في التاريخ ^(٩) ذكر فيه الوقائع الاسلامية من أول تاريخ ظهور الاسلام حتي
عصر المستظهر بالله سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م ^(١٠) .

(١) علي بن سعيد بن حزم الظاهري توفي بعد سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م بقرطبة ، كان
حافظا عالما بعلوم الحديث وفقهه ، مستتبعا للأحكام من الكتاب والسنة ، متفننا
في علوم جمة ، له من الكتب الايعال الي فهم كتاب الخصال ، والاحكام
لاصول الأحكام ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، وغيرها من الكتب . أنظر :
الحمدي : جذوة المقتبس ص ٣٠٨ .

(٢) يوسف بن عبد الله بن حمد بن عبد البر النري القرطبي ، مؤرخ حافظ (ت ٤٦٣ هـ /
١٠٧٠ م) له مؤلفات عديدة منها الاستيعاب ، جامع بيان العلم وفضله ، المدخل
الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأصار وغيرها . الضبي : بغية الملتبس ص ٤٨٩ ،
ابن بشكوال : الصلة ص ٦٧٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ٦٦ .
(٣) مطبوع . حيدرآباد الدكن ، مطبعة دائرة المعارف النظامية سنة ١٣٣٦ هـ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٣٩٤ .
(٥) ن ٢٠٠ م ج ٤ / ص ٣٩٤ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٩٦ .
(٦) سبق الحديث عن هذا في مادة الحديث من هذا البحث .
(٧) ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ٩٦ ، ابن بشكوال : الصلة ج ٢ / ص ٦٠ ، العماد
الحنبلي : الشدرات ج ٣ / ص ٣٩٢ .
(٨) الضبي : بغية الملتبس ص ١٢٣ ، ابن بشكوال : الصلة ج ٢ / ص ٦٠ ، الذهبي :
تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ١٢١٨ .

(٩) ابن الجوزي : المنتظم ج ٣ / ص ٣٩٢ ، العماد الحنبلي : الشدرات ج ٣ / ص ٣٩٢ .
(١٠) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ١٢١٨ ، العماد الحنبلي : الشدرات ج ٣ /
ص ٣٩٢ .

ولا ننسى عماد الدين محمد بن محمد الأصفهاني الكاتب المنشي* الأديب المؤرخ (المتوفي عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) فقد كان من مشاهير المؤرخين في هذا العصر ، ولعل أشهر كتبه التاريخية كتابه الشهير في تراجم أديباء العصر خريدة القصر وجريدة العصر ، وله في التاريخ البرق الشامي^(١) في سبع مجلدات ، وله أيضا نصرة الفسرة وعصرة القطرة في أخبار الدولة السلجوقية^(٢) وغيرها من المصنفات التاريخية الأخرى .

ومن برز من المؤرخين بالعراق يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد (المتوفي عام ٦٣٢ هـ / ١٢٣٢ م) المؤرخ القاضي الذي درس بالموصل ، واشتغل معيدا بنظامية بغداد ، ثم عاد الى الموصل^(٣) حيث درّس فيها والتحق بخدمة السلطان صلاح الدين الأيوبي^(٤) وأهم مصنفاته التاريخية النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية^(٥) .

(١) كتاب البرق الشامي تاريخ لعصره في سبع مجلدات مخطوطاته في بودليانـــــــــــــــــا ٠٧٦١ / ١ بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج ٦ / ص ٧ الترجمة العربية .
(٢) وهو تاريخ للسلاجقة ووزرائهم ، نسخه في بودليانا ٠٦٦٢ / ١ ، باريس أول ٢١٤٥ ، وطبع بالقاهرة سنة ١٣١٨ هـ . بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج ٦ / ص ٧ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٧ / ص ٨٤ ، أبو شامة : ذيل الروضتين / ص ١٦٣ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٧ / ص ٨٤ .
(٥) أبو شامة : ذيل الروضتين ص ١٦٣ . اليافعي : مرآة الحنان ج ٤ / ص ٨٢ .
(٦) يعتمد أساسا على ترجمة لصلاح الدين ونسخة موزعة في برلين ٩٨١١ ، ليدن ٩٦٧ المتحف البريطاني أول ١٦٣٠ ، باريس أول ٦٧٣١ ومطبوع باسم سيرة صلاح الدين ، نشرته مطبعة المؤيد - بغداد سنة ١٣١٧ هـ .

كتب الإدارة والسياسة التي ظهرت في هذا العصر :

لعل من المفيد ، ونحن نتحدث عن التاريخ في هذا العصر ، أن نتعرض
لدراسة هامة مرتبطة بالتاريخ ارتباطا وثيقا ، حيث يلاحظ اهتمام عدد من
علماء العصر الكبار بدراسة الأوضاع الإدارية والسياسية ، ووضع المؤلفات فيها .

والواقع أن ذلك يعد تطورا طبيعيا لمجريات الأمور والأحداث السياسية
رغم الانهيار الواضح في عدد كبير من مؤسسات الإدارة في الدولة ، وتدهور
مكانة واختصاصات الخلفاء . وقد حدا ذلك بعدد من العلماء الى تأليف عدد
من الكتب التي أرخت للإدارة ، وان كانوا قد وضعوها في قالب الوعظ والنصح ،
وقدموها للخلفاء والسلاطين لتوضيح حكم الله ورسوله في كثير من الأمور المتعلقة
بالسياسة والخلافة والوزارة والعدل بين الرعية .

ولعل من أهم العلماء الذين تعرضوا لمثل هذا الفن في هذه الفترة الامام
أبا الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الفقيه الشافعي (المتوفي عام ٤٥٠ هـ /
(١) ١٠٥٨ م) . فقد صنف هذا الامام الجليل مجموعة من كتب السياسة ، ضمنها
آراءه في أنواع الحكومات ، ونظم الحكم والإدارة ، وغير ذلك من الموضوعات التي
استرعت أنظار الباحثين . ومن هذه الكتب كتاب قوانين الوزارة (٢) الذي تعرض فيه
لتبيان الوزارة ، أسسها ، ومعناها ، وشروطها . والكتاب يتكون من ثمانية
فصول هالج فيها أمور تتعلق بمنصب الوزير وعلاقته بالحاكم ، وسياسة الرعية
وحقوقهم (٣) ، يقول في مقدمته : " وأنت أيها الوزير أمدك الله بتوفيقه ، في منصب
مختلف الأطراف ، تدبر غيرك من الرعايا ، وتدبر بخيرك من الملوك ، فأنت

(١) سبق تـرجـمـته .

(٢) الكتاب مطبوع بتحقيق فؤاد عبد النعم أحمد ، ومحمد سليمان داود . الناشر

مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

(٣) أنظر الكتاب .

سائس مسوس^(١).

وله أيضا كتاب نصيحة الملوك^(٢) الذي قسمه الى عشرة أبواب ، والذي اشتمل على مجموعة من النصائح السياسية المبهمة التي تتضمن العدل بين الرعية ، والخلاص لذمة الحاكم أمام الله^(٣) . وله أيضا كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر^(٤) ، يتحدث فيه عن أخلاق الملك ، وسياسة الملك وقواعده .

أما كتابه الأحكام السلطانية^(٥) فهو من أخطر المصادر التاريخية عن النظام الاسلامي ، فقد قسمه الى عشرين بابا ، ولم يترك جانبا من جوانب الحكم والادارة الا تعرض لبحثه ، وقرر قواعده ، وحدد أصوله ، ووضح شروطه .

وظهر الامام أبو حامد الغزالي (المتوفي عام ٥٠٥هـ / ١١١١م) بكتاب صغير في حجمه ، عظيم في أهميته ، وهو كتابه التبر السبوك^(٦) قال عنه حاجي خليفة : " فارسي معرب فيه نصائح الغزالي لمحمد بن طكشاه " ^(٧) الذي يقدم فيه عشر وصايا للحكام في الدولة الاسلامية ، من التزام العدل ، وتجنب الجور ، واستشارة العلماء الخيرين ، والحذر من علماء السوء ، والتدقيق في النظام ومنع الولاة من اقترافها ، وتجنب التكبر ، وانتهاج سبل العفو والتجاوز عن الأخطاء ،

(١) الماوردى : قوانين الوزارة ص ٤٤ .

(٢) مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس في المجموع ٢٤٤٧ .

(٣) الماوردى : قوانين الوزارة ص ١٤ .

(٤) يتعرض الكتاب للكلام في أصول الأخلاق ، وسياسة الملك وقواعده ، نسخة موجودة

بمكتبة غوطة بألمانيا الشرقية برقم ١٨٧٢ ، كلية الآداب - طهران - برقم ٩٠

د . ش . والكتاب قيد النشر بتحقيق محي هلال السرحان . محمد سليمان :

أبو الحسن الماوردى ص ٢٩

(٥) طبع الكتاب طبعات متعددة .

(٦) مطبوع نشرته شركة الطباعة الغنية المتعددة بالقاهرة .

(٧) حاجي خليفة : كشف الظنون ج ١ / ص ٣٣٧ .

وتجنب الاسراف واعتياد القناعة ، وأولى في ذلك اهتماما بارزا للوزارة ، فقد أفسرد لها بابا في هذا الكتاب . وهو يقول في مقدمة النسخة المربية التي قام بترجمتها : " أما بعد ، فانه سألتني بعض الكبراء أن أنقل هذا الكتاب ، وهو كتاب نصيحة الملوك ، من اللغة الفارسية الى الألفاظ المربية ، فامتثلت ذلك ، ونقلته على ترتيبه وصورته ، ولم أغير شيئا من وضع الكتاب وصيغته " (١)

وفي نهاية القرن السادس الهجري ظهر كتاب أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (المتوفي عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) الموسوم بالشفا في مواظ الملوك والخلفاء (٢) وعلى الرغم من صغر حجم هذا الكتاب ، فانه تضمن ما ينبغي أن يتأدب به الحكام ما عرف بالتجارب والرأى الصائب ، وما ينبغي أن يفعله الحاكم ، وما ينبغي أن يتجنبه . وقد بسط الحديث في فرض الجهاد ، وتعيين الأكفاء في الولايات العامة . وأن يتفقد الحاكم أحوال الرعية . وأن يكون العدل أساس حكمه باعطاء كل ذي حق حقه . وأن يتجنب الظلم ، ولقد دعم ابن الجوزي كتابه بالأدلة من السنة النبوية ، وبين منهج التطبيق الاسلامي للسلف الراشد . (٣)

أما يعقوب بن سليمان أبو يوسف الاسفراييني خازن النظامية (المتوفي عام ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م) فقد ألف في هذا الباب كتابه المستظهر في الامامة (٤) وشرائط الخلافة والسير العادلة . (٥) (٦)

- (١) الفزالي : التجرب السبوك ص ٤ - ٥ .
 (٢) الكتاب مطبوع نشرته مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م . تحقيق فؤاد عبد النعم ، ومحمد السيد الصفطاوى .
 (٣) ابن الجوزي : الشفا في مواظ الملوك والخلفاء من ص ٤٣ الى ص ٦٥ .
 (٤) يعقوب بن سليمان الاسفراييني من العلماء باللغة والأخبار ، له من الكتب : سير الخلافة ، قلاود الحكم وغيرها . حاجي خليفة : كشف الظنون ج ١ / ص ٢٢٩ ، ج ٢ ص ١٠١٣ ، ١٦٠٨ ، ١٦٧٤ ، البغدادى : هدية العارفين ج ٢ / ص ٥٤٥ .
 (٥) حاجي خليفة : كشف الظنون ج ٢ / ص ١٦٧٤ .
 (٦) الكنتي : فوات الوفيات ج ٤ / ص ٣٣٥ .

ولمحمد بن فتوح الحميدى المحدث المؤرخ (المتوفى عام ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م)
كتاب الذهب المسبوك في وعظ الملوك ^(١).

ثانيا : الجغرافيا والرحلات الجغرافية :

تطورت الدراسات الجغرافية الاسلامية بمرور الوقت ، وساعد على تطورها
عدة عوامل ، دفعت بعلماء المسلمين الى تقصي المعلومات عن البلدان ومعرفـة
أحوال الشعوب .

فالتفوحات الاسلامية ، واتساع نطاق تجارة المسلمين ، وانتشارهم في مختلف
أقطار العالم القديم داخل وخارج ديار الاسلام ، أضف الى ذلك اجتماع المسلمين
في الحج من مختلف الأقطار ، وما ينجم عنه من اختلاط واحتكاك وتلاقح في الأفكار،
بجانب ما تقدمه الرحلات العلمية من معلومات جنية على المشاهدة والاطلاع. كل
ذلك كان من العوامل الرئيسية التي أسهمت في تقدم العلوم والمعارف الجغرافية .

وهكذا باشرت طبقة من المختصين وضع كتب في الجغرافية دونوا فيها ما عرفوا
من البلاد ، وما سمعوه من أخبارها ، نقلوا عن الرحالة والتجار والحجاج ، حتي
جاء القرن الرابع الهجري ، الذي يعتبر نقطة انطلاق لمرحلة جديدة . فقد
ازدهرت الدراسات الجغرافية ، وأضاف الرحالة المسلمون الشيء الكثير للسي
المعلومات التي كانت معروفة من خلال جغرافية بطليموس في العالم . كما تناولوا

(١) وهو مجموعة مواعظ ونصائح للملوك والولاة يرويها عن شيوخه . الذهبي : تذكرة
الحفاظ ج ٤ / ص ١٢١٨ ، محسن جمال الدين : الحميدى مقالة مجلة كلية
الآداب بغداد - عدد ١٠ ص ١٢٩ .

مؤلفات الاغريق الجغرافية بالنقد والتحليل ، ووصلت صناعة الخرائط والنماذج الكروية للأرض درجة عظيمة من التقدم .

ولقد تناول علماء الجغرافية جميع فروع الدراسات الجغرافية ، كالجغرافية الإقليمية ، وجغرافية البلدان وسالكها ، والجغرافية الفلكية ، والجغرافية الجيولوجية ، بالدراسة والتأليف ، ففي الفترة ما بين بداية القرن الرابع الهجري حتى نهاية القرن السادس الهجري ^(١) تطورت الدراسات الجغرافية تطورا كبيرا ، وظهر عدد من العلماء كان لمؤلفاتهم الجغرافية فضل كبير على تطور هذا العلم .

ولقد كان لعلماء العراق في فترة العصر السلجوقي فضل كبير في الدراسات الجغرافية ، وخاصة ما له صلة بالرحلات الجغرافية ، بالإضافة الى الدراسات الفلكية ، أما فيما يتصل بالدراسات الوصفية أو ما يعرف بالجغرافية التحليلية ^(٢) فإن من الملفت للانتباه أن تبدأ بواكير المؤلفات في هذا الاختصاص خلال هذه الفترة حين وضع المؤرخ المشهور عز الدين علي بن محمد بن الأثير الجزري (المتوفى عام ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) كتابه القيم الموسوم بـ " كتاب تحفة العجايب وطرقة الخرائب " ^(٣) حيث ذكر في صدر كتابه هذا أن " الذي حوى هذا الكتاب المبارك عجائب الأفلاك ذكر العناصر ، ذكر الأرض ، الدنيا والديار ، عجائب المدن والأقاليم ، عجائب البحار ، عجائب الجزائر ، عجائب الأنهار ، عجائب الجبال ، خواص المعادن ، خواص الأحجار ، خواص النبات ، خواص الحيوان " ^(٤) . ويظهر أن هذا الكتاب

-
- (١) عبد الرحمن حميدة : أعلام الجغرافيين العرب / ص ٦٦ .
(٢) وهو ما يعرف في العصر الحديث بعلم الكوزموغرافيا وهو علم دراسة ووصف الكون كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ج ١ / ص ٣٦١ .
(٣) سبقته دراسته .
(٤) مصور بمركز البحث العلمي وأحياء التراث الاسلامي ، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم " ٨ " جغرافيا .
(٥) ابن الأثير : تحفة العجايب - مصور - الورقة ١ أ .

بالإضافة الى ما يقدمه من معلومات وصفية عن الكون فانه يقدم وصفا للأقاليم والبلدان وطبيعتها من ذكر للجبال والنباتات والمزروعات والأحجار والمعادن . فقد تناول في الفصل الأول الحديث عن المدن الاسلامية المشهورة في بلاد الأندلس ، وشمال افريقيا ، ومصر والشام والعراق وجزيرة العرب وبلاد العجم وخراسان ، فذكر انشائها وتخطيطها وتاريخ البناء ، وأهم المعالم فيها ، ودورها وثمارها .

وفي الفصل الثاني تحدث المؤلف عن عجائب البحار ، أما الفصل الثالث فقد خصه لوصف أنهار الأقاليم المختلفة ، ثم درج على ذكر العيون والآبار فسي الفصل الرابع ، وتحدث عن الجبال في الفصل الخامس . وتعرض في أثناء حديثه الى ذكر النباتات والأشجار الطبيعية ، وأنواع الفواكه والمزروعات ، وأصناف الحيوانات البرية في العالم الاسلامي ، يقول في مقدمة الكتاب : " وعد فهذا كتاب يتصرف فيه الناظر ، وذكرت فيه ما أظهرته الحكمة الالهية ، وأودعت القدرة الربانية ، من عجائب المخلوقات ، وغرائب الموجودات جمعت من كتب عدة " (١) .

ويطالعنا هذا العصر في العراق بعدد من علماء الجغرافية من برزوا في الرحلات الجغرافية ، منهم المختار بن حسن بن عبدون ابن بطلان (المتوفي عام ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م) وهو من أهل بغداد ، سافر في رحلة طويلة ، وصف فيها انطباعاته عن الطريق من العراق الى شمال الشام ، في رسالته الى صديقه المؤرخ

(١) ابن الأثير : تحفة العجايب ورقة ١ أ .

(٢) المختار بن بطلان طبيب باحث من أهل بغداد ، رحالة ، له عدد من المصنفات الطبية . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٣٢٥ ، القفطي : أخبار العلماء ص ١٩٢ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول / ص ٣٣١ ، دائرة المعارف الاسلامية ج ١ / ص ٩٨ .

هلال بن المحسن الصابي* (المتوفي عام ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) ، والرسالة كما يظهر قد وقعت في يد ولده محمد بن هلال الصابي* (المتوفي عام ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م) فضمها الى مصنفه كتاب الربيع .^(١)

ولقد سار ابن بطلان في رحلته من بغداد الى الأنبار أولا ، ثم سار صاعدا بمحاذاة نهر الفرات زائرا المدن الواقعة على ضفافه ، حتى وصل الى مدينة حلب ثم رحل الى القسطنطينية ، ثم عاد بعد ذلك الى أنطاكية .^(٢)

واضافة الى هذه الرحلة ، وما تضمنته من معلومات وصفية مهمة ، فقد صنف ابن بطلان عددا من المصنفات ، جميعها في الطب^(٣) ولعل ما يعزز أهمية هذه الرسالة أن مؤلفها قد أولى الجوانب الاجتماعية والثقافية اهتماما كبيرا ، بجانب أهميتها الوصفية لجغرافية المناطق التي قام بزيارتها .^(٤)

ومن المؤرخين الجغرافيين الذين برزوا في هذا العصر بالعراق أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق الفارقي (المتوفي عام ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م)^(٥) المؤرخ الرحالة ، وهو من أهل ميافارقين . تعلم بها ثم ارتحل الى بغداد ينهل من معاهدها وعلمائها ، وقام بعدد من الرحلات ، وصف فيها مشاهداته الى بلاد فارس والعراق والجزيرة وأرمينية والشام وغيرها^(٦) ، وكانت أهم رحلاته زيارته

(١) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ج ١ / ص ٢٦١ .

(٢) القفطي : أخبار العلماء / ص ١٩٤ .

(٣) سنتعرض لكتبه الطبية في الفصل الرابع من هذا الباب .

(٤) أنظر مقتطفات من رسالته ، القفطي : أخبار العلماء ص ١٩٣ - ٢٠٨ ، ج ١ / ص

١٧٧ ، ج ٢ / ص ٢١٢ ، ج ٣ / ص ١٥٧ ، ج ٤ / ص ١٧٦ .

(٥) أحمد بن يوسف الفارقي مؤرخ رحالة ، تلقى تعليمه ببغداد ، وتولى مناصب عدة

صنف : تاريخ ميافارقين وأمد . ابن خلكان : وفيات الأعيان . ج ١ / ص ١٧٧ ، ج ٢

ص ٢١٢ ، ج ٣ / ص ١٥٧ ، ج ٤ / ص ١٧٦ ، الزركلي : الأعلام ج ١ / ص ٢٧٣ .

(٦) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج ٦ / ص ٧٩ ، الزركلي : الأعلام ج ١ / ص ٢٧٣ .

لمملكة جورجيا^(١) ، وإيراد حوادث جرت بين ملك جورجيا وبعض ملوك المسلمين . وقد حفظ لنا وصفا دقيقا لمشاهداته ، كما تحدث كثيرا عما سمع ورأى في رحلاته^(٢) .

ومن مشاهير الرحالين الجغرافيين بالعراق في هذا العصر أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي الهروي الموصلية (المتوفي عام ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م)^(٣) ، الذي قضى معظم حياته في التجوال والرحلات حتى لقب بالسائح^(٤) . ولم يكن في تجواله مقتصرًا على طلب العلم فقط ، بل إنه وثق علاقاته مع عدد من الجغرافيين المعروفين في عصره^(٥) . وقد طوف بسوريا والعراق واليمن والحجاز ومصر وبلاد الروم ، وبعض جزر البحر المتوسط مثل صقلية . وقد تنقل خلال رحلاته في أرجاء المدن المختلفة وتكلم من مشاهدتها ومساجدها ، وخالط أهلها ، والتقى بالعلماء وأخذ منهم^(٦) . وقد ألف الهروي عن رحلاته هذه كتابه الزيارات^(٧) الذي اعتمد فيه على ذاكرته بعد أن فقد كتاباته الوصفية المباشرة ، ولعل ذلك ما عناه بقوله : " وأكثر كتبني

(١) جمهورية سوفيتية قرب أراضي القوقاز عاصمتها تفليس ، حكمها الساسانيون في القرنين الثالث والرابع الميلاديين ، وحكمها فرع من أسرة الباجريين الأرمنية في القرن السادس ، وفي القرن التاسع عشر الميلادي وخلق آخر ملوكها سنة ١٨٠١ م وأصبحت جمهورية سوفيتية سنة ١٩٢١ م . فتحها المسلمون في عهد عثمان بن عفان . وتناوب حكمها دويلات إسلامية مختلفة . ياقوت : معجم البلدان ج ١ / ص ٣٠٣ ، باب الأبواب ج ٢ / ص ٣٥ ، تفليس ، ج ٤ / ص ٤٤٧ الكرج . السيد غلاب : الموسوعة الثقافية ص ٣٦٨ .

(٢) الزركلي : الأعلام ج ١ / ص ٢٧٣ .

(٣) أنظر عنه : ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٣٤٦ ، المنذرى : التكملة لوفيات النقلة ج ٢ / ص ٣١٥ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ / ص ٣٤٦ .

(٥) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي ج ١ / ص ٣٢٠ .

(٦) الهروي : الزيارات - الورقة ١٢٢ ب .

(٧) من نسخ المخطوطة - بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي برقم ٨ جغرافيا . كما طبع الكتاب بتحقيق جانين سورديثل طومين ، دمشق - المعهد الفرنسي للدراسات العربية ١٩٥٣ م .

أخذتها الفرنج ، وغرقت في البحر ، بل قد عطلت كتابا مفردا لهذا أذكر فيه —
ما أقدر عليه وسميته بكتاب منازل الأرواح ذات الطول والعرض ^(١) .

أما عن دوافع تأليفه لهذا الكتاب فيشير الهروي الى أنه قد صنفه استجابة
لطلب بعض اخوانه فقد بدأ الكتاب بقوله : " أما بعد فانه سألني بعض الاخوان
الصالحين أن أذكر ما زرت من الزيارات ، وما شاهدته من العجائب والأهنية
والعمارات ، وما رأيته من الأصنام والآثار في الربيع المسكون " ^(٢) . أما خططه
في الكتابة فلم يبدأ فيها من العاصمة كما جرت العادة ، واعتذر عن ذلك بقوله :
" فوقع ابتداء ذكر الزيارات من مدينة حلب ، وكان من الواجب ، أن نبتدىء بذكر
مدينة السلام حرسها الله تعالى ، ان بها امام المسلمين وأمير المؤمنين الامام
أبو العباس أحمد الناصر لدين الله ابن المستنصر " ^(٣) .

وقد تعرض في كتابه هذا الى ذكر عدد كبير جدا من المدن والمراكز المختلفة
وهو يذكر في نهاية الكتاب " وقد أتينا على المقصود في كتابنا هذا ، واختصرناه
خوف التطويل واجتمع لدى ما يقارب تسعين حديثا من تسعين شيخا في
تسعين بلدا " ^(٤) .

ومن كان له اسهام كبير في الدراسات الجغرافية في هذا العصر موفق الدين
عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي (المتوفي عام ٦٢٩هـ / ١٢٣١م) ^(٥) الذي

(١) الهروي : الزيارات (الورقة ١٢٢ أ - ب) صور .

(٢) ن ٠م٠ ص (الورقة ١ أ ب) .

(٣) ن ٠م٠ ص (الورقة ٢ أ ب) .

(٤) ن ٠م٠ ص (الورقة ١٢٢ ب) .

(٥) أنظر عنه الكتبي : فوات الوفيات ج ٢ / ص ٣٨٥ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء

ص ٦٨٣ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ / ص ١٢٢ ، القفطي : أنباء السراة

ج ٢ / ص ١٩٣ . كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي ج ١ / ص ٣٤٤ .

نشأ في جو من العلم والتقوى ، وترعرع في بغداد حيث درس بها الحديث ، وحفظ الشعر والمقامات ، كما درس الكيمياء^(١) . وفي سنة ٥٨٥ هـ / ١١٩٠ م بدأ رحلته العلمية حين ارتحل الى الموصل ، التي لم يجد بها من يعتد بعلمه بين علمائها ، سوى الكمال بن يونس^(٢) الذي كان " أحد العلماء الذين تمكنوا من حل المسألة الهندسية التي طرحها مع مسائل أخرى على العلماء العرب الامبراطور فريدريك الهوهنشتاوفن^(٣) " .^(٤) ^(٥)

ورحل موفق الدين بعد ذلك من الموصل الى دمشق حيث التقى بعلمائها^(٦) . ثم رحل الى مصر غير أنه لم يستقر بها ، فقد ظل متنقلا بين الشام ومصر . وقد نوى تأدية فريضة الحج وهو في الشام ، غير أنه رغب في أن يجعل طريقه الى الحجاز يمر ببغداد . وكان يأمل ، على ما يظهر ، أن يقابل الخليفة المستنصر بالله .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٦٨٣ .

(٢) ن ٥٠٠ م / ص ٦٨٦ .

(٣) أبو الفتح موسى بن يونس بن منعة المطبق بكال الدين (ت ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م) من أعلم علماء زمانه في الرياضيات والعلوم العقلية . ابن خلدان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ٣١١ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٥ / ص ١٥٨ . ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ص ١٤٩ ، ابن العماد : الشدراة ج ٥ / ص ٢٠٦ .

(٤) فريدريك الثاني (ت ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م) توج امبراطورا (سنة ٦١٧ هـ / ٢٢٠ م) قاد حملته الصليبية سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م وتوج ملكا على بيت المقدس سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م ، كان متقدما على عصره وأتقن عدة لغات منها العربية ودرس الطب والرياضيات والفلك . الموسوعة الثقافية / ص ٧١٧ .

(٥) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ج ١ / ص ٣٤٤ .

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٦٨٦ .

غير أن القدر لم يمهل ، فقد حان أجله وتوفي ببغداد جزاء الله تعالى بما نسى عليه .^(١)

وكان عبد اللطيف البغدادي غزير العلم ، واسع المعرفة ، ضاريا في عدد من العلوم يسهم ، فقد شملت معرفته الطب والنحو واللغة والفلسفة .^(٢) وكان دقيق الملاحظة ، فهو مثال للعالم المحقق الذي يتوق الى المعرفة الايجابية مع ميل واضح الى التجربة العقلية .^(٣) وكان مع شهرته في الطب بحاثة في العلوم الطبيعية .^(٤) وما يدل على سعة علم هذا الشيخ الجليل مصنفاته التي تناولت العديد من فروع العلم ، فهي كثيرة ذكر منها ابن أبي أصيبعة مائة وثلاثة وسبعين عملا ما بين كتاب ومقالة ورسالة^(٥) على أنه لم يصلنا من هذا التراث الضخم سوى النزر اليسير . والذي يعنينا في هذا المجال كتابه المشهور كتاب الافادة والاعتبار في الأمور الشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر ،^(٦) الذي يعد من أهم المصنفات

(١) الكتيبي : فوات الوفيات ج ٢ / ص ٣٨٥ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٦٨٣ .

(٣) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ج ١ / ص ٣٤٥ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٦٨٣ .

(٥) وزعها الدكتور عبد الرحمن بدوي على النحو التالي ١٣ في اللغة وعلومها ، وكتابين في الفقه ، ٩ في النقد الأدبي ، ٥٣ مصنفا في الطب ، ١٠ في الحيوان ، ٣ في علم التوحيد ، ٣ في التاريخ ، ٣ في الحساب والعلوم ، ٤ في التعليم ، واثنان في السحر والمعادن ، و٢٣ مصنفا متوعا ، و ٤٨ في الفلسفة ، من منطسق وطبيعيات ، والبهات ، وسياسية . عبد الرحمن بدوي : الأفلاطونية المحدثة عند العرب / ص ٢٤٨ .

(٦) ان المخطوط الأصلي لهذا المؤلف المختصر موجود بالمكتبة البودلية بأكسفورد ، وقد استنسخه جوزيف وايت سنة ١٧٨٢ م ، ونشره بألمانيا سنة ١٧٨٩ م ، ثم ترجمه الى اللاتينية ، ونشره باللغتين اللاتينية والعربية سنة ١٨٠٠ م ، ولسم يترجم الكتاب الى الانجليزية الا سنة ١٩٦٤ م . أنظر : عبد اللطيف البغدادي : مقالتان في الحواس تحقيق بول غليونجي / ص ٤٣ . كما نشره سلامة موسسي ، المحلة الجديدة سنة ١٩٣٤ م .

الطوبوغرافية عن مصر. والراجح أن هذا الكتاب هو عبارة عن موجز مختصر لكتاب كبير في نفس الموضوع سبق أن صنّفه المؤلف^(١) وهذا ما يدل عليه قوله في مقدمته لكتاب الافادة : " فاني لما أنهيت كتابي في أخبار مصر المشتل على ثلاثة عشر فصلا ، رأيت أن أفرد معه الحوادث الحاضرة والآثار البادية المشاهدة ، إذ كانت أصدق خبرا ، وأعجب أثرا ، وأن ماعداها قد يوجد بعضه أو كله في كتب من سلف مجتمعا أو مفترقا ، فألفت ذلك في فصلين جددتهما وجعلتهما مقالتين في هذا الكتاب ، وهذا حتى يخف انتهاؤه ، ويلطف موقعه عند عرضه على صاحب الأمر وإمام العصر سيدنا ومولانا الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين^(٢) .

ويقع المصنف في مقالتين ، الأولى مقسمة الى ستة فصول ، في خواص مصر المهمة ، حيث وصف سطح مصر ، نيلها وواديها ومجاريها وجبالها وسواحلها ، ووصف فيضان النيل . وخصص الفصل الثاني لنباتات مصر المختلفة . أما الفصل الثالث فقد أفرده للحديث عما تختص به من الحيوانات . أما آثار مصر القديمة فقد تعرض لها في الفصل الرابع . ووصف في الفصل الخامس ما شاهده بمصر من غرائب الأبنية والسفن . وخصص الفصل السادس عن غرائب أطعمتها .

أما المقالة الثانية فهي مؤلفة من ثلاثة فصول ، أولها في النيل وكيفيته زيادته ، واعطاءه ظل ذلك وقوانينه ، والفصل الثاني يصف فيه المصائب التي أصابت الديار المصرية من سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م نتيجة انخفاض النيل ، وما أصاب الناس من الجوع وأكل الجيف ، والموت ، والقحط . وارتفاع الأسعار ، وروى في ذلك غريب الأخبار . أما الفصل الثالث فيتناول حوادث سنة ٥٩٨ هـ /

(١) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي ج ١ / ص ٣٤٦ .

(٢) عبد اللطيف البغدادي : مقالتان في الحوامس / ص ٤٥ .

١٢٠١م حيث تحسنت الحالة في هذه السنة ليس نتيجة لزوال الأسباب الموجبة اللازمة وانما لانخفاض الحاد في عدد السكان^(١).

ثالثا : الدراسات التربوية :

لقد أسهم المسلمون في هذا العصر في الكتابة في هذا الفرع من الدراسات ، وأدلو فيه بآراء هامة ، حتى ان بالامكان القول بأنهم كانوا مبدعين وروادا فيه .

ولعل أبرز من ظهر في هذا العصر من التربويين هو حجة الاسلام الامام أبو حامد الغزالي^(٢) المعلم الناجح ، والعربي القدير ، الذي خلق معلما وعاش معلما ، وهو في معظم كتبه ، معلم يحاول أن يوصل معلوماته الى الناس بأسلوب سهل واضح .

وآراؤه في أصول التربية والتعليم والتهديب بارزة في كتاباته ، وهي غالبا ما تتطابق والنظريات الحديثة في التربية والتعليم .

على أن أهم آرائه في هذا المجال قد تضمنتها مؤلفاته فاتحة العلوم، وأبيها الولد^(٤) ، وميزان العمل^(٥) ، ومداية الهداية^(٦) وكتابه الجامع أحياء علوم الدين ، الذي

(١) لمعلومات أوسع عن هذا الكتاب أنظر : عبد اللطيف البغدادي : مقالتان في

الحوام من هي ٤٣ الي ص ٦٥ .

(٢) سبقت دراسته في مواضع عدة من هذا البحث .

(٣) نشرة محمد النعماني - القاهرة ، ١٣٢٢هـ / ١٣٢٩هـ .

(٤) طبعه لأول مرة محققا الأستاذ فؤاد الدين الكليدار في سنة ١٩٤٨م - مطبعة المعارف ، بغداد . ثم طبع ضمن " القصور العوالي " ، تحقيق محمد مصطفى أبو العلا ، مكتبة الجندي - القاهرة .

(٥) مطبوع ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ١٩٦٤م ، تحقيق سليمان دنيا .

(٦) طبع لأول مرة بتحقيق المحقق الأستاذ فؤاد الدين الكليدار في مطبعة المعارف ببغداد (١٩٥٢م) ، ثم أعاد طبعه ثانية سنة ١٩٥٦م في عين المطبعة مع رسالة " أبيها الولد " .

يعتبر من أبرز مؤلفاته في علم الكلام والفقه والتربية والأخلاق .

والدارس لما كتب الغزالي عن التربية والتعليم في مؤلفاته هذه ، وعلى الأخص كتابه أحياء علوم الدين يجد أنه وضع نظاما تربويا شاملا كاملا محسودا^(١) ، فلقد كان الارشاد الديني والتهديب الخلقي من أهم غاياته ومقاصده ، حيث انه اهتم ببيان الطريقة السليمة للتربية الدينية للنشء وتهديب العقل بالمعرفة ، وتهديب النفس بالعبادة^(٢) .

كما بين الغزالي الطريق في رياضة الصبيان أول نشأتهم فقال : " اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدّها ، والصبي أمانة عند والديه ؛ وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نقش ، فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة ، وان عود الشر وأهمل اهمال البهائم شقي وهلك ، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له . وصيانتها بأن يؤدبه ويهذبه ، ويعلمه محاسن الأخلاق ، ويحفظه من قرناء السوء ، ولا يعود على التعم ، ولا يحيب اليه الزينة وأسباب الرفاهية ، فيضيع عمره في طلبها والصبي المستحي لا ينبغي أن يهمل بـ يستعان على تأديبه بحياته وتسيّره ، وان الصبي اذا أهمل في ابتداء نشوئه خرج في الأغلب رديء الأخلاق كذاها حسودا سرّواقا . وانما أظهر من الصبي خلق جميل ، وفعل محمود ، فينبغي أن يكرم عليه ، ويجازى عليه بما يفرح به ، ويمدح بين أظهر الناس وينبغي أن يمنع من كل ما يفعله في خفية ، فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد أنه قبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يخلب عليه الكسل وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يسترّج اليه من تعب المكتسب

(١) انظر في هذا : الغزالي : أحياء علوم الدين ج ١ ص ١ - ٨٩ . أيها الولد ، الرسالة اللدنية .

(٢) الغزالي : المنقذ من الضلال ص ٢٣ - ٢٥ .

بحيث لا يتعب في اللعب ، فان منع الصبي من اللعب وارهاقه بالتعليم دائماً يبعث قلبه ، ويهبط ذكائه ، وينقص عليه الحيش^(١) .

هذه مجموعة من الوصايا أدلى بها الغزالي لغرض تربية الأولاد ، وهو بذلك يكون قد سبق علماء التربية في القرن العشرين ، فيما يمكن أن تؤديه التربية الحسنة من تعديل للطباع ، وتهذيب للأخلاق فقد بين أن التربية تستهدف تحقيق الانسجام بين الانسان وبيئته . وقد انتقد الغزالي أصحاب الرأي القائل بأن طبيعة الانسان لا يمكن تغييرها ، فيقول في ذلك تعليقا على قوله عليه السلام " حسنوا أخلاقكم "^(٢) . لو لم يكن سكنا لما أمر به ، ولو امتنع ذلك لبطلت الوصايا والمواظ ، والترغيب والترهيب ، فان الأفعال نتائج الأخلاق^(٣) . كما تجسد أن الغزالي يئز إلى تخليص الابن من الخصال القبيحة كالترين والتدليل ، والابتعاد عن قرناء السوء كوسيلة لتهذيبه ، وأن لا يترك الأب ابنه بعد الشباب من المراقبة والنصح .

وقد تكلم الغزالي عن الثواب والعقاب في التربية ، وهو يرى أنه يجب تكريم الصبي ومدحه على ما يأتي به من أفعال حسنة ، وما يتعلل به من خلق جميل ، لكنه اذا ما أتى أمرا مذموما - على خلاف عادته - فيحسن التغافل عنه ، فان مكاشفته بالمذمة قد تزيد عناده ، فيقول في ذلك : " فان خالف ذلك في بعض الأحوال فنبهني أن يتغافل عنه ، ولا يهتك ستره ولا يكشفه . . . فان اظهر ذلك عليه ربما يفيد جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة "^(٤) .

-
- (١) الغزالي : أحيا علوم الدين ج ٣ / ص ٧٢ - ٧٣ .
 (٢) أخرجه أبو بكر ابن لال في مكارم الأخلاق من حديث معاذ " يامعاذ حسن خلقك للناس " الغزالي : أحيا علوم الدين ج ٣ / ص ٥٦ الحاشية .
 (٣) ن ٢٠٠ ص ج ٣ / ص ٦٩ .
 (٤) ن ٢٠٠ ص ج ٣ / ص ٧٣ .

ولقد اهتم الغزالي بالتربية الدينية للأولاد في صغرهم فهو يرى " ان الدين ينبغي أن يقدم الى الصبي في أول نشوئه ليحفظه حفظا ، ثم لا يزال يتكشف له معناه في كبره شيئا فشيئا ، فابتدأه الحفظ ، ثم الفهم ، ثم الاعتقاد وذلك ما يحصل للصبي بغير برهان " (١).

ولقد نهى الغزالي في كتابه احياء علوم الدين الى أهمية التعليم والمتعلمين فتحدث في " كتاب العلم " عن فضل العلم والتعليم والتعلم ، وعن العلوم المحمودة والمذمومة ، وما منها فرص عين وما منها فرص كفاية ، وتحدث عن علم الخلاف ، وآفات المناظرة والجدل وشروطهما ، كما تحدث عن آداب المتعلم والمعلم (٢) وقد قسم حجة الاسلام الغزالي العلوم الى مجاميع جعل لكل مجموعة منها مرتبة في أفضليتها على النحو التالي :

المرتبة الأولى : القرآن الكريم وعلوم الدين كالفقه والسنة والتفسير .

المرتبة الثانية : علوم اللغة العربية ، والنحو ومخارج الحروف .

المرتبة الثالثة : فروع الكفاية ، وهي علوم الطب والحساب والسياسة والصناعات المختلفة .

المرتبة الرابعة : العلوم الثقافية ، كالشعر والأدب والتاريخ ، وبعض فروع الفلسفة والمنطق وبعض العلوم التجريبية (٣) .

ولقد وضع الغزالي مبادئ معينة ، وسلوكا خاصا ينبغي أن يتبعه المعلم أثناء تأديته لوظيفة التدريس ، فوضع في كتاباته عن التربية العلاقات التي يجب أن تربط بين المعلم والمتعلم ، حيث انه جعل شروطا وأوصافا للمعلم والمتعلم

(١) الغزالي : احياء علوم الدين ج ١ / ص ٨٣ .

(٢) ن.م.ص ج ١ / ص ٤ - ٨٢ .

(٣) ن.م.ص ج ١ / ص ٤ - ٨٢ .

كما نبه الفزالي الى أن من واجب المعلم أن يعظم شأن العلوم جميعها ، ولا يقبح بعضها في نظر المتعلم^(١) . كما نبه الى أن على المعلم أن يشجع التلاميذ على التعليم والحصول عليه من يد معلمين آخرين فيقول : " ان المعلم المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعلم عن غيره ، وان كان متكللاً بمعلوم فينبغي أن يراعي التدرج في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة^(٢) .

كما نبه الفزالي الى الفروق الفردية بين التلاميذ بقوله : " واذا غلبت القوة البدنية على النفس يحتاج المتعلم الى زيادة التعلم ، وطول المدة^(٣) . ويقول أيضا : " أن يفتر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله^(٤) . وقد فطن الفزالي الى أهمية دراسة نفسية المتعلم ، لذلك تنبه الى كيفية معاملته ، بحيث يبعد عنه الشك والتحدى والقلق فيقول : " ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقا ، وهو يدخره عنه ، فان ذلك يفتر رغبته في الجلي ، ويشوش عليه قلبه^(٥) .

وقد نصح الفزالي بعد ذلك بعدم ارباك فكر المتعلم بتعليمه النظريات المتعارضة ، وهو يرى أنه " لا ينبغي أن يخاض مع العوام في حقائق العلوم الدقيقة ، بل يقتصر معهم على تعليم العبادات^(٦) ، وقد حرص الفزالي دائما على أن يبين أن التسك بالهادي والعمل على تحقيقها من أهم صفات المعلم ، وهكذا فان على المعلم أن يكون ملتزما ، فلا ينادى بجدأ ، ويأتي بأفكار مناقضة له ، لذلك فهو يرى أن " يكون المعلم عاملا بعلمه ، فلا يكذب قوله فعله ، فاذا خالف العمل العلم منع الرشد^(٧) .

(١) الفزالي : احياء علوم الدين ج ١ / ص ٥٧ .

(٢) ن ٢٠٠ ص ج ١ / ص ٥٧ .

(٣) الفزالي : الرسالة اللدنية / ص ١١٣ .

(٤) الفزالي : احياء علوم الدين ج ١ / ص ٥٧ .

(٥) ن ٢٠٠ ص ج ١ / ص ٥٨ .

(٦) ن ٢٠٠ ص ج ١ / ص ٥٨ .

(٧) ن ٢٠٠ ص ج ١ / ص ٥٨ .

أما رسالته الموسومة أيها الولد فانها تحوى مجموعة من النصائح والارشادات للمتعلم يقول فيها : " أيها الولد ، كم من ليال أحييتها بتكرار العلم ، ومطالعة الكتب ، وحرمت على نفسك النوم ، لا أعلم ما كان الباعث فيه ، أيها الولد : العلم بلا عمل جنون ، والعمل بغير علم لا يكون . أيها الولد ينبغي أن يكون قولك وفعلك موافقا للشرع ، اذا العلم والعمل بلا اقتداء للشرع ضلالة ، أيها الولد ، انسى أنصحك بشمانية أشياء ، اقبلها منى ، لئلا يكون علمك خصا عليك يوم القيامة تعمل منها بأربعة ، وتدع منها أربعة " (١).

هذه نماذج من آراء الامام حجة الاسلام الغزالي في تربية النشء والمعلمين، تشتمل على كثير من الآراء الجادة في التربية والتعليم ، مما ثبت جدواه في العصر الحديث ، وهي تمثل نماذج مبسطة عن آرائه في تربية الأطفال وتعليمهم الآداب العامة كالصدق ، والأمانة ، والتخلق بأخلاق الاسلام ، وعلاقاتهم بوالديهم والتواضع وآداب المجلس .

والى جانب حجة الاسلام الغزالي رائد التربية والتعليم في هذا العصر ، برز الى جانبه عدد آخر من رواد التربية والتعليم ، كان لهم دراسات جادة فسي هذا الميدان ، نخص منهم بالذكر الامام الخطيب البغدادي (المتوفى عام ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) الذى جاء كتابه تاريخ بغداد مثالا لكثير من الآراء التربوية والتعليمية . فلقد أورد تفصيلات عن الكتاب والمؤربين والتلاميذ وابتداء دخولهم المدارس ، وأجور المؤربين والمعلمين (٣) ومواد التعليم (٤) وأماكن التعليم المختلفة من

(١) الغزالي : أيها الولد / ص ١٧٣ الى ص ١٨٠ .

(٢) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ٤ / ص ٤٠٤ ، ج ٩ / ص ٣٠٧ ، ٤٦٥ .

(٣) ن ٢٠٠ ص ٢ / ص ٨١ ، ج ٣ / ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٤٤ ، ٣٤٣ ، ج ٦ /

ص ٢١٩ ، ٢٢١ ، ج ٨ / ص ١٤٨ ، ١٩٨ ، ج ١٠ / ص ٩٨ - ٩٠ ،

١٨٤ ، ج ١١ / ص ٤٠٣ - ٤١٢ ، ج ١٢ / ص ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٣٠ - ٢٣٢

- ٢٣٤ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٥ - ٤١٦ ، ج ١٤ / ص ١٤٧ - ١٥٠ .

(٤) ن ٢٠٠ ص ٩ / ص ٣٨١ ، ج ١٤ / ص ١٥٠ .

حلقات^(١) ومجالس علمية مختلفة كمجالس الحديث^(٢) ومجالس التدريس^(٣) ومجالس المناظرة^(٤). كما تعدت الخطيب عن آداب الدرس^(٥) وأساليب التدريس كالسماع والاملاء والاجازة^(٦).

ولقد برز كذلك الامام أبو الحسن الماوردي (المتوفي عام ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) كواحد من رجال التربية والتعليم في هذا العصر ، ولعل كتابه أدب الدنيا والدين يعد من أهم كتبه التي عالج فيها الكثير من القضايا التربوية المتعلقة بالتعليم ، فلقد خصص الباب الثاني من هذا الكتاب في أدب العلم^(٧) حيث تحدث فيه عن شرف العلم وفضله^(٨) ، والترغيب في العلم واخلاص النية فيه^(٩) ، وحث على العلوم الدينية ، ذاكرًا أنها أفضل أنواع العلوم^(١٠) . كما حث على التدرج في طلب العلوم قائلا : " ولا يطلب الآخر قبل الأول ، ولا الحقيقة قبل المدخل ، فلا يدرك الآخر ، ولا يعرف الحقيقة ، لأن البناء على غير أساس لا يبنى "^(١١) . كما نبه

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١ / ص ٢٧٦ ، ج ٣ / ص ٧ - ٣٢٨ ، ج ١١ / ص ١٤٨ - ١٤٩ ، ج ١٢ / ص ٣٥١ ، ج ١٣ / ص ٣٣٣ .

(٢) ن ٠ م ٠ ص ٢ / ص ٦ - ٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ ، ج ٥ / ص ٦٧ - ٢٣٩ ، ج ١٠ / ص ٣٦٧ ، ج ١٢ / ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٣) ن ٠ م ٠ ص ٤ / ص ٣٦٩ ، كتاب الكفاية ص ٥٤ - ٥٥ .

(٤) الخطيب : تاريخ بغداد ج ٤ / ص ١٥١ - ١٥٢ ، ج ٦ / ص ٢١ ، ج ٧ / ص ٢٢٣ ، ج ٨ / ص ٣٢ ، ج ٩ / ص ٣١٤ - ٣١٥ - ٤٠٩ ، ج ١١ / ص ٤٦٦ - ٤٦٧ ، ج ١٤ / ص ٨٧ - ٩١ - ٢٠٤ .

(٥) ن ٠ م ٠ ص ٢ / ص ١٣ ، ج ٤ / ص ٦٩ - ٧٠ ، ج ٥ / ص ٢٣٠ ، ج ٦ / ص ٧٣ - ١١٠ ، ج ٩ / ص ٤٠٧ - ٤٠٨ ، ج ١٠ / ص ٢١٩ - ٣٧٢ ، ج ١٤ / ص ٢٢ - ٢٧٤ .

(٦) ن ٠ م ٠ ص ١٢ / ص ٢٧٨ ، ج ٤ / ص ٢٠ ، ج ٥ / ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ، ج ٨ / ص ١٠٢ - ١٠٣ - ٢٨٥ ، ج ٩ / ص ٣٣ ، ج ١٢ / ص ٢٤٨ . الكفاية / ص ٣١١ - ٣٢٦ - ٣٢٩ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٤٥ .

(٧) الماوردي : أدب الدنيا والدين من ص ٤١ الى ص ٩٣ .

(٨) ن ٠ م ٠ ص / ص ٤١ .

(٩) ن ٠ م ٠ ص / ص ٥٣ - ٥٤ .

(١٠) ن ٠ م ٠ ص / ص ٤٤ .

(١١) ن ٠ م ٠ ص / ص ٥٥ .

الماوردي الى كشف الأسباب المانعة للفهم قائلا : " فينبغي لطالب العلم أن يكشف عن الأسباب المانعة تعلمه ، فان للنفس غمورا يقضي الى تقصير ، ووفورا يثبول الى سرف ، وقيادها عسر . ولها أحوال ثلاث : فحال عدل وانصاف ، وحال غلو واسراف ، وحال تقصير واحجاف ^(١) .

ونذكر الماوردي الآداب التي يجب أن يتحلى بها المتعلم والعالم قائلا : " وسأذكر طرفا مما يتأدب به المتعلم ، ويكون عليه العالم ^(٢) . وختم هذا الفصل بالحديث عن أجر المعلم ^(٣) وأوجب عليه اسداء النصيحة للمتعلم ^(٤) .

كما حث المعلمين بالرفق بالمتعلمين قائلا : " ومن آدابهم ألا يعنفوا متعلما ، ولا يحقروا ناشئا ، ولا يستصغروا مبتدئا ، فان ذلك أدهى اليهم ، وأعطف عليهم ، وأحث على الرغبة فيما لديهم ومن آدابهم ألا يمنعوا طالبا ، ولا ينفروا راغبا ، ولا يوثسوا متعلما في ذلك من قطع الرغبة فيهم ، والزهد فيما لديهم ، واستمرار ذلك مفض الى انقراض العلم ^(٥) .

وعلى أى حال فكتابه هذا يمد من أهم كتبه التي تبحث في الأخلاق والعقل والعلم والنفس ، جمع فيه بين تحقيق الفقهاء ، وترقيق الأدباء ، مستشهدا بالكتاب والسنة وأمثال الحكماء والأدباء .

ومن علماء العصر البارزين في ميدان التربية والتعليم الامام أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (المتوفى عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) الذي تعرض لتربية الأطفال وتنشئتهم

(١) الماوردي : أدب الدنيا والدين / ص ص ٧٢ - ٧٣ .

(٢) ن ٢٠٠ ص / ص ٧٥ .

(٣) ن ٢٠٠ ص / ص ٩٢ .

(٤) ن ٢٠٠ ص / ص ٩٣ .

(٥) ن ٢٠٠ ص / ص ٩٣ .

النشأة الصالحة وتعليمهم ومراعاتهم في ذلك في الكثير من كتبه^(١) ولعل اهتمام ابن الجوزي المحدث المؤرخ بهذا الجانب جاء نتيجة النشأة الصالحة التي كان عليها منذ نعومة أظفاره حين حمله خاله الى الشيوخ ، وأسمعه الحديث وثبت سماعاته^(٢) ثم يقول عن سيرة طفولته : " فاني اذكر نفسي ولي همة عالية ، وأنا في المكتب ابن ست سنين ، وأنا قرين الصبيان الكبار فما اذكر أنني لعبت في طريق مع الصبيان ولا ضحكت ضحكا خارجا " ^(٣) ولهذا فابن الجوزي يرى أن نشأة الطفل الأولى هي المعيار الأساسي لنجاحه أو فشله في حياته ، وجعل للأب دورا عظيما في تحديد سلوك الطفل وكيفية تنشئته حيث يقول : " أقوم التكوين ما كان في الصغر ، فأما اذا ما ترك الولد وطبعه فنشأ عليه وممن كان رده صعبا " ^(٤)

وذكر ابن الجوزي المسلك الذي ينبغي على الوالد أن يسلكه في تربية ولده ، والصفات التي يجب أن يزرعها في نفسه منذ الصغر ، ويحلل ذلك بقوله : " ان قلبه فارغ يقبل ما يلقي اليه " ^(٥) ولهذا فهو يرى أن " يعود النظافة والطهارة من الصغر ويثقفه بالآداب " ^(٦) ونصح الآباء بقوله : " جنبوا أولادكم قرناء السوء قبل أن تصبغهم في البلاء كما يصبغ الثوب " ^(٧)

وأكد ابن الجوزي على أهمية الثواب والعقاب كوسيلتين مهمتين لتربية وتأديب الأطفال بقوله : " يضرب تارة ويرش أخرى " ^(٨) ، فاذا أخطأ فعليه التغافل ،

(١) من مصنفاته هذه لفظة الكبد في نصيحة الولد ، صيد الخاطر ، الطب الروحاني ، كتاب الأذكياء ، الحث على حفظ العلم ، ذكر كبار الحفاظ وغيرها .

(٢) ابن الجوزي : لفظة الكبد في نصيحة الولد / ص ٣٥ .

(٣) ن ٣٠٠ م / ص ٣٣ .

(٤) ابن الجوزي : الطب الروحاني / ص ٤٥ - ٤٦ . مطبعة الترقى ، دمشق ١٣٤٨ هـ .

(٥) ن ٣٠٠ م / ص ٤٦ .

(٦) ابن الجوزي : الحث على حفظ العلم / ص ٣٩ .

(٧) ابن الجوزي : دم الهوى / ص ١١٦ .

(٨) ابن الجوزي : صيد الخاطر / ص ١٩٩ .

فان كرر خطأه عاقبه بالتميح أو الضرب ، على أن يكون ذلك سرا ، ليس أمام أحد من الأقران أو الأعراب .^(١) وفي تعليم الطفل يرى ابن الجوزي أن سن الصفـر أو ما يقاربه من ذلك أفضل وقت لبداية التعليم^(٢) وحدد ابن الجوزي المنهج الذي ينبغي تلقينه للطفل ، فذكر أهم العلوم وهي القرآن الكريم ، والنحو ، والفقه^(٣) .

ولقد تنبه ابن الجوزي الى أهمية الفروق الفردية ، والقدرات الشخصية بين الأفراد ، فقال : " وينبغي للعاقل ألا يقدم على العزائم حتى يزن نفسه هل يطيقها ، ويجرب نفسه في ركوب بعضها"^(٤) . ثم يذكر القدرات الشخصية والسيول لدى المتعلمين فيقول : " ومن الصبيان من علق بشئ من الخط ، لكنه ضعيف الاستخراج ، ردىء الكتابة ، فخرج من المكتب ولم يعلق الا بقدر حساب ، ومنهم من جود الخط ولم يتعلم الحساب ، وأتقن الأدب"^(٥) .

رابعاً : علم الكلام :

يؤكد شيخ الاسلام ابن تيمية أن المسلمين في صدر الاسلام كانوا يسرون أن " التنافر والتجادل في الاعتقاد يؤدي الى الانسلاخ من الدين ، ولذلك كان المسلمون عند وفاة الرسول عليه السلام على عقيدة واحدة ، ولم يظهر البحث والجدل في مسائل العقيدة الا بعد موت الرسول طيه الصلاة والسلام حين ظهرت البدع ، واضطر المسلمون الى مدافعتها ، ومن ثم تفرقت الفرق ونشأ علم الكلام ضرورة تقدر بقدرها "^(٦) .

(١) ابن الجوزي : الطب الروحاني / ص ٤٦ .

(٢) ابن الجوزي : صيد الخاطر / ص ٤٩ .

(٣) ن ٢٠٠ م / ص ٢٠٠ .

(٤) ن ٢٠٠ م / ص ١٣٨ .

(٥) ن ٢٠٠ م / ص ٢٥١ .

(٦) ابن تيمية : العقيدة الواسطية / ص ٢٤ - ٢٥ .

ولقد ظهر الامام الغزالي في هذا العصر وخاض تجربته الذاتية في محاولة جادة للوصول الى المعرفة الحققة ، فلقد ترك لنا هذا الامام في كتابه المنقذ من الضلال تاريخا لحياته العقلية والعقيدية ، وحالة الصراع التي عاشها ، والنظرة الشكية التي تحكمت فيه ، بين فيه تطورها وتدرجها للوصول الى اليقين ، وهو يحكي لنا ذلك بعد أن جاوز الخمسين من عمره . وبين ما قاساه في مسيرته الحثيثة نحو استخلاص الحق والوصول الى المعرفة الحققة من بين اضطراب الفرق ، وما استجراً عليه في الارتفاع من حضيض التقليد الى يفاع الاستبصار مبتدئا بعلم الكلام ، ثم بمذهب الباطنية ، منتقلا بعد ذلك الى دراسة الفلسفة ، ومنتهيا بطريق الصوفية . خائضا بحر الخلاف ، متوغلا في كل ظلمة متهجما على كل مشككة ، فاحصا كل عقيدة ، وكل فرقة وكل مذهب ^(١) ، وهو يقول : ان التعطش الى ادراك حقائق الأمور كان ديدنه ومذهبه ، من أول عمره غريزة وفطرة من الله ، وضعها الله في حيلته من اختيار منه ، حتى انحلت عنه رابطة التقليد ، وانكسرت عليه العقائد الموروثة ، على قرب عهد بمن الصبا ^(٢) .

وقد حاول أن يعرف حقيقة الفطرة التي يكون عليها الانسان ، قبل الاعتقادات العارضة ^(٣) ومطلوبه من ذلك العلم اليقيني الذي لا يتطرق اليه ريب ، ولا يتسع للقلب الشك فيه ^(٤) . ولما امتحن الغزالي علومه لم يجد من بينها علما يبلغ هذه المرتبة في اليقين الا الحسنيات ^(٥) ولكنه أراد أن يتأكد من ذلك ، فتأملها وحاول أن يشكك نفسه فيها فلم يجد أمانا من المحسوسات ^(٦) لأن العين مثلا تخدع عن الحقيقة ، عند ذلك بطلت ثقته بالمحسوسات ، فاستعان بالعقل ^(٧) السبذي

(١) الغزالي : المنقذ من الضلال / ص ٥٥ .

(٢) ن ٥٠٠ م / ص ٥٥ .

(٣) ن ٥٠٠ م / ص ٦٠ .

(٤) ن ٥٠٠ م / ص ٧٠ .

(٥) ن ٥٠٠ م / ص ٧٠ .

(٦) ن ٥٠٠ م / ص ٧٠ .

(٧) ن ٥٠٠ م / ص ٩٠ .

استطاع بواسطته اماطة اللثام عن كثير من الأمور الغامضة^(١) . ولكنه عندما حاول استعمال العقل للوصول الى المعرفة الحققة ألا وهي المعرفة الالهية ، استعصى عليه الأمر ، ودام قريبا من سنتين على هذه الحال حتى أخذ الله بيده ، وهداه الى مفتاح المعرفة الحققة في سلوك طريق التصوف ، فتراه يقول : " فعلمت يقينا أنهم أرباب الأحوال ، لا أصحاب الأقوال ، وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم قد حصلته ، ولم يبق الا ما لا سبيل اليه بالسماح والتعلم "^(٢) .

ولهذا فقد كان منهج الغزالي في وصوله الى المعرفة تجربة عملية وسيدانية اعتمدت على طرح التقليد واللجوء الى العقل والادراك والمناقشة والشك للوصول الى اليقين ، فيذكر الغزالي أن الحساب والهندسة والفلك والطبيعية هي علوم حقيقية لا شك في صحة براهينها ، وفضل استنتاجها^(٣) ، ولكن من الخطأ اقامة العلم على الاعتقاد كما لا يجوز حصر الدين ضمن أحكام العقل ومراهين المنطق ، إذ أن لكل من الناحيتين مصدرا خاصا ، فاما العلم فيستند الى العقل ، وأما الدين فينبعث من القلب^(٤) . اذا فالغزالي رجع آخر الأمر الى القلب للوصول الى المعرفة الحققة ، في محاولة لانتقاد الدين من المفاهيم الفاسدة ، والأفكار الخاطئة التي طغت به ، وهددت بالقضاء على حقيقته ، لقد أراد الغزالي جعل الدين خالصا طاهرا من تأويلات أهل الباطن ، ومن جهل أهل الظاهر ، ومن أوهام الفلاسفة وتخيلاتهم^(٥) .

(١) الغزالي : المنقذ من الضلال / ص ١٠ .

(٢) ن ٢٠٠ ص / ص ٤٥ .

(٣) ن ٢٠٠ ص / ص ٢٣ .

(٤) ن ٢٠٠ ص / ص ٢٣ - ٢٥ .

(٥) ن ٢٠٠ ص / ص ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ .

أما فيما يتعلق بعلم الكلام^(١) فلقد بدأ أول الأمر كلاماً في مسألة القدر ، ولم يكن علماً حينذاك ، بل كان شكلاً فكرياً من أشكال التحول الكيفي لتراكبات التطور الاجتماعي والثقافي . وعلى أساس مسألة القدر من حيث علاقتها بحرية الإنسان في اختيار أفعاله ، أثرت مباحث متفرقة ومتنوعة في الفقه وأصوله التي كونت بالتالي ما يسمى بعلم الكلام^(٢) .

ولقد اختلف في علم الكلام ونسبه هل هو للمعتزلة أم للأشاعرة ؟ . فيقول الغزالي في هذا : " وإنما مقصود - أي علم الكلام - حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة ثم ألقي الشيطان في وساوس البدعة أموراً مخالفة للسنة ، فلهجوا بها ، وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها ، فأنشأ الله طائفة المتكلمين ، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب يكشف عن تلبسات أهل البدعة المحدثّة على خلاف أهل السنة الماثورة ، فمنه نشأ علم الكلام " ^(٣) . فكلام الغزالي هذا يدل دلالة واضحة على أن بداية علم الكلام مسن حيث بدأ أبو الحسن الأشعري (المتوفى عام ٣٢٠هـ / ٩٤١م) ومذهبه المناهض للاعتزال ، ولقد كان تولي الخليفة المتوكل العباسي الخلافة سنة ٢٣٢هـ / ٨٤٧م ،^(٤) بداية النهاية للاعتزال ، وايدانا بالقضاء على هذا المذهب بعد أن شمله ثلاثة

(١) علم الكلام : ملّة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الطة وتزييف كل ما خالفها بالأقوال . أنظر :

الفارابي : احصاء العلوم / ص ١٠٧ - ١٠٨ .

وعرفه ابن خلدون بقوله : هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ، والرد على البدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة . أنظر : ابن خلدون : المقدمة ص ٤٥٨ .

(٢) أنظر ما كتبه ابن خلدون : المقدمة / ص ٤٥٨ - ٤٦٧ عن علم الكلام ونشأته .

(٣) الغزالي : المقصد من الضلال / ص ١٤ .

(٤) توفي الخليفة المتوكل عام ٢٤٧هـ / ٨٦١م ، أظهر الميل إلى السنة ونصر أهلها ورفع المعنة . أنظر : السيوطي : تاريخ الخلفاء / ص ٣٢٠ .

من الخلفاء قبله بالرعاية^(١) . ولقد بدأ التحول الفعلي هذا في الحركة التي قادها اثنان من كبار فقهاء أهل السنة هما : الامام أحمد بن حنبل (المتوفي عام ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م) والامام أبو الحسن الأشعري ، في موقف الشموخ والتصدي ، والالتزام بمعقيدة أهل السلف ، حتى ظهر الامام الغزالي الذي انبرى بجسارة ليوقف في وجه الدهريين والرافضة والباطنية .

ويبدى الغزالي شيئا من التحفظ تجاه علم الكلام ، وهو يريد أن يقتصر على الأمور الجوهرية ، ولعل ذلك ما دعاه الى تأليف كتابه الموسوم الاقتصاد في الاعتقاد^(٢) الذي انعكست فيه رغبة واضحة في أن يظل مخلصا لمذهب الأشاعرة ، وأن يبسط الجدل الى أقصى حد ، متجنباً النظرات الفلسفية^(٣) .

ففي هذا الكتاب خصص الغزالي تمهيدات أربعة تجرى مجرى المدخل الى علم الكلام ، وهو يبدأ في التمهيد الأول " في بيان أن الخوض في هذا العلم مهم في الدين " . ويلتزم الغزالي بهذا المنحنى في كتاباته التالية ، فهو في كتابه جواهر القرآن^(٥) يقول : " من التوابع الستمة محاجة الكفار ومجادلتهم ، وفيه يتشعب علم الكلام المقصود لرد الضلالات والبدع وازالة الشبهات ، ويتكفل به المتكلمون . وهذا العلم قد شرحناه على طبقتين ، سميّا الطبقة القريبة منها الرسالة القدسية والطبقة التي فوقها الاقتصاد في الاعتقاد ، ومقصود هذا العلم حراسة عقيدة العوام عن تشويش البتدعة " .^(٦) ثم ينتقل الغزالي الى التمهيد

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء / ص ٣٢٠ .

(٢) مطبوع ، القاهرة ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م .

(٣) أنظر كتابه الاقتصاد في الاعتقاد .

(٤) ن ٢٠٠ م / ص ٧٢ .

(٥) مطبوع ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة سنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٣ م .

(٦) الغزالي : جواهر القرآن / ص ٢١ .

الثاني بقوله : " بيان الخوض في هذا العلم وان كان مهما فهو في حق بعض الخلق ليس بهم بل المهم تركه " ^(١) لأن علم الكلام ينبغي ألا يستعمل في العادة الا في ازالة شكوك طائفة من المسلمين " اعتقدوا الحق تقليدا وسماعا ، ولكن خصوا في الفطرة بذكاء وفطنة فتنبهوا من أنفسهم لاشكالات تشككهم في عقائدهم " ^(٢).

والغزالي بين ذلك في كتابه احياء علوم الدين بقوله : " فان كانت البدعة شائعة ، وكان يخاف على الصبيان أن يخدعوا ، فلا بأس أن يعلموا القدر الذي أودعناه كتاب الرسالة القدسية ، وهي فصل من كتاب قواعد العقائد ، ليكون ذلك سببا لدفع تأثير مجادلات المبتدعة ان وقعت المهم ، وهذا قدر مختصر ، وقد أودعناه هذا الكتاب الاحياء لاختصاره ، فان كان فيه ذكاء وتنبيه بذكاءه لموضع سؤال ، أو ثارت في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة ، وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه الى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ، وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقائد ، الى غير ذلك من مباحث المتكلمين ^(٣) ، وفي التمهيد الثالث أكد الغزالي على أن الاشتغال بهذا العلم فرض كفاية ^(٤) وبين ذلك بأن الاشتغال بعلم الكلام حلال وقت الانتفاع به ، وحرام باعتباره ما فيه من مضرة ، فيقول : " ما مضرت فائزاة الشبهات ، وتحريك العقائد ، وازالتها عن الجزم والتصميم ، فذلك ما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ، فهذا ضرر في الاعتقاد الحق ، وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة ، وتثبيتها في صدورهم ، بحيث تنبعث دواعيهم ، ويشتد حرصهم على الاصرار عليه : أما منفعتها فقد يظن أن فائدة كشف الحقائق

(١) الغزالي : الاقتصاد في الاعتقاد / ص ٧٤ .

(٢) ن ٢٠٠ ص / ص ٢٥ .

(٣) الغزالي : احياء علوم الدين ج ١ / ص ٩٨ .

(٤) الغزالي : الاقتصاد في الاعتقاد / ص ٧٧ .

ومعرفتها على ماهي عليه ، وهيئات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف
..... ، ولكن منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها عن العوام^(١) .

وهكذا أوضح حجة الاسلام الغزالي موقفه من علم الكلام ، وبين بوضوح من من
الخاصة يستطيع الافادة منه والاشتغال به والاطلاع عليه . وما عداهم من العامة
حذرهم من التورط في الخوض فيه ، وهذا يفسر سبب وضعه كتابه الموسوم الجامع
العوام عن علم الكلام^(٢) حيث قال في ثلثه : " بل ان السكوت عن السؤال واجب على
العوام لأنه بالسؤال متعرض لما لا يطيقه ، وخائف فيما ليس له أهلا " .^(٣)

خامسا : الفلسفة وعلم المنطق :

أما بالنسبة للدراسات الفلسفية في هذا العصر ، بالاضافة الى المنطق وعلوم
الأوائل ، فلقد أصابها الانهيار والضعف ، وتقهقرت بعدما نشطت في العصر
السابق ، والذي قبله ، لأسباب متعددة ، منها موقف الفقهاء من دراسات علوم
الأوائل بالاضافة الى موقف السلطة من ذلك ، ويكفي القول هنا بأن من يتهم بميله
الى الدراسات الفلسفية وعلوم الأوائل في هذا العصر فإنه يتعرض لمضايقات
حادة ، فقد تحرق كتبه وقد يتعرض للمكاره والسجن^(٤) ومصادر التاريخ تروى لنا
الكثير من حوادث حرق الكتب والسجن للكثير ممن اتهموا باهتمامهم بالدراسات

(١) الغزالي : أحياء علوم الدين ج ١ / ص ٩٧ .

(٢) مطبوع ضمن مجموعة رسائل الغزالي بعنوان القصور العوالي . تحقيق محمد مصطفى

ج ٢ / مكتبة الجندی .
(٣) الغزالي : الجامع العوام عن علم الكلام / ص ٦٩ .

(٤) أنظر عن هذا : ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٨٢ ، سبط ابن الجوزي :

مرآة الزمان ج ٨ / ص ٣٤٤ ، أبو شامة : ذيل الروضتين / ص ٥٥ ، الذهبي :

تذكرة الحفاظ ج ٤ / ص ١٣٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ / ص ٤٥ .

الفلسفة ، بل أصبح الانتساب لهذه الدراسات مرادفا للانتساب الى التعطيل^(١) .

ولقد كان فكر الغزالي في هذا العصر النموذج الأول لأحد طرفي الصراع بين الفكر الديني الاسلامي ، والفكر الفلسفي ، ولغت حدة الخصام في عهده بين الدين والفلسفة درجة من التوتر لم تبلغه من قبل^(٢) . واعتبارا من هذا التاريخ أصبح الاتجاه الغالب للمثقفين هو اتجاه الغزالي نفسه الذي سيطر سيف العقيدة على الفلسفة والفلاسفة في كتابه تهافت الفلاسفة ، وكذلك في مصنفاته الأخرى ، يقول السبكي : " جاء والناس الى ردة فرية الفلاسفة أحوج من الظلماء لمصاييح السماء ، فلم يزل يناضل عن الدين الحنيف بجلاد مقاله ويحيي حوزة الدين " .^(٣) ويقول أحد الباحثين : " ولا ريب في أن الغزالي أعجب شخصية في تاريخ الاسلام ، ومذهبه صورة لشخصيته ، زهد الغزالي في محاولة تفهم هذا العالم أوجب الدنيا ولكنه أدرك المسألة الدينية أعق ما أدركها فلاسفة عصره . فقد كان هؤلاء الفلاسفة عقليين في نزعتهم ، شأن أسلافهم اليونان فرأوا أن دين المسلمين اما انقياد وطاعة عمياء عند البعض ، أو هو ضرب من المعرفة فيه حقائق أدنى مرتبة من حقائق الفلسفة عند البعض الآخر " .^(٤)

وهكذا ثار الغزالي في وجه الفلسفة والفلاسفة حين رأى ضعف العقيدة في عصره وتخلخلها لدى العامة والمثقفين والفلاسفة أنفسهم .

(١) كقولهم : كان فلان سامحه الله يتهم بدينه لكون العلوم العقلية غالبية عليه . أنظر: العماد الحنبلي : الشذرات ج ٥ / ص ٤١ . ذكر العماد في ترجمته لفخر الدين اسماعيل بن علي بن حسين الأزجي " ولم يكن في دينه بذلك " لكونه كان يشتغل بعلوم الأوائل .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ / ص ١٩١ .

(٣) ن ٢٠٠ ص ٦ / ج ١٩١ .

(٤) دي بور : تاريخ الفلسفة في الاسلام / ص ٣٥٥ .

والغزالي في جميع كتبه ينطلق من مبدأ واحد ، وهو التجديد بالرجوع الى المنبع الصافي للعقيدة ، ومحاولة توطيد أركان الدين الاسلامي^(١) ، وكان يتوسل في ذلك بكل مقولاته النظرية ، واجتهاداته التطبيقية ، والقول بحرية الرأي والنظر وتمجيد العقل ، والاجتهاد ومهاجمة السلاطين الظالمين والأغنياء المتعسفين ، ومزورى الدين من كل صنف . وهكذا نجد الغزالي يشرح الأسباب التي دعت به الى وضع كتابه فيقول : " أما بعد فانتى رأيت طائفة يعتقدون في أنفسهم التميز من الأتراب ، والنظر بزمية الفطنة والذكاء ، قد رفضوا وظائف الاسلام من العبادات ، واستحقروا شعائر الدين من وظائف الصلوات ، والتوقي عن المحظورات فلما رأيت هذا العرق من الحماقة نابضا على هؤلاء الأغنياء انتدبت لتحرير هذا الكتاب ، ردا على الفلاسفة القدماء ، مبينا تهاافت عقيدتهم ، وتناقض كلمتهم فيما يتعلق بالالهيات وكاشفا عن غوائل مذهبهم وعورات التي هي على التحقيق مضحك العقلاء ، وعبرة عند الأذكياء " .^(٢)

فالغزالي ينكر على الفلاسفة سحب مقولات الفلسفة والمعلوم الطبيعي لتطبيقها على الالهيات ، فالالهيات مجالها الدين ، والا فهم كافرون .^(٣) ويرى الغزالي أن مصدر انحرافهم هو ايمانهم واتباعهم " لأسماء هائلة ، كسقراط وأبقراط وأفلاطون وأرسطو طاليس وأمثالهم ، واطناب طوائف من متبعيهم وظلالهم في وصف عقولهم ، وحسن أصولهم ، ودقة علومهم " .^(٤)

وقد اتبع الغزالي منهجا علميا رائدا ودقيقا ومنطقيا في رده على الفلاسفة ، ذلك أنه رتب مسائل الفلسفة أولا في كتابه مقاصد الفلاسفة^(٥) وعرض الآراء والبراهين

(١) الغزالي : احياء علوم الدين ج ١ / ص ٢٠٣ .

(٢) الغزالي : تهاافت الفلاسفة / ص ٧٣ .

(٣) الغزالي : المنقذ من الضلال / ص ٢٠ ، ٢١ .

(٤) الغزالي : تهاافت الفلاسفة / ص ٧٤ .

(٥) مطبوع ، القاهرة ، دار المعارف سنة ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .

المثبتة لها في جلاء ووضوح ، وكان الغزالي يريد بذلك أن يتفحص المسائل الفلسفية بعين العالم الدارس ، ولهذا فإنه لم يكرر الفلاسفة في سائر طومهم ، وذلك بعد دراستها وتقصيها وعرضها على ميزان الفطرة والعقل الصحيح ، فقد أحصى مسائل الفلسفة في عشرين مسألة ، وكرر الفلاسفة في ثلاث منها ، وهي قولهم بأزلية العالم وانكارهم لمعرفة الله تعالى للجزئيات ، وانكارهم لحشر الأجساد ، وبدعهم فـسـى السبعة عشر الباقية (١) .

وبالإضافة الى حجة الاسلام الغزالي برز عدد قليل في هذا العصر في مجال الدراسات ، منهم أطباء كان لهم مراكزهم العلمية في هذا العصر ، مثل أوجد الزمان أبي البركات هبة الله بن علي بن ملكا البغدادى (المتوفى عام ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م) (٢) الذى كان يهوديا فأسلم قبل تحريره كتابه المعتبر في الحكمة ، قال عنه البيهقي : " فيلسوف العراقين ، ومن ادعى أنه نال رتبة أرسطو " (٣) . وكتابه المعتبر في الحكمة من أجل كتبه ، ذلك أنه يمتاز بالنظرة النقدية العميقة لفلسفة ابن سينا في عصر كان يموج بفلسفة ابن سينا .

(١) تحدث العشرات من الكتب عن حجة الاسلام الغزالي وتصديه للفلاسفة ، وتناولوا كتابه " تهافت الفلاسفة " بالنقد والتحليل والتأييد . أنظر : الغزالي : تهافت الفلاسفة ، المنقذ من الضلال ، معيار العلم ، مقاصد الفلاسفة ، ابن رشد : تهافت التهافت ، اليازجي : الموحز في مسائل الفلسفة الاسلامية ، دى بسور : تاريخ الفلسفة في الاسلام ، عبد القادر محمود : الفلسفة الصوفية في الاسلام ، زكسي مبارك : الأخلاق عند الغزالي ، أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام ، محمد لطفي جمعة : تاريخ فلاسفة الاسلام .

(٢) أوجد الزمان هبة الله بن ملكا البغدادى ، طبيب ماهر ، وعالم بعلوم الأوائل ، له عدد من المصنفات ، منها : سبب ظهور الكوكب ليلا واختفائها نهارا ، كتاب الاقربانين رسالة في العقل وماهيته ، كتاب النفس ، كتاب التفسير . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٧٤ ، القفطي : أخبار العلماء / ص ٢٢٤ . البيهقي : تاريخ حكما الاسلام / ص ١٥٢ ، البغدادى : هدية العارفين ج ٢ / ص ٥٠٥ ، الزركلي : الأعلام ج ٨ / ص ٧٤ .

(٣) عني بنشره سليمان القدورى بتكليف من دائرة المعارف العثمانية في حيدرآباد الدكن سنة ١٣٥٠ هـ . ومن نسخ المخطوط نسخة بمكتبة أحمد الثالث برقم ٣٢٢٢ باستانبول .

(٤) البيهقي : تاريخ حكما الاسلام / ص ١٥٢ .

ويشتمل الكتاب على ثلاثة أجزاء : أولها في المنطق ، والثاني في الطبيعيات ، والثالث فيما وراء الطبيعة ^(١) . ولقد كان اقتحام أبي البركات ميدان الفلسفة في هذا العصر ، رغم ما يوجهها من تحديات خطيرة ، مجازفة كبيرة منه ، ويبدو أن هناك عوامل معينة أسهمت في تخفيف عنف الفقهاء ووطأة الأصوليين من مجابهته ، ولقد رد الفقيه العالم ابن تيمية على آراء أبي البركات هبة الله بن ملكا البغدادي فسي العقل ، ومذهبه في الخلق والألوهية ^(٢) .

وعلى الجملته فإن كتاب المعتزلي في الحكمة هذا يعد من أبرز الكتب الفلسفية التي ظهرت في الفترة ما بين وفاة ابن سينا (عام ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م) و—روز دور السهروردي شيخ الاشراق الذي ولد (عام ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م) . ^(٣)

ومن فلاسفة أوائل العصر السلجوقي في العراق عيسى بن اسحاق بن زرعة بن مرقس البغدادي (المتوفي عام ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) الذي كان عالما بالفلسفة والمنطق ، وقد صنف في ذلك كتبها منها : اختصار كتاب أرسطوطاليس في المعمور من الأرض ، وأغراض كتب أرسطوطاليس المنطقية ^(٤) .

(١) أنظر الكتاب .

(٢) ابن تيمية : الرد على المنطقيين / ص ١٢٥ ، طبعة لاهور ، باكستان سنة ١٣٩٦ هـ منهاج السنة ج ١ / ص ٩٨ .

(٣) أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي الحكيم الاشراقي المقتول بحلب سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م وكان أوحد زمانه في العلوم الحكيمة ، جامعاً للفنسون الفلسفية ، بارعاً في الأصول الفقهية ، مفرط الذكاء . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ٢٦٨ ، اليافعي : مرآة الجنان ج ٣ / ص ٤٣٤ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ١٩ / ص ٣١٤ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٦ / ص ١١٤ . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٦٤١ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣١٨ ، القفطي : أخبار العلماء / ص ١٦٣ .

(١) وكان كامل بن أبي الفتح البادراني البغدادي (المتوفى عام ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م)
من برعوا في علوم الأوائل ، وكان يدخل على الخليفة الناصر فينفرد به ويدرسه
علوم الأوائل .^(٢)

(٣) أما جعفر القطاع المعروف بالسديد البغدادي (المتوفى عام ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م)
فقد كانت له معرفة تامة بالكلام والمنطق والهندسة ، كما كان له اطلاع على علوم
الأوائل وأقوالهم ومذاهبهم .^(٤)

وكان فخر الدين اسماعيل بن حسين الأزجي البغدادي المعروف بفلام المني
(المتوفى عام ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) من المختصين في المنطق والفلسفة وعلم الكلام ،
ولم يكن في زمانه أعلم منه بذلك .^(٥)

أما الشيخ عبد اللطيف البغدادي الذي تقدم الحديث عنه فقد كان من رواة
الفلسفة في عصره ، له من المصنفات ما يروى على مائة وسبعين مصنفاً ذكر البعض
أن ثمانية وأربعين منها في الفلسفة^(٦) لم يصلنا منها سوى كتاب في علم ما وراء الطبيعة .^(٧)

(١) كامل بن الفتح بن ثابت البادراني شاعر من أهل بغداد ، روى بالزندقة ، سكن
بغداد وتوفي بها . الكشي : قوات الوفيات ج ٣ / ص ٢١٧ ، الصفدي : نكت الهميان
ص ٢٣١ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ٦ / ص ٢٠٨ .

(٢) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٣ ، الصفدي : نكت الهميان / ص ١٣١ .

(٣) جعفر القطاع المدعو بالسديد البغدادي ، له معرفة تامة بالمنطق والفلسفة
والهندسة ، واطلاع على علوم الأوائل . القفطي : أخبار العلماء / ص ١٠٩ .

(٤) القفطي : أخبار العلماء / ص ١٠٩ .

(٥) فخر الدين اسماعيل بن حسين الأزجي البغدادي كانت له حلقة كبيرة للمناظرة
والاشتغال بعلم الكلام والجدل وتخرج به جماعة . ابن رجب : ذيل طبقات
الحنابلة ج ٢ / ص ٦٦ ، العماد الحنبلي : الشدرات ج ٥ / ص ٤٠ .

(٦) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج ٢ / ص ٦٦-٦٧ ، العماد الحنبلي : الشدرا
ج ٥ / ص ٤٠ .

(٧) أنظر الدراسات الجغرافية من هذا المبحث .

(٨) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ .

(٩) عبد الرحمن بدوي : الأفلاطونية المحدثة عند العرب / ص ٢٤٨ .

(١٠) عبد اللطيف البغدادي : مقالتان في الحواش / ص ٢٣ .

الفصل الرابع

دراسات العلوم المصرفية (البحثة)

- أولا : الطب : اهتمام العلماء المسلمين بالدراسات الطبية ٤٨٠ .
 - أشهر علماء الطب في هذا العصر ومصنفاتهم ٤٨٤ .
 - ثانيا : الصيدلة ومشاهير علمائها ٤٩٤ .
 - ثالثا : الرياضيات والفلك واهتمام علماء العصر بهذا النمط من الدراسات البحتة ٤٩٦ .
 - رابعا : الكيمياء ٥٠٢ .
 - خامسا : الميكانيكا " علم الحيل " ٥٠٤ .
-

الفصل الرابع

العلوم البحتة

بدأت النهضة الفكرية في المجتمع الاسلامي مبكرة في صدر الاسلام ، وتطورت تطورا كبيرا خلال العصور العباسية المختلفة ، ثم بدأ العلماء المبرزون في الظهور وتنوع انتاجهم العلمي ، نتيجة للتطور العلمي وتبادل المعلومات في شتى المعارف العلمية .

وعلى الرغم من بروز الكثير من العوايق المختلفة في العراق ، ابتداء من بداية العصر البويهي حتى نهاية العصر السلجوقي ، فان الحركة العلمية ظلت نشطة مستمرة ومتصلة ، رغم ما أصاب بعض فروعها من مقاومة أو إهمال . الا أن العلوم العقلية التجريبية كالطب والصيدلة ، والرياضيات والفلك ، والكيمياء والفيزياء والميكانيكا ، حققت منجزات جيدة انعكست في شيوع التجارب العلمية في مختلف هذه الاختصاصات ، وتعميم عمليات التقطير وتركيب الأدوية والعقاقير والمستحضرات الكيماوية ، والتوسع في استخدام الأقيسة الهندسية والأرصاد الفلكية .

وما كان لهذه المعارف أن تحظى باهتمام العلماء وشجعهم في هذا العصر ، ولا أن تنال هذا القدر من التطور ، لولم تكن ظروف وطبيعة مرحلة التطور فيه قد استلزمت ذلك ، وسنحاول في الصفحات التالية متابعة أوجه هذا التقدم في العراق خلال فترة البحث ، ان شاء الله .

أولا : الطب :

يعتبر المسلمون في مقدمة الشعوب التي اهتمت بالطب وانشاء المستشفيات

فلقد أسهموا اسهاما منقطع النظير في الدراسات الطبية ، وظهر بينهم أطباء أجلاء ندر أن تجود بمثلهم أمة من الأمم .

ولقد أنشأ المسلمون البيمارستانات في الكثير من المدن والأماكن في المشرق والمغرب ، وكان أغلبها ثابتا مستقرا ، وبعضها متنقل الى حيث تظهر الحاجة اليه ، ذلك أن ينقل من مكان الى آخر حسب ظروف انتشار الأمراض والأوبئة ، أو مع حركة الجيوش .^(١)

ولقد كانت هذه البيمارستانات الكبيرة بمثابة مدارس عالية للطب ، فقد كان الطلاب يتلقون فيها علومهم نظريا وعمليا .^(٢) وعلى الجملة فان السمعة الطبية التي تمتع بها الأطباء المسلمون كانت تعتمد على تضلع كبير ، وباع طويل ، وتجارب مستمرة ، وامتحان شديد في الدراسات الطبية . فلقد تسلم ابن التلميذ (المتوفي عام ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م)^(٣) منصب الرئاسة في نقابة أطباء بغداد ، وكان يقوم بامتحان

(١) كان ابن المرخم طبيا في مارستان السلطان السلجوقي ، وهو مارستان سيار وكان يحمل في عسكر السلطان على أربعين جملا . القفطي : أخبار العلماء ص ٢٦٤ .
(٢) كان زاهد العلماء منصور بن عيسى ألف كتابه في الفصول والمسائل والجوابات التي أجاب عنها في مجلس العلم المقرر في البيمارستان الفارقي . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٤١ .

(٣) هبة الله بن صاعد بن التلميذ ، طبيب وقته ، وفاضل زمانه ، وعالم أوانه ، خدم خلفاء بني العباس وارتقت مكانته لديهم ، وكان موقفا في المعالجة ، وكان ساعور البيمارستان العضدي . ببغداد الى حين وفاته ، وكان خبير باللسان السرياني والفارسي ، متبحرا في اللغة العربية ، له أشعار كثيرة في الحكمة والزهد . أنظر :

ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ٦٩ ، ياقوت : معجم الأديباء ج ١٩ / ص ٢٢٦ ، ابن الأثير : الكامل ج ٩ / ص ٩٣ ، البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام ص ١٤٤ ، القفطي : أخبار العلماء / ص ٢٢٢ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٤٩ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ١٩٠ ، البغدادي : هدية العارفين ج ٢ / ص ٥٠٥ .

الأطباء من وقت لآخر ، كما يشرف على امتحان دقيق وشامل يؤديه من يريد ممارسة المهنة^(١) ، حيث يسأل الممتحن فيها عن شيوخه ، والكتب التي قرأها ، وأنواع الأمراض وكيفية مداواتها وغير ذلك . كما كان الجراح يمتحن في مادة التشريح نظريا وعليا^(٢) .

ولقد كثرت البيمارستانات في العصر السلجوقي في العراق . فلقد أنشئ في العراق خلال الفترة السابقة البيمارستان العضدي في الجانب الغربي من بغداد ، والذي أنشأه عضد الدولة البويهري ، وافتتحه سنة ٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م^(٣) . وقد استمر هذا البيمارستان في تقديم الخدمات الطبية لأبناء الأمة فترة طويلة من الزمن شملت فترة الدراسة وما بعدها . ولقد أجريت تحسينات وترميمات على هذا البيمارستان سنة ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م حيث جددت عمارته ، وجمع فيه من الأشربة والأدوية والعقاقير التي يعز وجودها شيئا كثيرا^(٤) . وقد أحضرت الفرس واللحف للعرض ، والأراييج الطبية والأسرة والثلج ، كما زيد في عدد الأطباء والمستخدمين والفراشين ، فأصبح فيه ثمانية وعشرون طبيا ، إضافة إلى أعداد كبيرة من المساعدين والطباخين والبوابين والحراس . كما أقيمت الحمامات ، والبساتين إلى جانبه^(٥) .

- (١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٥١ .
 (٢) هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب / ص ٢٣٧ .
 (٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ٧ / ص ١١٢ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٤ / ص ١٤٢ . وذكر ابن خلكان في ترجمته لعضد الدولة قوله : " والبيمارستان العضدي ببغداد منسوب إليه ، وهو في الجانب الغربي ، وغرم عليه مالا عظيما ، وفرغ من بنائه سنة ثمان وستين وثلثمائة " . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ / ص ٥٤ .
 (٤) العيني : عقد الجمان ج ١١ / ورقة ٣٨ أ صور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى - تاريخ رقم ١١٨٠ . عن نسخة أسعد أفندي بتركيا برقم ٢٣١٧ .
 (٥) ن ٢٠٠ م / ج ١١ / ورقة ٣٨ أ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٠٩ .

ولما دخل ابن جبير بغداد سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م أشار إلى البيمارستان العضدي قائلاً : " وبين الشارع ومحلة باب البصرة سوق المارستان ، وهي مدينة صغيرة فيها المارستان الشهير ببغداد ، وهو على دجلة ، وتتفقد الأطباء كل يوم اثنين وخميس ، ويطلبون أحوال المرضى به " (١).

وتولى إدارة هذا البيمارستان والاشراف عليه في هذا العصر عدد من مشاهير أطباء العصر (٢).

وقد أنشئ في هذا العصر ببغداد ، وفي بعض مدن العراق الأخرى عدد من البيمارستانات كان لها أثرها الكبير في الدراسات الطبية ومعالجة المرضى . وقد ذكر العيني في كتاب عقد الجمان في حوادث سنة ٤٤٩ هـ / ١٠٥٢ م المارستان الذي كان في باب السحول ببغداد (٣) . كما ذكرت مصادر أخرى المارستان الذي أنشأه كشتكين الخادم ببغداد سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م والذي افتتح سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م . ويذكر ابن الساعي أنه في سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م بنى مجاهد الدين قايمار بالموصل " جامعاً ومدرسة للشافعية ورباطاً للصوفية ومارستاناً للمرضى ووقف على الكل الوقوف الحسنة " (٥).

-
- (١) ابن جبير : الرحلة / ص ٢٠١ .
 (٢) منهم أبو الحسن علي بن هبة الله بن الحسن (ت ٤٩٥ هـ / ١١٠١ م) ، وأمين الدولة بن التلميز (ت سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م) وسعيد بن هبة الله بن أثري وابن المارستانية (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م) وأبو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز الفطروني (ت ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م) . ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٢١١ .
 (٣) العيني : عقد الجمان ج ١١ / ورقة ٢٨ أ حوادث سنة ٤٤٩ هـ م صور مركز البحث العلمي .
 (٤) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٨ .
 (٥) ن ٢٠٤ م / ج ٩ / ص ٢٢ .

وهناك مارستان واسط الذي أقام فيه النقيب الأكل عبيد الله بن ماله ك
الهاشمي .^(١)

هذه البيمارستانات المنتشرة في العراق في هذا العصر ، واهتمام الخلفاء والأمرء بإنشائها ، تدل دلالة واضحة على رقي في الوعي الصحي ، وعلى نشاط في الثقافة والدراسات الطبية . والتي كان من نتائجها بروز عدد عظيم من الأطباء المشهورين في هذا العصر ، خلفوا تراثا طبيا رائعا ، ودراسات جادة ، كسان لها أثرها الكبير في إثراء الدراسات الطبية في العصور التالية ، بل إن قيمة بعضها قد استمرت حتى العصور الحديثة .

ومن ذلك جهود علي بن عيسى الكحال^(٢) أشهر كحالي العرب ، المتوفى أوائل العصر السلجوقي بالعراق والذي وصفه ابن أبي أصيبعة بأنه " كان مشهورا بالخدمة في صناعة الكحل ، متيزا فيها ، ويقتدى بكلامه في أمراض العيون ومداواتها " .^(٣) وقد صنف اثنين وثلاثين كتابا في علم الرمد^(٤) ، أشهرها كتابه تذكرة الكحالين^(٥) الذي يرى فيليب حتى أنه " لم يسبقه في الموضوع إلا رسالة ابن ماسويه ، ورسالة حنين بن اسحاق .

- (١) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٢٢ .
(٢) علي بن عيسى الكحال أشهر كحالي العرب ، ونال شهرته بتأليف كتابه تذكرة الكحالين . له عدد من الحنفات ، أهمها تذكرة الكحالين ، كتاب الحيوان طبائعه وخواصه ، منه نسخة مضمرة بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى . طب رقم ١٥١ . مصور مخطوط مكتبة شستربيتي رقم ٥٠٠٦ . أنظر : ابن أبي أصيبعة : عيون الأنبا / ص ٣٣٣ .
(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنبا / ص ٣٣٣ .
(٤) حتى : تاريخ العرب ج ٢ / ص ٤٥١ ، ولم يذكر مصادر معلوماته .
(٥) مطبوع . حيدرآباد الدكن ، مجلس دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م .

وقد وصفت التذكرة مائة وثلاثين مرضاً من أمراض العين . ونقلت الى العبرانية مرة ، واللاتينية مرتين ^(١) . وكتابه هذا يشتمل على ثلاث مقالات :

المقالة الأولى : في حد العين وتشريحها وطبقاتها ورطوبتها ، وأعضائها وعضلاتها ، ومن أين نبات كل طبقة منها ، وابتداءؤها والى أين انتهائها ، وأين موضعها ومصدر غذائها ^(٢) .

المقالة الثانية : في عدد أمراض العين الظاهرة للحس ، وأسبابها وعلاماتها وعلاجها ^(٣) .

المقالة الثالثة : في أمراض العين الخفية عن الحس ، وعلاماتها ، وعلاجها ونسخ أدويتها ^(٤) .

وكان هذا الكتاب من أهم ما كتب في الموضوع ، وقد اقتصر الكحالون فسى الاعتماد عليه دون غيره من الكتب المتخصصة في فنه ^(٥) .

ومن أطباء أوائل العصر السلجوقي في العراق أبو الحسن المختار بن الحسن بن همدون بن بطلان البغدادي (المتوفى عام ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م) وهو طبيب نصراني من أهل بغداد ، درس وتدرّب على يد عدد من أطباء عصره ، واشتهر بالطب ، وصنف فيه كتباً ، أهمها : كتاب تقويم الصحة بالأسباب الستة ، حيث

(١) حتي : تاريخ العرب ج ٢ / ص ٤٥١ .

(٢) علي بن عيسى : تذكرة الكحالين / ص ٣ .

(٣) ن ٤٠٠ م / ص ٣ .

(٤) ن ٤٠٠ م / ص ٣ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٣٣ .

(٦) سبقت ترجمته ودراسته .

(٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٢٥ ، القفطي : أخبار العلماء / ص ١٩٢ .

(٨) ترجم الكتاب الى اللاتينية والألمانية دائرة المعارف الإسلامية ج ١ / ص ٩٨ .

يتناول في كتابه هذا أنواع الأطعمة المختلفة ، من الفواكه واللحوم والبقول والحبوب والسوائل والحلويات ، وآثارها على الجسم ، وكيف أن بعضها يسبب الأمراض والالتهابات ، ومدى تأثير الأكل على الإنسان ولزوم تنوعه بتنوع الفصول وتأثير ذلك على الصحة ، ذاكرا كيف يمكن للإنسان تحديد أنواع وكميات طعامه للاستفادة منه في تقويم صحته بدلا من الأدوية .

ويتعرض المؤلف بعدها لأنواع الخمر ، ومدى تأثيرها على صحة الإنسان ، ويختتم كتابه بفصل طريف عن الرياضة البدنية وآثارها في تكوين الجسم الصحيح ، ومكافحة الأمراض ^(١) .

وقد اتبع المؤلف في كتابه هذا منهجا طريفا أشبه ما يكون بالطريقة الحديثة في العروض والتعليم ، حيث نهج طريقة خاصة في عرض النظريات الطبية ، وفي وصف العلاج ، وفي تنظيم جداول اجمالية للأدوية ، توضح مواعيد الاستعمال العملي . ولقد لقيت هذه الطريقة نجاحا كبيرا حتى صارت نموذجا متبعها لمنهج التأليف الطبي ^(٢) .

وله من الكتب أيضا دعوة الأطباء ^(٣) ، الأمراض العارضة ، كاش الأديرة والرهبان ، عمدة الطبيب في معرفة النبات ، بالإضافة الى مجموعة من المقالات الطبية ^(٤) .

ومن مشاهير الأطباء في هذا العصر يحيى بن عيسى بن جزلة أبو علي الطبيب

(١) ابن بطلان : تقويم الصحة بالأسباب الستة . محور مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة . طب رقم ١٨ .

(٢) كحالة : العلوم البهتة في العصور الإسلامية / ص ٢٥٠ .

(٣) نشرة الدكتور بشارة زلزل ، الاسكندرية ، ١٩٥١ م .

(٤) عن مصنفاته أنظر : ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٢٥ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول / ص ٣٣١ ، دائرة المعارف الإسلامية ج ١ / ص ٩٨ .

البغدادى (المتوفى عام ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م)^(١) ، امام الطب في عصره ، باحث عالم من أهل بغداد ، كان نصرانيا ثم أسلم ، وتلقى علومه الطبية على شيخه سعيد بن هبة الله (المتوفى عام ٤٩٤ هـ / ١١٠٠ م)^(٢) ، طبيب الخليفة المقتدى ، وكسان ي طبيب أهل محلته مجانا ، كما كان يحمل المهن الأشربة والأدوية^(٣) ، صنف مجموعة من الكتب ، منها تقويم الأبدان في تدبير الانسان^(٤) ، الذى صنفه للخليفة المقتدى . وقد اتبع المؤلف المنهج الذى سلكه ابن بطلان فى تأليفه كتابه تقويم الصحة ، ذلك أنه قد قسمه الى جداول عامة ، تشمل شرحا وافيا لكل نوع من الأمراض التى يتعرض لها ، وهو يستعرض أنواع الأوبئة والأمراض وأوقات ظهورها ، ثم البلدان التى ينتشر فيها المرض ، وطرق تشخيصها ، ثم كيفية علاجها . وقد اتبع المؤلف طريقة منتظمة فى متابعة أعضاء جسم الانسان وأمراضها . وقسم ذلك كله فى جداول جيدة التنظيم ، بحيث يستطيع المثقف العتيادى فى عصره الاستفادة منسسه ، والاستطباب بواسطته .

وبوجه عام يمكن القول بأن هذا الكتاب كان بمثابة تعليمات عن الاسعافات الأولية الضرورية لمواجهة الحوادث الطارئة التى تحصل فى المنزل فى عصره ، وكان من الممكن استخدامه والاستفادة منه بيسر وسهولة .

- (١) يحيى بن عيسى بن جزلة أبو على الطبيب البغدادى كان طبيا وعالما بعلم الكلام والمنطق له مصنفات عديدة . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ٢٦٧ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٤٣ ، القفطي : أخبار العلماء / ص ٢٣٩ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١١٩ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول / ص ٣٣٩ . ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٩٦ .
- (٢) سعيد بن هبة الله بن الحسين من الأطباء المميزين فى صناعة الطب ، ومن الفضلاء فى علوم الحكمة صنف عدد من المصنفات الطبية . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٤٢ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٣ / ص ٤٠٢ ، البغدادى : هدية العارفين ج ١ / ص ٣٩٠ .
- (٣) ابن الحوزي : المنتظم ج ٩ / ص ١١٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ٢٦٧ .
- (٤) طبع الكتاب بمطبعة روضة الشام ، دمشق ١٣٣٣ هـ / ١٩١٤ م ، ومنه صور بمركز البحث العلمى وأحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم ١٧ طب .

وقد ختم المؤلف كتابه هذا بقوله : " وينبغي أن يختم هذا الكتاب بذكر نبيذ يستمان بها على مداواة بالعمل ، وجودة التدبير القضي الى السلامة من الزلزل . فمن ذلك أن يراعى في وقت المداواة لكل مرض ، نوع ذلك المرض ، وسببه ، وقوة المريض ، ومزاجه الخارج عن الطبيعي ، وسن المريض ، والوقت الحاضر منسناً أوقات السنة ، ولبد المرض ، وحال الهواء في وقته " .^(١)

ولابن جزلة أيضاً كتاب منهاج البيان فيما يستعمله الانسان^(٢) ، وكتاب الاشارة في تلخيص العبارة ، ورسالة في مدح الطب^(٣) .

وكان أبو الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن (المتوفى عام ٤٩٤ هـ / ١١٠٠ م) من الأطباء المميزين في صناعة الطب ، وكان معاصراً لابن جزلة ، واحداً من أساتذته^(٤) عاش في خلافة أمير المؤمنين المقتدى بالله ، وخدمه بصناعة الطب^(٥) كما خدم ولده الخليفة المستظهر بالله^(٦) . وكان قد تولى كذلك مداواة المرضى في البيمارستان العضدي^(٧) ، وله مصنفات فلسفية ومنطقية . أما مصنفاته الطبية فأهمها المغني في تدبير الأمراض^(٨) الذي سار فيه على منهج ابن بطلان في كتابه تقويم الصحة ، حيث كان يتتبع ذكر الأمراض التي يتعرض لها الانسان ، فيفسر

(١) ابن جزلة : تقويم الأبدان ، مصور مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، رقم ١٧ طب .

(٢) منه نسخة بالفاتيكان برقم ٣٧٤ ، ومنه مصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم ١٢٨ طب .

(٣) الزركلي : الأعلام ج ٨ / ص ١٦١ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٤٢ .

(٥) ن ٠ م ٠ س / ص ٣٤٢ .

(٦) ن ٠ م ٠ س / ص ٣٤٢ .

(٧) ن ٠ م ٠ س / ص ٣٤٢ .

(٨) المغني في تدبير الأمراض ، منه نسخة في وشتريتي برقم ٣٩٧٨ ، ومنه مصور بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم ١١٦ طب .

لكل نوع من الأمراض فقرة خاصة به . كما أنه صنف الأمراض وفق جداول انتظمت تحت ثلاث فقرات : نوع المرض ، سببه ، أعراضه . كما أفرد بعد ذلك ^(١) قسما رابعا كبيرا للتدابير الطبية ومعالجة المرض .

وقد تعرض المؤلف في كتابه هذا لعدد كبير من أمراض الجسم مبتدئاً بأمراض الرأس ، ثم متبعا أمراض بقية أعضاء الجسم ، إضافة الى أنه قد تعرض الى بعض الأمراض النفسية .

وعلى وجه الاجمال فالكتاب علمي تجريبي يحتوي على دراسات نظرية ، وتطبيقات عملية ، تعكس خبرات طبيب ماهر حاذق .

ومن مصنفاته الأخرى : الأسباب والعلاقات ، الاقناع ، في الطب ، خلق الانسان ، مقالة في صفات تركيب الأدوية ، ومصنفات أخرى ^(٢) .

^(٣) أما أمين الدولة أبو الحسن هبة الله بن التميمي (المتوفي عام ٥٦٠ هـ / ١١٦٢ م) فقد كان من أشهر أطباء زمانه ، جمع بين المعارف المتفرقة ، والعلوم المتباينة ، من طب وفلسفة وأدب ، ونحو وترسل وشعر وموسيقى ^(٤) . وخدم خلفاء بسني العباس ، وتقدم في خدمتهم ، وارتقت مكانته لديهم ^(٥) . وكان ساعور البيمارستان العضدي حيث استمر في وظيفته هذه الى حين وفاته ^(٦) . وكان متميزا في صناعة الطب وفي مباشرة أعمالها ، موقفا في المعالجة ، عالما بقوانين هذه الصناعة ^(٧) .

(١) سعيد بن هبة الله : المفني في تدبير الأمراض ، مصور مركز البحث العلمي بجامعة

أم القرى بمكة المكرمة طب برقم ١١٦ .

(٢) مصنفاته ذكرها ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٤٢ .

(٣) سبقت دراسته .

(٤) القفطي : أخبار العلماء / ص ٢٢٢ ، البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام / ص ١٤٤ .

(٥) القفطي : أخبار العلماء / ص ٢٢٢ .

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٤٩ .

(٧) القفطي : أخبار العلماء / ص ٢٢٢ .

وصفه ابن خلدان بأنه "سلطان الحكماء"، هو مقصد العالم في علم الطب، بقراط عصره، وجالينوس زمانه، ختم به هذا العلم، ولم يكن في الماضيين من بلغ مداه في الطب، ومن مروته أن ظهر داره كان يلي المدرسة النظامية، فإذا مرض فقيه نقله إليه، وقام في مرضه عليه، فإذا شفي وهب له ديناراً وصرفه^(١).

وخلف ابن التلميز مصنفات رائعة في الطب، منها أقربا زينه المشهور^(٢) وقد تداوله الناس أكثر من سائر كتبه، والمقالة الأمنية في الأدوية البيمارستانیة^(٣)، واختيار الحاوي للرازي، واختيار كتب مسكويه في الأشربة، واختصار شرح جالينوس لكتاب الفصول لأبقراط، ومقالة في الفصد^(٤).

وقد عاصر ابن التلميز أوجد الزمان هبة الله بن ملكا البغدادي (المتوفي عام ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م)^(٥) الذي كان من مشاهير الأطباء في بغداد، فاضل عالم بعلوم الأوائل^(٦)، ومن نوادره في معالجة الأمراض النفسية ما أورده ابن أبي أصيبعة: "أن مريضاً ببغداد كان قد عرض له السوداء - المانخوليا^(٧) - وكان يعتقد أن على رأسه دنا، وأنه لا يفارقه أبداً، فكان كلما مشى يتحايد المواضع التي سقوفها قصيرة، ويمشي برفق، ولا يترك أحداً يدنو منه . . ."^(٨) وعالجه أبو البركات بایهامه بكسر

-
- (١) ابن خلدان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ٦٩ .
 (٢) مخطوط . أنظر : الزركلي : الأعلام ج ٨ / ص ٧٢ .
 (٣) مخطوط . ن . م . م . ج ٨ / ص ٧٢ .
 (٤) مصنفاته ذكرها ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٤٩ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ١٩ / ص ٢٧٦ .
 (٥) سبق ترجمته ودراسته .
 (٦) البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام / ص ١٥٢ .
 (٧) المانخوليا : ضرب من الجنون ، وهو أن تحدث للإنسان أحكام جريئة ، وبغلبه الحزن والخوف ، وربما صرخ ونطق الأفكار الرديئة ، وغلط في كلامه . أنظر : الخوارزمي : مفاتيح العلوم / ص ١٣١ .
 (٨) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٢٧٤ .

دنه عندما أدار غلامه خشبة ، وضرب بها فوق رأسه نحو ذراع خشبية ، ورمى غلام له آخر دنا من أعلى السطح فتكسر قطعاً ، فلما عاين المريض الدن المنكسر تأوه لكسرهم إياه ، ولم يشك أنه هو الدن الذي كان على رأسه بزعمه ، وأثر فيه الوهم أثراً برئ فيه من علته ^(١) . ويقول ابن أبي أصيبعة في ذلك : " وهذا باب عظيم في المداواة " ^(٢) . وله تطبيقات متعددة في معالجة المرض تذكرها المصادر المختلفة .

وله من المصنفات الطبية أمين الأرواح في المعاجين ، اختصار التشريح ، كتاب الأقربانين ^(٣) .

ومن مشاهير أطباء العصر في العراق أبو الحسن علي بن أحمد بن هبـل البغدادي (المتوفي عام ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) ، " كان أوحـد وقته ، وعلامة زمانه فـى صناعة الطب والعلوم الحكيمـة " ^(٤) . له مصنفات حسان في الطب أشهرها كتابه المختارات في الطب ^(٥) الذي يعد من أشهر تصانيف العصر الطبية ، وأوفرها نفعا ، وأتمها حاجة .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٧٤ .

(٢) ن ٣٠٠ م / ص ٣٧٤ .

(٣) ذكر مصنفاته ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٧٤ .

(٤) علي بن أحمد بن علي البغدادي المعروف بابن هبل ، الأديب الطبيب ، نشأ في بغداد ، وتلقى بها تعليمه ، ثم رحل في طلب العلم ، وعاد إلى الموصل وأقام بها إلى حين وفاته . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٤٠٩ ، القفطي : أخبار العلماء / ص ١٦٠ ، المنذرى : التكملة لوفيات النقلة ج ٢ / ص ٢٩٢ ، البغدادي : هدية العارفين ج ١ / ص ٧٠٤ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٤٠٩ .

(٦) طبعته دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن سنة ١٣٩٢ م في أربعة أجزاء .

وقد تناول فيه المؤلف عدة فصول في علم الطب ، وتطبيب الانسان بشكل جميل وواضح . والمطلع على كتابه هذا يدرك ما كان يتمتع به المؤلف من غزير العلم فسي حقل الطب البشري ، ذلك أنه تناول الأمراض التي تعترض الانسان ، وأعراضها ، ومعالجتها ، كما أضاف فصلا تحدث فيها عن تشريح أعضاء الانسان صغيرها وكبيرها . كما أنه أفرد فصولا أخرى للحديث عن المأكولات وأثرها على الصحة وأنواع العلاجات والأدوية ، وكيفية استخراجها من النباتات .

وقد عالج المؤلف في كتابه بجانب ذلك الأمزجة والنفس وأثرها على صحة الأبدان ، ويرى المؤلف أنه " ما يمتحن به الطبيب حتى يوثق بعلمه وعلمه أن ينظر في ماذا أنفق زمانه ان كان الاشتغال بهذه الصناعة ، وملازمة خدمة الكبراء من أهلها ، وطول ملازمتهم والقراءة عليهم ، والعلاج بين أيديهم ، والتدريب على الدخول الى المرضى في بيوتهم ، وملازمة خدمة البيمارستان الذي يجتمع فيه حذاق الأطباء ، وكثرة نظره الى معالجة الأستاذ ، فيشار اليه ويعول عليه ، وكذلك هل يثنى عليه الناس لحسن سيرته وديانته ، وأن همته اذا خلا في بيته مطالعة الكتب ودراسة هذه الصناعة" (١).

وينبغي ألا تغوتنا الإشارة الى موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي (المتوفى عام ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م) (٢) الذي كان يتردد اليه طوال حياته جماعة من الأطباء التلامذة للقراءة عليه ، ومن المعروف أن موفق الدين البغدادي هذا هو الذي نقض قول جالينوس بأن الفك الأسفل للانسان مؤلف من قطعتين من العظم ، وأكد أن الفك الأسفل مؤلف من عظمة واحدة (٣) . كما أنه هو الذي أثبت

(١) ابن هبل : المختارات في الطب / ص ٦ - ٧ .

(٢) سبق ترجعته .

(٣) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ج ١ / ص ٣٤٥ .

أن مستدق الظهر مؤلف من قطعة واحدة من العظم ، وليس من ست قطع كما قال جالينوس^(١) .

ولموفق الدين البغدادي مصنفات كثيرة في الطب تجاوزت الخمسين ، ذكرها ابن أبي أصيبعة^(٢) منها : مقالة تشمل أحد عشر بابا في حقيقة الدواء والغذاء ، ومقالة في البادي ، بصناعة الطب ، ومقالة في دبابيطس والأدوية النافعة منه ، واختصار كتاب الأدوية المفردة لابن واحد ، ومختصر في الحميات ، وكتاب الكفاية في التشريح ومقالة في ميزان الأدوية المركبة من جهة الكميات .

ومن اشتهر بالطب في هذا العصر أسرة آل أثري الطبية ، حيث برز منهم عدد من المتخصصين في هذه الصناعة ، منهم جمال الدين أبو الحسن علي بن سعيد بن هبة الله بن أثري الذي كان فاضلا في صناعة الطب وعالم بها^(٣) .

وكان والده هبة الله بن علي بن أثري متعيزا في الحكمة ، فاضلا في صناعة الطب ، له مصنفات فيها^(٤) .

ومنهم سعيد بن هبة الله بن أثري ، كان ساعور البيمارستان العضدي في أيام المقتدي لأمر الله^(٥) .

واشتهر أيضا من هذه الأسرة بالطب وحسن المعالجة أبو علي الحسن بن علي بن أثري^(٦) ، وعلي بن هبة الله بن أثري^(٧) الذي شرح كتاب دعوة الأطباء^(٨) .

(١) حميد موراني : قراءات في تاريخ العلوم عند العرب / ص ٦٦ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٦٩٤ - ٦٩٥ .

(٣) ن.م.س / ص ٤٠٠ .

(٤) ن.م.س / ص ٣٩٩ .

(٥) ن.م.س / ص ٣٩٩ .

(٦) ن.م.س / ص ٤٠٠ .

(٧) ن.م.س / ص ٣٩٩ .

(٨) ن.م.س / ص ٣٩٩ .

ثانيا : الصيدلة (*) :

لقد نظم العرب مهنة الصيدلة ، فجعلوا على الصيادلة نقيبا يسمى رئيس العشابين ، وأخضعوا المهنة لرقابة عريف الحسية ، حتى يحولوا دون غشش الدواء^(١) .

وبرز في العراق خلال العصر السلجوقي عدد من المتخصصين في العلوم الصيدلانية ، كان أبرزهم سعيد بن هبة الله بن الحسين البغدادي (المتوفى عام ٤٩٤ هـ / ١١٠٠ م)^(٢) الذي برع في الصيدلة حتى أطلق عليه لقب العشّاب .
صنف في الأدوية مقالة في صفات تراكيب الأدوية .

ومنهم الطبيب أبو علي يحيى بن عيسى المعروف بابن جزلة (المتوفى عام ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م)^(٣) الذي كان من الصيادلة المهرة المشهورين في هذا العصر ببغداد ، وقد صنف في ذلك كتابه منهاج البيان فيما يستعمله الانسان ، جمع فيه معلومات عن الحشائش والعقاقير والأدوية ، وكل ما يستخدمه الانسان في الطب من لحوم ونباتات ، وستحضرات كيميائية ، ألّفه للخليفة المقتدى بأمر الله كما يفهم من قوله في مقدمته : " مستقصر في ذلك خدمة خزائن سيدنا ومولانا الامام العادل المقتدى بأمر الله " الى أن يقول : " ولما أنعم بقبول الكتاب الذي سمّيته تقويم الأبدان ، بادرت بتركيب كتاب ثان سمّيته بمنهاج البيان فيما يستعمله الانسان ، فضمنته ذكر جميع الأدوية والأشربة والأغذية

(*) قال الطبري : الصيادلة : جمع الصيدلاني ، لغة في الصيدناني ، وهوبيع الأدوية ، الطبري : المغرب / ص ٢٦٥ .

(١) ابن بسام : نهاية الرتبة في طلب الحسية / ص ٨٥ ، جلال موسى : منهاج البحث العلمي عند العرب / ص ٢٤٧ .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) سبقت ترجمته .

وكل مركب من ذلك وسيط ، ومفرد وخليط " ، ثم يقول : " ولقد تأملت ما نحاه المصنفون فلم أجد كتابا واحدا مختصرا جامعاً لما جمعته في هذا الكتاب " (١).

ولقد برز في ميدان الصيدلة أمين الدولة ابن التلميذ (المتوفى عام ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م) (٢) إضافة الى شهرته في الطب ، وصنف في مجالها كتاباً حساناً "أقرباننية العشرين باباً وهو مشهور ومتداول بين الناس والأطباء" (٣) ، وله أيضاً في المقالة الأمينية في الأدوية البيمارستانية (٤) ، واختار كتب مسكويه في الأشرسة ، وابدال الأدوية لجالينوس .

ومن برز في الصيدلة في العراق في هذا العصر عز الدين أبو النجاشي بدر بن أحمد بن محمود الأسعدي الصيدلاني الذي " كان عارفاً بالأدوية والعقاقير وعمل الترياق الكبير ، وله تركيبات غريبة في المفرحات وغيرها ، وكان يحفظ جميع أدوية القانون ، وله معرفة بعمل الشرابات والسفوف والحشائش " (٥).

كما وبرز في علم الصيدلة خلال هذا العصر في العراق أواخر الزمان أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا البغدادي (المتوفى عام ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م) ، صنف فيها الأقربانين (٦) في ثلاث مقالات ، مقالة في الدواء ، ومقالة في معجون خصاص لعلاج بعض الأمراض سماه أمين الأرواح (٧).

-
- (١) ابن جزلة : منهاج البيان فيما يستعمله الانسان ، صور مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة (ورقة ١ أ ب طب - رقم ١٢٨) .
 - (٢) سبقت ترجمته .
 - (٣) مخطوط . أنظر : الزركلي : الأعلام ج ٨ / ص ٧٢ .
 - (٤) مخطوط . ن . م . م . ج ٨ / ص ٧٢ .
 - (٥) ابن القوطي : مجمع الآداب ج ١ / ص ٤٣ . ولم يذكر سنة وفاته .
 - (٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٧٤ .
 - (٧) البغدادي : هدية العارفين ج ٢ / ص ٥٠٥ .

وقد ظهر في أواخر العصر السلجوقي الطبيب موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي (المتوفى عام ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م) وهو طبيب عالم بالحشائش وتركيب الأدوية صنف فيها كتابا كبيرا في الأدوية المفردة ، واختصار كتاب الأدوية المفردة لابن وافد ، وانتزاعات من كتاب نيسقوريدس في صفات الحشائش^(١).

ثالثا : الرياضيات والفلك :

أدى اتساع الدولة الإسلامية وزيادة مسئوليتها ، كما اقتضت ظروف التطور الحضاري للمجتمع الإسلامي ، الى اهتمام واسع بشتى العلوم المختلفة . ومن ذلك علم الرياضيات والفلك ، حيث نالت هذه التخصصات قدرا عظيما من اهتمام العلماء المسلمين ، فقد برعوا في الحساب ، ووضعوا في ذلك مؤلفات كثيرة ، بحثوا فيها الأعداد وأنواعها وخواصها ، وتوصلوا الى دراسات ونتائج أثارت إعجاب علماء الغرب في العصر الحديث وأدهشتهم ، فاعترف الكثير منهم بفضلهم وأسبقيتهم ، كما وضعوا علم الجبر " وأتوا فيه بالعجب العجيب ، حتى ان كاجورى قال : " ان العقل ليدعش عندما يرى ما عمله العرب في الجبر " ^(٢).

وترجمت الدراسات الهندسية عن كتب اليونان ، حيث جرت دراستها دراسة طمية فاحصة ، وأضاف العلماء المسلمون اليها اضافات كثيرة ومهمة .

وفي علم المثلثات حصل تطور نوعي كبير ، اذ لولا جهود العلماء المسلمين " لما كان علم المثلثات على ما هو عليه الآن ، فاليهم يرجع الفضل الأكبر في وضعه بشكل علمي منظم مستقل عن علم الفلك " ^(٣).

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٦٩٤ .

(٢) طوقان : تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك / ص ٦١ .

(٣) ن . م . س / ص ١٠١ .

واهتم العلماء المسلمون بعلم الفلك ، ودفعهم الى الاهتمام به تعيين سمت القبلة ، ووقت الزوال ، وأوائل الشهور القمرية وأواخرها ، لأن أوقات الصلوات الخمس تختلف من بلد الى بلد ، وهكذا فانهم طوروا علم الفلك* وجعلوه علما رياضيا مبنيا على الرصد والحساب والهندسة لتعليل ما يرى من الحركات والظواهر الفلكية والكونية . ولم يقفوا فيه عند حد النظريات كما فعل اليونان ، بل فاقسوا غيرهم في عمل الآلات التي رصدوا بها النجوم والكواكب*^(١).

وقد تميزت المؤلفات الاسلامية في مجال علم الفلك بما التزم به مؤلفوها من أسلوب علمي واتجاه لتطبيق النظريات الحسابية والجبرية والهندسية على الأغراض العلمية من شئون حياتهم ولوازم مجتمعاتهم.

ولقد عاش في العراق خلال العصر السلجوقي عدد من جهابذة الرياضيات والفلك ، الذين استفاد بعض السلاطين والوزراء السلاجقة من قدراتهم الرياضية في تنفيذ مشاريعهم العلمية والفلكية ، كما حصل في إعادة النظر فيما يعرف بالتقويم الطكشاهي ، ويذكر ابن الأثير أنه في سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م " جمع نظام الملك والسلطان طكشاه جماعة من أعيان المنجمين ، وجعلوا النيروز أول نقطة مسن الحمل ، وصار ما فعله السلطان مبدأ التقاويم ، وفيها أيضا عمل الرصد للسلطان طكشاه واجتمع جماعة من أعيان المنجمين ، منهم عمر الخيام^(٢) وأبو المظفر الاسفزاری^(٣) وميمون بن النجيب الواسطي*^(٤).

-
- (١) ناجي معروف : المرصد الفلكية ببغداد / ص ٥٥ .
 (٢) عمر الخيام (ت ٥١٥ هـ / ١١٢١ م) فيلسوف شاعر من أشهر الرياضيين في عصره القفطي : أخبار العلماء / ص ١٦٢ .
 (٣) أبو حاتم المظفر بن اسماعيل الاسفزاری (ت ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م) فيلسوف رياضي عاصر عمر الخيام . البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام / ص ١٢٥ .
 (٤) ابن الأثير : الكامل ج ٨ / ص ١٢١ .

وقد نبغ في هذا العصر الكثير من علماء الرياضيات والفلك ممن كان لدراساتهم ومصنفاتهم أثر واضح في إثراء الدراسات الرياضية والفلكية .

منهم صاعد بن الحسن بن صاعد أبو العلاء الطبيب الفلكي (المتوفى عام ٤٧٥ هـ / ١٠٨٢ م)^(١) الذى صنف في الفلك كتاب التشويق التعليمي في علم الهيئة، أوله " هذه المقالة كتبها صاعد بن الحسن المتطبب في سنة ٤٥٩ هـ الى بعض اخوانه اختصارا ولقبها التشويق التعليمي " ،^(٢) وهذه المقالة تتكون من ثمانية عشر بابا في شكل الأرض ووضعها في الفلك ، وراتب أفلاك الكواكب الخمسة ، ومقادير الليل والنهار^(٣) .

ومن برز في الدراسات الرياضية والفلكية في هذا العصر أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن يوسف البغدادي المشهور بالبديع الاسطرلابي (المتوفى عام ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م)^(٤) الذى وصفه ابن أبي أصيبعة بأنه كان " من الحكماء الفضلاء ، والأدباء النبلاء ، طبيب عالم ، وفيلسوف متكلم ، غلبت عليه الحكمة ، وعلم الكلام الرياضي ، وكان متقنا لعلوم النجوم والرصد " .^(٥) والذى قرطه الكتبي بقوله : " كان وحيد عصره وفريد دهره في معرفة الهيئة والكرة والطرجهان ومعرفة الرصد ، وتجزئة أوقات الليل والنهار وساعاتها فأبدع فيها ، وحصل بذلك أموالا جزيلة " ،^(٦) صنّف

(١) صاعد بن الحسن بن صاعد أول من صنع قلم الحبر العداد ، وكان يُقرب فسي أشياء يخترعها . ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ / ص ١١٥ .

(٢) صاعد بن الحسن : التشويق التعليمي الورقة ١١ صور بمركز البحث الملمسي بجامعة أم القرى " مجاميع " .

(٣) ن . م . س / ورقة ١ .

(٤) انظر عن البديع الاسطرلابي : ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ / ص ٥٠ ، الذهبي : المختصر المحتاج اليه ج ٣ / ص ٢٢٢ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ / ص ١٨٤ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص ١٠٣ ، ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ / ص ٢٧٥ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٧٦ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٣٧٩ .

(٦) الكتبي : عيون التواريخ ج ٢ / ص ٣٤٨ .

في ذلك زيجاً^(١) سماه المعرب المحمودي^(٢) ، وله اصلاح الآلة الشاملة للمخندى^(٣) ،
كما عمل جداول فلكية في قصر السلطان السلجوقي ببغداد^(٤) .

(٥) أما أبو بكر محمد بن عبد الباقي البغدادي (المتوفى عام ٥٣٥هـ / ١١٤١م)
فقد برع في الرياضيات ، وصنف فيها : شرح المقالة العاشرة من كتاب أصول
اقليدس ، ورسالة في الجبر والمقابلة .

وقد برز في هذا العصر في العلوم الرياضية الشيخ نجم الدين أبو الفتح
أحمد بن محمد بن السري البغدادي المعروف بابن الصلاح (المتوفى عام ٥٤٨هـ /
١١٥٣م) ، الذي عاش ببغداد ، وتلقي بها حظاً وافراً من علوم الرياضة . وتدل

-
- (١) الزيج : كتاب يحسب منه سير الكواكب ، ومنه يستخرج التقويم ، وهو بالفارسية
" ز ه " أى الوتر ، ثم أعرب فقيل " الزيج " الخوارزمي : مفاتيح العلوم / ص ١٦٩ .
- (٢) صنّفه للسلطان مغيث الدين أبي القاسم محمود بن محمد بن طكشاه (ت ٥٢٥هـ /
١١٣١م) . البغدادي : هدية المارفين ج ٢ / ص ٥٠٥ ، كحالة : العلوم
البحثة في العصور الإسلامية / ص ١٩٢ .
- (٣) الخجندی من كبار الرياضيين الذين ظهروا في القرن الرابع الهجري (ت ٣٩٠هـ
/ ٩٩٩م) . بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج ٤ / ص ١٩٤ .
- (٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ / ص ٥٠ .
- (٥) محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري الحنبلي البزاز ، عالم شاعر في أصناف
عديدة من العلوم كالفقه والحديث والحساب والجبر والمقابلة والهندسة
والفرائض ، تتلمذ على الباقلاني وأبي الطيب الطبري . ابن العماد : الشذرات
ج ٤ / ص ١٠٨ - ١١٠ ، ابن حجر : لسان الميزان ج ٥ / ص ٢٤١ - ٢٤٣ ،
حاجي خليفة : كشف الظنون ج ١ / ص ١٣٨ .
- (٦) نجم الدين أبو الفتح أحمد بن محمد بن السري سكن بغداد ، كان فاضلاً في
العلوم الحكيمة جيد المعرفة بها ، له مصنفات عديدة . البيهقي : تاريخ حكماء
الاسلام / ص ١٧١ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ج ٢ / ص ٧٥ ، ابن أبي أصيبعة :
عيون الأنباء / ص ٦٣٨ .

أشاره على مقدرة عالية في العلوم الرياضية ، ومعرفة دقائقها . فقد قارع رياضيين أكابر كابن الهيثم ^(١) والكوهي ^(٢) ، وله مصنفات عديدة في العلوم الرياضية ، وقد وضع كتاب المقالات السبع ، ورسالة في تسطيح الكرة ^(٣) .

وعاش في بغداد في هذا العصر من علماء الرياضيات السموءل بن يحيى بن عباس المغربي (المتوفى عام ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م) ^(٤) الذي ورد بغداد وأقام فيها معظم حياته ، كان عالما بصناعة الطب ، ورع في العلوم الرياضية ^(٥) ، له كتب ورسائل في الجبر والمقابلة ، منها كتاب اعجاز المهندسين ، وكتاب المثلث القائم الزاوية ، ورسالة الى ابن خلدون في مسائل حسابية ، وكتاب القواميس في الحساب الهندي ، وكتاب الباهر في علم الرياضيات ^(٦) .

(١) محمد بن الحسن بن الهيثم توفي نحو ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م مهندس من أهل البصرة ، له تصانيف في الهندسة ، كتبه تزيد على السبعين مصنفا ، منها المنظور ، تهذيب المجسطي ، مساحة الجسم المتكافئ ، مساحة الكرة ، المرايا المحرقة ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٥٥٠ ، القفطي : أخبار العلماء / ص ١١٤ .
(٢) ابن سهل ويكنى بن رستم الكوهي توفي سنة ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م مهندس عالم بالهيئة وآلات الرصد ، تقدم في الدولة البويهية ، وهو الذي بنى بيت الرصد لشرف الدولة ببغداد . له رسائل منها : البركار التام والمكمل به ، المفروضات ، مراكز الدوائر المتماسية على الخطوط وغيرها . القفطي : أخبار العلماء / ص ٢٣٠ ، البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام / ص ٨٨ ، ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٤ / ص ١٥٤ .

(٣) طوقان : تراث العرب العلمي / ص ٣٦٩ ، الزركلي : الأعلام ج ٨ / ص ١٢٧ .
(٤) السموءل بن يحيى المغربي مهندس رياضي عالم بالطب والحكمة . عاش معظم حياته ببغداد . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ص ٤٧١ .

(٥) ن . م . س / ص ٤٧١ .

(٦) أنظر مصنفاته في : Brockelman: Geschichte der Arabischen Litterature Vol. II, p.892.

الزركلي : الأعلام ج ٣ / ص ١٤٠ .

أما أبو الرشيد الرازي ، مبشر بن أحمد بن علي الحاسب المتوفى ببغداد (٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م)^(١) فقد برز في أيام الناصر لدين الله العباسي ، وقرأ عليه الكثيرون وأخذوا عنه^(٢) ، واشتغل بالرياضيات ، وبرز فيها ، ولا سيما الحساب وخواص الأعداد ، والجبر والمقابلة والهيئة وقسمة التركات^(٣) .

وكان أبو المظفر جلال الدين عبد الله بن يونس بن هبة الله البغدادى الأزجي الحنبلي (المتوفى عام ٥٩٣ هـ / ١١٩٧ م)^(٤) وزير الناصر لدين الله العباسي ، عالماً بأصول الدين والفقه والحساب والهندسة والجبر والمقابلة ، صنف في أوهم أبي الخطاب الكوزاني في الفرائض والوصايا^(٥) .

ومن برز في هذا العصر في العراق متخصصاً في العلوم الرياضية أبو الفتح موسي بن يونس بن محمد بن نعمة (المتوفى عام ٦٣٩ هـ / ١٢٤٢ م)^(٦) ، السدي وصف بأنه كان " عارفاً بالحكمة والمنطق والطبيعى والالهي ، والطب ، ويعرف فنون الرياضة من اقليدس والهيئة والمخروطات ، والمتوسطات ، والمجسطي ، وأنواع الحساب المفتوح منه والجبر والمقابلة والأرثاطيقي ، والمساحة والموسيقي معرفة لا يشاركه فيها أحد ، الا في ظواهر هذه العلوم دون دقائقها والوقوف على

(١) مبشر بن أحمد بن علي الحاسب كان أواخر زمانه في معرفة الحساب وخواص الأعداد والجبر والمقابلة وعلم الهيئة والهندسة . القفطي : أخبار العلماء / ص ١٧٧ .

(٢) ن . م . س / ص ١٧٧ .

(٣) ن . م . س / ص ١٧٧ .

(٤) الوزير جلال الدين عبد الله بن يونس البغدادى فقيه حنبلي أصولي فريقي . رحل في طلب العلم ، وسمع وسمع منه . ولم يكن في ولايته محموداً . العماد الحنبلي :

الشذرات ج ٤ / ص ٣١٣ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ / ص ١٢ ، العماد الحنبلي : الشذرات ج ٤ / ص

٣١٣ - ٣١٤ .

(٦) سبقت ترجمته .

حقائقها ، ولقد ذكره أبو البركات المبارك بن المستوفي في تاريخ اربسل فقال : " هو عالم مقدم ضرب في كل علم ، وهو في علم الأوائل كالهندسة والمنطق وغيرهما ، من يشار اليه حل اقليدس والمجسطي " (١) وله في الرياضة مصنفات رائعة ، منها : تصحيح عما الشرف الطوسي (٢) ورسالة تسبيع الدائرة وكيفية اتخاذه ذلك ، وكتاب الأسرار السلطانية في أحكام النجوم (٣)

رابعاً: الكيمياء :

وبالإضافة الى ما قدمه علماء هذا العصر من مآثر في الطب والرياضيات والفلك - كانت لهم دراسات في الكيمياء ، التي انتهج العرب فيها وغيرها من العلوم الطبيعية منهج التجربة العلمية . (٤)

ويطالعنا في العراق في هذا العصر نموذج فريد من العلماء جعله المؤرخون من أعظم علماء الكيمياء في تاريخ الاسلام بعد جابر بن حيان (٥) والرازي (٦) وهو فخر الكتاب أبو اسماعيل مؤيد الدين أبو اسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الرحمن العميد الوزير الأستاذ المنشئ المعروف بالطبراني (المتوفى عام ٥١٥هـ / ١١١٩م) ، (٧)

- (١) ابن خلدان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ٣١١ .
- (٢) الأسطرلاب الخطي المعروف بعصا الطوسي ، نسبة الى مخترعه المظفر بن المظفر الطوسي (ت ٦١٠هـ / ١٢١٣م) وهو يشبه بهيئة المسطرة . أنظر : نلليو : دائرة المعارف الاسلامية ج ٢ / ص ١١٧ .
- (٣) ابن خلدان : وفيات الأعيان ج ٥ / ص ٣١١ .
- (٤) يقول حتى : " وهي خطوة الى الأمام رائعة ، اذا قورنت بنظريات الاغريق الغامضة " . حتى : تاريخ العرب ج ٢ / ص ٤٦٥ .
- (٥) جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي (المتوفى عام ٢٠٠هـ / ٨١٥م) فيلسوف كيميائي من أهل الكوفة ، صنف : أسرار الكيمياء ، أصول الكيمياء ، علم الهيئة ، المكتسب ،
- (٦) محمد بن زكريا أبو بكر الرازي (ت ٣١٣هـ / ٩٢٥م) فيلسوف كيميائي من الأئمة في صناعة الطب . القفطي : أخبار العلماء / ص ١٧٨ .
- (٧) سبقت دراسته في هذا المبحث .

قال عنه ابن الأثير : " قام أقوام فشهدوا عند السلطان محمود أن الطفرائي زنديق ، وأنه لا يتدين بدين الاسلام ، فقال السلطان : قد ثبت عندي فساد دينه واعتقاده ، وأمر بقتله ، فقتل أو ذبح بين يديه صبرا " (١)

كان الطفرائي واسع المعرفة ، كرس غير قليل من همه للكمياء واشتغل فيها حتى عد من شيوخها وأئمتها ، قال ياقوت : " كشف الأستاذ أبو اسماعيل بذكائه سر الكيمياء ، وفك رموزها ، واستخرج كنوزها " (٢) والطفرائي فخور بمكانته في علم الكيمياء وقد قال في أحد كتبه في الكيمياء : " ولما علمت أن العلم أحرم شيء إلى نفسي تحققت أن لا يناله أحد غير أهله ولا أبنائه جنسه ، فألفت في ذلك كتابا لم يسمح الدهر بمثله ، ولما فرغت عن لي أن أجعل كتابا في ذلك ، جامعا لذلك الفن على العموم والشمول ، محيطا بكل ما عز على الأوائل ذكره وسميته بـ مفاتيح الرحمة وأسرار الحكمة ، ليكون ، بما أودعته فيه من العلوم ، وأوضحته مطابقا فحواء لاسمه ، ورتبته على مقدمة وسبعة أبواب " (٣)

وتصانيفه في الكيمياء كثيرة منها : جامع الأسرار ، وكتاب تراكيب الأنوار ، (٤)

- (١) ابن الأثير : الكمال ج ٨ / ص ٢٩٥ .
 (٢) يقول ابن خلدون : " وإمام المدونين فيها جابر بن حيان والطفرائي من حكماء المشرق المتأخرين ، له فيها دواوين ومناظرات مع أهلها وغيرهم من الحكماء " ابن خلدون : المقدمة / ص ٥٠٤ ، وأنظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ / ص ١٨٥ ، ياقوت : معجم الأدباء ج ١٠ / ص ٥٦ .
 (٣) ياقوت : معجم الأدباء ج ١٠ / ص ٥٦ ، الصفدي : الفيت المسج ج ١ / ص ٦ ، ابن العديم : بغية الطلب / ص ١٨٢ .
 (٤) علي الطاهر : الشعر العربي في العراق وبلاد العجم ج ٢ / ص ١٠٤ ، دون أن يذكر مصدره .
 (٥) جامع الأسرار وتراكيب الأنوار . في الكيمياء نسخة موزعة في بطرسبرج (خامس ٢٠٥ رقم ١٢) والمتحف البريطاني (٨٢٢٩ or أوراق منه) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج ٥ / ص ١٢ .
 (٦) تراكيب الأنوار . هناك صفحات منه بالمتحف البريطاني (٨٢٢٩ or) ن ٢٠٠ س ج ٥ / ص ١٢ .

وكتاب حقائق الاستشهاد في الدفاع عن الكيمياء ضد ابن سينا^(١) ؛ وله الجوهر النطير
في صناعة الأكسير^(٢) ، وله قصيدتان في الكيمياء^(٣) .

ومن علماء الكيمياء في هذا العصر بالعراق أبو القاسم محمد بن أحمد العراقي^(٤)
الذي برز في الشطر الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي له رسالة بعنوان العلم
المكتسب في زراعة الذهب^(٥) .

(٦)
خامساً : الميكانيكا " علم الحيل "

وكان للعلماء في هذا العصر دراسات جادة في علم الحيل وهو ما يعرف في
العصر الحديث بالميكانيكا ، ودراساتهم تلك لم تفرد لها مصنفات خاصة ، بل
كانت ضمن دراسة الطبيعيات وكتب الفلسفة .

ولقد برز في هذا العصر عدد من العلماء في هذا الميدان وعلى رأسهم

-
- (١) حقائق الاستشهاد ، القاهرة ١٧٠٠ طبعة ، تيمور ١١ / ٢ مجاميع ، مصورة ،
بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج ٥ / ص ١٢٠ .
(٢) منه نسخة في برلين ١٠٣٦١ مصورة - ن ٠٠٠٠٠٠ ج ٥ / ص ١٢٠ .
(٣) المتحف البريطاني 601, III, 3 . ن ٠٠٠٠٠٠ ج ٥ / ص ١٢٠ .
(٤) أبو القاسم محمد بن أحمد العراقي ، أنظر عنه : حاجي خليفة : كشف الظنون ج ٣ /
ص ٢١٨ ، البغدادي : هدية العارفين ج ٢ / ص ٣٠٤ .
(٥) هذه الرسالة ترجمها هولمياد إلى الإنجليزية في باريس سنة ١٩٢٣ م . أنظر :
حتى : تاريخ العرب ج ٢ / ص ٤٦٥ .
(٦) علم الحيل : وتسمى باليونانية منجانيقون ، وأحد أقسامها جر الأثقال بالقوة
اليسيرة . الخوارزمي : مفاتيح العلوم / ص ١٨٧ .

أبو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازن (ت ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م) ^(١) صاحب ميزان الحكمة ^(٢) الذي يعد من الكتب المهمة في علم الطبيعة فيما له صلة بالميكانيكا ^(٣).

ومن برز منهم بالعراق أيضا هبة الله بن ملكا البغدادي (المتوفى عام ٥٤٧ هـ / ١١٥٤ م) الطبيب الماهر ، وقد كان له اهتمام بالغ بالعلوم ، وفطرة خاصة فيها حتى ادعى أنه نال رتبة أرسطو ^(٤) ويعد كتابه المعترف في الحكمة ^(٥) من أهم الكتب التي ظهرت في العراق في ميدانه ، ويشتمل الكتاب على ثلاثة أقسام : القسم الأول في المنطق ، والثاني في الطبيعيات ، والثالث فيما وراء الطبيعة . فعن الحركة يقول في كتابه هذا : " فعلى هذا سهل طريق التعليم الحكيم الذي يكون بالنظر والاستدلال ، وهذا القانون بعينه يستعمل في هذا العلم المسمى بالعلم الطبيعي المنسوب الى الطبيعة ، وهو المشتل على العلم بسائر المحسوسات من الحركات والمتحركات والمحركات وما معها وبها وفيها من الآثار المحسوسة " ^(٦) ويقول في مكان آخر : " والعلوم الطبيعية هي العلوم النازرة في هذه الأمور ، فهي النازرة في محل متحرك وساكن ، وما عنه وما به ، وما منه وما اليه ، وما فيه الحركة والسكون ، والطبيعيات هي الأشياء الواقعة تحت الحواس

(١) أبو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازن يعد على رأس علماء العصر في ميدان الحيل، فكتابه " ميزان الحكمة " الأول من نوعه بين الكتب العلمية القيمة ، يحتوى على بحوث مبتكرة وجديدة ، حتى قيل : انه أروع ما أنتجته القريحة في القرون الوسطى . البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام / ص ١٦١ ، ٩٠٢ . Brockelman, G.A.L p.

فيدمان : دائرة المعارف الاسلامية ج ٨ / ص ١٨٨ .

(٢) مطبوع بتحقيق فؤاد جسيمان ، القاهرة ، ١٩٤٧ م .

(٣) فيدمان : دائرة المعارف الاسلامية ج ٨ / ص ١٨٨ .

(٤) البيهقي : تاريخ الحكماء / ص ١٥٢ .

(٥) مطبوع ، حيدرآباد الدكن ، جمعية دائرة المعارف العشانية - ١٣٥٧ هـ .

(٦) ابن ملكا : المعترف في الحكمة ج ٢ / ص ٤٠ .

من الأجسام وأحوالها . وما يصدر عنها من حركاتها وأفعالها ، وما يفعل ذلك فيها من قوى وذوات غير محسوسة " .^(١)

ولقد قسم ابن ملكا الحركة الى قسمين : المكانية ، والوصفية ، فيقول : " وأعم أعراض الجسم الطبيعي وأخصها به من حيث هو جسم هي الحركة والحركة تقال على وجوه . فمنها الحركة المكانية ، وهي التي ينتقل بها المتحرك من مكان الى مكان ، ومنها الحركة الوضعية ، وهي التي تتبدل بها أوضاع المتحرك وتنتقل أجزاؤه في أجزاء مكانه ولا تخرجه عن جملة مكانه " .^(٢)

كما تحدث في كتابه أيضا عن انقسام الحركة الى : طبيعية ، وقسرية ، فيقول : " فلأن الحركة اما طبيعية واما قسرية ، والقسرية تتقدمها الطبيعية ، لأن المقسور انما هو مقسور عن طبعه الى طبع قاسره ، فاذا لم تكن حركة بالطبع لم تكن حركة بالقسر " .^(٣)

ويتحدث ابن ملكا في فصل آخر عن ازدياد السرعة باشتداد القوة فيقول : " وكل حركة ففي زمان لا محالة ، فالقوة الأشد تحرك أسرع وفي زمان أقصر ، فكلما اشتدت القوة ازدادت السرعة فقصر الزمان " .^(٤)

وعلى الجملة فان لهذا الكتاب أهمية في دراسة التطور العلمي التطبيقي . وقد أشار القفطي الى أن هذا العالم قد " وقف على كتب المتقدمين والمتأخرين ، وفى هذا الشأن واعتبرها واختبرها ، فلما صفت لديه وانتهى أمرها اليه صنف فيها كتابا سماه المعتبر ، أخلاه من النوع الرياضي ، وأتى فيه بالمنطق والطبيعيات والالهي ، وهو أحسن كتاب في هذا الشأن في هذا الزمان " .^(٥)

(١) ابن ملكا : المعتبر في الحكمة ج ٢ / ص ٦٠ .

(٢) ن ٥٠٠ ص ج ٢ / ص ٥٠ .

(٣) ن ٥٠٠ ص ج ٢ / ص ٩١ .

(٤) ن ٥٠٠ ص ج ٢ / ص ٥٠ .

(٥) القفطي : أخبار العلماء / ص ٢٢٤ .

وقد برز في علم الحيل في هذا العصر أيضا أبو نصر بديع الزمان بن اسماعيل بن الرزاز الجزري الذي عاش في أواخر القرن السادس الهجري ، وهو من المشهورين بصناعة الأجهزة والآلات ، وقد ركز اهتمامه على صناعة آلات قياس الزمن والمكائن . يقول دونالد دهل : " وفي سنة ١٢٠٦ هـ وضع الجزري كتابا يصف فيه بعض الآلات التي صنعها في مجرى حياته الحافلة بالعمل ، وتشتمل هذه الآلات على ساعات مائية ، وساعات تتحرك بفتائل القناديل ، وآلات حيل ، وآلات قياس ، ونافورات وآلات موسيقية ذاتية ، ومكائن لرفع المياه ، وباب واسعة تذكارية مختلفة بالنحاس والبرونز . لقد كان كتاب الجزري هذا ^(١) متفوقا على المصنفين السابقين وقد زودنا بمعظم ما لدينا من معلومات عن التقنية عند العرب ، فقد أدخل المؤلف في كتابه هذا سلسلة واسعة ومنوعة من الآلات التي تشمل كل الفنون ، والآلات التي استعملها أسلافه ، وكذلك الكثير من الإضافات والتحسينات التي أدخلها عليها . وأكثر من هذا أهمية أن الجزري كان بشكل جلي ماهرا في الصناعة تماما بشكل مفصل ودقيق ^(٢) فلقد عمل ابريقا يعمل بطريقة الأواني المستطرقة ، جعل غطاءه على شكل طائر يصفر عند استعماله لفترة قصيرة قبل أن ينزل الماء ، وقد صنع كذلك ساعة مائية لها ذراعان يشيران إلى الوقت ^(٣) . ولقد وصف الجزري في كتابه هذا مكائن غصبا صممت كلها بغرض رفع الماء ، وتشتمل أربع منها على مظاهر ذات أهمية عظمى في تاريخ التقنية الآلية ^(٤) على أن أهمها جميعا المكنة الخامسة والتي تعد ذات أهمية كبرى ، ذلك لأنها كانت الأساس المهم لتطوير مكائن ضخ المياه ^(٥) . ومن أهم مصنعات الجزري كتابه السابق الذكر وهو كتاب في معرفة الحيل الهندسية ، وكتاب الهيئ
والأشكال .

(١) وهذا الكتاب هو " كتاب في معرفة الحيل الهندسية " عرف من مخطوطاته خمس عشرة نسخة . دونالد دهل : التقنية الآلية عند العرب ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ٣١ / ص ٢٦٢ .

(٢) دونالد دهل : التقنية الآلية عند العرب / ص ٢٤٤ .

(٣) الدوميلي : العلم عند العرب / ص ٣٠٥ ، باقر أمين الورد : معجم العلماء العرب ج ١ / ص ٥٠ .

(٤) دونالد دهل : التقنية الآلية عند العرب / ص ٢٥٤ - ص ٢٥٥ .

(٥) ن . م . ص / ص ٢٥٥ .

وجدير بالذكر في هذا الميدان الاشارة الى مجال هام من مجالات الدراسات التطبيقية ، ألا وهو الزراعة والتقنية الزراعية ، ومع أن المعلومات التي تقدمها عن هذه الدراسات نادرة فان ما تجدر الاشارة اليه هنا بروز دور عالم جليل ظهر بأرض العراق في الربع الأول من القرن السادس وهو أبو عبد الله أحمد بن الحسين الشقاق^(١) ، كان عالما بالزراعة والفلاحة ، عارفا بتصريف الري وحفر القنوات ، وهندسة الأنهار ، مجتهدا في العمارات^(٢) .

وقد صنف في تخصصه هذا ، وهو الزراعة والهندسة الزراعية ، كتابا ورد ذكره في الحاوي للأعمال السلطانية ورسوم الحساب الديوانية^(٣) .

ذكر أحد الباحثين المحدثين بأنه صنفه بالعراق في العصر السلجوقي^(٤) ، وهو يتصل بعلوم الضرائب والزراعة والحساب وحفر القنوات ، وكيفية الأتربة المستخرجة في حالة جريان الماء والجفاف وطريقة ذلك ، وبالجملة فهو يتحدث عن الخدمات الاروائية ، ومختلف الوسائل التقنية المتصلة بالري^(٥) .

ولقد تحدث الشقاق في كتابه هذا عن كيفية حفر الأنهار المستجدة قائلا : " المقصود من ذلك أن يعرف علو مكان وانبساط مكان ، وهذا يعرف بمعدة موازين ، الا أن المعروف بين أهل زماننا ثلاثة موازين^(٦) ثم درج بعد ذلك على ذكر أنواع الموازين الثلاثة وكيفية العمل بها^(٧) . ثم ذكر الشقاق في كتابه هذا

(1) Brockelman: G.A. L Vol. I p. 854.

Cahen, Le service de Lirrigation en Iraq. p. 117.

(2) العمارة: وهي عملية كرى الأنهار والترع ومجارى مياه الري. Op. cit. p. 121.

(3) مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس برقم ٢٤٦٢ .

(4) Cahen, Le service de lirrigration en Iraq p. 117.

(5) Cahen, op.cit. p. 117.

(6) Cahen, op.cit. p. 119.

(7) Cahen, op.cit. pp. 119-120-121-122-123.

الوسائل المختلفة المستخدمة للسقي ، وهي ^(١) " النواعير المسحرات " ^(٢) الدائسرة
إذا كان الناعور فيها كاملاً كان عدد كيزانه ثمانين كوزاً ^(٣) ، والد واليب ، والشادوف ^(٤) ،
والغرافات ، والمنجونات ، والبكرات من الوسائل الفنية المستخدمة لدفع المياه
من مجارى الأنهار أو الآبار الى مستوى الأرض الزراعية المراد ربيها وهي متشابهة
من حيث فكرة العمل ، ومختلفة من ناحيتي الطاقة ، وما تحتاج اليه لتشغيلها ^(٥)
وقد فصل المؤلف ذلك كله ، من حيث سعتها ، ومقدار ما تحمله من المياه ،
والوقت الذى تستغرقه لرى المزارع ^(٦) .

ثم ذكر باباً في العمارة والبزندات ^(٧) وهي عليتها كرى الأنهار في فترة
الصيهود (وهو انخفاض مستوى المياه في آخر الصيف) وتحصين الغلات في
المواسم التي تسبق الفيضانات ، وقد أورد تفصيلات وافية عن ذلك ^(٨) .

.....

(1) Cahen, le service de l'irrigation en Iraq, P.118.

(٢) السحارة : اسم لوسائل عدة تستخدم لسحب الماء ، وما يقصده هنا هو الكوز
المغبرل السفلى الضيق الفم ، الذى يملأ ماءً ، ثم يقبض على فيه ، فلا ينصب
الماء من ثقب الغبرال . الخوارزمي : مفاتيح العلوم / ص ١٨٩ .

(٣) الدولاب : يشبه الناعور ، غير أن الناعور أسرع في الدوران .
- Cahen, Le service de l'irrigation en Iraq, p.118.

(٤) الشادوف : دلو لطيف يعمل من بوارى مثل دلو الدالية ، ويحتاج الى أربعة
رجال .

(٥) El-Samarraie: Agriculture in Iraq, pp. 26-30.

(6) Cahen, Op. cit. pp. 118. 119.

(٧) البزند : هو أن يفتح في جانب النهر بئق فيحتاج أن يسد ذلك بالقصب
أو الدغل أو التراب ، تريد أن تعلم كم يدخل فيه .

- Cahen, op. cit. p. 125.

(8) Cahen, op. cit. pp. 123-129.

الحمد لله

الخاتمة :

نسأل الله أن يتم بالصالحات والتوفيق أعمالنا وأن ينير لنا سبل الخير وطريق العلم .

فان البحث في الميدان العلمي والفكري لتواريخ الأمم هو من الدراسات الشيقة والمحبة الى النفس، ذلك أنه يكشف الركائز الحقيقية لحضارات الأمم ومدى سموها الفكري والابداعي حيث أن العلم هو أهم الدعائم التي تبنى عليها حضارات الأمم .

ولاشك في أن الأمة الاسلامية قد جعلت من العلم الركيزة الأولى لبناء أمجادها ونالت من ذلك حظا وافرا لم تخص به غيرها أمة من الأمم .

روى أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، سأل كعب الأحمير عن البلاد وأحوالها فقال : يا أمير المؤمنين ، لما خلق الله سبحانه وتعالى الأشياء ، ألحق كل شيء بشيء ، فقال العقل أنا لاحق بالعراق ، فقال العلم : أنا معك ^(١) .

ولقد لعب العراق دورا أساسيا ورائدا في تطور العلوم والآداب في الدولة الاسلامية منذ بواكير نشأتها وامتدادها فقد كانت الكوفة وشقيقتها البصرة مركزين رئيسيين من مراكز الإشعاع الفكري منذ أيام نشأتها ، وظل العراق طوال العصور الاسلامية المتتابعة منارا للعلم وموتلا للعلماء على اختلاف مشاربهم وتخصصاتهم ، وزاد الأمر وتضاعف الدور بعد انشاء دار السلام درة الدنيا وحاضرة العلم ومناره ، حيث كانت سوق العلم رائجة ودور الكتب نافقة ، والمستشفيات مشرعة الأبواب لطلاب العلم

(١) ياقوت : معجم البلدان ج ١ / ص ٤٨ .

والمرضى على السواء ، وحيث نشأت مدارس العلم وازدهرت الأرباع بالمكتبات ودكاكين الوراقين دليلاً على زخمة الاجتماع على العلم والتعلم والحرص على الإبداع والريادة وبروز العلماء وقد توسع الانتاج العلمي في هذا الاقليم وازدهر وأينعت ثماره ، حتى عاش العراق والأمة عصر الازدهار العلمي الذهبي خلال العصر العباسي الأول الذي استمر يانعا خصبا معطاء رغم كل الانتكاسات السياسية حيث امتدت آثاره لتتابع حركة التطور وخلال القرنين الخامس والسادس الهجريين ، حيث تهاوت حركة علمية شاملة عمت مدن العراق كافة لتحفظ لنا تاريخا مشرقا من حياة أمتنا المجيدة ممثلا في نشاط العلم والتعليم ، وازدهار العلوم وضخامة الانتاج العلمي خلال العصر السلجوقي .

ان البحث الذي نتقدم به عن الحياة العلمية في العراق خلال هذه الحقبة قد توصل الى جملة نتائج هي ليست على سوية أو منحى واحد ، ذلك أن منها ما هو ايجابي ، وهذا هو السمة الغالبة ، وبعضها ما هو سلبي ، لامتدوحة لنسب من تبيانها ، وهذه النتائج ما هي الا انعكاس للواقع العلمي والفكري الذي كانت تعيشه الأمة بعامة والعراق خاصة في هذا العصر بكافة ظروفه وملابساته المختلفة - ومن هذه النتائج ما يلي :

* لقد صاحب انتقال السلطة من البويهيين في العراق الى السلاجقة ، تغييرات مختلفة المدى في الأوضاع السياسية والاقتصادية والمذهبية والاجتماعية ، انعكاسا لاختلاف سلك واتجاه الحكام البويهيين عنه لدى السلاجقة .

* بروز عامل جديد أسهم في تعقيد حالة الصراع الحاد الدائر على ساحة المشرق الاسلامي ، وقد تمثل ذلك في موجة الغزو الأوروبية الصليبية التي كانت تندفع نحو المشرق بقصد الاحتلال والاستعمار في الوقت الذي كانت مراكز القوى الحاكمة في الدولة الاسلامية مشغولة في الدفاع عن مصالحها الذاتية ومحاولة التسلط والتحكم وضمان التوسع والاستعداد ، وفي الاستجابة لحالة الصراع

الداخلي والانشغال برودود الفعل المنعكسة عن ذلك ، بدلا من أن توحده جهودها المشتركة وتتناسى خصوصياتها وأحقادها وخلافاتها المذهبية ومطامعها الذاتية لمقاومة الخطر الداهم الذي يهدد الخلافة الاسلامية ويدار الاسلام ويعرضها للانحلال والاستعمار.

✳ ان السياسة المالية التي اتبعها حكام السلاجقة مثلة في وزيرهم المتوج نظام الملك تلك السياسة المرتكزة على النظام الاقطاعي لم يحالفها التوفيق بالشكل الذي كان يؤمل فيه ويتوخى منه من استقرار في الأوضاع العامة مع ضمان توفير الأموال العامة وزيادة واردات بيت المال ، وعلى خلاف ما كان يتوقع ، فقد أدى ذلك الى تركيز الأموال لدى المستفيدين من الاقطاعات في الوقت الذي استغل بعض الكبراء والتجار مراكزهم في امتلاك مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية التي كانت أصلا ملكا لصغار الملاك والفلاحين ، مما حولهم الى عمال زراعيين يشتغلون بأجور زهيدة اضطرتهم سوء أحوالهم الى الانتقال الى المدن والمراكز التجارية الحرفية للاشتغال بالأعمال التجارية والمهن الأخرى والتي لم تكن مدخولاتهم معها بأفضل مما كانوا عليه . وهكذا فبالإضافة الى تدهور الزراعة ومدخولاتها العامة ، فقد تدهورت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية الى درجة كبيرة لسكان العراق مما نجم عنه الكثير من الأمراض الاجتماعية والأزمات الاقتصادية والصحية الحادة .

✳ لقد كان العراق في العصر السلجوقي تتنازع سلفية متشددة ، وصوفية مبتدعة متسكة ، وشيعية منحرفة ومتطرفة . ذلك ان التعصب للمذهب أصبح السمسة الشائعة بين العامة والخاصة من السكان ، وبخاصة المسلمين الذين انقسموا بشكل حاد الى قسمين متميزين : أهل السنة وأتباع السلف ، والشيعية العلوية ، انقسم كل منهما الى فئات متعددة ومتناحرة تبعا للأفكار والآراء التي تمثل انتماؤاتهم المذهبية أو الفرق التي يدنون لها بالتهمية . وقد نجم عن ذلك ، إضافة الى حالة الصراع الحادة ، شيوع حالة يأس دفعت البعض الى الاتجاه نحو المعزوف عن الدنيا واغراق النفس بأمور تبعدها عن استشعار الواقع المحسوس

المؤلم ، وهكذا حصل توجه عام نحو التصوف الذى وجد فيه الكثير من الناس ملاذاً من حالة الصراع ، والتنازع التى يقاسى منها المجتمع . وهذا التوجه كان بعد ذاته مشكلة اضافية أسهمت فى زيادة حدة الصراع والتعصب التى عاشها الناس . أضف الى ذلك ، أنه ظهرت خلال هذه المرحلة المشحونة بالمنازعات حركة مستترة أدعت الميل الى تحكيم العقل فى الظاهر الا أنها كانت فى حقيقتها دعوة باطنية عملت على توحيد صفوف أتباعها والسير بهم فى أسلوب سرى منظم من أجل احداث تغييرات جذرية فى المجتمع يقوم على أساس اقامة الحكم العلوى الاسماعيلى مستفيدة من ظروف التشتت والانقسام التى عاشها المجتمع ، وقد لجأت الى مختلف الوسائل والأساليب لبعث دعوتها من استخدام الجسد والمنطق وعلم الكلام ولم تتورع عن استخدام الارهاب مستفيدة من أحد فروع التنظيم الخاص بها وهم الحشاشون أو الحشيشية التى استمرت فى اللجوء الى الاغتيالات الفردية وتصفية الخصوم واستخدام كافة الوسائل بفض النظر عن الأخلاق والشرعية لتنفيذ أهدافها والوصول الى ما تطمح اليه ، وكان على رأس التنظيم الأخير الحسن الصباح .

✳ هذه الظواهر تميز بها الوضع السياسى والفكرى للمجتمع فى العراق فى فترة البحث ، والتى تمثل حالة من الضعف والانقسام والتدهور فى كثير من مجالات الحياة . ومن الممكن تصور مدى الضرر الذى لحق بالحياة العلمية والمستويات الفكرية والانتاج والابداع نتيجة ذلك . وأن نتصور بعد ذلك الآثار الدامسة التى لحقت بحياة الفرد والتى تمثلت فى شيوع حالة اليأس من امكانية الاصلاح فى مجتمع يتصف بالعديد من المتناقضات والتى تخالف كتاب الله وسنة رسوله الأمين . ذلك اليأس الذى أدى بالكثيرين الى التحول الى موقف سلبى ، يرفض الواقع المتناقض والتعلق بطرق شتى مختلفة مؤلمين أن يجدوا فيها ما فقدوه فى واقعهم وأوضاعهم المختلفة .

* ولم يجد العلم والعلماء الاهتمام الكبير والرعاية من حكام السلاجقة الأوائل بحكم طبيعتهم البدوية ، فقد ركزوا على رعاية القوة العسكرية والاهتمام بها بجانب اهتمامات خاصة أخرى . على أن الحالة أخذت وضعاً آخر منذ عهد السلطان ملكشاه حيث بدأ الاهتمام بالعلم والتعليم والعلماء ، وقد قوى هذا الخط وتعمق في عصور من جاء بعده من السلاطين .

* لقد برز دور الوزير نظام الملك السلجوقي في هذا العصر وكان من أبرز اهتماماته: السياسة والإدارة والتعليم . وقد أدى اهتمامه بالعلم والعلماء واحتضان مراكز التعليم وإنشاء المدارس إلى أن يعرف بذلك بشكل بارز ، فلقد أولى علماء أهل السنة على اختلاف مذاهبهم وتخصصاتهم كل رعاية واهتمام . ولم يتفق لغيره ما اتفق له من ازدهار العلماء عليه وتردد هم على بابه وثنائهم على سيرته ، وتصنيفهم الكتب باسمه ^(١) . على أن إنشاء المدارس النظامية يعد من أهم وأبرز المعالم التي تميز بها العصر ولا سيما نظامية بغداد ، والتي انتقلت فكرتها وطرازها ونظامها إلى كثير من مدن العراق وخراسان والري ونيسابور وبلاد الشام ومصر . وإن لم يكن نظام الملك أول من بنى المدارس في العالم الإسلامي ، فقد بنيت قبل نظامياته الكثير من المدارس خصوصاً في منطقة نيسابور ، على أن أهم ما يميز المدارس النظامية عما قبلها هو اتباعها الأسلوب التنظيمي العلمي فسي البناء والمناهج والإدارة والسكن وتقديم المعاليم للأساتذة والطلاب والعاملين . ومع أن اقتباس النماذج السابقة من المدارس التي أنشئت في نيسابور وبخارى هو من الأمور المتوقعة فإن بالامكان القول بأنه لم يكن هناك دافع محدد انفراد في التأثير على نظام الملك ودفعه إلى الضي قدماً في إنشاء نظامياته في بغداد ومدن العراق الأخرى وأقاليم الشرق الإسلامي . والراجح أن تكون عدة عوامل قد تدخلت في تأثيراتها وأسهمت في تحديد وجهته ودفعته مجتمعة

(١) السبكي : طبقات الشافعية ج ٣ / ص ١٥٦ .

الى تنفيذ ذلك . وربما كان أبرزها الوقوف في وجه الدعوة الاسماعيلية الباطنية المضللة ومعاربتها حفاظا على الاسلام والمسلمين . اضافة الى عوامل أخرى سياسية ودينية متداخلة التأثير .

✳ لقد كان للصراعات المذهبية بين طوائف أهل السنة أثر فعال في انتشار المدارس وكثرتها في هذا العصر في بغداد وسائر مدن العراق حيث أسهمت ظاهرة التعصب المذهبي في شيوعها وتعدد ها ، وهكذا ظهرت مدارس شافعية ، وحنفية ، وحنبلية . كان يتولى انشاءها الكبراء من رجال الدولة ، وكبار العلماء والأغنياء ، ويقوم على التدريس فيها كبار علماء المذهب .

✳ اذا نظرنا الى الأوضاع العلمية بصفة عامة لفترة البحث لوجدناها حركة ماركسية ونشطة ومثمرة ، لاسيما فيما يخص الدراسات الشرعية واللغوية ، وكذلك الدراسات الخاصة بالتاريخ والطب . حيث نشطت هذه العلوم ابان فترة البحث نشاطا ملموسا وتطورت في أضواء نهضة علمية واسعة شملت جميع مدن العراق . هذا النشاط العلمي تمثل في عدة أوجه وتميز بمميزات بارزة يمكن أن تعد نتائج مباشرة تمثلت في تنافس الأمراء والوزراء والكبراء ورجال العلم على بناء المدارس والمعاهد والأربطة ، والتي عت أغلب مدن العراق لاسيما بغداد ، اضافة الى تغطية احتياجاتها المالية والانفاق عليها بسخاء . وكان من نتائج ذلك أيضا ظاهرة انتشار دور الكتب العامة والخاصة واتساع حركة النسخ والتدوين وازدياد عدد المؤلفات والمصنفات . بجانب المكانة الاجتماعية العالية التي تمتع بها العلماء وارتقاء مكانتهم وتشجيعهم من قبل الكثير من الكبراء وحصولهم على مكانة مرموقة في المجتمع . وجانب ذلك فقد زاد الاهتمام بالرحلات العلمية . والسبب أصبحت من مستلزمات اكتمال الشخصية العلمية لطلاب العصر . وهكذا فقد تحقق انتشار حلقات العلم ومجالس المناظرة . اضافة الى انتشار مجالس القصص والمذكرين كظاهرة علمية مهمة اتسم بها العصر ، وقد زاد وضوح وتمايز المذاهب

الفقهية من ناحية ، والفكرية من ناحية أخرى ، ونشط أربابها في الدفاع عنها ، مستخدمين العلم ومجالس المناظرة والمحاورات والتأليف لتحقيق ذلك . وهكذا فان بالامكان القول بأن هذا العصر يمثل بداية الاستثمار العلمي لنهضة العلوم المختلفة في العصور السابقة حيث ظهر الاتجاه الى كتابة الموسوعات المتخصصة في علوم الشريعة ، واللغة ، والتراجم المختلفة ، والتواريخ . كما برز بشكل كبير دور الدراسات الشرعية وأثرها في تطوير العلوم المختلفة ، ذلك أن السلطة القائمة قد ركزت اهتمامها خلال هذا العصر على احياء العلوم الشرعية والعناية بها لأسباب كثيرة ومتداخلة من أبرزها الدفاع عن الأمة وعقيدتها عن طريق الوقوف في وجه الحركات الفكرية والسرية المختلفة والتي كانت تستهدف تشكيك المسلمين في عقيدتهم توطئة للسيطرة عليهم وتوجيههم ضمن مخططاتها الخاصة . وبالإضافة الى ذلك فقد كان للأوضاع السياسية والاقتصادية السيئة والكوارث والنكبات التي داهمت المسلمين في هذا العصر أثر كبير في اضطراب وزعزعة أفكارهم ودفعهم الى التهاون والالتكالية وابتعادهم عن روح الاسلام ، مما حدا بعدد من كبار العلماء في تلك الفترة الى تناول تلك الأوضاع المضطربة بالدراسة في محاولة لتوضيح صورة الاسلام الحقيقية والرجوع الى منابعه الصافية بعيدا عن كل ما علق به من رواسب ومعوقات .

وبالمقابل فان الدراسات الفلسفية ودراسة المنطق وعلوم الأوائل قد تقلصت وكسدت سوقها في هذا العصر ، بعد صراع طويل مع معارضيها منذ انتقال علم الكلام من مرحلة استخدامه الأولى في المجتمع الاسلامي وما نجم عنها من بروز الاعتزال ومحنة الحنابلة ، وقد حاول الأشاعرة الاستفادة من ذلك خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري بعد أن كان البعض من العلماء يحرمون الخوض في علم الكلام ، ثم تدعم هذا الاتجاه في القرن الخامس حين رفع الامام حجة الاسلام أبو حامد الغزالي لواء الدفاع عن المذهب الأشعري ، الذي كان في الوقت نفسه يحارب المذاهب الفلسفية بسلاح الجدل وعلم الكلام والمنطق . حتى اذا ما

جاء القرن السادس الهجري تدعمت جبهة المدافعين عن الشريعة والمتصديين
للفلسفة وأساليبها حيث ترسخت في العراق والمشرق الاسلامي ، وقد ظهر هذا
الاتجاه واضحا وجليا في أهداف المدارس النظامية وخططها الرامية الى صقل
عقول علماء المسلمين وتوجيه همتهم لمعارضة الدراسات الفلسفية وعلوم الأوائسل
والأفكار الالحادية والشركية المناقضة لمبادئ الاسلام الحنيف . وهكذا تحقق
للفقهاء والدعاة الى الله فرصة الوصول الى مراكز التوجيه الفكري والثقافي في هذا
العصر وأسهموا في انجاح خطط الادارة في الدفاع عن العقيدة ومنع تأثير
الباطنية المضللة وأخطارها الجسيمة على الفكر والعقيدة والمجتمع والدولة على حد
سواء . غير أن المغالاة في هذا الاتجاه قد أدت الى ظهور نوع من التقييد
الحذر تحرى فيه العلماء السلامة باللجوء الى التقليد والالتزام به والابتعاد عن
الاجتهاد ما منع ظهور أبحاث مبتكرة والاكتفاء بتقديم الشروح والمختصرات
والتدبيات ما مهد لظهور الموسوعات في شتى فروع العلم المختلفة الشرعية
والتاريخية واللغوية والتراجم .

الله

الطحق الأول

منشور الفتوة الذى صدر على عهد الخليفة الناصر لدين الله
العباسي وأرسله مع سراويل الفتوة الى ملوك الأَطراف
بطريق الوكالة الشريفة^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

" من المعلوم الذى لا يتمازى في صحته ولا يرتاب في براهينه وأدلته أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - ك - هو أصل الفتوة ومنبعها ومنجم أوصافها الشريفة ومطلعها وعنه تروى معاسنها وآدابها ومنه تشعبت قبائلها وأحزابها واليه دون غيره تنتسب الفتيان وعلى منوال مؤاخاته النبوية الشريفة نسج الرفقاء والاخوان وأنه كان عليه السلام مع كمال فتوته ووفور رجاحته يقيم حدود الشرع على اختلاف مراتبها ويستوفيها من أصناف الحسابات على تباين جناباتها ومطلعها ونحلها ومذاهبيها غير مقصر عما أمر به الشرع المطهر وقرره ولا مراقب فيما رتبته من الحدود وقرره امتثالاً لأمر الله تعالى في إقامة حدوده وحفظاً لمناظم الشرع وتقويم عوده فإنه عليه السلام فعل ذلك بهم رأى من السلف الصالح وسمع ومشهد من أخيار الصحابة ومجمع فلم يسمع أن أحداً من الأمة لاه ولا طعن عليه طاعن في حد أقامه وحقيق بمن أورثه الله مقامه وناط به شرائع الاسلام وأحكامه وانثني اليه عليه السلام في فنونه واقتفى شريف شيمه وكريم سجيته أن يقتدى به عليه السلام في أفعاله ويحتذى فيما استرعاه الله تعالى واضح مثاله غير ملوم في ما يأتيه من ذلك ولا معارض فتوه ولا شرعا في ما يورده ويصدره وقد رسم الله المراسم العلية المقدسة النبوية الامامية وزادها نفاذا معضودا بالصواب وتأبيدا مستد الأطناب محكم الأسباب على كل من تشرف بالفتوة

(١) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ .

برفاقة الخدمة الشريفة المقدسة المعظمة المعجدة المكرمة الطاهرة الزكية النبوية
الامامية الناصرة لدين الله تعالى شرف الله مقامها وخلد أيامها وأعلى كلمتها ونصر
رايتها : أنه من قتل له رفيق نفسا نهى الله تعالى عن قتلها وحرمه وسفك دما حقه
الشرع المطهر وعصمه وصار بذلك ما قال الله تعالى في حقه حيث ارتكب هذا المحرم
واحتقبت عظيم هذا المأثم " ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها " الآية
أن ينزل عنه في الحال في جميع الفتیان عند تحققه لذلك ومعرفته ويأمر الى تغيير
رفقته مخرجا له بذلك عن دائرة الفتوة التي كان متسما بها سقطا له من عند
الرفاقة التي لم يقم نواحيها ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب
عظيم ، وأن كل فتى يحوى قتلا ويخفيه ويساعده على أمره ويؤويه ينزل كبيرة عنقه
ويغير رفاقته ويتبرأ منه . وأن من حوى ذاعيب فقد غاب وغوى ومن آوى طريد الشرع
فقد ضل وهوى والنبي عليه السلام يقول " من آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا " ولاحث أكبر من قتل النفس
عدوانا وظلما ولا ذنب أعظم منه وزرا وإثما فسان من قتل فتى من حزبه فسقطت
فتوته ووجب أن يؤخذ منه القصاص عملا بقوله " وكنتنا عليهم فيها أن النفس بالنفس
والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص " .
وان قتل غير فتى عونا من الأعوان أو متعلقا بدويان في بلد سيدنا ومولانا الامام
المفترض الطاعة على كافة الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين
فقد عيب هذا القاتل في حرم صاحب الحزب بالقتل فكأنما عيب على كبيره فسقطت
فتوته بهذا السبب الواضح ووجب أخذ القصاص منه عند كل فتى راجح وليعلم الرفقة
الميمونة ذلك وليعلموا بموجبه وليجروا الأمر في أمثال ذلك على مقتضى الأمر به
وليقفوا عند الحدود في هذا المرسوم المطاع ويقابلوه بالانقياد والاتباع - ان شاء
الله تعالى - وكتب في تاسع صفر سنة أربع وستمئة ، وسلم الى كل واحد من رؤساء
الأحزاب منشور بهذا المثال فيه شهادة ثلاثين من العدول . ثم كتب تحت كل
مرسوم ومنشور ما هذا صورته " قابل العبد ما تضمنه هذا المرسوم المطاع وقابل
بما يجب عليه من الانقياد والاتباع والامثال وهو الذي يجب العمل به فتوة وشرعا

وهذا المعروف من سيرة الفتيان المحققين نقلا ، وقد ألزمت نفسي اجراء الأمر على ما تضمنه هذا المرسوم الأشرف فستى جرى ما ينافي المأمور به المحدود فيه كان الدرك لازما لي والمواخذة مستحقة على ما يراه صاحب الحزب ثبت الله دولته وأعلى كلمته وكتب فلان بن فلان في تاريخه * .

.. ..

الملحق الثاني

كتاب نظام الملك الوزير السلجوقي الى ابن جبير فخر الدولة

وزير الخليفة المقتدى بأمر الله (١)

وهي بشأن تجدد الفتنة بين الشافعية والحنابلة ببغداد

" كتابي أطال الله بقاء سيدنا الوزير الأجل السيد مؤيد الدين فخر الدولة شرف الوزراء أدام الله رفعة وتمكينه وسبطه . بلغنا ما تجدد ببغداد من القضايا المتعلقة بالدين التي تظهر في أنبائها على الصدفة واعتقاد المداهنيين ما يشعر بأن الضائر المنطوية على النفاق أبت إلا ما تكفه ، والسرائر المعقودة على الخلاف والفيل لم تصبر على استحفاظ ما تجتبه ، حتى ورد اثر ذلك عدة من الفقهاء ، ونفر من العلماء فأوضحوا ما يجري هناك ما كانت تخفى حقيقته وجليته ، وما ظهرت بذلك صورته . ولعمري أن هذه الطائفة ، اذا قلت أعوانهم ولم يجدوا فيما دهمهم من ينصرهم ويظافرهم ، ولم يبق معهم حزيم يؤازرهم وان كانوا لم يزالوا مقدّمين مميزين مكرمين يصحبوا أغراضا لسهام النوائب ، يطفى فيهم كل مخالف ومجانب ، لا ترعى لهم حرمة ، ولا يرقب فيهم ذمة ، غير اعتقاد المذهب الذي هم به موسرون ومن علومه يتعلمون .

وقد بنينا لهم مدرسة تصير مأواهم ويتخذونها في السرا والضرأ مثواهم وان هؤلاء الذين ينتحلون مذهب أحمد بن حنبل رحمه الله . وان كان هو بركا من سوء دخلتهم وأفعالهم ، منتفيا من ذميم طرائقهم وأقوالهم ، مع كثرة عددهم في تلك البقعة ، واشتداد شوكتهم ، واتفاق أقاويلهم في الضلال وكلمتهم ، لم يتجاسروا في زمن من الأزمنة على ما جعلوه الآن بينهم سورة يتدارسونها وصنعة يمارسونها ، فسي سب الأئمة ، والوقعية في علماء الأمة ، من غير منع ولا معاقبة ، ولا تخوف ولا مراقبة .

(١) من رسائل نظام الملك الوزير السلجوقي ، الدكتور عبد الهادي محبوبه ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد السابع - الجزء الثاني ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م .

والمعجب من اقدامهم في تلك البقعة الحرجة على أهل السنة ، والقائهم اياهم في كل محنة ، وعندنا بخراسان وبلاد الترك ، مع تباعد أقطارها واتساع أكوارها لا يعرف فيها سوى مذهب الامامين الشافعي ، وأبي حنيفة ، ومن سمعت منه كلمة عوراء فسي سائر كورها تخالف المذهبيين ، وتباين اجتماع الفريقين نرى دمه حلالا ، ونوسعه ضربا وانزالا .

وليس غصنا عما يبدونهم من البدع ، ويضاف اليهم في شر مجتمع ، الارتفاع أن يجري في جوار الخليفة ، وسدة الامامة المحرمة ما يخل بلوازم الهيبة ، ويشل جوانب التعظيم والرتبة .

وأما ما يخصني أنا في ذلك ، فما أجد أصلح من حسم القول فيما يتعلق بتلك المدرسة لئلا يجري على من يتفياً ظل عنايتي ، ويحاط بعين رعايتي ما يجري .

.....

الطحق الثالث

كتاب نظام الملوك الى أبي اسحاق الشيرازي بشأن الفتنة

السابقة الذكر بين شافعية وحنابلة بغداد^(١)

"ورد كتابك بشرح أطلت فيه الخطاب وليس توجب سياسة السلطان وقضية العدالة الى أن نسيل في المذاهب الى جهة دون جهة ونحن بتأييد السنن أولى من تشييد الفتن ولم نتقدم ببناء هذه المدرسة الا لصيانة أهل العلم والمصلحة للاختلاف وتغريق الكلمة ومتى جرت الأمور على خلاف ما أردناه من هذه الأسباب فليس الا التقدم بسد الباب وليس في المكنه الا بيان على بغداد ونواحيها ونقلهم عن ما جرت عليه عاداتهم فيها فان الغالب هناك وهو مذهب الامام أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمة الله عليه وسيله معروف بين الأئمة وقدره معلوم في السنه وكان ما انتهى اليه من السبب في تجديده ما تجدد مسألة سئل عنها أبو نصر القشيري من الأصول فأجاب عنها بخلاف ما عرفوه في معتقداتهم والشيخ الامام أبو اسحاق وفقه الله رجل سليم الصدر سلس الانقياد ويصفي الى كل من ينقل اليه وعندنا من تصادركتبه ما يدل على ما وصفناه من سهوله يجتذبه والسلام".

.....

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ / ص ٣١٢ .

الطهق الرابع

كتاب حجة الاسلام الغزالي الى ضياء الطوك أحمد بن نظام الطوك
متولى المدرسة النظامية ببغداد ، يعتذر فيه عن عدم استطاعته
للمعودة للتدريس بنظامية بغداد وذلك في سنة ٥٠٤ هـ .
(١)

" بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله أجمعين . قال الله تعالى " ولكل وجهة هو موليها ، فاستبقوا الخيرات . الخلق من جهة ما جعلوه قبلتهم ثلاث طبقات : عوام أهل غفلة ، وخواص أولو كياسة ، وخواص الخواص وهم ذوو البصيرة . أما أهل الغفلة ، فقد قصّـروا نظرهم على عاجل الخيرات ، وظنوا نعيم الدنيا هو الخير الأكبر ، وحسبوه أصل المال والجاه ، فاقبلوا عليها ، وعدّوها قرّة عين لهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما ذهبان أرسلنا في زريبة غنم بأكثر فسادا فيها من حب الشرف والمال في دين المرء المسلم " . لم يفرق أولئك الغافلون بين الذئب والصيد ، ولم يميزوا بين القرّة والسخنة ، واصطفوا طريقا أعوج ، وزعموا أنه رفعة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى بزيغهم هذا : " تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم " .

وأما الخواص ، فقد أسلمتهم الكياسة والموازنة بين الدنيا والآخرة أن آثروا الآخرة على الأولى ، وهي خير وأبقى ، والباقي أفضل من الغاني المنقضي . فمالوا عن الحياة الدنيا ، وولوا وجوههم شطر الآخرة . ولكن قصر هؤلاء أيضا ، إذ لم يطلبوا الخير المطلق وإن قنعوا بما هو أحسن من الدنيا .

وأما خواص الخواص ، وهم أولو البصيرة ، فقد عرفوا أن ذلك ليس بالخير المطلق ، وأن كل ما دونه من الأقلين ، والعاقل لا يحب الأقل ، ودروا أن الدنيا

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي ج ١ . المجلد الثالث ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م . ع ٥٥
كتاب " غزالي نامه " للأستاذ جلال الدين العمادي . طبعة طهران سنة ١٣١٨ هـ .

والآخرة مخلوقان ، وأن أكثرها شهوة استوى فيها البهائم والأناسي . وهذه مرتبة لا تنبغى لهم . والله مالك يوم الدين ، وله ملكوت الدنيا وهو خالقها ، وهو خير وأعلى . وقد كشف عن هؤلاء غطاء قوله " والله خير وأبقى " ، واختاروا مقام " في مقعد صدق عند مليك مقتدر " ، وآثروه على مرتبة " ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون " بل أدركوا حقيقة لا اله الا الله ، وعرفوا أن الآدمي عبد ما قيد به نفسه ، وأنسبه الهه ومعبوده " أفرأيت من اتخذ الهه هواه " . ومقصود كل نفس معبودها ، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تمتع عبد الدراهم . فمن كان مقصوده غير الله ، فتوحيده غير تام ، وهو من الشرك الخفي غير برى . وقد قسم هؤلاء كل ما فسي الوجود قسمين متقابلين : الله ، وما دونه . وهما ككفتي ميزان . جعلوا قلوبهم لسانه . فلما وجدوا طبعهم يميل طوعا مع الكفة الراجحة ، قالوا : قد ثقلت موازين الحسنات ، وأيقنوا أن مالم يوفه هذا القسطاس لا يزنه الميزان يوم الحساب .

وحال الطبقة الثانية عند الطبقة الثالثة ، هو مثل حال الطبقة الأولى لسدى الطبقة الثانية : عوام لا يفهمون قبلهم ، ولا يدرون أن من نظر الى وجه الله تعالى بالحقيقة حسن وجهه .

وقد دعاني صدر الوزارة - بلغه الله أعلى المقامات - من المحل الأدنى السى المرتبة العلمية ، فأنا أدعوه من مقام الطبقة الأولى وهو أسفل السافلين ، الى أعلى عليين وهو مقام الطائفة الثالثة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : من أحسن اليكم فكافئوه . وأنا لم أصب سبيلا الى جزائه ومكافأته ، فقد عجزت عن اسعافه بالاجابة . فليهي لي أمر السفر من حضيض درجة العوام الى علو درجة الخواص . والطريق الى الله واحدة من طوس وبغداد وسائر البلاد ، ولكن بعضها أقرب من بعض . ولكن ليست تلك الطرائق الثلاث الى الله تعالى سوا . ثم ليعرف حق المعرفة أنسبه لو ترك فرضا من الفروض التي أوجها الله تعالى ، أو ارتكب ما حظره الشرع ، أو لئله النوم وفي البلاد مظلوم واحد يتعلم من السقام ، فما درجته الا حضيض المقام الأول

وهو من أهل الغفلة ، أولئك هم الغافلون ، لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون .
أسأل الله تعالى أن يوقظه من نوم الغفلة لينظر في يومه لغده قبل أن يخرج الأمر من يده .

عدنا الى حديث مدرسة بغداد ، وعذر التقاعد عن امتثال اشارة صدر الوزارة .
أما العذر فان الخروج من الوطن لا يلتبس إلا بهتفاء زيادة دين ، أو طلب زيادة دنيا . أما الدنيا فقد زال طلبها من القلب والحمد لله تعالى . فاذا أتوا ببغداد الى طوس وهياً وأسباب الملك والمطكة للغزالي ، وأسلموها اليه ، والتفت اليها ، كان ذلك من ضعف الايمان ، فالميل من نتاجه . وأما زيادة الدين فانه يستحق الحركة والاطلاب . ولا ريب أن افاضة العلم هنالك أيسر ، وأسبابه أوفر ، وطلابه أكثر . ولكن العذر أن السفر يوجب خلا في الدين لا تسده هذه الزيادة ، فإن هاهنا نحو مائة وخمسين محصلاً متورعا مشغولون بالاستفادة ، ونقلهم واعداد وسائلهم متعذر ، وتركهم وكسر قلوبهم والسفر لكثرة نظائرهم في مكان آخر لا رخصة فيه ، مثل ذلك كمثل رجل يكفل عشرة أيتام ثم يعدل عنهم ليتعهد عشرين في موضع آخر والموت والافات في طلبه .

ثم انني كنت فردا لما دعاني الصدر الشهيد نظام الملك - قدس الله روحه - الى بغداد ، لا أهل ولا بنون ، وقد هليت بالأهل والولد ، ولا يجوز اغفالهم وكسر قلوبهم .

والعذر الثالث أنني نذرت لما وصلت الى تربة الخليل عليه السلام سنة ٤٨٩ هـ ، أي قبل خمس عشرة سنة تقريبا ، ألا أقبل مالا من سلطان أو سلطاني ، وألا أخرج للسلام على سلطان أو سلطاني ، وألا أناظر . فاذا نقضت هذا النذر ضاع الوقت ، وانصرف القلب ، ولم أستطع شيئا من أعمال الدنيا والدين . ولا بد من المناظرة فسي بغداد ، ولا مناص من السلام على دار الخلافة بها ، وأنا لم أمثل للسلام على أحد في بغداد منذ رجعت من الشام ، ولم أتصرف في أي شغل ، واجتبت الاعتزال . وإذا توليت أمرا لم أستطع الحياة سالما . فالباطن حينئذ ينكر الانزواء .

وأعظم هذه المعاذير أنني لا أقبل مالا من السلطان ، وليس عندي في بغداد ملك ، وباب المعيشة موصد . وعند هذا الحقير ضيعة في طوس تكفي هذا الضعيف وأطفاله جميعا بعد المبالغة في الاقتصاد والقناعة . وإذا غبت ، قصرت عن ذلك . وهذه المعاذير جميعا دينية ، وهي لدى جليله وإن ظنها أكثر الناس يسيرة .

وقد بلغت غاية العمر . وهذا - على كل حال - وقت الوداع للعراق ، لا وقت سفر العراق . أو مل من مكارم أخلاقك قبول هذا الاعتذار . فظن أن الغزالي قد قدم بغداد . وأتاه أمر الله ، ألا يجب اعداد مدرّس آخر ؟ فاعمل هذا اليوم ، والسلام . زين الله تعالى صدر العالم بحقيقة الايمان التي هي وراء صورة الايمان ، ليممّنر العالم به . والحمد لله حق حمده ، وصلاته على نبيه وآله وسلم ."

.. ..

الطحق الخامس

أسماء ما أمكن الحصول عليه من أساتذة الفقه وأصوله
بالمدرسة النظامية ببغداد خلال العصر السلجوقي

- أبو اسحاق الشيرازي ، ابراهيم بن علي (ت ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م) .
- أبو نصر الصباغ ، عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد (ت ٤٧٧ هـ / ١٠٨٥ م) .
- عبد الرحمن بن مأمون أبو سعد المتولي (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) .
- الشريف أبو القاسم الدبوسي العلوي (ت ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م) .
- الحسين بن علي أبو عبد الله الطبري (ت ٤٩٥ هـ / ١١٠١ م) .
- عبد الوهاب بن محمد أبو محمد الشيرازي (ت ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م) .
- أبو الحسن الكيا الهراسي ، علي بن محمد الطبري (ت ٥٠٤ هـ / ١١١٠ م) .
- أبو حامد ، محمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) .
- محمد بن أحمد بن الحسين أبو بكر الشاشي (ت ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م) .
- محمد بن عتيق ابن أبي كديّه التميمي القيرواني (ت ٥١٢ هـ / ١١١٨ م) .
- أحمد بن علي بن محمد الوكيل أبو الفتح بن برهان (ت ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م) .
- يحيى بن علي البزاز ، أبو سعد الحلواني (ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م) .
- أحمد بن محمد بن محمد الطوسي ، أبو الفتح الغزالي (ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م) .
- الحسن بن سليمان النهرواني (ت ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م) .
- محمد بن أحمد الديباجي المقدسي النابلسي (ت ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م) .
- أبو الفتح الميهني ، أسعد بن أبي نصر (ت ٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م) .
- عبد الرحمن بن الحسين بن محمد الطبري (ت ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م) .
- أحمد بن محمد بن ثابت الخجندی (ت ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م) .
- معين الدين سعيد بن الرزاز (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) .
- محي الدين محمد بن يحيى النيسابوري (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م) .

- محمد بن عبد اللطيف الخجندی الأزدي (ت ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م) .
- عبد الواحد بن الحسن أبو الفتح الباقرحي (ت ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م) .
- عبد الأول عيسى بن شعيب السجزي (ت ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م) .
- الحسن بن محمد بن الحسن الأصفهاني (ت ٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م) .
- الأمير أبو نصر محمد بن علي بن أحمد بن نظام الطلك (ت ٥٦١ هـ / ١١٦٥ م) .
- عبد القاهر بن عبد الله البكري أبو النجيب السهروردي (ت ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م) .
- يوسف بن بندار الدمشقي (ت ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م) .
- علي بن الحسن بن علي المعروف بابن الرميلى (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) .
- أبو النصر الشاشي ، أحمد بن عبد الله ، حفيد أبو بكر الشاشي (ت ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م) .
- المبارك بن أبي البركات بن المبارك الكرخي (ت ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م) .
- محمد بن عبد الواحد بن محمد بن علي بن عبد الواحد (ت ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م) .
- أحمد بن اسماعيل القزويني الطالقاني أبو الخير (ت ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) .
- محمود بن المبارك أبو المظفر الواسطي (ت ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م) .
- جمال الدين يحيى بن علي (ت ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م) .
- أحمد بن محمد الدوري (ت ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م) .
- يحيى بن الربيع بن سليمان بن حراز (ت ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م) .
- أبو الحسن علي بن علي الفارقي (ت ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م) .

الملحق السادس

أسماء ما أمكن العثور عليه من أساتذة الحديث والتفسير والوعظ

بالمدرسة النظامية ببغداد خلال العصر السلجوقي

- أبو بكر عتيق الهكري ، الصديقي المغربي (ت ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م) .
- أبو نصر الفوركي ، أحمد بن محمد (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) .
- عمر الزنجاني الخطيبي (ت ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م) .
- أبو الحسين أردشير بن منصور العبادي (ت ٤٩٦ هـ / ١١٠٢ م) .
- عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب الشيرازي (ت ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م) .
- أبو الحسن الكيا الهراسي ، علي بن محمد الطبري (ت ٥٠٤ هـ / ١١١٠ م) .
- محمد بن أبي بكر عتيق بن محمد التميمي القيرواني (ت ٥١٠ هـ / ١١١٦ م) .
- عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري (ت ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م) .
- الحسن بن سلمان بن عبد الله أبو علي الفقيه الشافعي (ت ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م) .
- يوسف بن أيوب بن وهب الهمداني (ت ٥٣٥ هـ / ١١٤٠ م) .
- محمد بن الفضل بن محمد ، أبو الفتح الاسفراييني (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) .
- محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، صاحب الملل والنحل (ت ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م) .
- محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت المهلبلي (ت ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م) .
- عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله أبو النجيب (ت ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م) .
- أبو منصور محمد بن محمد البروي (ت ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م) .
- أبو محمد العباسي ، مظهر الدين محمود بن محمد الخوارزمي (ت ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م) .
- محمد بن أحمد بن منصور بن عبد الجبار السمعاني (ت ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م) .
- الامام أبو الخير أحمد بن اسماعيل بن يوسف الطالقاني (ت ٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م) .
- ابن الظريف الملقب بالنظام محمد بن عبد الله (ت ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م) .

- أبو الحسن علي بن علي بن سعادة الفارقي (ت ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م) .
- أسعد بن أبي نصر محمد بن علي بن أحمد بن نظام الملك (ت ٦١٣هـ / ١٢١٦م) .
- أبو الفتوح يحيى بن عبد الملك بن الإمام الكيا الهراسي (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م) .

.. ..

الملحق السابع

أسماء ما أمكن العثور عليه من أساتذة اللغة والنحو والأدب في
المدرسة النظامية ببغداد خلال العصر السلجوقي

- أبو زكريا يحيى بن علي بن بسطام الشيباني الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ / ١١٠٨م) .
- أبو الحسن طي بن أبي زيد الفصيح (ت ٥١٦هـ / ١١٢٢م) .
- أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (ت ٥٤٠هـ / ١١٤٥م) .
- أبو البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبد الله الأنباري (ت ٥٧٧هـ / ١١٨١م) .
- المبارك بن المبارك بن سعيد بن الدهان النحوي الوجيه (ت ٦١٢هـ / ١٢١٥م) .
- فتح بن موسى بن حماد بن عبد الله الجزري (ت ٦١٣هـ / ١٢١٦م) .
- يحيى بن القاسم بن مفرج بن درع التكريتي (ت ٦١٦هـ / ١٢١٩م) .

.. ..

الطحق الثامن

أسماء ما أمكن العثور عليه من معيدى المدرسة النظامية ببغداد

أبان العصر السلجوقي

- أبو عبد الله الحسين بن علي (ت ٤٩٥ هـ / ١١٠١ م) .
- محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر (ت ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م) .
- أحمد بن محمد بن علي الخجندی (ت ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م) .
- أبو الفضائل أحمد بن يحيى البغدادي (ت ٥٦١ هـ / ١١٦٥ م) .
- علي بن الحسن بن علي الرملي (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) .
- محمد بن هبة الله بن عبد الله الشيخ سديد الدين السلماسي (ت ٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م) .
- أبو البركات عبد الله بن الخضر الموصلی (ت ٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م) .
- أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الانباري النحوي (ت ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م) .
- علي بن أبي المكارم بن فتيان الدمشقي (ت ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م) .
- محمد بن اسماعيل بن ودعه البقال (ت ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م) .
- أحمد بن عمر بن الحسين الكردي المعروف بالوجيه (ت ٥٩١ هـ / ١١٩٤ م) .
- محمود بن المبارك بن بقيقه الواسطي (ت ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م) .
- المبارك بن حمزه البزدوى (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) .
- أبو المكارم منصور بن الحسن الزنجاني (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) .
- علي بن علي بن سعادة ، أبو الحسن الفارقي (ت ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م) .
- علي بن علي بن سعيد بن الجنيس (ت ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م) .
- مجد الدين أبو علي يحيى بن الربيع بن سليمان (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) .
- محمد بن يونس بن منعة بن مالك (ت ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م) .
- محمد بن ابراهيم بن أبي بكر (والد ابن خلكان) (ت ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) .

- الحسن بن علي بن محمد المتولي النيسابوري ^(١) .
- عبد الله بن يوسف بن عبد القادر أبو المظفر ^(٢) .
- الكمال أبو الرضا عبد الرحمن بن محمد بن ياسين ^(٣) .
- محمد بن أبي الفرج بن معالي بن بركة الموصلية ^(٤) .

.. ..

-
- (١) السبكي : طبقات الشافعية ج ٧ / ص ٦٥ .
 - (٢) ن ٥٠٠ م / ج ٧ / ص ١٤٢ .
 - (٣) ابن الساعي : الجامع المختصر ج ٩ / ص ٢١٨ .
 - (٤) السبكي : طبقات الشافعية ج ٨ / ص ١١٤ .

قَائِمَةُ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ

قائمة بأسماء مصادر ومراجع البحث

القرآن الكريم :

أولا : المصادر الخطية :

ابن الأثير : عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ٢٣٢م)
- تحفة العجائب وطرفة الفرائب . مصور بمركز البحث العلمي وأحياء التراث الاسلامي
بجامعة أم القرى رقم (٨) طب ، عن مخطوط مكتبة أحمد الثالث بتركيا رقم ٢٩٦٣ .

ابن بطلان : المختار بن الحسن بن عبدون (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م) .
- تقويم الصحة بالأسباب الستة . مصور بمركز البحث العلمي وأحياء التراث الاسلامي
بجامعة أم القرى رقم (١٨) طب ، عن مخطوط مكتبة أحمد الثالث بتركيا رقم ٢٠٦٩ .

ابن جزلة : يحيى بن عيسى البغدادي (ت ٩٣هـ / ١١٠٠م) .
- منهاج البيان فيما يستعمله الانسان . مصور بمركز البحث العلمي وأحياء التراث
الاسلامي بجامعة أم القرى رقم (١٢٨) طب .
- تقويم الأبدان في تدبير الانسان . مصور بمركز البحث العلمي وأحياء التراث
الاسلامي بجامعة أم القرى برقم (١٧) طب .

ابن الديبشي : محمد بن سعيد (ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م) .
- ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد . مصور بمكتبة الدراسات العليا ، بكلية الآداب ، جامعة
بغداد رقم (٥٧٤) ، عن مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ٥٩٢١ .

الذهبي : محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ / ١٢٤٧م) .
- تاريخ الاسلام . مصور بمركز البحث العلمي وأحياء التراث الاسلامي بجامعة
أم القرى ، الأجزاء ١١ رقم (٥٩٣) ، ١٢ رقم (٥٩٤) ، ١٣ رقم (٥٩٦) ، ١٤ ،
رقم (٥٩٧) تاريخ ، عن مخطوطة مكتبة أحمد الثالث بتركيا رقم ٢٩١٧ .

- أبو العلاء : صاعد بن الحسن المتطبيب (ت ٤٧٥ هـ / ١٠٨٢ م) .
- التشويق التعليمي في علم الهيئة . مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى برقم (٩) مجاميع . علم هيئة وفلك ، عن مخطوط مكتبة أحمد الثالث بتركيا برقم ٣٣٤١ .
- العماد الأصفهاني : محمد بن محمد (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) .
- نصرة الفترة وعصرة الفطرة . مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم (٢١٤٦) .
- العيني : بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الحنفي (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) .
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان . مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى برقم (١١٨٠) تاريخ ، عن نسخة مكتبة أسعد أفندي بتركيا رقم ٢٣٩٧ .
- ابن قاضي شهبه : تقي الدين الأسدي (ت ٨٥١ هـ / ١٤٤٧ م) .
- ذيل تاريخ الذهبي . نسخة دار الكتب الباريسية رقم (١٥٩٨) .
- ابن العظفر : الأمير السعيد أبو الحسن علي بن نصير الدين محمود .
- التبصرة في علم الهيئة . مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى . عن مخطوط مكتبة أحمد الثالث بتركيا رقم ٣٣٤١ مجاميع .
- ابن هبة الله : أبو الحسن سعيد بن هبة الله (ت ٤٩٥ هـ / ١١٠١ م) .
- مختصر المغني في معرفة الأمراض والأبيات والعلامات والمداواة . مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى رقم (١٠٨) طب .
- المغني في تدبير الأمراض . مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى رقم (١١٦) طب .
- الهروي : أبو الحسن علي بن أبي بكر (ت ٦١١ هـ / ١٢١٤ م) .
- كتاب الزيارات ، مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى رقم (٨) جغرافيا .

مؤلف مجهول : من رجال القرن السادس .

- انسان العيون في مشاهير سادس القرون - مصور بمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى رقم (١٣١٠) تراجم ، عن مصور مكتبة جامعة بغداد ، دراسات عليا رقم ٢٤٨ .

ثانيا : المصادر العربية والمعرية المطبوعة :

- ابن الأبار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠) .
- التكملة لكتاب الصلة ، عنى بنشره السيد عزت العطار الحسيني ، مكتبة نشر الثقافة الاسلامية ، القاهرة ١٣٢٥ هـ / ١٩٥٦ م .
- ابن أبي أصيبعة : أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة السعدي (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩) .
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء . شرح وتحقيق د . نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

الأبيوردى : أبو الحظرف محمد بن أحمد بن محمد (ت ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م) .

- ديوان الأبيوردى ، بيروت ، ١٣١٧ هـ .

ابن الأثير : ضياء الدين نصر الله بن محمد الشيباني الجزري (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) .

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . تحقيق د . أحمد الحوفي ، د . بدوى طبانة ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، القاهرة ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م .

ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) .

- الكامل في التاريخ . دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ، تحقيق عبد القادر طليعات ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ومكتبة الشئ ببغداد .
- اللباب في تهذيب الأنساب . دار صادر ، بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

اخوان الصفا

- رسائل اخوان الصفا . المطبعة العربية ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م .

الاريلي : عبد الرحمن سنبط قنيتو (ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) .

- خلاصة الذهب المسبوك . وقف علي طبعه وتصحيحه مكى السيد جاسم ، نشر مكتبة المثنى ببغداد .

الأشرف الغساني : عماد الدين أبي العباس اسماعيل بن العباس بن علي (ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م) .

- المسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك . تحقيق د . شاكر محمود عبد المنعم ، دار البيان ، بغداد ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

الاصطخري : أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) .

- المسالك والممالك . تحقيق محمد جابر عبد المال ، طبع القاهرة ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م .

ابن الأنباري : عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م) .

- نزهة الألباء في طبقات الأدباء . تحقيق د . ابراهيم السامرائي ، الطبعة الثانية ، مكتبة بغداد ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .

الباخرزي : أبو الحسن علي بن علي (ت ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م) .

- دمية القصر وعصرة أهل العصر . جزآن . تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، دار الفكر العربي .

بحشل : أسلم بن سهل الرزاز الواسطي (ت ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م) .

- تاريخ واسط . تحقيق كوركيس عواد ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

البخاري : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م) .

- صحيح البخاري . المطبوع بمطبعة المصطفائي ١٣٠٧ هـ .

- ابن بسام : محمد بن أحمد المحتسب .
- نهاية الرتبة في طلب الحسبة . تحقيق حسام الدين السامرائي ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٨ م .
- ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م) .
- كتاب الصلة . الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .
- ابن بطوطة : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) .
- رحلة ابن بطوطة . دار التراث ، بيروت ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .
- البغدادى : اسماعيل باشا بن محمد أمين الباباني (ت ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م) .
- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار الصنفين . جزآن ، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية ، استانبول ١٩٥١ م ، منشورات مكتبة المثنى . بغداد .
- البغدادى : عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) .
- الفرق بين الفسوق . تحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت . لبنان .
- البغدادى : موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد (ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م) .
- مقالتان في الحواسن ومسائل الطبيعة . دراسة وتحقيق د . بول غليونجي ، د . سعيد عبد ، مطبعة حكومة الكويت ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
- البندارى : الفتح بن علي بن محمد (٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م) .
- تاريخ دولة آل سلجوق . الطبعة الثانية ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٧٨ م .
- البيروني : أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي (ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م) .
- الآثار الباقية عن القرون الخالية . بعناية إدوارد سخاو ، ليرزغ ، ١٩٢٣ م .

- البيهقي : ظهر الدين أبي الحسن علي بن زيد (٥٦٥هـ / ١١٧٠م) .
- تاريخ حكماء الاسلام . عني بنشره وتحقيقه محمد كرد علي ، مطبوعات المجمع العلمي العربي دمشق ، مطبعة المفيد الجديدة بدمشق ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .
- التطيلي : بنيامين بن يونه الأندلسي (٥٦٩هـ / ١١٧٣م) .
- رحلة بنيامين . ترجمة عزرا حداد ، بغداد ١٩٤٥م .
- ابن التعاويذي : أبو الفتح محمد بن عبد الله (٥٨٣هـ / ١١٨٧م) .
- ديوان ابن التعاويذي . تحقيق د . س مارجليوث . مطبعة المقتطف ، القاهرة ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م .
- ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المعاسن يوسف الأتابكي (٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . (١٥ جزء) ، دار الكتب المصرية ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .
- التنوخني : أبو علي المحسن بن علي (٣٨٤هـ / ٩٩٤م) .
- الفرج بعد الشدة . تحقيق عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- التهانوي : محمد علي الفارقي (١١٥٨هـ / ١٧٤٥م) .
- كشف اصطلاحات الفنون . الأجزاء ١ - ٢ - ٣ ، تحقيق لطفي عبد البديع ، وترجم النصوص الفارسية د . عبد النعيم حسنين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م .
- التوحيدي : أبو حيان علي بن محمد (٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) .
- الامتناع والموانسة . جزآن ، تصحيح أحمد أمين ، وأحمد الزين ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .
- رسالة الصداقة والصدق . شرح وتعليق على متولي صلاح ، الناشر مكتبة الآداب ، بيروت .
- مطالب الوزيرين . تحقيق ابراهيم الكيلاني ، دمشق ١٣٨١هـ / ١٩٦١م .

ابن تيمية : الامام شيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم
(ت ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م) .

- الرد على المنطقيين . طبعة لاهور ، الطبعة الثانية ، باكستان ١٣٩٦ هـ /
١٩٧٦ م .

- العقيدة الواسطية . القاهرة ، مطبعة النار . ١٣٤٠ هـ .

الشمالي : عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) .

- نثر النظم وحل العقد . دار الرائد العربي ، بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

- بيتية الدهر في محاسن أهل العصر . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،
إفطبعة الثانية ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) .

- البيان والتبيين . ٣ أجزاء ، بإشراف محب الدين الخطيب ، طبعة مطبعة الفتوح
الأدبية ، القاهرة ١٣٣٢ هـ .

ابن جبير : أبو الحسين محمد بن أحمد الكثاني الأندلسي الشاطبي البُلنسي (ت ١١٤ هـ /
١٢١٧ م) .

- رحلة ابن جبير . دار صادر ، دار بيروت ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

الجزري : أبو الخير محمد بن محمد (ت ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م) .

- غاية النهاية في طبقات القراء . عني بنشره ج . برجستراسر ، الطبعة الثانية
دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

ابن جماعة : أبو اسحاق إبراهيم ابن السيد العارف سعد الله الكثاني (ت ٧٣٣ هـ /
١٣٣٢ م) .

- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم . دار الكتب العلمية ، بيروت .

الجواليقي : أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر (ت ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) .

- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم . تحقيق أحمد محمد شاكر ،
الطبعة الثانية ، مطبعة دار بيروت ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

ابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي (٥٩٧هـ/١٢٠٠م).

- تلييس ابليس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ ، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ، دار الدعوة ، الاسكندرية ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- دم الهوى ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مراجعة محمد الفزالي ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م .
- الشفاء في مواعط الملوك والخلفاء ، تحقيق فؤاد عبد المنعم ، مراجعة محمد السيد الطنطاوي ، الناشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
- صيد الخاطر ، الناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .
- كتاب القصص والمذكرين ، تحقيق د . محمد لطفي الصباغ ، الناشر المكتب الاسلامي ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- لغته الكبد في نصيحة الولد ، تعليق مروان قباني ، المكتب الاسلامي ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- مناقب بغداد ، تحقيق محمد بهجة الأثرى ، مطبعة دار السلام ، بغداد ١٣٦١ هـ / ١٩٤٢ م .
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، الأجزاء من السادس الى العاشر ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد الدكن ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م .

حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله المعروف بكتاب جلبي (ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٦ م) .

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد .
- ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) .
- الدرر الكامنة في أعيان الة الثامنة ، الطبعة الثانية ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد الدكن ، الهند ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري . دار الفكر ، دمشق ١٣٧٩ هـ .
- لسان الميزان . طبعة حيدرآباد الدكن ١٣٣١ هـ .
- نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر . مطبعة أخوت ، دار السلطنة السنية العثمانية ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م .

الحريري : أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري (٥١٦ هـ / ١١٢٢ م) .

- مقامات الحريري . دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ١٩٦٥ م .
- ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد الطاهري (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م) .
- الفصل في المل والأهواء والنحل . دار الفكر ، بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

- الحسيني : صدر الدين أبي الحسن علي بن ناصر (توفي في القرن السابع) .
- أخبار الدولة السلجوقية ، نشر محمد اقبال ، لاهور ١٩٣٣ م .
- الحميدي : أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الأزدي (ت ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م) .
- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس . الدار المصرية للتأليف والترجمة
١٩٦٦ م .
- الحميري : محمد بن عبد المنعم (ت ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م) .
- الروض المعطار في خبر الأقطار . تحقيق احسان عباس ، الطبعة الثانية ، نشر
مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ١٩٨٠ م .
- ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي (توفي بعد ٣٦٧ هـ /
١٩٧٧ م .
- المسالك والممالك . طبعة ليدن ١٩٣٨ م .
- ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) .
- المسالك والممالك . طبعة ليدن ١٨٨٩ م .
- الخطيب البغدادي : الحافظ أبي بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) .
- تاريخ بغداد . دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان .
- الرحلة في طلب الحديث . حققه نور الدين عتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،
لبنان ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
- كتاب الكفاية في علم الرواية . الطبعة الأولى ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .
- الخفاجي : أحمد بن محمد بن عمر (ت ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٨ م) .
- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل . تعليق محمد عبد المنعم خفاجي ،
مكتبة الحرم الحسيني التجارية الكبرى ، القاهرة ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م .

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن محمد ولي الدين التونسي الحضرمي الأشبيلي
(ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) .

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ، طبعة بسـولاق
١٢٨٤ هـ .

- المقدمة . الطبعة الرابعة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م)

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . ٧ أجزاء ، حققه الدكتور احسان عباس
دار صادر ، بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

الخوارزمي : محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م) .

- مفاتيح العلوم . تقديم واعداد د . عبد اللطيف محمد العبد ، دار النهضة
العربية ، القاهرة .

الداودي : الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م) .

- طبقات المفسرين . جزآن ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة وهبة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

ابن الديبشي : محمد بن سعيد بن محمد (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) .

- ذيل تاريخ مدينة السلام . ثلاثة أجزاء ، حققه بشار عواد معروف ، مطبعة
دار السلام ، بغداد ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

ابن دحية : عمر بن حسن بن علي (ت ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م) .

- النبراس في تاريخ بني العباس . باعتناء عباس المزاي ، مطبعة دار المعارف ،
بغداد ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦ م .

الديلمي : محمد بن الحسن (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) .

- بيان مذهب الباطنية وبطلانه . عني بتصحيحه شذو طمان ، الطبعة الثانية ،
المكتبة الامدادية ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) .
- الأخبار الطوال . تحقيق عبد المنعم عامر ، مراجعة جمال الدين الشيال ، دار
أحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٦٠ م .

الذهبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) .
- تذكرة الحفاظ . الأجزاء الثالث والرابع ، السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة
المعارف العثمانية ، دار أحياء التراث العربي .
- سير النبلاء . تحقيق صلاح الدين المنجد ، والابيارى ، وأسعد طلس ، طبعة
مصر ١٩٥٦ - ١٩٦٢ م .
- العبر في خبر من غير . تحقيق صلاح الدين المنجد ، وفؤاد السيد ، الكويت
١٩٦٠ م / ١٩٦٦ م .
- كتاب دول الاسلام . جزآن ، دائرة المعارف النظامية ، حيدرآباد الدكن
١٣٣٧ هـ .
- المختصر المحتاج اليه . جزآن ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، مطبعة المجمع
العلمي العراقي ، بغداد ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار . جزآن ، حققه محمد سيد جاد الحق
الطبعة الأولى ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال . تحقيق الأستاذ علي محمد البجاوي ، مصر ،
١٩٦٣ م .

الراغب الأصفهاني : أبو القاسم حسين بن محمد (٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م) .
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء . دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١ م .

ابن رافع السلامي : أبو المعالي محمد بن رافع (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) .
- منتخب المختار . صححه وعلق عليه عباس العزاوي ، مطبعة الأهالي ، بغداد ،
١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .

الراوندي : محمد بن علي بن سليمان (ت ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م)
- راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية . ترجمة د . ابراهيم الشواربي
د . عبد النعيم حسنين ، د . فؤاد الصياد ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .

- ابن رجب : زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد البغدادي الحنبلي (٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م) .
- كتاب الذيل على طبقات الحنابلة . الأجزاء ١ - ٢ ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٥٢ م / ١٩٥٣ م .
- ابن رسته : شهاب الدين أحمد بن عمر (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) .
- الأعلق النفيسة . المكتبة الجغرافية ، لندن ١٨٩٢ م .
- الزبيدي : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الشهير بالسيد الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م) .
- تاج العروس من جواهر القاموس . دار مكتبة الحياة ، بيروت .
- الزرنوجي : برهان الدين الزرنوجي (ت ٥٩١ هـ / ١٢٤٢ م) .
- تعليم المتعلم طريق التعلم . الطبعة الأولى ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة .
- ابن الساعي : تاج الدين علي بن أنجب الخازن (ت ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م) .
- الجامع المختصر في تواريخ عنوان وعيون السير . ج ٩ ، تحقيق مصطفى جواد بغداد ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .
- مختصر أخبار الخلفاء . طبع بولاق ١٣٠٩ م .
- سبط ابن الجوزي : شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي علي بن عبد الله (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) .
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان . ج ٨ ، حيدرآباد ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م .
- السبكي : تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م) .
- طبقات الشافعية الكبرى . تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطناحي ، الطبعة الأولى ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م .

ابن سحنون : محمد عبد السلام (ت ٢٥٦ هـ / ٢٨٦٩ م) .
- كتاب آداب المعلمين . تحقيق محمد عبد المولي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،
الجزائر ١٩٦٩ م .

السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م)
- الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ . تحقيق فرانز روزنتال ، ترجمة د . صالح العلي ،
مطبعة المعاني ، بغداد ١٩٦٣ م .
- تحفة الأحباب بغية الطلاب . طبع مصر ١٩٣٧ م .
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .

السمعاني : أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م) .
- آداب الاملاء والاستملاء . طبعة ليدن ١٩٥٢ م .
- الأنساب . تحقيق عبد الرحمن يحيى المعلمي ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٤٠٠ هـ /
١٩٨٠ م .

السهروزي : أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن عمويه (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) .
- عوارف المعارف . مكتبة القاهرة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

ابن سينا : الحسن بن علي (ت ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م) .
- القانون في الطب . المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٢٩٤ م هـ .

السيوطي : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) .
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي . ج ٢ ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ،
الطبعة الثانية ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م .
- تاريخ الخلفاء ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة . حزان ، تحقيق محمد أبو الفضل
ابراهيم ، الطبعة الأولى ، دار احياء الكتب العربية ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .
- طبقات المفسرين . تحقيق علي محمد عمر ، الطبعة الأولى ، مكتبة وهبة ١٣٩٦ هـ /
١٩٧٦ م .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة
الأولى . مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

أبو شجاع : الوزير محمد بن الحسين الطلقب ظهير الدين (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) .
- ذيل تجارب الأمم . طبع شركة التمدن الصناعية بحصر .

أبو شامة : عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م) .
- الروضتين في أخبار الدولتين . مطبعة وادي النيل ، القاهرة ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م .
- ذيل الروضتين . نشره عزه العطار ١٢٦٧هـ / ١٩٤٧م .

الشريشي : أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي (ت ٦١٩هـ / ١٢٢٣م) .
- شرح مقامات الحريري . ج ١ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة .

الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٩هـ / ١١٥٤م) .
- الطل والنحل . دار الفكر . بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

الشيرازي : أبو اسحاق إبراهيم بن علي (ت ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م) .
- طبقات الفقهاء . تحقيق د . احسان عباس ، الطبعة الثانية ، دار الرائد العربي بيروت ، لبنان ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

الصابي : أبو الحسين هلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م) .
- رسوم دار الخلافة . تحقيق ميخائيل عواد ، مطبعة العاني ، بغداد ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م .
- تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء . تحقيق عبد الله مخلص ، القاهرة ١٩٥٨م .

الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) .
- الغيث المسجم في شرح لامية العجم . جزآن ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
- نكت الهميان في نكت العميان . المطبعة الجمالية بمصر ١٣٢٩هـ / ١٩١١م .
- الوافي بالوفيات . بتحقيق جماعة من الفضلاء . طبعت في فيسبادن ، واستانبول ، ودمشق .

ابن الصلاح : الامام أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) .
- علوم الحديث . تحقيق نور الدين عتر ، المكتبة العلمية ، بيروت لبنان ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

- الضيبي : أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميره (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م) .
- بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس ، دار الكاتب العربي ١٩٦٧م .
- الطرطوشي : أبو بكر محمد بن الوليد القرشي الفهري المالكي (ت ٥٠٢هـ / ١١٢٦م) .
- سراج الملوك . باعثة أنطون أفندي غندور . المطبعة الوطنية بشفير الاسكندرية ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م .
- ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م) .
- الفخرى في الآداب السلطانية . دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) .
- جامع بيان العلم وفضله . جزآن . دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- ابن العبري : غريغوريوس الططبي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) .
- تاريخ مختصر الدول . المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م .
- ابن العديم : كمال الدين أبي القاسم عمر بن العديم (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) .
- بغية الطلب في تاريخ حلب . التراجم الخاصة بتاريخ السلاجقة . غنى بنشره وعلق عليه الدكتور علي سويم ، مطبعة الجمعية التاريخية التركية ، أنقرة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .
- العتار الهمداني : فريد الدين محمد بن ابراهيم النيسابوري (ت ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م) .
- تذكرة الأولياء . طهران ١٣٢١هـ / ١٩٠٢م .
- العقاد الأصفهاني : أبو عبد الله محمد بن محمد صفى الدين (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) .
- خريدة القصر وجريدة العصر . القسم العراقي ج ١ ، ج ٢ مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٥-١٩٦٤م ، ج ٤ في مجلدين مطبوعات وزارة الاعلام العراقية - بغداد ١٩٧٣م تحقيق محمد بهجه الأثرى .
- قسم بلاد الشام . تحقيق د . شكرى فيصل ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ١٩٥٩م .

العماد الحنبلي : أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٨٧٨ م) .

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب . ٨ أجزاء ، الطبعة الثالثة ، منشورات دار المسيرة ، بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

ابن العمراني : محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) .

- الأنباء في تاريخ الخلفاء . تحقيق قاسم السامرائي ، دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) .

- أحياء علوم الدين ٥ أجزاء ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ،
- الاقتصاد في الاعتقاد . تقديم عادل العوّا ، الطبعة الأولى ، دار الأمانة - بيروت - لبنان ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م .
- التبر السبوك في نصيحة الملوك . مطبعة المؤيد والآداب ، القاهرة ١٣١٧ هـ .
- جواهر القرآن . الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م .
- فاتحة العلوم . طبعة محمد بدر النعساني ، القاهرة ١٣٢٢ هـ / ١٣٢٩ م .
- فضائح الباطنية . تحقيق عبد الرحمن بدوي ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت .
- مجموعة القصور العوالي من رسائل الامام الغزالي . منها :
 - أيها الولد ج ١ .
 - الجام العوام عن علم الكلام ج ٢ .
 - الرسالة الدنية ج ١ .
- تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلا ، الطبعة الثانية ، مكتبة الجندي ، القاهرة ١٣٩٠ هـ / ١٣٧٠ م .
- منطق تهاافت الفلاسفة (السمي معيار العلم) تحقيق سليمان دنيا ، الطبعة الثانية - دار المعارف ، القاهرة ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .
- المنقذ من الضلال . تعليق محمد جابر ، مكتبة الجندي .
- ميزان العمل . المطبعة العربية . ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م .

الفارابي : أبو نصر محمد (ت ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م) .

- احصاء العلوم . حققه وقدم له د . عثمان أميه ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٨ م .

الفارقي : أحمد بن يوسف بن علي الأزرق (ت ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م) .

- تاريخ الفارقي . تحقيق بدوي عبد اللطيف ، طبعة القاهرة ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٦ م .

- أبو الفدا : اسماعيل بن علي عماد الدين (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) .
- المختصر في أخبار البشر . القاهرة ١٣٢٥ هـ .
- ابن الفوطي : كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني (ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٢ م) .
- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة . المكتبة العربية ، بغداد .
- تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب . ج ٤ ، تحقيق مصطفى جواد ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مطبوعات مديرية أحياء التراث القديم .
- الفيروزبادي : الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٥ م) .
- القاموس المحيط . ٤ أجزاء ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
- القابسي : أبو الحسن علي بن خلف (ت ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م) .
- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين ، تحقيق أحمد فؤاد الأهواني ، دار المعارف القاهرة ١٩٦٨ م .
- القرشي : محي الدين أبي محمد عبد القادر (ت ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م) .
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية . جزآن ، طبعة حيدرآباد الدكن ١٣٧٢ هـ .
- القزويني : زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) .
- آثار البلاد وأخبار العباد . دار صادر ، بيروت ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
- القشيري : أبو القاسم عبد الكريم القشيري (ت ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م) .
- الرسالة القشيرية . جزآن تحقيق د . عبد الحليم محمود ، محمود بن الشريف دار الكتب الحديثة ، القاهرة .
- القنطي : الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف (ت ٢٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) .
- أخبار العلماء بأخبار الحكماء . دار الآثار للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
- انباء الرواة على انباء النحاة . ٤ أجزاء ، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠ م .

- القلقشندي : الشيخ أبي العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) .
- صبح الأعشى في صناعة الانشا . المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م
- الكتبي : محمد بن شاكر (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م)
- عيون التواريخ . ج ١٢ ، تحقيق فيصل السامر ، ونيله عبد المنعم داود ، وزارة الاعلام ، سلسلة كتب التراث . بغداد ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .
- فوات الوفيات والذيل عليها . ٤ أجزاء تحقيق احسان عباس - دار صادر . بيروت .
- ابن كثير : أبو الفدا اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) .
- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث . الطبعة الثالثة ، مكتبة دار السترات القاهرة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- البداية والنهاية في التاريخ . مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٥١ هـ / ١٩٥٨ م .
- الكحال : علي بن عيسى (توفي في النصف الأول من القرن الخامس) .
- تذكرة الكحالين . صححه وعلق عليه غوث محي الدين القادري ، حيدر آباد الدكن مجلس دائرة المعارف العشانية ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م .
- مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م) .
- المدونة الكبرى ، القاهرة ، المطبعة الخيرية ، ١٣٢٤ هـ .
- الماوردي : علي بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠ هـ / ١١٥٥ م) .
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية . الطبعة الثالثة ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .
- أدب الدنيا والدين . تحقيق مصطفى السقا ، دار الفكر ، بيروت .
- قوانين الوزارة . تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد - ومحمد سليمان داود ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
- المراكشي : محي الدين أبي محمد عبد الواحد بن علي التميمي (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٥٠ م) .
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب . مصر ١٣٣٢ هـ / ١٩١٣ م .
- المطرزي : أبو الفتح ناصر الدين عبد السيد بن علي (ت ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م) .
- كتاب المغرب في ترتيب المغرب . دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

- المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) .
- التبصير والاشراف . دار مكتبة الهلال ، بيروت - لبنان ١٩٨١م .
 - مروج الذهب . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م .
- مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م) .
- تجارب الأمم وتعاقب الهمم . مصر ١٣٣٤هـ / ١٩١٥م .
 - تهذيب الأخلاق . تحقيق قسطنطين زريق ، نشر الجامعة الأمريكية . بيروت ١٩٦٦م .
- المصري : أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان (ت ٤٩٩هـ / ١٠٥٧م) .
- رسالة الغفران . دار المعارف ، القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م .
- ابن المعمار : محمد بن أبي المكارم الحنبلي البغدادي (ت ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م) .
- كتاب الفتوة . تحقيق مصطفى جواد وآخرون ، مطبعة شفيق ، بغداد ١٩٥٨ / ١٩٦٠م .
- المقدسي : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر البنا (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) .
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . الطبعة الثانية ، لندن ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م .
- المقريزي : تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) .
- كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ج ٢ ، دار صادر ، بيروت .
- ابن ملكا : أبو البركات هبة الله بن علي البغدادي (ت ٥٤٧هـ / ١١٥٢م) .
- المعترف في الحكمة . حيدرآباد الدكن ، جمعية دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٧هـ .
- المنذري : زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) .
- التكملة لوفيات النقلة . حققه د . بشار عواد معروف ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفرقي المصري (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) .
- لسان العرب . دار الفكر - بيروت .

ابن النجار : الحافظ محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود البغدادي (ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م) .

- ذيل تاريخ بغداد . الطبعة الأولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن ، الهند ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

ابن النديم : محمد بن اسحاق (ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م) .
- الفهرست . دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

نظام الملك : قوام الدين أبي علي الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي (ت ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م) .

- سياسة نامه . ترجمة وتعليق السيد محمد العزاوي ، دار الرائد العربي ، بيروت .

النظامي الصروضي : أحمد بن عمر بن علي السمرقندي (توفي آخر القرن السادس) .
- جهاز مقاله . ترجمة عبد الوهاب عزام ، ويحي الخشاب ، القاهرة ١٩٤٩ م .

ابن النظام الحسيني : محمد بن محمد بن عبد الله بن النظام (٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م) .
- المراضة في الحكاية السلجوقية . ترجمة وتحقيق عبد النعيم حسنين ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد ١٩٧٩ م .

النعال البغدادي : صائن الدين محمد بن الأنجب (ت ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ م) .
- مشيخة النعال البغدادي . تخريج الحافظ رشيد الدين محمد بن عبد العظيم المنذري (ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م) تحقيق د . ناجي معروف ، د . بشار عسوان معروف ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

النهروالي : قطب الدين محمد بن أحمد المكي الحنفي (ت ٩٧٩ هـ / ١٥٧١ م) .
- الاعلام باعلام بيت الله الحرام ، طبعة وستنفلد ليبسك ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٧ م .

ابن هبل : مهذب الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن علي البغدادي (ت ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م) .

- المختارات في الطب . الطبعة الأولى ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣ م .

ابن أبي يعلي : القاضي أبي الحسين محمد بن محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م) .

- طبقات الحنابلة . جزآن ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

- اليافعي : أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي المكي (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .
 - ياقوت : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) .
 - معجم الأدباء . الطبعة الثانية . مطبعة دار المأمون سلسلة الموسوعات العربية ، القاهرة .
 - معجم البلدان ، ٥ أجزاء ، دار صادر ، بيروت .
 - اليونيني : قطب الدين موسى بن محمد البعلبكي (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م)
 - ذيل مرآة الزمان . مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن ، الهند ١٩٥٤ / ١٩٦١م .

ثالثا : المراجع العربية والمصرية :

- أحمد : منير الدين
- تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس . ترجمة وتعليق الدكتور سامي الصقار ، دار المريخ ، الرياض ١٤٠٠هـ / ١٩٨١م .
 - الاسكندري : أحمد
 - تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي . الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ١٣٣٠هـ / ١٩١١م .
 - الدوميلي :
 - العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي . ترجمة د . عبد الحليم النجار ، د . محمد يوسف موسى - راجعه د . حسين فوزي ، دار القلم ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م .
 - الألوسي : محمد شكري
 - تاريخ مساجد بغداد وآثارها . تهذيب محمد بهجه الأثرى ، مطبعة دار السلام بغداد ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م .
 - أمين : أحمد
 - ضحى الاسلام . الطبعة العاشرة ، دار الكتاب العربي . بيروت - لبنان .
 - ظهر الاسلام . الطبعة الخامسة ، دار الكتاب العربي . بيروت - لبنان ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م .

أمين : حسين

- تاريخ العراق في العصر السلجوقي - منشورات المكتبة الأهلية ، مطبعة الارشاد
١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م

الأهواني : أحمد فؤاد

- التربية في الاسلام . أو التعليم في رأى القابسي ، احياء التراث القديم ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م

الباشا : حسن

- الألقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، دار النهضة العربية ، القاهرة
١٩٧٨م

- الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية . ٣ أجزاء ، دار النهضة العربية
القاهرة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م

بدوي : عبد الرحمن

- الأفلاطونية المحدثة عند العرب ، مكتبة النهضة ، القاهرة ١٩٥٥م
- مؤلفات الغزالي . الطبعة الثانية ، وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٧م

بروكلمان : كارل

- تاريخ الأدب العربي . ٦ أجزاء ، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر ، والدكتور
رمضان عبد التواب ، دار المعارف ١٩٧٧م

البسام : هيفاء

- الوزير السلجوقي نظام الملك . بحث قدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ
الاسلامي بجامعة أم القرى ، اشراف د . حسام الدين السامرائي ١٤٠٠هـ /
١٩٨٠م

بلبع : عبد الحكيم

- النثر الفني وأثر الجاحظ فيه . الطبعة الثالثة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ١٣٩٥هـ
/ ١٩٧٥م

بلستر

- تراث الاسلام . قسم ٣ ، ترجمة د . حسين مؤنس ، احسان صدقي العميد ،
مراجعة فؤاد زكريا ، سلسلة كتب يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
بالكويت .

التونجي : الدكتور محمد

- حول الأدب في العصر السلجوقي ، الطبعة الأولى ، منشورات مكتبة فورينسا ،
بنغازي ١٩٧٤م

تونسي : يوسف

- معجم المصطلحات الجغرافية . دار الفكر العربي ، القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

جب : هاملتون

- دراسات في حضارة الاسلام . ترجمة الدكتور احسان عباس ، والدكتور محمد يوسف نجم ، والدكتور محمود زايد ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

جمعه : محمد لطفي

- تاريخ فلاسفة الاسلام في المشرق والمغرب . مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ، ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م .

جواد : مصطفى - والدكتور أحمد سوسة

- دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا ، مطبوعات المجمع العلمي ١٩٥٨م .

- الفتوة منذ القرن الأول للهجرة الى القرن الثالث عشر منها . مقدمة كتاب الفتوة لأبي المعمار الحنبلي ، مطبعة شفيق - بغداد ١٩٥٨م .

حتي : فيليب . وآخرون

- تاريخ العرب مطول . ج ٢ ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م .

حسنين : هدا النعيم محمد

- دولة السلاجقة . مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٥م .

- سلاجقة ايران والعراق . الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية ١٣٨٠هـ / ١٩٧٠م .

- نظامي الكجوى . القاهرة ١٩٥٤م .

حميد : عبد الرحمن

- اعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم . الطبعة الثانية ، دار الفكر ، دمشق ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

أبو الخشب : ابراهيم علي

- تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني ، دار الفكر ، القاهرة ١٩٧٥م .

داود : محمد سليمان

- الامام أبو الحسن الماوردي . مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

الدسوقي : عمر

- الفتوة عند العرب - أو أحاديث الغروسية والمثل العليا . الطبعة الرابعة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .

الدوري : عبدالعزيز

- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري . الطبعة الثانية ، دارالمشرق بيروت - لبنان .

- الجدور التاريخية للشعوب . الطبعة الثالثة ، دارالطلعة ، بيروت . ١٤٠٠ هـ / ١٩٨١ م

- دراسات في العصور العباسية المتأخرة . بغداد ١٩٤٥ م

- مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي . الطبعة الرابعة ، دارالطلعة ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م

ديور : ت ، ج .

- تاريخ الفلسفة في الاسلام . ترجمة محمد عبد الهادي أبوريده ، الطبعة الخامسة - دار النهضة العربية ، بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م

رؤوف : عماد عبد السلام

- مدارس بغداد في العصر العباسي . الطبعة الأولى ، مطبعة دار البصري ، بغداد ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م

أبوريان : الدكتور محمد علي

- تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م

ريبرا : خوليان

- التربية الاسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية . ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

الريس : محمد ضياء الدين

- الاسلام والخلافة في العصر الحديث . الدار السعودية للنشر ، جدة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م

الزركسي : خير الدين بن محمود الدمشقي

- الاعلام . ٨ أجزاء ، الطبعة الرابعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م

زكار : سهيل

- مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، بيروت ١٩٧٢ م

زيدان : جرجي .

- تاريخ التمدن الاسلامي . منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

السامرائي : حسام الدين

- الفهرست الجديد . بيروت ١٩٦٦ م

- سرور : محمد جمال الدين
- تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك الى منتصف القرن
الخامس الهجري . دار الفكر العربي ، القاهرة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .
- سليمان : الشيخ محمد
- كتاب من أخلاق العلماء . المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م .
- سوسة : أحمد
- رى سامراء في عهد الخلافة العباسية . حزان ، الطبعة الأولى ، مطبعة
المعارف ، بغداد ١٩٤٩م .
- سيدو : ل . أ
- تاريخ العرب العام . ترجمة عادل زعتر ، الطبعة الثانية ، عيسى البابي الحلبي ،
القاهرة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
- شاخت وبوزورث
- تراث الاسلام . القسم الثاني ، ترجمة حسين مؤنس - احسان صدقي ، مراجعة
د . فؤاد زكريا ، عالم المعرفة - سلسلة كتب ثقافية شهرية نشر المجلس
الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- الشكدة : مصطفى
- مناهج التأليف عند العلماء العرب . قسم الأدب ، الطبعة الثالثة ، دار العلم
للملايين ، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- الشطي : شوكت
- مختصر في تاريخ الطب وطبقات الأطباء عند العرب . مطبعة جامعة دمشق ،
١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م .
- شلمي : أحمد
- التربية الإسلامية - نظمها - فلسفتها - تاريخها . الطبعة السادسة ، مكتبة
النهضة المصرية ١٩٧٨م .
- شوقي : جلال
- تراث العرب في الميكانيكا . عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٣م .
- الشيبي : الدكتور كامل
- ديوان الدوييت في الشعر العربي . طبعة دار الثقافة ، بيروت ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

ضيف : شوقي

- البلاغة تطور ومنهج . الطبعة السادسة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٥ م .
- تاريخ الأدب العربي - عصر الدول والامارات . دار المعارف .
- تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني . الطبعة الرابعة ، دار المعارف القاهرة .
- الفن ومذاهبه في النثر العربي . الطبعة السادسة ، دار المعارف ، القاهرة .
- المقامة . الطبعة الرابعة ، دار المعارف بصر ، القاهرة .

الظاهر : على جواد

- الشعر العربي في العراق وبلاد الحميم في العصر السلجوقي . جزآن ، مطبعة المعارف - بغداد ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .

طرخان : ابراهيم علي

- النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

طوقان : قدرى حافظ

- تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك . دار الشروق ، بيروت ، القاهرة .

طوطح : خليل

- التربية عند العرب . المطبعة التجارية ، القدس ١٩٣٥ م .

عاشور : سعيد عبد الفتاح

- بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى . طبع دار الأحد ، بيروت ١٩٧٧ م .

العاطي : السيد محسن الأمين

- أعيان الشيعة . مطبعة الانصاف ، بيروت ١٩٥٠ م .

عبد الرؤوف : همام الدين

- بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي ، تصحيح وتعليق مصطفى جواد ، الطبعة الأولى . دار الفكر العربي ، بيروت ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

عبد النور : جهور

- اخوان الصفا . طبعة دار المعارف بصر ١٩٥٤ م .

عمر : فاروق

- التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين . الطبعة الأولى ، مؤسسة المطبوعات العربية ، بيروت - لبنان ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

عواد : كوركيس

- خزائن الكتب القديمة في العراق . مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ م .

عيسى بيك : أحمد

- تاريخ البيمارستانات في الاسلام . الطبعة الثانية ، دار الراشد العربي ، بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

غني : قاسم

- تاريخ التصوف في الاسلام . ترجمة صادق نشأت ، راجعه د . أحمد ناجسي القيسي - د . محمد مصطفى حلمي ، مكتبة النهضة المصرية ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .

الفاخوري : حنا

- تاريخ الأدب العربي . المطبعة البوليسية ، بيروت - لبنان .

فابير : آرمينوس

- تاريخ بخاري . ترجمة د . أحمد محمود السامرائي ، مراجعة يحيى الخشاب ، القاهرة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

فروخ : عمر

- عقيدة العرب في العلم والفلسفة . الطبعة الثالثة ، بيروت ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
- تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي ج ٢ ، الطبعة الثالثة ، دار العلم للملايين ١٩٨١ م .

فهد : بدرى محمد

- تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير . مطبعة الارشاد ، بغداد ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

فهمي : عبد الرحمن

- صنع السكة . القاهرة ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م .

كاهين : كلود

- تاريخ العرب والشعوب الاسلامية . ترجمه د . بدر الدين القاسم ، الطبعة الثانية - دار الحقيقة ، بيروت ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

كراتشكوفسكي : أغناطيوس بوليانوفتش

- تاريخ الأدب العربي . ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، مراجعة أيغور بلياييف ، القسم الأول ، اختارته الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية .

الكرطي : انستاس ماري

- النقود العربية وعلم النسيات - رسائل في النقود للبلاندي ، والمقريزي والذهبي - الناشر محمد أمين دمج ، بيروت .

كحاله : عرضا

- الأدب العربي في الجاهلية والاسلام . المطبعة التعاونية - دمشق ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م.
- اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام . ج ١ ج ٢ ، الطبعة الرابعة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.
- التاريخ والجغرافية في العصور الاسلامية ، المطبعة التعاونية ، دمشق ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م.
- علوم الدين الاسلامي . مطبعة الحجاز ، دمشق ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م.
- اللغة العربية وعلومها . دار المعلم العربي - المطبعة التعاونية ، دمشق ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م.

لويس : برنارد

- أصول الاسماعيلية . ترجمة خليل أحمد جلو - جاسم محمد الرجب ، قدم له الدكتور عبد العزيز الدوري ، طبع بدار الكتاب العربي بمصر.
- الحشاشون . تعريب محمد العزب موسى ، الطبعة الاولى . منشورات دارالمشرق العربي الكبير ، بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

متر : آدم

- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري . ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده ، جزآن ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دار الكتاب العربي . بيروت .

محمد : جلال موسى

- منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية . دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٨٢ م.

المراغي : عبد الله مصطفى

- الفتح المبين في طبقات الأصوليين . الطبعة الثانية ، محمد أمين دمج وشركاه ، بيروت ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م.

معروف : ناجي

- أصالة الحضارة العربية . الطبعة الثانية ، دار الثقافة ، بيروت ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م.
- تاريخ علماء المستنصرية . جزآن . الطبعة الثالثة ، منشورات مؤسسة دار الشعب ، القاهرة.
- عالمات بغداديات . دار الجمهورية ، بغداد ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م.

- علماء النظاميات ومدارس المشرق الاسلامي . مطبعة الارشاد ، بغداد ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .
- مدارس قبل النظامية . مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .
- المراصد الفلكية ببغداد في العصر العباسي . دار الجمهورية ، بغداد ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
- نشأة المدارس المستقلة في الاسلام . مطبعة الأزهر ، بغداد ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م .
- المقدسي : أنيس
تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي . الطبعة السابعة ، دار العلم للملايين
بيروت ١٩٨٢م .
- موراني : حميد - والدكتور عبد الحليم منتصر
قراءات في تاريخ العلوم عند العرب . مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل
العراق ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .
- موسي : أشرف محمد
الكتابة العربية والأدبية والعلمية . القاهرة ، مكتبة الخانجي ١٩٧٨م .
- نلينو
علم الفلك . مكتبة المثنى . طبعة روما ١٣٣٠هـ / ١٩١١م .
- هونكه : زغريد
شمس العرب تسطع على الغرب . ترجمة فاروق بيهضون - وكمال الدسوقي . الطبعة
الثالثة - نشر المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- الورد : باقرا أمين
معجم العلماء العرب . راجعه كوركيس عواد ، الطبعة الأولى ، المكتبة الوطنية
بغداد ١٤٠٢ / ١٩٨٢م .

رابعاً : المراجع الأجنبية :

- Brockelman. C
- Geschichte Der Arabisch en Literatur, cahen, cl.
- Le service de L'irrigation en Iraq debut XI siecle,
BEO, 1949.

El-Samarraie, Husam

- Agriculture in Iraq. During the 3rd century A.H.,
Librairie Du Liban, Beirut 1972.

Lestrang. G

- Baghdad during the caliphate, Oxford salmon, Georges.
- Histoire de Baghdad., Paris, 1904.

خاصا : الموسوعات :

- دائرة المعارف الاسلامية . الترجمة العربية ١٤ جزء.
- الموسوعة الثقافية . ٣ أجزاء باشراف د . حسين سعيد ، دار المعرفة ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة . نيويورك ١٩٧٢ م.
- الموسوعة العربية الميسرة . باشراف شفيق غربال ، الطبعة الثانية ، دار الشعب - مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٥ م.

سادسا : المجلات والدوريات :

مجلة المجمع العلمي العراقي :

- المدرسة النظامية : مقالة سعيد نفيسي ، ترجمة د . حسين علي محفوظ ج ١ ،
مجلد ٣ - بغداد ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م.
- الفتوة وأطوارها : مقالة مصطفى جواد . المجلد الخامس - بغداد ١٣٧٧ هـ /
١٩٥٨ م.
- ابن الجوزي ، فهرست كتبه : مقالة ناجيه عبدالله ابراهيم ، المجلد ٣١ ، ج ٣
بغداد ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

مجلة سومر : تصدرها مديرية الآثار العامة العراقية :

- الربط البغدادية وأثرها في الثقافة الاسلامية : مقالة الدكتور مصطفى جواد ،
المجلد العاشر ، والمجلد الحادي عشر ج ٢ ١٩٥٤ - ١٩٥٥ م

- المدرسة النظامية ببغداد : مقالة الدكتور مصطفى جواد . المجلد التاسع ، ج ٢ بغداد ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م .
- مدارس الموصل في العهد الأتابكي : مقالة سعيد الديوه جي . المجلد الخامس

مجلة كلية الآداب : تصدرها جامعة بغداد :

- التوقيعات التدريسية : مقالة ناجي معروف - العدد ٦ - مطبعة العاني ، بغداد ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .
- الحميدى : مقالة محسن جمال الدين - العدد ١ - بغداد .

مجلة الأستاذ :

- الحركة العلمية في المائة الخامسة الهجرية . مقالة عبد الهادي محبوبه - المجلد ١١ .
- المظاهر الحضارية للسلاجقة في العراق وآثارها . حسين أمين - المجلد ١٤ .

مجلة المقتطف :

- نظام الملك والمدرسة النظامية . مقالة كرد علي المجلد ٢٧ ، ١٩٠٢ م .
- الجامعة المصرية : مقالة المجلة - المجلد ٣١ ج ١١ .

مجلة معهد المخطوطات العربية :

- أمالي نظام الملك . المجلد الخامس ج ٢ ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م .

مجلة الحضارة :

- الاخاء في الثقافة ووقف الكتب . مقالة مصطفى جواد - العدد ٣٣ - ٣٤ .

مجلة لغة العرب :

- الفتوة والفتيان قديما . مقالة مصطفى جواد - المجلد ٤ بغداد .

مجلة المعلم الجديد :

- أول مدرسة في العراق مدرسة الامام أبو حنيفة . العدد ٦ - ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م .

مجلة عالم الفكر : تصدرها وزارة الاعلام بالكويت

- المسجد والقصص والمذكرون . د . بليغ - المجلد ١٢ العدد ٤ - ١٩٨٢ م .